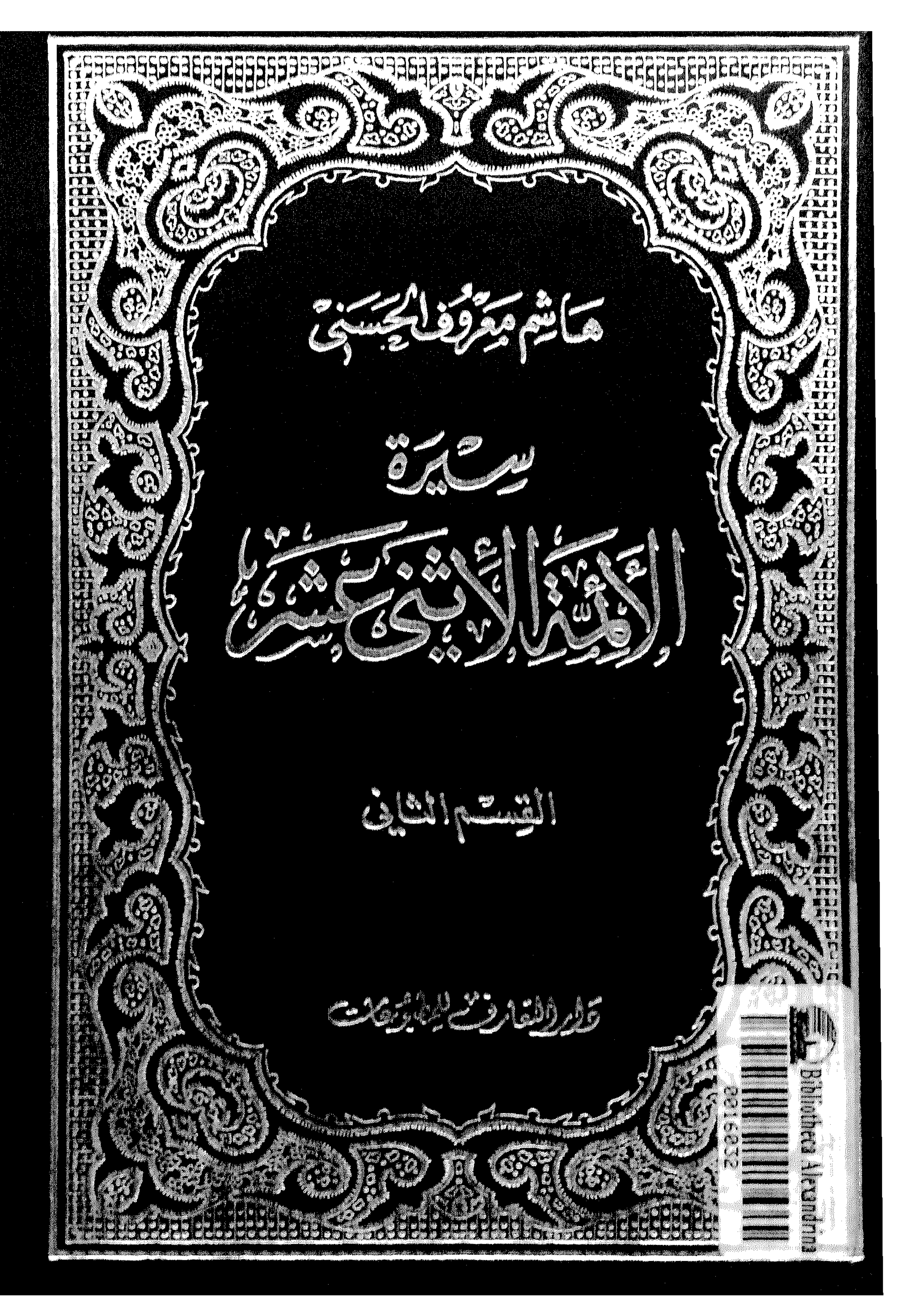

هاشم معروف الحسني
سيرة
الأئمة الاثني عشر
القسم الثاني
دار التعارف للمطبوعات
Bibliotheca Alexandrina







سيرة الأئمة الاثني عشر

القسم الثاني



هاشم معروف الحسني

سيرة الأئمة الاثني عشر

القسم الثاني

١٤١١هـ - ١٩٩٠م



المكتب : شارع سوريا - بناية درويش - الطابق الثالث
الادارة والمعرض - حارة حريك - المنشية - شارع دكاش - بناية الحسنين
تلفون - ٨٣٧٨٥٧
ص. ب ٨٦٠١ - ١١

القسم الثاني

في القسم الأول من سيرة الأئمة (ع) لمحات عن سيرتي السيدتين جدتي الأئمة الأطهار الصحابية الأولى خديجة الكبرى وابنتها الصديقة الزهراء (ع) تقديرا لخدماتها ووفاء لحقهما على كل مسلم ومؤمن بالله واليوم الآخر، وعرض ودراسة لبعض الجوانب من سيرة الإمامين العظيمين علي بن أبي طالب وولده الحسن السبط (ع) وما رافق حياتهما من أحداث، وفي هذا القسم عرض سريع لبعض الجوانب من سيرة الأئمة الباقين يبتدىء بسيرة الإمام الثالث الحسين بن علي أبي الشهداء (ع) حتى الإمام الثاني عشر الحجة المنتظر (ع) مع تحليل وتقييم لبعض الاحداث والتطورات التي كانت تعترض مسيرتهم وتستهدف حياتهم بواسطة الحاكمين في عهدين كان الظلم والجور ومطاردة المصلحين والعاملين لخير الإنسان من أبرز الجوانب في تاريخهما .

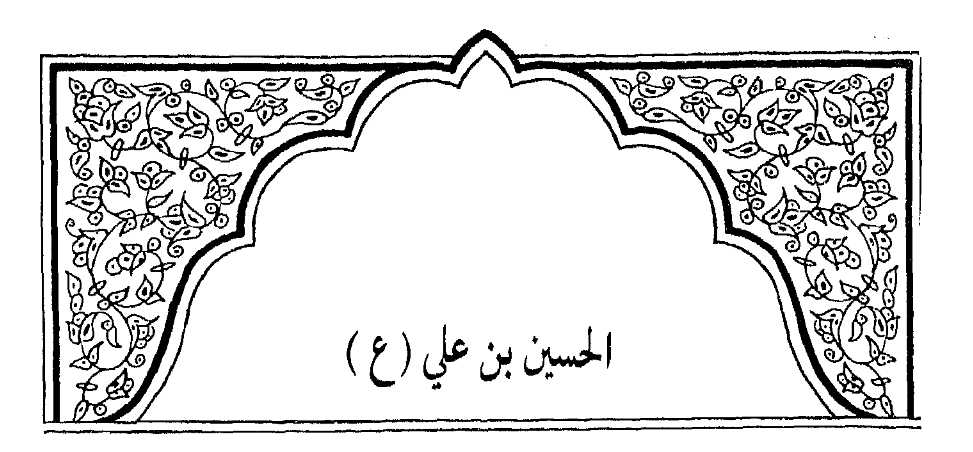




الإمام الثالث

الحسين بن علي الشهيد "عليهما السلام"





حسين مني وانا من حسين اللهم احب من يحب حسينا

لقد كان ابو عبد الله سيد شباب اهل الجنة ، ريحانة جده المصطفى وأحد الخمسة الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً وباهى بهم النبي (ص) نصارى نجران كما نص على ذلك اكثر المؤرخين والمحدثين والمفسرين لكتاب الله ، وكان الإمام بنص الرسول وأبيه وأخيه عليه .

ولد (ع) في المدينة لخمس خلون من شعبان في السنة الرابعة للهجرة ، وجاء عن اسماء بنت عميس : ان الزهراء اولدته بعد حول من مولد اخيه الحسن فجاءها النبي (ص) وقال : يا اسماء هاتي ابني فدفعته اليه وهو ملفوف بخرقة بيضاء فاستبشر به وأذن في اذنه اليمنى وأقام في اليسرى ، ثم وضعه في حجره وبكى ، فقلت : فداك ابي وأمي يا رسول الله مِمَّ بكاؤك ؟ قال ابكي لما يصيبه بعدي وستقتله الفئة الباغية لا انالهم الله شفاعتي ، ومضى يقول لعلي (ع) : هل سميته يا ابا الحسن ؟ فقال : ما كنت لأسبقك في اسمه ، وكنت احب ان اسميه حرباً ، فقال : سمه حسيناً ، وفي اليوم السابع عق عنه كبشا وتصدق بوزن شعره فضة كما فعل مع اخيه الحسن من قبل .

وجاء في كثير من المرويات انه لم يرضع من ثديي أمه ولا من غيرها ، وكان النبي (ص) يضع ابهامه في فمه فيمتص منها ما يكفيه ليومين او ثلاثة .

وروى ابن شهراشوب في مناقبه : ان فاطمة الزهراء (ع) اعتلت بعد ان أولدت الحسين وجف لبنها فطلب له رسول الله من ترضعه فلم يجد له مرضعة فكان يأتيه ويلقمه ابهامه فيمصها فكان غذاؤه منها أربعين يوماً حتى نبت لحمه من لحم رسول الله (ص) .

وروى الرواة عن الإمام الصادق (ع) انه قال : لم يرضع جدي الحسين من ثدي فاطمة ولا من انثى غيرها ، بل كان يؤتى به النبي فيضع ابهامه في فيه فيمتص منها ما يكفيه اليومين والثلاثة .

ومهما كان الحال فالذي لا ريب فيه ان النبي (ص) كان يلقمه ابهامه احياناً ، وأحياناً لسانه ، أما أنه لم يرضع من ثدي أمه ولا من امرأة غيرها أبداً ، فالروايات التي تعرضت لهذه المرحلة من طفولته لا تنهض لإثبات ذلك .

وكان (ع) كما تصفه المرويات اشبه الناس جسماً برسول الله ، وإن الحسن (ع) كان أشبه الناس به وجهاً ، شديد القوة ربعة ليس بالطويل ولا بالقصير لم ير الناس أحسن منه ، وقد أحبه الرسول وغمره بعطفه وحنانه ، وكان يؤلمه بكاؤه فيوصي الزهراء بالحدب عليه والرفق به والتوجه إليه ثم يأتيه فيحمله حيناً بين يديه وأحيانا على كتفه ويخرج به الى الناس ، فإذا جلس وضعه في حضنه ، وإذا تفلت منه ومشى لا تفارقه عيناه ، ورآه مرة وهو يتعثر في قميص له وكان يخطب الناس ، فنزل عن منبره حتى أخذه وعاد إلى خطبته من حيث قطعها وهو يقول : الأولاد فتنة .

وقال الاستاذ أحمد عاشور في كتابه سيد شباب أهل الجنة : ولو أنك تصفحت الصحاح من كتب السنّة لرأيت عشرات الاحاديث الناطقة بفضل

الحسين الشاهدة بقدره وحب الرسول له ، بل إنك لترى في هذه الكتب عشرات من الإيماءات والإشارات التي تدل على أن الله سبحانه قد أحاط نبيه محمداً (ص) بالكثير مما واجهه الحسين (ع) في حياته من مصاعب وما لاقاه من إحن ومحن وفتن ، حتى لقد أوشك أن يخبر صلوات الله وسلامه عليه بمأساة كربلاء وما أزهق فيها من أنفس وأريق فيها من دماء ، بل أخبر اصحابه بذلك في بعض المناسبات كما يوحي إلى ذلك موقف زهير بن القين حينما دخل عليه الحسين (ع) وهو في طريقه الى كربلاء وزهير بن القين عائد من الحج وكان عثمانياً فلما اجتمع إلى الحسين حول رحله إلى رحاله وقال لأصحابه : لقد غزونا مع سلمان الفارسي ففتح الله علينا وغنمنا ، فقال لنا سلمان : اذا أدركتم قتال سيد شباب أهل الجنة فكونوا أشد فرحاً بقتالكم معه مما أصبتم من هذه الغنائم . ومعلوم ان سلمان الفارسي ما كان له أن يعلم ما سيجري في المستقبل لولا إخبار النبي (ص) له بذلك .

وروى الرواة ايضاً ان عليا (ع) مر بكربلاء فوقف عندها طويلا وبكى ثم حدث عما سيجري في تلك البقعة على ذريته ، وما كان لعلي وغيره ان يعلم ما يجري عليه وعلى ذريته الا بواسطة النبي الذي يتلقى علم ذلك عن طريق الوحي ، كما حدثت أم سلمة رضوان الله عليها عما سيجري عليه في كربلاء وروى الرواة عنها أن جبرائيل لما أخبر النبي بما يجري على ولده الحسين تناول قبضة من ترابها وأعطاها رسول الله إليها وأخبرها بأنها عند قتل الحسين ستفور دما وكان الأمر كذلك ، ولقد حدثت الحسين بذلك عندما ودعها وهو في طريقه الى العراق فأكد لها ما سمعته من جده ، وأعطاها أيضاً من تراب كربلاء ، فكانت تتعاهد التربة منذ أن اتجه أبو عبد الله الى العراق ، وفي اليوم العاشر من المحرم فقدتها كعادتها فوجدتها تفور دماً عبيطاً ، وكانت أول من علم بقتله من أهل الحجاز كما جاء في كثير من الروايات وإن كان أكثرها ليس في المستوى المطلوب .

ومهما كان الحال فلقد بقي الحسين مع جده النبي سبع سنين أو أقل

من ذلـك بقليل حسب اختـلاف الروايـات في تاريـخ ولادته ، وكـان قد سمـاه حسينـاً كما سمى اخـاه حسناً من قبله ، وظـل في رعايتـه إلى أن انتقل لـربـه ، فكـانت نفسـه الكـريمـة عـلى صغـره تـرسم كـل مـا يصـدر عن النبي من قـول وفعـل ، فلم يعرف احدا قبل جـده ولا أحس بعطف انسـان قبل عـطفه وكـان يغـذيه من لسـانه مـا يكفيه اليـومين والثـلاثة عـلى حد تعبير الـرواة حتى اشتـد وثبت لحمه واتسعت نفسه الكبيرة لمعاني الرسالة وأهدافها وغمرتـه بروحـانيتها ، وقال فيه جده أكثر من مرة : حسين مني وأنا من حسين .

وروى الـرواة عن البراء بن عـازب انه قـال : رأيت النبي (ص) يحمـل الحسـين على عـاتقه ويقـول : اللهم إني أحبه فـأحبه وأحب من يحبـه ، وانتقـل بعد جده الى أحضـان أبيه أمـير المؤمنين ، وهـو في السابعـة من عمره ، وشـارك أباه وأمه في محنتهـما بفقد الـرسول واقصـاء أبيه عن حقـه في الخلافـة ، وشاهـد أمـه خلال الاشهـر القليلة التي عاشتهـا بعد جـده لا يقر لهـا قرار لفـراق أبيهـا تندبه في الليـل والنهار ، ولا يفـوتها وهي في هـذا الجو القـاتم أن تطالب القـوم بمـا اغتصبـوه منهـا ومن ابن عمهـا وتقـارعهم بـالحجـج الـدامغـة والبـراهـين الساطعة ، وهم جـادون في هضمها واغتصـاب حقها ، حتى بلغ بهم الحـال ان هاجموا بيتها وهموا بإحراقه بمن فيه كما حدث الرواة بذلك .

لقـد شاهد ابو عبـد الله الحسين كـل ذلك في مـطلع صباه فكـان يتلوى من الألم ويقـاسي مرارة تلك الاحـداث وهو إلى جـانب أبيـه وأخيـه حتى كـانت وفاة امه فتضاعفت آلامه واشتد وقعها عـلى نفسه ، وبقي إلى جانب أبيه يتـأسى بصبـره وجلده حتى اجتـاز تلك المـرحلة من حيـاتـه بنفس مـطمئنـة لقضـاء الله وقـدره كما اجتـازها أبـوه وأخوه ، وبقي إلى جـانب أبيه أكـثر من ثلاثـين عـامـاً مخلصاً لرسالة جده متنكراً للباطل وأهله شديداً على الظالمـين لا يهادن ولا يحـابي أحـداً على حسـاب دينه ، ولا تغـريه دنيـاهم بما فيهـا من مفـاتن ومغـريـات ، ينشـطه الجور ويـوقظه الـظلم ويثيره أنـين الضعفاء وعـويل المنكـوبين ، فيـرفـع صوته الذي كان يدوي في أطراف الحجاز والعراق فيقض مضاجع الظلمة والطغاة :

ألا وإني لا أرى الموت إلا سعادة والحياة مع الظالمين إلا برما .

ولقد أجمع المؤرخون والرواة على أنه كان مثالا للفضائل ومكارم الأخلاق ومحاسن الأعمال مفيدا من علمه الواسع الذي ورثه عن جده وأبيه مرشداً بأعماله قبل أقواله سخيا بماله على الفقراء وذوي الحاجات متواضعا في نفسه يناصر الحق ويحارب المنكر ويتحلى بالصبر والحلم والعفاف والمروءة والورع ، من أعبد الناس وأزهدهم في الدنيا وملذاتها .

وكان اذا تحدث عن الدنيا ودور الإنسان فيها يقول :

عباد الله اتقوا الله وكونوا من الدنيا على حذر ، فإنها لو بقيت لأحد او بقي عليها أحد لكانت للأنبياء أحق بالبقاء وأولى بالرضا غير ان الله خلق الدنيا للبلاء وخلق أهلها للفناء فجديدها بالٍ ونعيمها مضمحل وسرورها مكفهر فتزودوا فإن خير الزاد التقوى واتقوا الله لعلكم تفلحون .

ومجمل القول : ان الحديث عن الحسين (ع) غني بالمواد وبكل معاني النبل والتضحية والفداء لأنه يأتي في القمة بين المصلحين وعظماء التاريخ والثائرين على الظلم والطغيان وقد أبت نفسه الكريمة الطاهرة الا أن تكون القدوة الحسنة والمثل الاعلى لكل مصلح ولكل ثائر على الظلم والظالمين ، ولكل أبي كريم يؤثر الموت تحت ظلال السيوف على الحياة بين أطمار الذلة وفي ظل الجبابرة ، وختم حياته والسيوف تنهش من جسمه وهو يقول : لا اعطيكم بيدي اعطاء الذليل ولا أقر لكم إقرار العبيد ، ولا يزال وسيبقى رمزاً للبطولات والتضحيات وحديثاً كريماً طيباً للأجيال تستمد من معانيه وأبعاده الخيرة أقدس المثل وأكثرها عطاء في تاريخ البشرية الطويل .

ولا بد لنا ونحن بصدد الحديث عن سيرته من عرض سريع لمراحلها راجين منه سبحانه أن يوفقنا لأن نستلهم منها الحق والثبات على الحق والبذل والعطاء في سبيل الله كما بذل وأعطى سيد الشهداء (ع) .



الحسين في عهد الخلفاء الأربعة

لقد عرضنا لمحة عن ولادته وحياته مع جده الرسول الأمين ، ولم يحدثنا التاريخ بشيء عنه خلال خلافة ابي بكر القصيرة ، ولعل مرد ذلك إلى صغر سنه يوم ذاك لأنه بقي في الخلافة نحوا من سنتين والحسين (ع) يوم وفاة أبي بكر كان في التاسعة من عمره ، أما في خلافة ابن الخطاب فيجد الباحث بعد التتبع نتفاً من سيرته هنا وهناك .

فقد جاء عنه في مطلع خلافة عمر بن الخطاب انه قال : أتيته وهو يخطب على المنبر والمسلمون حوله فتخطيت الناس وصعدت إليه وقلت له : انزل عن منبر أبي واذهب الى منبر أبيك ، فابتسم لي وقال : ليس لأبي منبر وإنه لمنبر أبيك أي والله ثم أخذني بيده وأجلسني الى جانبه ، فلما نزل عن المنبر انطلق بي إلى منزله وقال لي : من علمك ذلك ؟ فقلت : والله ما علمني أحد ، فقال : بأبي أنت وأمي لو جعلت تغشانا ، فأتيته يوماً وهو مجتمع مع معاوية في خلوة وولده عبد الله واقف على الباب فرجع ورجعت معه ، فلقيني بعد ذلك وقال لي : لم أرك منذ فارقتني ، فقلت له : إني جئتك وأنت في خلوة مع معاوية ووجدت ولدك عبد الله على الباب فرجعت معه ، فقال : أنت أحق من ولدي فإنما أنبت ما ترى في رؤوسنا الله ثم أنتم .

وجاء في تذكرة الخواص وغيرها عن ابن عباس : ان عمر بن الخطاب كان يحب الحسن والحسين ويقدمهما على ولده ولقد وزع الأموال يوماً فأعطى لكل من الحسن والحسين عشرة آلاف درهم وأعطى ولده عبد الله ألفاً ، فعاتبه ولده وقال : لقد علمت سبقي الى الإسلام وهجرتي الى رسول الله وأنت تفضل علي هذين الغلامين ، فقال له : ويحك يا عبد الله ، آتني بجد كجدهما وأب كأبيهما وأم كأمهما وخال كخالهما وعم كعمهما وعمة كعمتهما وجدهما رسول الله وأبوهما علي بن أبي طالب وامهما فاطمة الزهراء وجدتهما خديجة بنت خويلد وخالهما ابراهيم ابن رسول الله وعمهما جعفر الطيار وعمتهما أم هانىء بنت أبي طالب .

وروى ابن عساكر في تاريخه أن عمر بن الخطاب فرض للحسن والحسين مثلما فرض لأبيهما وألحقهما بأهل بدر في العطاء ، وأرسل إليه عامله على اليمن حللا فوزعها ولم يعط الحسن والحسين منها فلبسها الناس وراحوا يخطرون بها وخرج الحسن والحسين من بيت امهما فاطمة وكان في جوف المسجد فقطب عمر بن الخطاب وقال لمن حوله : والله ما انصفت اذ كسوتكم من حلل اليمن وتركت هذين الغلامين ، ثم كتب لعامله على اليمن أن : ابعث لي بحلتين لحسن وحسين وعجل بهما فبعث إليه بحلتين فكساهما وقال : الآن طابت نفسي .

وفي رواية ثانية ان الحلل التي جاءته اولا لم يكن فيها ما يصلح لهما فأرسل إلى عامله في اليمن أن يرسل له حلتين على حسابهما .

ولم يرد في المصادر التاريخية ما يشير الى اشتراكه في حروب المسلمين مع الدولتين الرومانية والفارسية ، ولعل ذلك يعود إلى أنه خلال خلافة ابن الخطاب لم يتجاوز مطلع الشباب ، وفي خلافة عثمان بن عفان كان قد تكامل شبابه فاشترك هو وأخوه الحسن (ع) في الحياة العامة وفي بعض الغزوات إلى افريقيا وبلاد الفرس .

فقد جاء في روايـة ابن خلدون من تاريخـه كتاب العبـر المجلد الثاني ص ١٢٨ و١٢٩ ان عثمان بن عفان عزل عمرو بن العاص عن ولاية مصر واستعمل عليهـا أخاه من الـرضاعـة عبـد الله بن سـرح ، وكـان قـد أمـر عبـد الله بغـزو افريقية ، وأمـر على الجنـد عقبة بن نـافع بن عبـد القيس وعبد الله بن نـافع بن الحرث فخرجوا الى افريقيـة فصالحهم أهلهـا على مبلغ من المال يؤدونـه إليهم ولم يستطيعوا التـوغل فيهـا لكثرة اهلهـا ، ثم استأذن ابن سـرح عثمان في التـوغل فيهـا وطلب منه ان يمـده بالجيش فـاستشار عثمـان بن عفان الصحـابة فـأشاروا عليه بإرسـال الجيش إليها ، فـأمده بـالعساكـر وفيهم جماعـة من الصحابـة منهم عبـد الله بن عبـاس وابن عمـر وعبـد الله بن عمـرو بن العـاص وابن جعفـر والحسن والحسـين (ع) ، وممن أكد اشتـراكهما في تلك الغـزوة احمد بن خـالـد الناصري السلاوي في كتابـه الاستقصاء لأخبـار المغرب الأقصى في المجلد الأول ص ٣٩ .

وروى الطبـري في ص ٥٧ و ٥٨ من المجلد الخـامس وابن خلدون في ص ١٣٤ و ١٣٥ من المجلد الثـاني من كتـابـه العبـر ، ان الحسـين (ع) قـد اشترك في حروب المسلمين مع الفرس في طبرستان وجهاتهـا ، وجاء فيهـما : أنه في سنـة ثـلاثـين من الهجـرة غـزا سعيـد بن العاص طبرستان، وكـان ملكهـا (الأصبهبذ) قد صالح سويد بن مقرن في عهد عمر بن الخطاب عـلى مال يؤديـه للمسلمين في كل عام ، ولما غزاها سعيد بن العاص عنـدما ولاه عثمـان الكوفـة ضم إليـه جماعـة من الصحـابـة وفيهم الحسـنـان (ع) وعبـد الله بن عبـاس وجمـاعـة من اولاد المهـاجـرين والانصـار ، وامتـد الغـزاة إلى جـرجـان ونهاونـد وغيرهما فخضعت جميع تلك المناطق للقـوات الغازيـة . وقد أهمـل هذه النـاحية جماعة من المؤرخين ولم يتعـرضوا لاشتـراك الحسن والحسين في الغزوات والحـروب الإسلامية التي كانت مكللة بالنجاح يوم ذاك ، وحتى في غـزو أفريقيـا وطبرستـان وجهاتها كما أهملوا غيرها من الحقائق التاريخية ، لذلك فإن اهمالهم لها لا يكفي وحـده لأن يكون سببـاً للتشكيك بهـا ، لا سيما عنـد المتتبع لتـاريخ أهـل البيت

الحافل بالتضحيات في سبيل الإسلام .

ويدعي اكثر المؤرخين بأن الحسين (ع) قد اشترك هو وأخوه الحسن (ع) في الدفاع عن عثمان ، وقد أمرهما أمير المؤمنين (ع) ان يقفا على باب داره ليصدا هجمات الثوار عليه .

وأضاف إلى ذلك بعض المؤرخين : أن الثوار قد تهيبوا الدخول عليه من الباب الذي رابط عليه الحسنان ، فتسلقوا الجدران ودخلوا عليه وكانت بذلك نهايته ، وكنت قد تعرضت لهذه الناحية من مواقفهما في القسم الأول من هذا الكتاب ، خلال حديثي عن الثورة التي اطاحت بعثمان وسلطانه ، وأبديت بعض الملاحظات على هذا النوع من المرويات فلم يعد ما يوجب الحديث عنها . وقد اشترك مع ابيه خلال خلافته في جميع الشؤون السياسية والعسكرية والادارية وكان يرعاه ويتمنى عليه وعلى اخيه الحسن ان لا يغامرا في المعارك ، في حين انه كان يحرض ولده محمد بن الحنفية على اقتحامها .

وقد قيل له لِمَ يغرر بك ابوك ولا يغرر بالحسن والحسين ، فقال : انهما عيناه وأنا يمينه فهو يدفع عن عينيه بيمينه ، ومرة اخرى قيل لأمير المؤمنين : لماذا تسمح لمحمد بن الحنفية في خوض المعارك وتمنع الحسن والحسين؟ فقال : لأنهما عيناي ومحمد يداي وأنا أدفع عن عيني بيدي .

ولما عاد الى الكوفة بعد رفع المصاحف والتحكيم وسمع قول من قال : لو كان مضى بمن اطاعه فقاتل حتى يظفر او يهلك ، قال : والله ما غاب عن رأيي ذلك وان كنت سجينا بنفسي عن الدنيا طيب النفس بالموت ، ولقد هممت بالإقدام على القوم فنظرت الى هذين قد ابتدراني يعني الحسن والحسين ، ونظرت الى هذين وقد استقدماني ، يعني عبد الله بن جعفر ومحمد بن علي ، فعلمت ان هذين ان هلكا انقطع نسل رسول الله من هذه الأمة ، وأشفقت على هذين ان يهلكا وايم الله لئن لقيتهم بعد يومي هذا لألقينهم وليسوا معي في عسكر أبداً .

وجـاء في المجلد الثـاني من أسـد الغـابـة ص ١٩٣ و ١٩٤ عن شفيق بن سلمة ان الحسين (ع) برز في معارك أبيه مع القاسطين او المـارقين والنـاكثين ، ونادى : هل من مبارز ؟ فأقبل رجل من آل ذي لعـوة اسمه الـزبرقـان بن احلم وكـان بطلا شـديـد الـبـأس فقـال للحسـين : من أنت ؟ قـال أنـا الحسـين بن علي ، فقال لـه الزبـرقان : انصـرف يا بني ، ؛ فـاني والله لقد نظرت إلى رسول الله مقبـلا من ناحيـة قباء عـلى ناقـة حمراء وانـك يومئـذ قدامـه فـما كنت لألقى رسول الله بدمك وانصرف عنه[1] .

---

(١) ان صحت هذه الرواية فمن الجائز أن يكون انصـرافه عنـه خوفـا على نفسـه لا عليه لأن الحسين كان معروفاً بالبطولة والقوة .



وصية أمير المؤمنين الى الحسين (ع)

لقد روى الرواة أنه لما ضرب ابن ملجم أمير المؤمنين بالسيف وأدخل بيته كان يغمى عليه ساعة بعد ساعة ، وفي الليلة التي توفي فيها جمع ولده ونص على إمامة الحسن والحسين وأوصى أولاده بإطاعتهما، وقال لهما : أوصيكما بتقوى الله وأن لا تبغيا الدنيا وإن بغتكما ولا تأسفا على شيء زوى منها عنكما ، وكونا للمظلوم عونا وللظالم خصما ، والتفت الى من كان عنده من بنيه وبني هاشم ، وقال : يا بني عبد المطلب لا ألفينكم تخوضون دماء المسلمين خوضا تقولون قتل أمير المؤمنين ، لا تقتلن بي إلا قاتلي، وانظروا إذا أتاحت من ضربته هذه فاضربوه ضربة بضربة ولا تمثلوا بالرجل فإني سمعت رسول الله يقول : اياكم والمثلة ولو بالكلب العقور .

وكان مما أوصى به الحسين كما في الاعجاز والايجاز لأبي منصور الثعالبي : يا بني ما شر بعده الجنة بشر ولا خير بعده النار بخير، وكل نعيم دون الجنة محضور ، وكل بلاء دون النار عافية ، اعلم يا بني : ان من أبصر عيب نفسه شغل عن غيره ، ومن رضي بقسم الله لم يحزن على ما فاته ومن سل سيف البغي قتل به ، ومن حفر لأخيه حفرة وقع فيها ومن هتك حجاب غيره انكشفت عورات بيته على الناس ، ومن نسي خطيئته استعظم خطيئة غيره ، ومن كابد الأمور عطب ، ومن اقتحم البحر غرق ، ومن أعجب برأيه ضل ،

ومن استغنى بعقله ذل، ومن تكبر على الناس ذل ، ومن سفه عليهم شتم ، ومن دخل مداخل السوء اتهم ، ومن خالط الأنذال حقر ، ومن جالس العلماء وقر .

يا بني اعجاب المرء بنفسه دليل على ضعف عقله ، كفى أدبا لنفسك ما كرهته من غيرك ، وان لاخيك عليك مثل الذي لك عليه ، الى غير ذلك من النصائح والارشادات التي أوصاه بها كما جاء في إعجاز الثعالبي وغيره من مجاميع الحديث والتاريخ .



الحسين مع أخيه الحسن

لقد أوصى أمير المؤمنين لولده الحسن وعهد إليه في الإمامة وسلمه مواريث النبوة ، كما أوصى الحسين (ع) وبقية أولاده باطاعته ، وقد وقف الحسين الى جانب أخيه الحسن وشاهد جميع الأحداث التي مر بها أخوه وكانا على إتفاق تام في الرأي وجميع التدابير التي اتخذها الحسن (ع) بعد أن رأى موقف أهل العراق المتخاذل وأحاط بكل ما دبره معاوية من المكائد والدسائس وأصبحت الأكثرية من جيش العراق في تصرف معاوية بن أبي سفيان وطغمته ، ولم يكن ليخفى على الإمام أبي عبد الله الحسين (ع) ان المعركة لو قدر للحسن أن يدخلها مع معاوية في حرب ستكون لصالح معاوية وستنتهي حتماً إما بقتل الحسن والحسين وجميع الهاشميين وخلص شيعتهم أو بأسرهم ، كما يبدو ذلك لكل من تتبع الأحداث التي رافقت تلك الفترة القصيرة من خلافة الحسن (ع) ، وقد تحدثنا عن ذلك خلال حديثنا عن سيرة الإمام أبي محمد الحسن بما لا يدع مجالا لكل من يحاول التشكيك في موقف الحسن وإلصاق التهم به .

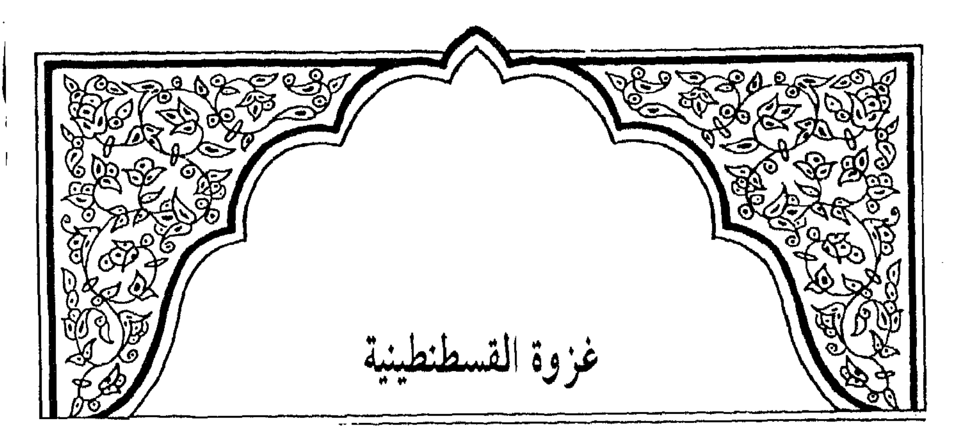
ومن ذلك يتبين أن ما رواه ابن الأثير في أسد الغابة وابن كثير في البداية والنهاية ، وابن عساكر في تاريخه الكبير من أن الحسين (ع) كان كارها لما فعله الحسن ، وأنه قال له : أنشدك الله أن لا تصدق أحدوثة معاوية وتكذب

أحدوثة ابيك ، وأن الحسن قال له : اسكت أنا أعلم بهذا الأمر منك كما يدعي في أسد الغابة ، وأنه قال له : لقد هممت أن أسجنك في بيت وأطينه عليك حتى اقضي بشأني هذا وأفرغ منه ثم اخرجك منه كما يزعم ابن كثير في البداية والنهاية ، وأنه قال له : والله ما اردت أمراً الا خالفتني الى غيره كما يزعم ابن عساكر في تاريخه ، مما ذكرناه سابقا من تحديد الملابسات والاحداث التي احاطت بموقف الحسن (ع) يتبين ان هذه المرويات لا اساس لها من الصحة ، هذا بالاضافة الى ان الحسين (ع) كان ابعد نظرا وأعمق تفكيرا في الأمور ومعطياتها حتى من أفذاذ عصره الذين قدروا للحسن (ع) موقفه الحكيم الذي لم يكن له مجال لاختيار سواه ، وكان ارفع شأنا من ان تخفى عليه المصلحة التي ادركها غيره فيما فعله اخوه حتى يقف منه ذلك الموقف المزعوم . وحسب تقديري ان الذين وضعوا اسطورة الخلاف بينهما بهذا الشكل ارادوا بذلك ان يسجلوا على احدهما ولو خطأ من هذا النوع بعد ان تعسر عليهم ان يقفوا لاحدهما على عثرة او زلة قدم في تاريخهما الناصع المحفوف بالمصاعب والاحداث ، لأن النتيجة الحتمية لموقف الحسين السلبي من اخيه لو صح هو خطأ احدهما ، اذ لا يعقل ان يكون الصواب حليفهما وكل منهما يرى ويتبنى خلاف ما يراه الآخر ويتبناه .

ومن الجائز أن تكون غاية اولئك الذين وضعوا أسطورة الخلاف بينهما ونسبوا إلى الحسين ذلك الموقف من أخيه أن يسجلوا عليه وحده الخطأ ، بحجة أن ما فعله الحسن (ع) كان لمصلحة المسلمين ، وقد نفذ فيه أمنية جده الرسول الأعظم(ص)حيث قال كما زعم أبو بكرة : إن ابني هذا سيد وسيصلح الله به بين فئتين عظيمتين من المسلمين ، ولازم ذلك حسب تقديرهم ان الحسين لم يكن مصيبا في موقفه من أخيه كما لم يكن مصيبا في ثورته لأنه تجاهل مصلحة المسلمين كما يزعمون

ومهما كان الحال فالذي اراه وتؤكده عشرات الشواهد انهما كانا

منسجمين في تفكيرهما ونظرتهما للأمور ومعطياتها ومتفقين في كل ما جرى وتم التوصل إليه ، وكما نسبوا إليه ذلك فقد نسبوا للحسن أنه كان على خلاف مع أبيه في كثير من مواقفه السياسية قبيل خلافته وخلالها ، وأضاف بعضهم أنه كان عثمانياً يقابله أحياناً بما لا يليق من سائر الناس مع آبائهم ، وقد ذكرنا ما قيل حول ذلك في محله خلال حديثنا عن الإمام الحسن (ع) وأثبتنا أن هذه المقالة من صنع الأمويين ، وأنه كان منسجماً مع سياسة أبيه كل الانسجام ، لم يخالفه في شيء من أموره في جميع المراحل والادوار التي مر بها .



غزوة القسطنطينية

لقد نص جماعة من المؤرخين ان المسلمين في عهد معاوية بن أبي سفيان قد غزوا القسطنطينية مرتين سنة ٤٩ و ٥١ بقيادة يزيد بن معاوية ، وفي الثانية يدعون بأنه كان مع الغزاة أبو أيوب الأنصاري والحسين بن علي (ع) ، وقال ابن كثير في تاريخه : ان الحسين كان يفد على معاوية بعد وفاة اخيه ، فصادف ان وفد عليه سنة ٥١ وتوجه مع الجيش إلى القسطنطينية غازيا بقيادة يزيد بن معاوية ، وأكد ذلك علي بن الحسين بن عساكر في المجلد الرابع من تاريخه .

ويبدو بعد التتبع انه لم يدع أحد من المؤرخين اشتراك الحسين في تلك الغزوة سوى ابن عساكر وابن كثير في تاريخهما كما ذكرنا ، ولم يذكر ابن جرير الطبري في تاريخه سوى غزوة واحدة كانت سنة ٤٩ ، ونص على اشتراك ابن عباس وابن عمر وابن الزبير وأبي أيوب الانصاري فيها ولم يذكر الحسين معهم ، وكل من كتب عن معارك المسلمين في تلك الفترة لم يتعرضوا للحسين (ع) ، واتفقوا على أن أبا أيوب الأنصاري قد توفي خلال تلك الغزوة وأنه دفن حيث توفي بناء لطلبه ووصيته ، ولما فتح السلطان محمد الثاني القسطنطينية كان أول ما فعله أن بنى قبره وشيده وأتقن بناءه ، وجرت عادة سلاطين بني عثمان بعد ذلك أن كل من يتولى الحكم لا بد وان يتقلد السيف ويتوج في مشهد أبي أيوب تيمناً به .

ويدعي بعض المؤرخين من العرب وغيرهم : ان المسلمين صنعوا طائرة ليستخدموها في حروبهم مع الرومان في تلك الغزوة ، وبعد أن طار بها قائدها في الجو سقطت به وتحطمت ، ويرى جماعة آخرون من الكتّاب أن عامل بيزنطية استخدم طائرة من القسطنطينية فوق الجيوش العربية التي حاصرتها ، وبعد ان تسربت الى العرب اسرارها صنعوا مثلها وطاروا بها ولكنها سقطت في البسفور بعد أن قطعت مسافة وكادت أن تحقق اهدافها .

ومهما كان الحال فالنصوص التاريخية لم تؤكد اشتراك الحسين (ع) في تلك الغزوة ، وهذا هو الراجح لا لأن قائدها يزيد ومسيِّرها معاوية كما يذهب إلى ذلك بعض من لا يدرك حقيقة أهل البيت (ع) من الشيعة وغيرهم ، ذلك لأن أهل البيت (ع) كانوا يتفانون في سبيل الإسلام سواء كان القائد صالحا أو فاسداً كما يؤكد ذلك تاريخهم الغني بالتضحيات في سبيله ، بل لأن الحسين (ع) لم يكثر الاتصال بمعاوية ، ولم يثبت تردده على الشام خلال حكم معاوية ، ولو صح اشتراك الحسين كجندي في جيش يقوده يزيد بن معاوية لأذاعته اجهزة الأمويين بكل وسائلها ، ولما خفي على أحد من المؤرخين ، في حين أن أكثرهم لم يذكره مع المشتركين في تلك الغزوة بل لم يذكره في عداد المشتركين فيها سوى ابن كثير وابن عساكر كما ذكرنا ومجرد ذلك لا يكفي لإثبات أمر من هذا النوع كما وأن إهمال أكثر المؤرخين لذلك لا يصلح لأن يكون دليلا على العدم ما لم يقترن ببعض القرائن والملابسات .



الحسين مع عمال معاوية

لقد روى بعض المؤرخين أنه حصل بين الحسين (ع) والوليد بن عتبة بن أبي سفيان وكان يوم ذاك أمير المدينة لعمه معاوية بن أبي سفيان ، نزاع على أرض كانت بينهما ، وقد احتال الوليد على الحسين واستعان عليه بسلطانه ، فقال له الحسين : والله لتنصفني من حقي ، أو لآخذن سيفي ثم أقوم في مسجد رسول الله (ص) وأدعو بحلف الفضول ، وكان عبد الله بن الزبير حاضراً ، فقال : وأنا أحلف بالله إن دعا به لآخذن سيفي وأقف معه حتى ينتصف من حقه أو نموت معاً ، وبلغت مقالتهما المسور بن مخرمة الزهري فقال مثل ذلك ، ثم بلغت عبد الرحمن بن عثمان التيمي فقال مثل ذلك ، فلما بلغ هذا الموقف الوليد بن عتبة انصف الحسين ورد إليه ماله .

وجاء في شرح النهج لابن أبي الحديد أنه كان بين معاوية والحسين (ع) نزاع على أرض في الحجاز فقال الحسين (ع) لمعاوية : إما أن تشتري مني وإما أن تردها علي أو تجعل بيني وبينك احد الاثنين عبد الله بن عمر أو عبد الله بن الزبير ، وإلا فالرابعة وهي الصيلم ، فقال معاوية وما الصيلم ؟ قال : أهتف بحلف الفضول ، ثم قام من مجلسه مغضباً فمر بعبد الله بن الزبير وأخبره بحواره مع معاوية ومقالته له ، فقال ابن الزبير : والله لئن هتفت به وأنا مضطجع لأقعدن أو قاعد لأقومن أو قائم لأمشين ، أو ماش لأسعين حتى

تنفـذ روحي مع روحـك أو لينصفنك ، ولما بلغت مقالتهـا معـاويـة قـال : لا حاجة لنا بالصيلم وأرسـل إلى الحسين (ع) ان ابعث فخـذ مالـك فقد ابتعنـاه منك .

وحلف الفضول هذا هو الحلف الذي تداعت إليه بعض القبائل من قريش لمكـافحة الـظلم والعدوان وقـد اجتمعـوا من أجله في دار عبـد الله بن جـدعـان وتعـاهـدوا عـلى أن لا يجـدوا مـظلومـاً في مكـة إلا ويـردوا عليـه ظـلامتـه ، أو صاحب حق إلا ويقفوا إلى جانبه ...

وجـاء عن النبي (ص) انـه قـال : لقـد شهـدت في دار عبد الله بن جـدعـان حلفـاً لـو دعيت إلى مثله لأجبت ، وإنما قـال ذلـك ، لأن هـذا الحلف يتفق في أهـدافـه مـع الإسـلام الـذي يـدعـو لإحقاق الحق ونصـرة المظلومـين والمستضعفـين ، ويقال في سبب تسميتـه بهـذا الاسم أن رجـالا من وجـوه مكـة تحـالفوا عـلى رد المظالم يقـال لهم فضيل وفضـال وفضل ومفضـل فسمي لـذلـك بحلف الفضول .



جود الحسين وعبادته

لقد جاء في الفصل السابع من مناقب آل الرسول لمحمد بن أبي طلحة الشافعي : قد اشتهر عن الحسين أنه كان يكرم الضيف ويمنح الطالب ويصل الرحم ويعطي الفقير ويسعف السائل ويكسوالعاري ويشبع الجائع ويعطي الغارم ويشفق على اليتيم ويعين اصحاب الحاجات وقلما وصله مال إلا فرقه .

وقد روى الرواة ما جرى له ولأخيه الحسن وعبد الله بن جعفر مع العجوز التي ذبحت لهم الشاة وهم في طريقهم إلى مكة وما جرى لهم معها حينما رأوها في المدينة بعد ذلك وهي في أسوأ الحالات من البؤس والفقر، وقد اعطاها الحسن (ع) الف شاة وألف دينار ، وأعطاها كل من الحسين وعبد الله بن جعفر مثل ذلك ، فرجعت مع زوجها إلى بلادها بثلاثة آلاف شاة وثلاثة آلاف دينار .

وجاء في كتاب عقد اللآل في مناقب الآل ان الحسين كان جالساً في مسجد النبي (ص) بعد وفاة اخيه الحسن في ناحية ، وعبد الله بن الزبير وعتبة بن أبي سفيان في ناحية أخرى فجاء اعرابي على ناقة، فعقلها بباب المسجد ودخل، فوقف على عتبة وسلم عليه فرد عليه السلام، فقال له الأعرابي : لقد قتلت ابن عم لي وطالبني أهله بديته فهل لك ان تعطيني شيئا منها ؟ فرفع

عتبة رأسه الى غلامه وقال له : ادفع له مائة درهم ، فرفضها الأعرابي واتجه الى عبد الله بن الزبير ، وقال له مثل مقالته لعتبة فأمر له بمائتي درهم فرفضها الأعرابي وقال ان مثل هذا المبلغ لا يصنع لي شيئاً ، ثم اتجه الى الحسين (ع) فسلم عليه وعرض له حاجته فقال له : يا اعرابي نحن قوم لا نعطي المعروف الا بمقدار المعرفة ، فقال له : سل ما تريد ، فقال الحسين : يا اعرابي ما النجاة من الهلكة ؟ قال التوكل على الله ، فقال له : اي الأعمال افضل ؟ فقال الثقة بالله ، فقال له الإمام : أي شيء خير للعبد في حياته ؟ قال علم معه حلم ، قال فإن خانه ذلك ؟ قال مال يزينه سخاء وسعة ، قال فإن اخطأه ذلك ؟ قال الموت والفناء خير له من الحياة والبقاء ، ومضى الإمام يسأله وهو يجيب حتى اعجب به الإمام (ع) وقال لوكيله ادفع له عشرين ألفاً ، وقال له : عشرة منها لقضاء ديونك وعشرة تلم بها شعثك وتنفقها على عيالك فأنشأ الأعرابي يقول :

طربت وما هاج لي معبق ... ولا لي مقام ولا معشق
ولكن طربت لآل الرسول ... فلذ لي الشعر والمنطق
هم الأكرمون هم الأنجبون ... نجوم السماء بهم تشرق
سبقت الأنام الى المكرمات ... وأنت الجواد فلا تلحق
أبوك الذي ساد بالمكرمات ... فقصر عن سبقه السبق
به فتح الله باب الرشاد ... وباب الفساد بكم مغلق

وجاء في تاريخ ابن عساكر ان سائلا خرج يتخطى ازقة المدينة حتى اتى باب الحسين فقرع الباب وأنشأ يقول :

لم يخب الآن من رجاك ومن ... حرك من خلف بابك الحلقة
أنت ذو الجود وأنت معدنه ... أبوك قد كان قاتل الفسقة

وكان الحسين يصلي فخفف من صلاته وخرج إلى الأعرابي فرأى عليه

أثـر الضر والفاقـة فرجـع ونادى وكيله فـأقبل إليـه مسرعـا ، فقال لـه : ما بقي معك من نفقتنا؟قال: مائتا درهم امرتني بصرفها عـلى أهل بيتـك ، فقال هـاتها فقد اتى من هو احق بها منهم فأخذها ودفعها إلى الأعرابي وأنشد يقول :

خـذهـا وإني إلـيـك معـتـذر   واعـلم بأني عـليـك ذو شـفـقـه
لـو كان في سيـرنا عصـا تمـد اذن   كـانت سمـانـا عليك منـدفقه
لـكـن ريـب المنـون ذو نـكـد   والـكـف منـا قـليـلة النـفـقـه

فأخذها الأعرابي وهو يقول :

مـطهـرون نـقيـات جيـوبهـم   تجـري الصلاة عليهم أينما ذكروا
وأنـتم أنـتـم الأعـلون عـنـدكـم   علـم الكتاب وما جاءت به السـور
من لم يكن علويـا حـين تنسبـه   فـما لـه في جميـع النـاس مفتخـر

وجـاءه رجل من الأنصـار يريـد أن يسألـه حاجـة ، فقـال لـه : يـا أخـا الأنصـار : صن وجهك عن ذل المسألة وارفـع إلي حاجتـك في رقعـة فـإني آت فيها ما يسرك إن شاء الله . فكتب إليـه أن لفلان عـلي خمسمائـة دينار وقـد ألح بي فكلمه أن ينتظرني الى ميسـرة ، فلما قرأ الـرقعة أبـو عبد الله دخـل الى منزلـه وأخـرج صرة فيهـا ألف دينار وقـال له : هـذه الف دينار منهـا خمسمائـة لقضاء دينك والباقي تستعين بها على دهرك ، ولا تـرفع حـاجتك إلا إلى ثـلاثة إلى ذي دين او مـروءة أو حسب ، فأمـا ذو الدين فيصـون دينه ، وأمـا ذو المروءة فـإنـه يستحي لمـروءتـه ، وأمـا ذو الحسب فيعلم أنـك لم تكـرم وجهـك أن تبـذلـه في حاجتك فهو يصون وجهك أن يردك بغير قضاء حاجتك .

وروى غلرواة أنـه دخـل عـلى أسـامـة بن زيـد في مـرضـه وهـو يقـول : واغماه ، فقال لـه الحسين : ومـا غمك يـا أخي ؟ قال : ديني وهـو ستون ألف درهم ، فقـال له الحسـين (ع) : هو عـلي ، فقال لـه أسامـة أخشى أن أمـوت

قبل وفائه ، فوفاها عنه من ساعته .

وجاء في الفصول المهمة لابن الصباغ المالكي عن أنس بن مالك أنه قال : كنت عند الحسين (ع) فدخلت عليه جارية له وبيدها باقة ريحان فحيته بها فقال لها : أنت حرة لوجه الله تعالى ، فقلت له: جارية، تجيئك بباقة ريحان وتحييك بها فتعتقها!؟ فقال هكذا ادبنا الله حيث قال : واذا حييتم بتحية فحيوا بأحسن منها أو ردوها وأحسن منها عتقها .

وجنى بعض مواليه جناية توجب القصاص والتأديب فأمر بتأديبه ، فقال يا مولاي ، إن الله يقول : والكاظمين الغيظ ، فقال الإمام (ع) : خلوا عنه فقد كظمت غيظي ، فقال : والعافين عن الناس ، فقال (ع) : لقد عفوت عنك ، فقال : والله يحب المحسنين ، فقال الإمام: أنت حر لوجه الله وأعطاه ما يكفيه في حياته .

وروى ابن عساكر في تاريخه انه كان يحمل إليه المال من البصرة وغيرها فلا يقوم من مكانه حتى يفرقه على الفقراء بكامله .

وقال ابن قتيبة في عيون الأخبار : ان معاوية وفد على المدينا في بعض سفراته إلى الحجاز فبعث الى الحسنين وعبد الله بن جعفر وابن الزبير وابن عمر وعبد الله بن صفوان بهدايا مؤلفة من كسوة وطيب ومبالغ كبيرة من الأموال ، وقال لرسله إليهم : ليحفظ كل منكم ما يرى ويسمع ، فلما خرج رسله الى القوم ، قال لمن حضره : إن شئتم أنبأتكم بما يكون من القوم ، فقالوا : أخبرنا بما ترى ، فقال : أما الحسن ، فلعله ينيل نساءه شيئاً من الطيب ويهب الباقي لمن حضره ولا ينتظر غائباً ، وأما الحسين فيبدأ بأيتام من قتل مع أبيه في صفين ، فإن بقي شيء نحر به الجزر وسقى به اللبن ، وأما عبد الله بن جعفر فيقول : يا بديح اقض به ديني ، وما يبقى فأنفذ به عداتي ، وأما عبد الله بن عمر فيبدأ بفقراء عدي بن كعب ، فإن بقي شيء ادخره لنفسه ومون به عياله ، وأما عبد الله بن الزبير فيأتيه رسولي وهو يسبح

فـلا يلتفت إليه ، ثم يعـاوده الرسـول فيقول لبعض غلمـانـه خـذوا من رسـول معـاويـة مـا بعث بـه وصله الله وجـزاه خيـرا ولا يلتفت إليهـا وهي أعـظم في عينيـه من أحد ، ثم ينصـرف إلى أهله فيعرضهـا على عينيـه ويقول : ارفعـوهـا لعلي ان اعود بهـا على ابن هنـد يومـا ما ، وأما عبد الله بن صفـوان ، فيقول : قليـل من كثير ومـا كل رجـل من قريش وصـل إليه هكـذا ردوها عليـه فـإن رد قبلنا ، فرجع رسله من عندهم بنحـو ما قـاله معـاوية فقـال لما سمـع منهم : انا ابن هند اعلم قريش بقريش .

إلى غـير ذلـك ممـا رواه الـرواة عن جـوده وكـرمـه ، ولكن اكـثر تلك المـرويات من نـوع المراسيـل التي لا تثبت في مقـام النقـد والتمحيـص، وبـلا شـك فإن بعضهـا من صنع القصـاصين الـذين كـانـوا يستـدرجـون بمثـل هـذه الحكايات عـطف الناس ، امـا الروايـة الاخيرة فمـع انها من جملة مراسيل هذا البـاب فمتنها يشـير الى انها من موضـوعات انصـار الأمويـين ليثبتوا بهـا الذكـاء وحذق الفراسة لمعاوية وليصفوا الحسن بأنه لا يفكر بأحد قبل النساء .

وتؤكد جميع المصادر الموثوقة أن الحسن والحسين (ع) كانا يبـذلان كل مـا لديها في سبيل الله ويؤثران الفقير والمحروم عـلى نفسيهما ، وكانا يقبلان صـلات معـاوية لأنها من حقهـما ، وهما أولى بهـا منه ومن أمثـالـه ممن تقمصـوا الخـلافـة وتسلطوا على الأمة واستغلوا خيراتها ومقـدراتها لشـراء الأنصار والأتبـاع والخونـة كإبن العاص وابن شعبة وأمثالها .

كانا يقبلان صلات معاوية لإيصالها إلى أصحـابها المحـرومين والمسـاكين ، وكـانت كل حيـاتهـما لله وفي سبيـل الله ، وقـد شـاع بـين الـرواة والمؤرخـين أن الحسن (ع) كـان يخرج من نصف مـا يملك في كـل عـام للفقـراء والمحتـاجـين ويمسك النصف الآخر لعياله .

وفي بعض الـروايات أنـه كان أحيـانا يخـرج من جميع مـا يملك ، وهكـذا كان أبو عبـد الله الحسين (ع) لا يـدخر مـالا ولا يحسب للمال حسـابا ، وقـد

تواترت الروايات عنه انه حج خمسا وعشرين حجة ماشيا على قدميه والرواحل تقاد بين يديه، وكلما مر هو وأخوه على راكب نزل عن راحلته ومشى معهما، فاشتد ذلك على كثير من الناس ، فجاء وفد من الحجاج الى سعد بن أبي وقاص وقالوا له : ان المشي قد اشتد علينا ولا يسعنا أن نركب وابنا رسول الله يمشيان ، فقال لهما سعد : ان المشي قد ثقل على الناس ، ولا يسع أحدا أن يركب وأنتما تمشيان ، فلو ركبتما رحمة بالناس ، فقالا : قد جعلنا على أنفسنا أن نمشي في طريقنا هذا ، ولكن نتنكب الطريق فسلكا طريقا آخر على غير الجادة حتى لا يراهما أحد من الناس .

وجاء في رواية ابن عساكر عن أبي سعيد الخدري أنه قال : رأيت الحسن والحسين (ع) قد صليا مع الإمام صلاة العصر في الكعبة ، ثم أتيا الحجر فاستلماه وطافا في البيت سبعاً وصليا ركعتين وقد احاط بهما الناس حتى لا يستطيعان أن يمضيا ومعهما رجل من الركانات فأخذ الحسن بيد الركان ورد الناس عن الحسين حتى استطاع أن يخرج من بينهما ، وكان حيث يوجد يلتف حوله الناس كالحلقة هذا يستفتيه في أمر دينه ، وهذا يأخذ من فقهه ، وهذا يستمع الى روايته ، وهذا لحاجته ، وقد وصفه معاوية لبعض من سأله عنه فقال : إذا وصلت مسجد رسول الله (ص) فرأيت حلقة فيها قوم كأن على رؤوسهم الطير فتلك حلقة ابي عبد الله الحسين (ع) مؤتزرا إلى أنصاف ساقيه . وكان الحسين (ع) إلى جانب ذلك كله يصلي في اليوم والليلة ألف ركعة كما جاء في المجلد الثاني من العقد الفريد لابن عبد ربه وغيره ، وقيل لعلي بن الحسين (ع) ما أقل ولد أبيك ؟ فقال : العجب كيف ولدت له لقد كان يصلي في اليوم والليلة الف ركعة فمتى كان يتفرغ للنساء ؟ ومما كان يناجي به ربه في جوف الليل : الهي نعمتني فلم تجدني شاكرا وأبليتني فلم تجدني صابراً فلا أنت سلبت النعمة عني بترك الشكر ، ولا أدمت الشدة علي بترك الصبر إلهي ما يكون من الكريم إلا الكرم .

وقد اشتهرت بين محدثي الشيعة ومختلف طبقاتهم مواقفه في عرفات أيام

الموسم ومناجاته الطويلة وهو واقف على قدميه في ميسرة الجبل والناس من حوله ، تلك المناجاة التي ما قرأها قارىء وأمعن النظر في معانيها وما تهدف إليه إلا وخشع قلبه وسالت الدموع من عينيه ، ولقد جاء فيها :

الهي لوحاولت واجتهدت مدى الأعصار والأحقاب لو عمرتها أن أؤدي شكر واحدة من نعمك ما استطعت ذلك إلا بمنك الموجب علي شكراً جديداً ، اللهم اجعلني اخشاك كأني اراك ، واجعل غناي في نفسي واليقين في قلبي والاخلاص في عملي والنور في بصري والبصيرة في ديني .

اللهم حاجتي التي ان اعطيتنيها لم يضرني ما منعتني ، وإن منعتنيها لم ينفعني ما اعطيتني اسألك فكاك رقبتي من النار يا أرحم الراحمين .

اللهم ما أخاف فاكفني وما أحذر فقني وفي نفسي وديني فاحرسني ، وفي سفري فاحفظني وفي أهلي ومالي فاخلفني ، وفيما رزقتني فبارك لي وفي نفسي فذللني وفي أعين الناس فعظمني ومن شر الجن والانس فسلمني وبذنوبي فلا تفضحني وبسريرتي فلا تخزني ، وبعملي فلا تبتلني ، ونعمك فلا تسلبني وإلى غيرك فلا تكلني إلهي إلى من تكلني إلى قريب يقطعني أم إلى بعيد يتجهمني ، أم الى المستضعفين لي وأنت ربي ومليك أمري اشكو اليك غربتي وبعد داري وهواني على من ملكته أمري .

يا من دعوته مريضاً فشفاني وعريان فكساني وجائعاً فأشبعني وعطشان فأرواني وذليلا فأعزني وجاهلا فعرفني ووحيداً فكثرني وغائباً فردني ومقلا فأغناني ومستنصراً فنصرني وأمسكت عن جميع ذلك فابتدأني .

ومما جاء فيها : إلهي أنا الفقير في غناي فكيف لا أكون فقيراً في فقري وأنا الجاهل في علمي فكيف لا اكون جهولا في جهلي ، الهي مني ما يليق بلؤمي ومنك ما يليق بكرمك ، إلهي كلما اخرسني لؤمي انطقني كرمك وكلما آيستني ذنوبي انطقني عفوك ، ومضى يقول : وقد اجتمع حوله الناس وقد شغلهم الاستماع له والتأمين على دعائه والبكاء لبكائه عن الدعاء لأنفسهم على

حد تعبير الراوي : إلهي كيف يستدل عليك بما هو في وجوده مفتقر إليك ، أيكون لغيرك من الظهور ما ليس لك حتى يكون هو المظهر لك متى غبت حتى تحتاج إلى دليل يدل عليك ومتى بعدت حتى تكون الآثار هي التي توصل إليك عميت عين لا تراك عليها رقيباً وخسرت صفقة عبد لم يجعل لك من حبه نصيبا إلى غير ذلك من فقراته التي هي من أنفع الدروس للإنسان في دنياه وآخرته .

ومن وصاياه لبعض أصحابه : لا تتكلف بما لا تطيق ، ولا تتعرض لما لا تدرك ، ولا تعد بما لا تقدر عليه ، ولا تنفق الا بقدر ما تستفيد ، ولا تطلب من الجزاء الا بقدر ما صنعت ، ولا تفرح إلا بما نلت من طاعة الله ، ولا تتناول إلا ما رأيت نفسك أهلاً له .

ومن أقواله : من دلائل العالم انتقاده لحديثه وعلمه بحقائق فنون النظر ، وهذه الكلمة على اختصارها تضع الحد الفاصل بين العالم والجاهل ، ذلك ان الجاهل يستصوب رأيه دائما ويرى غيره مخطئا ولا ينظر الى الأمور إلا من زاوية تفكيره المحدود وفهمه الضيق لحقائق الأمور ، والعالم يتهم نفسه دائماً ويبحث عن رأي غيره لعله يرى فيه ما لم تتسع له أفكاره ومداركه ، وإلى ذلك يشير الإمام الصادق (ع) بقوله: المستبد برأيه موقوف على مداحض الزلل، وإليه يشير الإمام أمير المؤمنين بقوله :

من اعجب برأيه ضل ومن استغنى بعقله زل .

ومن أقواله : المؤمن لا يسيء ولا يعتذر ، والمنافق كل يوم يسيء ويعتذر ورب ذنب أهون من الاعتذار منه ، وقال لبعض اصحابه : من أحبك نهاك ومن أبغضك أغراك .

فقال له الرجل: أنا أعصي الله ولا أصبر عن المعصية فعظني بموعظة انتفع فيها يا ابن رسول الله ، فقال له : افعل خمسة أشياء وأذنب ما شئت ، قال له الرجل : هاتها يا ابا عبد الله، فقال له : لا تأكل من رزق الله وأذنب

ما شئت ، فقال الرجل : ومن أين آكل اذن وكل ما في الكون لله ومن عطائه ؟ فقال له الإمام : اخرج من أرض الله وأذنب ما شئت ، فقال الرجل : وهذه أعظم من الأولى فأين اسكن وكل ما في الكون لله وحده ؟ فقال له الإمام : اطلب موضعاً لا يراك الله فيه وأذنب ما شئت ، فقال الرجل : وهل تخفى على الله خافية ؟ فقال الإمام : اذا جاءك ملك الموت ليقبض روحك فادفعه عن نفسك واذنب ما شئت ، والخامسة اذا اراد مالك ان يدخلك النار فلا تدخلها وأذنب ما شئت فقال له الرجل : حسبي يا ابن رسول الله ، لن يراني الله بعد اليوم حيث يكره .

وله مناظرات مع أحد زعماء الخوارج ومع معاوية وحاشيته ، وكلمات قصار في الحكم والمواعظ كان يلقيها على من يجتمع إليه بين الحين والآخر ورواها المحدثون والمؤرخون في مجاميعهم ولا يسعنا استقصاؤها مخافة التطويل والملل .

كما روى المؤرخون موقفه من أرينب بنت إسحاق التي هام بحبها يزيد بن معاوية زوجة عبد الله بن سلام الوالي على العراق على حد تعبير بعض المؤرخين وكيف احتال عليه معاوية ووعده أن يزوجه من ابنته اذا طلقها ،وبعد أن طلقها وخطب منه ابنته رفضت الزواج منه كما خطط لها معاوية وابن العاص،وبالتالي لم ينجح معاوية في مكيدته فأرسل الى أُرنيب بعد انتهاء عدتها من يخطبها لولده يزيد ، وأرسل لها مهراً مغرياً وكان الخاطب أبا الدرداء ، وفي رواية أبا هريرة ، وتشاء الصدف أن يلتقي بالحسين ويخبره بغايته فيكلفه الحسين أن يذكره لها ، ولما دخل عليها ذكر لها يزيد وما ينتظره من الملك بعد أبيه ، وذكر لها الحسين ومكانته من الإسلام ومن رسول الله (ص) كما ذكر لها عبد الله بن عمرو وابن الزبير كما في بعض الروايات ، قالت له على حد تعبير الراوي : زوجني بمن تختاره لي منهم ، ولو لم تأتني انت لأرسلت إليك وأخذت رأيك في هذا الأمر ، ومضى الراوي يقول : ان الوسيط الذي أرسله معاوية قال لها: لا اقدم احداً على فم قبله رسول الله

فـزوجها من الحسـين (ع) ودفع لهـا الأموال التي حملهـا من معـاويـة وعـاد الى معاوية ليخبره بما جرى له ، فقال له معاوية : يا ابا هـريرة لقـد صرفت امـوالنا على غيرنا ، فرد عليه بقوله : انك لم ترثها عن أبيك .

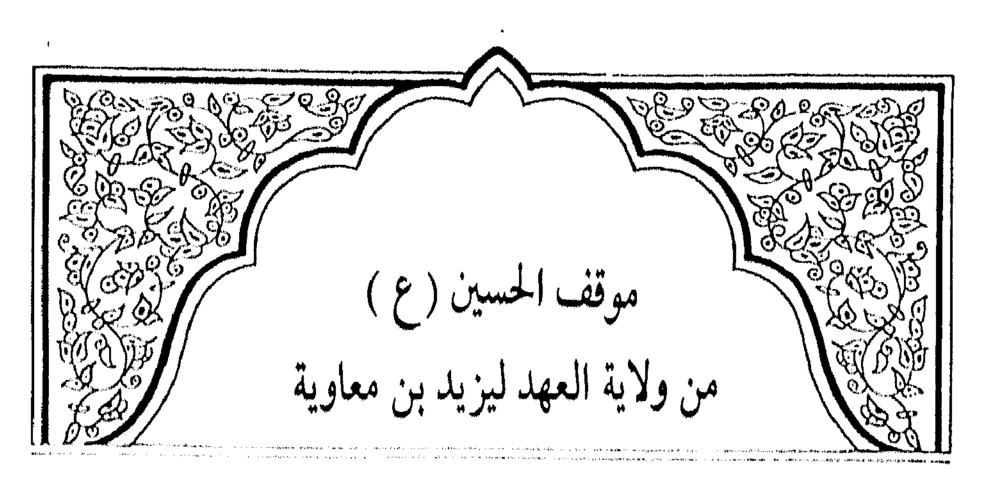
ولما يئس ابن سلام من ابنـة معاويـة وصرفـه معاويـة عن عمله ضاق بـه أمره فرجع إلى المدينة وكان قـد اودع مطلقتـه أموالاً فـاستأذن الحسـين (ع) أن يـدخل عليهـا فأذن لـه ولما دخـل واستلم منها وديعتـه تأوه كـل منهما وخيم عـلى عبد الله بن سلام صمت ينم عن حزنه لفراقها ورغبته في الرجـوع إليها لـو كان له من سبيل لذلك فطلقها الحسين (ع) قبل ان يمسها وأرجعها لزوجها وفوت على معاوية مكيدته .

وجـاء في رواية النـويـري في المجلد السـادس من نهايـة الأرب والإمـامـة والسياسة لابن قتيبة ان الحسين كان يوم ذاك لا يـزال يسكن الكوفـة وكان عبـد الله بن سـلام والياً لمعـاوية على العـراق وان الحسـين ارجعهـا إليـه لما صـرفـه معاوية عن ولاية العراق ورجع إلى الكوفة .

وجـاء في رواية شهـاب الدين احمـد بن القليوبي في نـوادره ان يـزيـد بن معـاوية رأى امـرأة جميلة على حـائط فهـام بهـا وكـانت زوجـة لعـدي بن حـاتم وتكنى بأم خالد فمرض بسببهـا ولازم الفراش ولم يعـرف الناس علتـه ، فأشـار ابن العاص على معاوية أن تخلو به والدته وتسألـه عما يشكـوه ، ولما اجتمعت بـه وأخبـرها بمـا في نفسه احتـال ابن العـاص عـلى عـدي ومنـاه بـالـزواج من ابنـة معاوية إن هـو طلق زوجتـه ام خـالـد ، وبعـد ان طلقهـا وتمت عدتها ارسـل معاوية ابا هريرة ليخطبها ليزيد ، وفي المدينـة مر عـلى الحسين وابن الـزبير وابن عمر فكلفوه بأن يذكرهم لها ، وتم الأمر للحسين بعـد ان ذكرهم لهـا ابو هـريرة وتـركت لـه ان يختـار اصلحهم لهـا فـاختـار لهـا الحسـين (ع) ، ورفضت بنت معاوية ان تتزوج من عدي كما ذكرت الـرواية الأولى ، فـاغتم لذلـك وضاق بـه امره ، ولما رآه الحسين حزينا أرجع إليه زوجته ، وقيل يوم ذاك :

انعمي ام خالد رب ساع لقاعد

هذه الروايات على ما بينها من اختلاف وتضارب ليست بعيدة عما فطر عليه ابن هند من الغدر والمكر والاحتيال ، وما فطر عليه الحسين (ع) من كرم الاخلاق والوفاء ومحاربة الظلم والبغي ، ومن الجائز ان تتكرر الحادثة مع يزيد بن معاوية لأنه كان مسترسلا مع شهواته إلى أبعد الحدود ، غير أن ذلك لا يفيد اكثر من الظن بوقوع هاتين الحادثتين أو احداهما ، ويبقى احتمال كونهما من صنع القصاصين أو المحبين قائما وليس ببعيد .



موقف الحسين (ع) من ولاية العهد ليزيد بن معاوية

وقبل الحديث عن موقف الحسين (ع) من ولاية يزيد وما انتهى إليه أمره لا بد وأن نعرف من هو يزيد بنظر الإسلام والمسلمين ورأي الإسلام في البيت الأموي بصورة عامة ، والذي لا يشك به أحد من الباحثين والمؤرخين أن الأمويين كانوا من ألد أعدائه وأنكد خصومه منذ أن بزغ فجره وحتى آخر مرحلة من مراحل حكمهم ، ولم يدخلوا فيه إلا بعد أن استنفدوا جميع إمكانياتهم في حربه وباؤوا بالفشل ، ولما دخلوا فيه مرغمين أخذوا يخططون لتشويه معالمه وإعادة مظاهر الجاهلية بكل أشكالها بأسلوب جديد وتحت ستار الإسلام .

وكانت ترتعش اعصاب معاوية جزعا وهلعا عندما كان يسمع اسم محمد بن عبد الله (ص) ينطلق في اجواء العالم من أعلى المآذن في كل يوم مئات المرات كما حدث هو عن ذلك إلى المغيرة بن شعبة في حديث ذكرناه في خلال حديثنا عن الحسن بن علي (ع) في الفصول السابقة ، وهكذا كان غيره من حكام ذلك البيت الذين حكموا باسم الإسلام وكانوا يعملون على تقويضه وإبرازه على غير واقعه ، وتشويه قوانينه وتشريعاته ومثله ، ويزيد بن معاوية الذي وقف الحسين (ع) منه ذلك الموقف الخالد ، كان كما يصفه المؤرخون والمحدثون مستهترا الى حد الاسراف في الاستهتار ، وممعناً في

الفحشاء والمنكرات الى حدود الغلو في الامعان .

وقال فيه الإمام ابو عبد الله الحسين (ع) حينما استدعاه الوليد ليلا ليأخذ منه البيعة ليزيد : ان يزيد بن معاوية رجل فاسق شارب للخمر وقاتل للنفس المحرمة معلن بالفسق والفجور ومثلي لا يبايع مثله .

وقال فيه عبد الله بن حنظلة كما جاء في رواية ابن سعد من طبقاته ، وكان عبد الله بن حنظلة قد بايع أهل المدينة حينما أرسل يزيد بن معاوية جيشه لقتالها قال عبد الله وهو يخاطب الغزاة : يا قوم اتقوا الله وحده لا شريك له ، فوالله ما خرجنا على يزيد بن معاوية حتى خفنا أن نرمى بالحجارة من السماء ان رجلا ينكح الأمهات والبنات والأخوات ويشرب الخمر ويترك الصلاة والصيام والله لو لم يكن معي أحد من الناس لأبليت في الله فيه بلاء حسناً .

وقال المسعودي في المجلد الثاني من مروجه : كان يزيد صاحب طرب وجوارح وكلاب وقرود ومنادمة على الشراب ، وأضاف الى ذلك : انه جلس ذات يوم على الشراب وعن يمينه ابن زياد بعد مقتل الحسين (ع) وأقبل على ساقيه وقال :

اسقني شربة تروي مشاشي	ثم مل واسق مثلها ابن زياد
صاحب السر والامانة عندي	ولتسديد مغنمي وجهادي

ثم أمر المغنين فغنوا في مجلسه ، ومضى يقول : وفي زمانه غلب على أصحابه وعلى الناس ما كان يفعله من المنكرات والفسق والفجور ، وظهر الغناء في مكة والمدينة وشرب الشراب واستعملت فيهما الملاهي بكل أنواعها .

وكان له قرد يكنى أبا قيس يحضر مجلس منادمته ويطرح له متكأ وهو قرد خبيث على حد تعبيره يحمله على أتان وحشية قد ريضت وذللت لذلك بسرج ولجام يسابق عليها الخيل يوم الحلبة ، فجاء في بعض الأيام سابقاً

فتناول القصبة ودخل الحجرة قبل الخيل ، وعلى أبي قيس قباء من الحرير الاحمر والاصفر منقوش بأنواع الألوان فقال في وصفه بعض شعراء الشام :

تمسك ابا قيس بفضل عنانها ... فليس عليها ان سقطت ضمان
الا من رأى القرد الذي سبقت به ... جياد أمير المؤمنين اتان

وقال ابن الطقطقي في ص ٤٩ من كتابه الفخري : كان يزيد بن معاوية يلبس كلاب الصيد اساور الذهب والجلال المنسوجة منه ويهب لكل كلب عبدا يخدمه .

ووصفه ابن كثير في بدايته بأنه كان كثير اللحم عظيم الجسم وكثير الشعر مجدورا وقد طلق معاوية أمه وهي حامل به ، وكان مع ذلك شاعرا مجيداً مكثراً من نظم الشعر في المجون والخلاعة ومن شعره في هذا الباب :

أقول لصحب ضمت الكأس شملهم ... وداعي صبابات الهوى يترنم
خذوا بنصيب من نعيم ولذة ... فكل وإن طال المدى يتصرم

وروي من شعره في هذا الباب قوله أيضاً كما يدعي الطقطقي .

جاءت بوجه كأن البدر برقعه ... نورا على مائس كالغصن معتدل
احدى يديها تعاطيني مشعشعة ... كخدها عصفرته صبغة الخجل
ثم استبدت وقالت وهي عالمة ... بما تقول وشمس الراح لم تقل
لا ترحلن فما ابقيت من جلدي ... ما استطيع به توديع مرتحل
ولا من النوم ما القى الخيال به ... ولا من الدمع ما ابكى على الطلل

وجاء في الإمامة والسياسة لابن قتيبة ان عتبة بن مسعود قال لعبد الله بن عباس : أتبايع يزيد وهو يشرب الخمر ويلهو بالقيان ويستهتر بالفواحش ؟ فقال له : فأين ما قلت لكم وكم بعده من آت ممن يشرب الخمر او هو شر من شاربها . وكانت ولايته كما هو المشهور بين المؤرخين ثلاث سنين وستة أشهر ، ففي السنة الأولى قتل الحسين بن علي عليهما السلام ، وفي

السنة الثانية نهب المدينة وقتل أهلها وأباح نساءها ثلاثة أيام لجنده ، وفي الثالثة غزا الكعبة وسلط عليها المنجنيق وهدمها .

وقال محمد بن علي بن طباطبا المعروف بابن الطقطقي في كتابه الفخري : لقد كان يزيد بن معاوية موفور الرغبة في اللهو والقنص والخمر والنساء وكان يجيد نظم الشعر حتى قيل بدىء الشعر بملك وختم بملك ، ولم يتعرض لتاريخه أحد الا وصفه بالاستهتار بالدين وتعاطي جميع المنكرات مما يشكل اجماعا من المؤرخين والباحثين على استهتاره بالقيم وامعانه في الفحشاء وجميع المنكرات .

ويرد بعض الكتّاب من العرب والمستشرقين هذه الظاهرة البارزة في حياته الى تربيته ونشأته ، لأن اباه معاوية طلق امه ميسون بنت بحدل الكلبية وهي حامل به فذهبت الى أهلها في البادية ووضعته فيها ، وبقي معها الى ان اجتاز سن الصبا ، ويدعي المؤرخون ان سبب طلاق معاوية لأمه ، هو أنه دخل عليها وهي تنشد الأبيات التالية :

ولبس عباءتي وتقر عيني	احب الي من لبس الشفوف
وبيت تخفق الأرياح فيه	احب الي من قصر منيف
وبكر تتبع الأظعان صعب	احب الي من بغل زفوف
وكلب ينبح الأضياف دوني	احب الي من هر الوف
وخرق من بني عمي فقير	احب الي من علج عنيف

فقال لها معاوية : ما رضيت يا ابنة بحدل حتى جعلتني علجا عنيفا الحقي بأهلك فمضت الى بادية بني كلب ، وكانت قد غلبت عليها النصرانية ووضعته فيها وبقي معها حتى تجاوز دور الطفولة ، ورجح جماعة من المؤرخين ان بعض نساطرة النصارى تولى تربيته وتعليمه فنشأ على لون من التربية النابية تمازجها خشونة البادية وجفاء الطبع على حد تعبير بعض الكتّاب

والمحـدثين ، وأضـاف الى ذلـك بعض الكتـاب أنه أراد من كعب بن جعيل أن يهجو الأنصار فامتنع عليه ، وأرشده الى الأخطل التغلبي وكان نصـرانيا فـأجابـه إلى ذلك ، وكان من آثار تربيته المسيحية انه كـان يتزيـد من تقريب المسيحيـين ويستكـثر منهم في بطانتـه الخاصـة ، وبلغ من اطمئنـانـه إليهم أن عهـد بتـربيـة ولـــده الى مسيحي كـما اتفق عـلى ذلـك المؤرخـون ، ولا يمكن ان تعلل هـذه الصلة الـوثيقـة والتعلق الشـديـد بـالاخـطل وغيـره إلا بتـربيتـه ذات الصبغـة المسيحية واللون الغابي ، وأضاف الى ذلك العـلائلي ، في كتـابه اشعـة من حياة الحسين : إذا كان يقينا أو ما يشبه اليقين أن تربية يـزيد كـانت مسيحية خـالصة لم يبق مـا يستغرب معـه أن يكون متجـاوزا مستهترا مستخفـاً بما عليـه الجماعـة الإسلامية لا يحسب لتقـاليدهـا واعتقاداتهـا أي حساب ولا يقيم لهـا وزنا ، بـل الذي يستغرب ان يكون على غير ذلك .

بهـذه الظاهـرة حاول بعض الكتّـاب ان يعلل استهتـار يـزيـد بـالإسـلام ومقدساتـه وحرمـاته وهـذا التعليل يمكن ان يكـون له مـا يبرره لـو كانت لحيـاة البـادية وللتـربية المسيحيـة تلك الصبغة الشـاذة التي بـرزت في حيـاة يـزيـد من مطلع شبابه الى ان اصبح وليا لعهد أبيه وحاكما من بعده ، في حين ان العرب في حـاضرتهم وبـاديتهم كانت لهم عـادات واعراف كريمة قـد أقـرهـا الإسـلام كالوفاء وحسن الجوار والكرم والنجدة وصون الأعراض وغير ذلك مما تحدث به التاريخ عنهم ، ولم يعرف عن يزيـد شيء من ذلك ، كـما وأن التاريـخ لم يحدث عنهم بأنهم استباحوا نكاح الأخوات والعمات كما حدث التاريـخ عنه ، والـذين ولدوا في الباديـة على النصـرانية طيلة حيـاتهم قبل الفتـح الإسلامي وعـاشوا في ظل أعرافها وعاداتها حينما دخلوا في الإسـلام تغلبوا عـلى كل مـا اعتادوه وألفـوه عن الآباء والاجداد ، هذا بالاضـافة إلى أن معـاوية قـد ولد عـلى الشرك ونشـأ عليه واشترك مـع قريش في جميـع مواقفهـا العدائيـة من الإسلام وكـان في صباه ورجـولته يتلقى من أبـوين كانـا من اشرس خلق الله وأشـدهم عداوة لـلإسلام وللهـاشميين والعلويـين ، ولم يدخـل هو وأبـوه وأمـه في الإسـلام إلا قبـل وفـاة

النبي (ص) بسنتين ، وكانوا يبطنون الشرك ، ومع ذلك فقد كان عنده من الكياسة ما يسر له ان يتظاهر بما عليه الجماعة الإسلامية في أكثر الأحيان ، وحتى في سني امارته على الشام وحكمه للبلاد الإسلامية استطاع أن يخفي أكثر ما كان يكنه من سوء للإسلام وظهر للملأ الاسلامي بمظهر الحريص عليه مع انه نشأ وشب في وسط كان أهله من ألد أعدائه وأشرس خصومه ، على أن اكثر حكام الأمويين كانوا من حيث تجاهرهم بالمنكرات واستهتارهم بمظاهر الإسلام واسرافهم في كل ما يتنافى مع تعاليم الإسلام ، كيزيد بن معاوية في حين أنهم لم ينشأوا في البادية ولا في احضان المسيحيين .

ومجمل القول ان ما ذهب إليه بعض الكتّاب من تعليل تلك الظاهرة التي طغت على حباة يزيد بتربيته في البادية وفي وسط مسيحي لا تؤيده الأرقام ولا يعتمد على أساس معقول ، ولا أرى سبباً لذلك إلا أنه كان من الحمقى المسيرين لشهواتهم وأحقادهم لا يدرك من أمور السياسة شيئاً وليس أدل على ذلك من إقدامه على قتل الحسين ومن معه من اسرته وأصحابه وسبي نسائه وأطفاله وعرضهم على الجماهير من بلد الى بلد وهم ذرية الرسول وملايين المسلمين تقدسهم وتذكر فيهم رسول الله وكل ما في الإسلام من حق وخير ، واقدامه بعد ذلك على حرب أهل المدينة وإباحة نسائهم لجيش الشام لأنهم استعظموا قتل الحسين وأنكروه ، وإقدامه على حصار مكة وتدمير الكعبة إلى كثير من أعماله وتصرفاته التي لا يصح تفسيرها إلا بالرعونة والحمق والجهل .

ومهما كان الحال فقد لاذ المسلمون بالحسين في الحجاز وخارجه واستغاثوا به عندما رأوا ان معاوية بدأ بعد وفاة الحسن يمهد الأمور لولده المستهتر الخليع ، وكان (ع) يوصيهم بالتريث والصبر ومعالجة الأمور بالحكمة والتدبر وقد عبر عبد الله بن همام السلولي عن موقف المسلمين ونقمتهم على ولاية يزيد بالأبيات التالية :

فإن تأتوا برملة أو بهند نبايعها اميرة مؤمنينا

اذا ما مات كسرى قام كسرى نعد ثلاثة متناسقينا
خشينا الغيظ حتى لو شربنا دماء بني أمية ما روينا
لقد ضاعت رعيتكم وأنتم تصيدون الأرانب غافلينا

وجاء في سيرة أهل البيت لأبي علم : ان مروان بن الحكم كتب الى معاوية وكان عامله على المدينة ، أما بعد فإن عمرو بن عثمان ذكر ان رجالاً من أهل العراق ووجوه أهل الحجاز يختلفون إلى الحسين بن علي (ع) وأنه لا يؤمن وثوبه وقد بحثت عن ذلك فبلغني أنه يريد الخلاف يومه هذا فاكتب الي برأيك ، فكتب إليه معاوية : بلغني كتابك وفهمت ما ذكرت فيه من أمر الحسين فإياك أن تتعرض له بشيء واترك حسينا ما تركك ، فإنا لا نريد ان نتعرض له ما وفى بيعتنا ولم ينازعنا سلطاننا فأمسك عنه ما لم يبد لك صفحته .

وكتب إلى الحسين (ع) : أما بعد فقد انتهت إلي أمور عنك ان كانت حقاً فإني ارغب بك عنها ولعمر الله إن من أعطى الله عهده وميثاقه لجدير بالوفاء ، وإن احق الناس بالوفاء من هو مثلك في خطرك وشرفك ومنزلتك التي انزلك الله بها فاذكر وبعهد الله اوف فانك متى تنكرني انكرك ومتى تكدني اكدك فاتق شق عصا هذه الأمة وأن يردهم الله على يديك في فتنة فقد عرفت الناس وبلوتهم ، فانظر لنفسك ولدينك ولأمة جدك ولا يستخفنك السفهاء الذين لا يوقنون .

وكتب إليه الحسين (ع) في جوابه : اما بعد فقد بلغني كتابك تذكر فيه انه انتهت إليك عني امور انت لي عنها راغب وأنا لغيرها عندك جدير فإن الحسنات لا يهدي إليها ولا يسدد لها الا الله تعالى . وأما ما ذكرت أنه رقي إليك عني فإنما رقاه اليك الملاقون المشاؤون بالنميمة المفرقون بين الجميع وكذب الغاوون ما اردت لك حربا ولا عليك خلافاً ، وإني لا أخشى الله في ترك ذلك منك ومن الإعذار فيه إليك وإلى أوليائك القاسطين الملحدين حزب

الظلمة وأولياء الشيطان ألست القاتل حجر بن عدي أخا كندة وأصحابه المصلين العابدين الذين كانوا ينكرون الظلم ويستفظعون البدع ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ولا يخافون في الله لومة لائم ثم قتلتهم ظلما وعدوانا من بعد ما اعطيتهم الأيمان المغلظة والمواثيق المؤكدة لم تأخذهم بحدث كان بينك وبينهم جرأة على الله واستخفافاً بعهده ؟

أولست القاتل عمرو بن الحمق صاحب رسول الله العبد الصالح الذي ابلته العبادة فنحل جسمه واخضر لونه فقتلته بعد ما امنته وأعطيته من العهود والمواثيق ما لو فهمته العصم لنزلت رؤوس الجبال ؟

أولست المدعي زياد بن سمية المولود على فراش عبيد بن ثقيف فزعمت أنه ابن ابيك ، وقد قال رسول الله (ص) : الولد للفراش وللعاهر الحجر ، فتركت سنّة رسول الله تعمدا وتبعت هواك بغير هدى من الله ، ثم سلطته على أهل الإسلام يقتلهم ويقطع ايديهم وأرجلهم ويسمل أعينهم ويصلبهم على جذوع النخل كأنك لست من هذه الأمة وليسوا منك ؟

أولست صاحب الحضرميين الذين كتب فيهم ابن سمية انهم على دين علي (ع) ، فكتبت إليه ان اقتل كل من كان على دين علي فقتلهم ومثل فيهم بأمرك ، ودين علي (ع) هو دين ابن عمه محمد رسول الله (ص) الذي كان يضرب عليه اباك ويضربك لترجعا عن ضلالكما ، وبهذا الدين جلست مجلسك الذي أنت فيه ، ولولا ذلك لكان شرفك وشرف آبائك تجشم الرحلتين رحلة الشتاء والصيف ، وقلت فيما قلت : انظر لنفسك ولدينك ولأمة محمد واتق شق عصا المسلمين وأن تردهم الى فتنة ، وإني لا أعلم فتنة أعظم على هذه الأمة من ولايتك عليها ، ولا أعظم نظرا لنفسي ولديني ولأمة محمد (ص) أفضل من أن أجاهدك ، فإن فعلت فإنه قربة إلى الله وإن تركت فإني استغفر الله لديني وأسأله توفيقه لارشاد امري .

وقلت فيما قلت : إن انكرتك تنكرني وإن كدتك تكدني ، فكدني ما بدا

لـك فإني أرجـو الله ان لا يضرني كيـدك وان لا يكون عـلى احد أضر منه عـلى نفسـك ، لأنـك قـد ركبت جهلك وتجـرأت عـلى نقض عهـدك ، ولعمـري مـا وفيت بشرط ، ولقد نقضت عهدك بقتل هؤلاء النفـر الذين قتلتهم بعـد الصلح والأيمان والعهود والمـواثيق ، ولم تفعل ذلـك بهم الا لذكـرهم فضلنا وتعـظيمهم حقنـا فقتلتهم مخافـة امر لعلك لـو لم تقتلهم مت قبـل ان يفعلوا او مـاتـوا قبـل أن يدركوا، فابشر يا معاوية بالقصاص واستيقن بـالحساب ، واعلم ان لله تعـالى كتـابـا لا يغـادر صغيـرة ولا كبيـرة الا أحصـاهـا ، وليس الله بنـاس لأخـذك لأوليائه عـلى الظنـة والتهمة ونفيهم من دورهم الى دار الغـربة ، وأخـذك للناس ببيعة ابنك وهو غلام حـدث يشرب الشـراب ويلعب بالكـلاب ما اراك إلا قـد خسرت نفسك وغششت رعيتك وسمعت مقالـة السفيه الجـاهل وأخفت الـورع التقي .

ولما قرأ معاوية كتـابه قـال : لقد كـان في نفسه خب مـا اشعر بـه ، فقال لـه ولده يـزيد : اجبـه جوابـا يصغر اليـه نفسه تـذكر اباه بشر فعله ، ثم دخل عليه عبد الله بن عمـرو بن العاص ، فقـال له معـاوية : أمـا رأيت ما كتب لنـا الحسين (ع) فقال : وما هو ، فأقرأه الكتـاب ، فقال ومـا يمنعـك أن تجيبـه بما يصغر إليه نفسه ، فقال معاوية : لقد اشار عـلي يزيـد بذلـك ، وقد اخـطأتما ، أرأيتـما لو اني ذهبت لعيب عـلي محقا فـما عسى أن أقول فيـه ، وعلي لا يحسن أن يعاب بالباطل وما لا يعرف ، ومتى مـا عبت رجلا بما لا يعرفه الناس لم يحفـل به ولا يراه الناس شيئا وكذبـوه ، وما عسيت أن أعيب حسينـا والله ما أرى للعيب فيـه مـوضعـا ، وقـد رأيت ان أكتب اليــه أتـوعــده وأتهـدده ، ثم رأيت أن لا أفعل .

ويروي الرواة انه جرى بين الحسين ومعـاوية اكـثر من حوار كـان معاويـة عـلى ما يبـدو يحاول من وراء ذلـك أن يقف على مـا يكنـه الحسـين تجاه البيعـة ليزيد ومـوقعها من نفسـه ، وفي الوقت ذاتـه كان يـأمل أن يخفف حـدته حسب الامكـان ، لأنه يخـاف منه اكـثر من أي شخص سواه نـظرا لمكانتـه الـرفيعـة في

جميع الأوساط الإسلامية ، ولم تكن لتخفى على الحسين (ع) اساليب معاوية او ينخدع بنعومة الفاظه وطراوة حديثه ومراوغته وخداعه ، فرد عليه في مناسبة جرى فيها حوار بينهما وأخذ ورد ، بقوله : وقد دل يزيد من نفسه على موقع رأيه فخذ ليزيد فيما أخذ به من استقرائه الكلاب المهارشة عند التهارش والحمام السبق لأترابهن والقينات وذات المعازف وضروب الملاهي تجده ناصرا ، ودع عنك ما تحاول فما اغناك ان تلقى الله بوزر هذا الخلق بأكثر مما انت لاقيه ، فوالله ما برحت تقدح باطلا في جور وحنقا في ظلم حتى ملأت الاسقية وما بينك وبين الموت الا غمضة فتقدم على عمل محفوظ في يوم مشهود ولات حين مناص .

وقال ابن جرير الطبري في حوادث سنة ستين من تاريخه : ان معاوية في مرضه الأخير الذي توفي فيه دعا يزيد ابنه وقال : يا بني اني قد كفيتك الرحلة والترحال ووطأت لك الاشياء وذللت لك الأعداء وأخضعت لك أعناق العرب ، وإني لا أتخوف ان ينازعك هذا الأمر الذي استتب لك الا أربعة نفر من قريش : الحسين بن علي وعبد الله بن عمر ، وعبد الله بن الزبير ، وعبد الرحمن بن أبي بكر ، فأما عبد الله بن عمر فرجل قد وقذته العبادة وإذا لم يبق احد غيره بايعك ، وأما الحسين بن علي فإن أهل العراق لن يدعوه حتى يخرجوه فإن خرج عليك وظفرت به فاصفح عنه فإن له رحماً ماسة وحقاً عظيماً ، وأما ابن ابي بكر فرجل إن رأى اصحابه صنعوا شيئاً صنع مثلهم ليس له همة إلا في النساء واللهو ، وأما الذي يجثم لك جثوم الأسد ويراوغك مراوغة الثعلب فإذا أمكنته فرصة وثب فذاك ابن الزبير ، فإن هو فعلها بك وقدرت عليه فقطعه ارباً ارباً .

وفي رواية ثانية انه قال : وأما الحسين بن علي فرجل خفيف وأرجو ان يكفيكه بمن قتل أباه وخذل أخاه وإن له رحماً ماسة وحقاً عظيماً وقرابة من رسول الله وما أظن أهل العراق تاركيه حتى يخرجوه فإن قدرت عليه فاصفح عنه .

ولو صح أنه أوصاه بالحسين (ع) فذاك لأنه يعلم بأن قتل الحسين (ع) سيجر عليه وعلى البيت الأموي بكامله الخراب والدمار ، على أني في شك من ذلك ، وما كان هو ليعفو ويصفح إذا تعارض وجود الحسين مع ملكه وسلطانه فكيف يوصي ولده بما لم يفعله هو مع اخصامه فلقد قتل الحسن بن علي من قبل كما قتل حجر بن عدي وأصحابه البررة والعشرات من الصلحاء والأبرياء والقديسين ، وقتل بالإضافة إلى هؤلاء سعد بن أبي وقاص وعبد الرحمن بن خالد بن الوليد لأنهما كانا يعارضان في استخلاف يزيد من بعده ، ومتى كان البيت الأموي يتعرف على العفو والصفح ويحسب للرحم الماسة التي تربطه بالبيت العلوي حساباً ، وأرجح أن هذه الوصية وضعت على لسان معاوية للتخفيف من مسؤوليته عما ارتكبه ولي عهده بالحسين وأهل بيته الأطهار .

والذي رواه ابن الأثير في المجلد الثاني من أسد الغابة يتناسب مع سياسة الأمويين التي تقوم على الشدة والفتك واستعمال جميع أساليب العنف في سبيل الملك والتسلط على الناس .

فقد جاء فيها ان الحسين امتنع عن البيعة ليزيد بن معاوية لما بايع له أبوه بولاية العهد وامتنع معه ابن عمر وابن الزبير وعبد الرحمن بن أبي بكر وكان قد بايعه أكثر الناس فخرج معاوية إلى الحجاز في الف فارس من جند الشام فلما دنا من المدينة لقيه الحسين بن علي (ع) فلما نظر إليه قال : لا مرحباً ولا أهلاً بدنة يترقرق دمها والله مهريقه ، فقال الحسين (ع) : مهلاً يا معاوية إني والله لست أهلاً لهذه المقالة ، فرد عليه معاوية بقوله : بلى وشر منها ، ولقيه ابن الزبير فقال له : لا مرحباً ولا أهلاً خب صعب يدخل رأسه ويضرب بذنبه ويوشك والله أن يؤخذ بذنبه ويدق ظهره نحياه عني وضرب وجه راحلته ، ثم لقيه عبد الرحمن بن أبي بكر ، فقال له لا أهلاً ولا مرحباً بشيخ قد خرف وذهب عقله وضرب وجه راحلته وفعل مع ابن عمر مثل ذلك .

ثم دخل المدينة فلم يأذن لهم على منازلهم ولم يروا منه ما يحبون ، فخرجوا إلى مكة ، وخطب معاوية في الناس وذكر ولده يزيد وأطراه بالمديح والثناء ، ثم دخل على عائشة وكان قد بلغها انه ذكر الحسين وأصحابه وتوعدهم بالقتل ان لم يبايعوا فشكاهم إليها ، فقالت له : بلغني انك تتهددهم بالقتل ، فقال : يا ام المؤمنين ، لقد بايعت ليزيد وبايعه غيرهم أفترين ان انقض بيعة قد تمت ، فقالت : ارفق بهم فإنهم يصيرون إلى ما تحب ان شاء الله .

ثم قالت له تمازحه : ما يؤمنك أني قد أعددت لك من يغتالك بأخي محمد وقد فعلت به ما فعلت ، فقال لها : إني في بيتك آمن ، وخرج من بيتها وهو عازم أن يعامل المعارضين بالرفق إذا اذعنوا لطلبه ، وأرسل إلى الحسين وبقية المعارضين وعرض عليهم وجهة نظره في اختيار يزيد ودعاهم إلى مؤازرته والوقوف بجانبه واستعمل معهم نفس الأسلوب الذي استعمله مع الإمام الحسن (ع) حينما دعاه إلى الصلح ، ومما قاله لهم : إن الأمر في الواقع لكم والتخطيط بيدكم وليس ليزيد من الخلافة إلا الاسم .

وكان من الطبيعي ان لا يقتنع الحسين ورفاقه بهذا الاسلوب ولا ينخدعوا بهذه العروض واقترحوا عليه ان يفعل كما فعل أبو بكر حيث اختار لها رجلا ليس من أهله ، أو يفعل كما فعل ابن الخطاب حيث اختار ستة وجعلها فيهم ، فاستشاط غضبا وقال : لقد كنت أخطب أحيانا فيقاطعني الرجل منكم بما أكره فلا ألومه ولا أعنفه ، وإني ذاهب إلى المسجد لأعلن ما عزمت عليه ، فإن قاطعني أحد منكم وعارضني فيما أقول فسوف يكون السيف أسبق إلى عنقه من لفظه إلى شفتيه ، ووكل بكل رجل منهم رجلا وأمره أن يقوم عليه بالسيف وأن يضرب عنقه إن هو عارضه ولو بكلمة واحدة .

واقتيد المعارضون إلى المسجد وصعد معاوية المنبر وقال بعد أن حمد الله

وأثنى عليه : أنه قد نظر في أمر المسلمين فلم يجد لهم من بعده أصلح من ولده يزيد بن معاوية ، ومضى يقول : لقد عرضت الأمر على الحسين بن علي وابن عمر وابن الزبير وابن ابي بكر على أن لا يقطع دونهم أمراً ولا يقضي بغير رأيهم حاجة فوافقوا وتركوا لي أن أفعل ما أراه .

ولكن الجماعة الذين ذكرهم بأسمائهم لم يتكلموا ولم يعارضوه لأن السيوف كانت مشهورة على رؤوسهم كما نص على ذلك أكثر المؤرخين ، وظن الناس أنهم موافقون على مقالة معاوية فبايعوا وتم له ما اراد بهذا النوع من التضليل والخداع ، وأعلن موافقة المدينة على البيعة كغيرها من الأمصار .

وعاد معاوية إلى الشام وفي قرارة نفسه أن المعارضة ستنطلق أول ما تنطلق من العراق ، وأنهم سيكتبون إلى الحسين يدعونه ليبايعوه وسيلبي طلبهم مهما كانت الظروف ، ولذا فقد اوصاه بالعفو عنه اذا ظفر به كما يدعي جماعة من المؤرخين ، وقد أبديت رأيي في هذه الوصية من قبل ، ولو صحت ، فذاك لأن قتل الحسين سيكون من امضى الأسلحة ضد البيت الأموي بيد كل طامع في الحكم لفترة طويلة من الزمن .



الحسين في عهد يزيد

لقد كانت وفاة معاوية بن أبي سفيان خلال سنة ستين من الهجرة ، وقد توج حياته الطويلة المليئة بالجرائم والمنكرات والتحدي الصريح لتعاليم الإسلام ومبادئه بتسليط ولده يزيد على المسلمين مع علمه بحاله ، وبالرغم من الأصوات التي تعالت من جميع الأقطار منكرة عليه هذا التصرف ، ولكنه أصر على ذلك وأخذ له البيعة من الناس بالوعد والوعيد ، وما أن استلم السلطة من بعده حتى سلط اجهزته على انتزاع الاعتراف من الحسين (ع) بشرعية ملكه مهما كانت النتائج ، وكتب إلى عامله على المدينة أن يأخذ له البيعة من الحسين خاصة ومن الناس عامة ، وأكد عليه بأن يأخذ الحسين أخذاً شديداً لا هوادة فيه ولا رجعة حتى يبايع ، ولما وصلت رسالته إلى الوالي أرسل إلى مروان بن الحكم يستشيره في أمر الحسين ، وهو يعلم ان الحسين لا يبايع ليزيد مهما كانت النتائج ، ولم يكن من الغريب على مروان إذ أشار عليه أن يحجز الحسين فإن بايع وإلا ضرب عنقه وهو من ألد أعداء محمد وآل محمد ، وفي الوقت ذاته لقد كان يطمع بالحكم ، وقد وقف موقف المعارض من استخلاف يزيد حينما استشاره معاوية بذلك ، ولهذا السبب عزله معاوية عن المدينة وولاها غيره كما ذهب إلى ذلك بعض المؤرخين والباحثين ، وهو يعلم بأن قتل الحسين سيكون له أسوأ النتائج على بيت أبي سفيان وسيكون من

أفتك الأسلحة بيد المحبين والطامعين بالحكم كما كان الحال كذلك ، ومن غير البعيد أن يكون قد أدخل في حسابه ذلك حينما أشار على الوالي بقتل الحسين إن لم يبايع ليزيد بن معاوية بالإضافة إلى ما انطوى عليه من الحقد على أهل البيت ، ولكن الوليد بن عتبة بن أبي سفيان كان أعقل من أن يستفزه مروان لارتكاب جريمة لا عهد للتاريخ بمثلها ، فأرسل الى الحسين يدعوه إليه ليلا فجاءه الرسول وهو في المسجد ، ولم يكن قد شاع موت معاوية بين الناس ، وجال في خاطر الحسين ان الوليد قد استدعاه ليخبره بذلك ويأخذ منه البيعة الى الحاكم الجديد بناء للأوامر التي جاءته من الشام ، فاستدعى الحسين مواليه وإخوته وبني عمومته وأخبرهم بأن الوالي قد استدعاه إليه وأضاف : إني لا آمن أن يكلفني بأمر لا أجيبه عليه ، وأضاف : إن يحدث بيني وبينه خلاف ، ورغب إليهم أن يذهبوا معه ويقفوا على باب الدار لا يبرحونها حتى يخرج إليهم ، ومضى يقول : وإذا سمعتم صوتي قد ارتفع من داخل الدار فاقتحموها عليه ، فذهبوا معه ودخل الحسين وحده فنعى إليه الوالي موت معاوية ثم قرأ عليه كتاب يزيد الذي يأمره فيه بأخذ الحسين أخذاً شديداً حتى يبايع وكان جواب الحسين (ع) إن هذا الأمر لا يتم إلا في العلن فإذا أصبح الصباح واجتمع الناس ننظر في هذا الأمر ، وهنا التفت مروان بن الحكم وكان حاضرا وأشار على الوالي أن يحتجز الحسين حتى يبايع وإذا آمتنع ضرب عنقه ، ومضى يقول : إذا خرج ولم يبايع لا تقدر عليه ابدا ، فقال الحسين (ع) : أنت يا ابن الزرقاء تشير عليه بضرب عنقي . واحتدم النقاش بينهما ، ولم يجد الحسين بدا من أن يعلن رأيه للوالي في هذه البيعة بصراحة فقال (ع) : إنا أهل بيت النبوة ومعدن الرسالة بنا فتح الله وبنا ختم ويزيد رجل فاسق فاجر مستهتر ومثلي لا يبايع مثله ولكن نصبح وتصبحون ونرى وترون ، وخاف الوالي ان يتطور النقاش والنزاع بين الطرفين إلى نتائج لا تعود عليه بالمصلحة ، وأحس أن حشودا من الهاشميين على الباب تنتظر الحسين (ع) فالتفت إليه وقال : انصرف يا ابا عبد الله راشداً وموعدنا غداً المسجد .

ولما خرج الحسين من مجلسه قال مروان للوالي : لقد خالفتني ، والله لا تتمكن من مثلها ابداً . فقال له : ويحك يا مروان أتشير علي بقتل الحسين ابن بنت رسول الله (ص) والله ان امرأ يحاسب بدم الحسين لخفيف الميزان عند الله يوم القيامة .

وخرج الحسين من ساعته ليعد رواحله ويستعد للخروج من المدينة بعد أن أحس بحراجة الموقف ، وخلال أيام قلائل خرج من المدينة في جوف الليل بأهله وإخوته وبني عمومته كما جاء في اكثر المرويات باتجاه مكة وهو يتلو قول الله تعالى : ﴿فخرج منها خائفاً يترقب قال رب نجني من القوم الظالمين﴾(١) وسلك الجادة التي اعتاد الناس ان يسلكوها ، فقيل له : هلا تنكبت الطريق وسرت على غير الطريق كما فعل عبد الله بن الزبير ، وكان قد التجأ إلى مكة قبل ان يقصدها الحسين بأيام قلائل فأبى أن يسير على غير الجادة وقال : والله لا أفارق الطريق الأعظم حتى يقضي الله ما هو قاض ، ودخل مكة في اليوم الثالث من شعبان سنة ستين من الهجرة ، فأقام بمكة بقية شعبان ورمضان وشوال وذي القعدة وخرج من مكة في اليوم الثامن من ذي الحجة ولم يتخلف عنه من اخوته سوى اخيه محمد بن الحنفية .

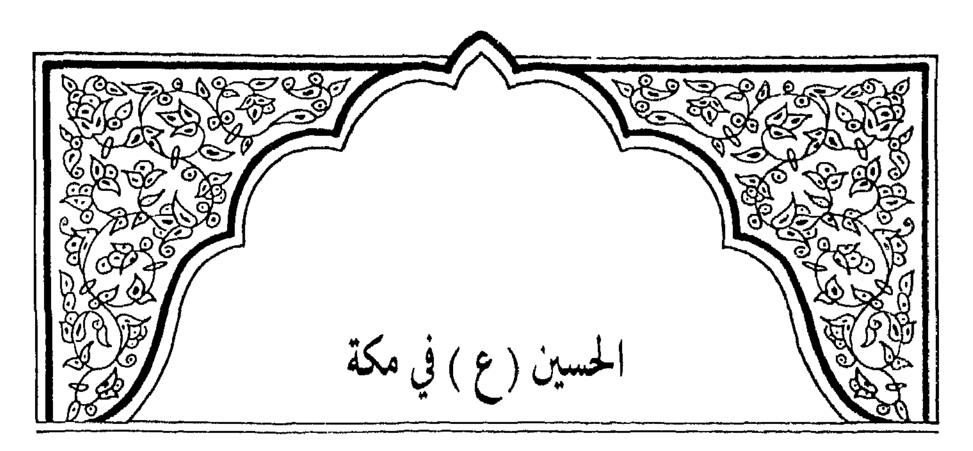
وهنا تختلف الروايات في أسباب تخلفه ففي بعضها أنه كان مصابا بمرض يمنعه عن الحركة والقيام بأي عمل من الأعمال ، وفي بعضها أن الحسين تركه في الحجاز ليتتبع له أخبار القوم وتحركاتهم ، وقال له كما في بعض المرويات : أما أنت يا أخي فلا عليك أن تبقى في المدينة لتكون لي عينا عليهم فلا تخفي عني شيئا من أخبارهم ، وقال له محمد ابن الحنفية : يا أخي تنحّ ببيعتك عن يزيد وعن الأمصار ما استطعت وابعث رسلك إلى الناس فإن بايعوك حمدت الله على ذلك وان اجتمعوا على غيرك لم ينقص الله

---

(١) سورة القصص ٢١ .

بذلك دينك ولا عقلك ولا تذهب مروءتك ، فقال له الحسين : جزاك الله يا أخي خيرا فقد نصحت وأشفقت وأنا عازم على الخروج إلى مكة أنا وإخوتي وبنو أخي وشيعتي ، والله يا أخي لو لم يكن في الدنيا ملجأ ولا مأوى لما بايعت يزيد بن معاوية ثم ودعه وأوصاه بكل ما أهمه كما تنص على ذلك أكثر المرويات .

وتنص اكثر الروايات التي تعرضت لموقف الحسين من بيعة يزيد ، ان عبد الله بن مطيع التقى بالحسين وهو في طريقه الى مكة ، فقال له : جعلت فداك أين تريد ؟ قال أما الأن فمكة ، وأما بعد ذلك فاني استخير الله ، قال عبد الله : خار الله لك وجعلنا الله فداك فإذا أتيت مكة فإياك أن تأتي الكوفة فإنها بلدة مشؤومة بها قتل أبوك وخذل أخوك واغتيل بطعنة كادت تأتي على نفسه ، الزم الحرم فأنت سيد العرب لا يعدل بك أهل الحجاز أحداً ويتداعى إليك الناس من كل جانب ، لا تفارق الحرم يا أبا عبد الله فداك عمي وخالي ، والله لئن هلكت لنسترقّنّ بعدك .



الحسين (ع) في مكة

لقد خرج من المدينة بأهله وإخوته وبني عمومته وبعض الخواص من شيعته وترك أخاه محمد بن الحنفية فيها ليخبره بتحركات القوم بعد أن ذهب إلى قبر جده وأمه وأخيه فودعهم وشكا إليهم ما تلاقي الأمة من عسف وجور واستهتار بالقيم والمقدسات ، ومضى في طريقه إلى مكة في الأشهر التي يلتقي فيها المسلمون لأداء العمرة والحج فأقام فيها أربعة أشهر وأياما من ذي الحجة كان فيها مهوى القلوب والأفئدة ، فالتف حوله المسلمون يأخذون عنه الأحكام ويتعلمون منه الحلال والحرام ، وكان ابن الزبير يقصده مع الناس في أغلب الأوقات ، ولم يتعرض له أمير مكة يحيى بن حكيم ولأنه ترك الحسين وشأنه عزله يزيد عنها واستعمل عليها عمرو بن سعيد بن العاص ، وفي رمضان من تلك السنة ضم إليه المدينة وعزل عنها الوليد بن عتبة لأنه كان معتدلا في موقفه من الحسين ولم يستجب لطلب مروان كما نص عى ذلك ابن قتيبة .

وقد عرف الناس في مختلف الأقطار امتناع الحسين (ع) عن البيعة فاتجهت إليه الأنظار وبخاصة الكوفة وأهلها فقد كانوا يوم ذاك من أشد الناس نقمة على يزيد وأكثرهم ميلا إلى الحسين (ع) فاجتمعوا في دار سليمان بن صرد الخزاعي فقام فيهم خطيبا وقال : إنكم قد علمتم بموت معاوية واستيلاء

ولـده على الملك وقـد خـالفـه الحسـين بن عـلي وخـرج في أهله من المـدينـة إلى مكة ، وأنتم أنصاره وشيعته وهو اليوم أحوج إلى نصـرتكم ، فان كنتم تعلمـون انكم نـاصروه ومجـاهدو عـدوه فاكتبـوا إليـه ، وان خفتم الـوهـن والفشـل فـلا تغـروا الرجـل من نفسه ، فقـالوا بـأجمعهم : بـل نقـاتـل عـدوه ونقتـل أنفسنـا دونه . وبعد حـوار ومشاورات استقر الرأي عـلى أن يرسلوا وفـداً من قبلهم إلى مكة لمقابلته وكتبوا إليه مع الـوفد كتـابا من وجـوههم وأشرافهم جـاء فيه : أمـا بعد فالحمـد لله انه ليس علينـا إمام غيـرك فأقبل إلينا لعل الله يجمعنـا بك عـلى الحق ، والنعمان بن بشير في قصر الامارة ولسنا نجتمـع معه في جمعـة ولا جماعـة ولا نخرج معه إلى عيـد وعندمـا يبلغنا قـدومك نخـرجه من الكـوفة حتى يلحق بـالشام . وراحت كتبهم تتـوالى عليـه من العشـرة والعشـرين والخمسـين ، وفي أكثـرها يقـولون : لقـد اخضر الجناب وأينعت الثمـار ، وليس علينا أمـير غيرك فأقبل علينـا فأنت أحق خلق الله بـالإمرة وأولاهم بـالخلافـة والإمامـة ، وظلت كتبهم تتـوالى عليـه بـين الحـين والآخـر حتى بلغت من الكثـرة حـدا مـلأ منهـا الحسين خرجـين وحملها معـه إلى العراق ليحتـج بها عليهم إذا وجـد منهم فتوراً وانحرافاً .

وتنص بعض المرويات أنـه تلقى رسائـل بهذا المضمـون من أهل البصـرة والمدائن وغيرهمـا ، بالإضـافة إلى الـوفـود التي كـانت تـأتيـه من العـراق واليمن وسـائر المناطـق الإسلاميـة تعرض عليه ولاءها وبيعتهـا وتصف له تكتلهم ضـد السلطة الحاكمة ، ومع ذلك فلم يفكـر في إجابـة طلبهم حتى يرى حقيقة امرهم ويختبـرهـم بشكـل ملمـوس واضـح لا لبس فيـه ولا خفـاء ، فكلف ابن عمـه مسلم بن عقيل وكان من أفضـل ثقاتـه عنده وذوي الـرأي والخبرة والشجـاعة ، بالذهاب الى الكوفة فإن رأى أهلها على مثـل ما جـاءت به كتبهم أخبـره بحالهم ليكون في أثره .

ويبدو من بعض المرويات أن مسلم بن عقيل لم يكن متفـائلا في سفـره لما يعرفه من تقلب أهل العراق ومواقفهم الملتويـة من عمه أمـير المؤمنين الـذي كان

يتمنى فراقهم بالموت أو القتل ، وخيانتهم لابن عمه الحسن حتى اضطروه إلى ترك السلطة لمعاوية ، وقد صارح الحسين بذلك ولكنه لم يعفه من تلك المهمة واتهمه بالجبن وسوء الرأي ، ومضى وهو متشائم من هذه المهمة ، ولما مات أحد دليليه في الطريق من العطش بعد أن ضلا عن الطريق ، كتب إلى الحسين مرة أخرى يطلب منه إعفاءه ولكن الحسين (ع) أصر عليه بالمضي في طريقه إلى الكوفة ، فمضى يجد السير حتى دخلها واستقبله أهلها بالترحاب فنزل ضيفاً على المختار بن عبيد الثقفي ، ومنها راح يستقبل الناس وينشر الدعوة إلى الحسين (ع) فبلغ عدد من بايعوه على الموت أربعين ألفاً وقيل أقل من ذلك ، وأمير الكوفة ليزيد يوم ذاك النعمان بن بشير ، كان كما يصفه المؤرخون مسالماً يكره الفرقة ويؤثر العافية ومتهماً بالضعف وسوء التدبير وحاول أنصاره من أتباع يزيد أن يجروه إلى معركة مع أنصار مسلم بن عقيل فأبى أن يعالج الأمور بالشدة والقسوة .

ومضت الدعوة إلى الحسين تتسع في الكوفة وجوارها والناس يهتفون باسمه حتى ضاق الأمر على النعمان وحاشيته ، فكتب أحد انصار الأمويين كتاباً ليزيد يخبره بما انتهى إليه مسلم وضعف النعمان بن بشير وكان مما كتبه إليه : إذا كان لك في العراق حاجة فأرسل إليه من تثق بحزمه وقوته وصلابته ، ولما وصل كتابه إلى يزيد بن معاوية جمع انصاره واستشارهم في الأمر ، وكان سرجون الرومي من المقربين إلى أبيه ، فقال ليزيد : أرأيت لو نشر لك معاوية وأشار عليك كنت تقبل قوله ؟ فقال نعم ، فأخرج كتاباً كان قد كتبه معاوية قبيل وفاته وسلمه لسرجون بولاية عبيد الله بن زياد على الكوفة عندما تدعو الحاجة لذلك ، فلم يتردد في العمل بمضمون الكتاب وأرسل إلى ابن زياد من ساعته يأمره بالذهاب الى الكوفة للاشراف على السلطة فيها وادارة شؤونها وترك له أن يستخلف مكانه على البصرة من يراه مناسباً لذلك ، وأمره بقتل مسلم بن عقيل ان أمكنه الله منه ، وأن يقاتل الحسين ويقتله ان هو تمكن منه ويبعث إليه برأسه ، وفور وصول الكتاب إليه ترك البصرة لأحد اعوانه ومضى

في طريقه إلى الكوفة في عدد قليل لا يتجاوز أصابع اليد الواحدة ودخلها ملثماً متنكراً فظنه الناس الحسين بن علي (ع) فكان كلما مر على مجلس من مجالس أهل الكوفة قابلوه بالهتاف والترحيب وتعالت الأصوات من كل جانب مرحبا وألف أهلا بك يا ابن رسول الله حللت أهلا ونزلت سهلا ، وهو صامت لا يتكلم ولا يسلم على أحد إلا بالإيماء وقد امتلأ غيظاً وحقداً ومضى يشتد حتى انتهى الى القصر وكان قد أغلقه النعمان خوفاً من الجماهير المتحمسة للحسين (ع) ، فأبى أن يفتحه له وقال : يا ابن رسول الله والله ما قاتلتك حتى تقاتلني ولا يحل لي أن أفرط في أمانتي فاذهب عني وتنقل حيث شئت في الكوفة فوالله لا أقاتلك ما كففت عني ، ولم يعد عبيد الله يملك نفسه من الغيظ ، فقد رأى الجماهير في طريقه الى القصر تهتف مرحبة بالحسين، ورأى الوالي معزولاً عن الناس ومحاصراً في قصره لا يملك من الأمر شيئاً وقد استولى عليه الخوف والقلق حتى لتكاد نفسه أن تذهب من جسده ، فقال له : افتح لا فتحت ، أنا عبيد الله بن زياد وقد ولاني أميرك مقاليد هذا البلد .



الغدر بمسلم بن عقيل

ومـا كاد الـوالي الجديـد يضع اقـدامـه في القصر ويتسلم مقـاليـد السلطة حتى اخـذ يفكـر في امـر مسلم ويستعمـل جميـع الاسلحـة لتشتيت امـر النـاس وتفريقهم عن مسلم والقبض عليه مهـما كانت النتـائج ، وتسـامع النـاس بقدوم ابن زيـاد الى الكوفـة وأهلها يعـرفونـه بالصـرامـة والحـزم والشـدة ، فكـان من الطبيعي ان يحدث قـدومه هـزة في اوساط المعـارضين لسيـاسته بقيـادة مسلم بن عقيـل وان يبحثوا عن وسيلة جـديدة للسـير في دعوتهم نحـو الهـدف المطلوب ، فـانتقل مسلم الى دار هانىء بن عروة وجعـل يتستر في دعـوته وتحـركاتـه الا عن خلص اصحابه وأخذ ابن زياد يتحراه بوسـائله الخاصـة ، وبحيلة احكم حبكها وصيـاغتها استـطاع ان يكتشف مخبأ مسلم بن عقيـل وان يعلم بمقره وهانىء يوم ذاك سيـد بني مراد وصـاحب الكلمـة المسمـوعـة في الكـوفـة والـرأي المـطاع ، وجـرت أحداث وأحـداث مشهـورة بـين المؤرخـين ومحفـوظـة عـلى ألسنـة اكـثر المتشيعين لصلتها بمأساة كربلاء التي مـا زالت منذ حـدوثها حـديث الاجيال ومن ابـرز سمـات التشيـع لأهـل البيت (ع) ، وستبقى مـا دام عـلى وجـه الأرض انـاس يقدسـون البطولات والتضحيـات الجسام والمثـل العليا التي تجسـدت في ثورة الحسين من ابرز الاحداث في تاريخ البشـرية واكثـرها عـطاء ونفعا ، وحتى لا اطيل على القـارىء سأكـون سريعـا الى ابعد الحـدود في عرض تلك المـرحلة

التي ختم بها ابو الشهداء ثمانية وخمسين عاما من حياته كانت حافلة بالخير والجهاد والاحسان وبكل معاني النبل والفضيلة والخلق الكريم .

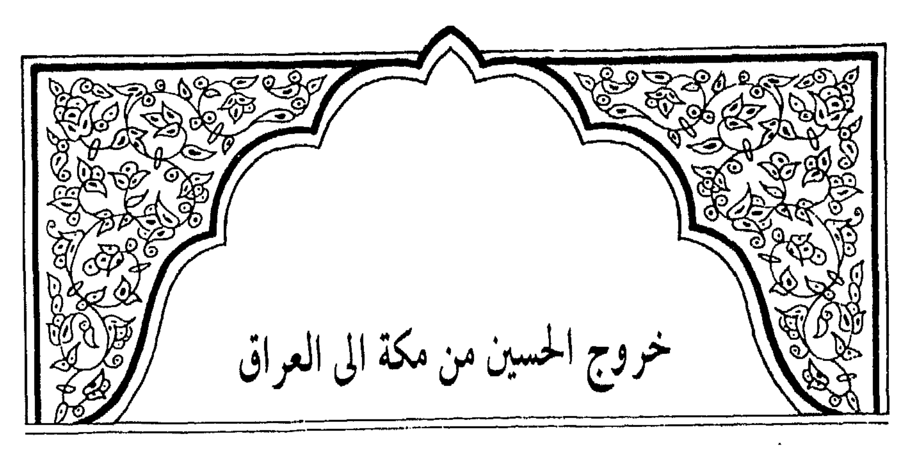
لقد استطاع الوالي الجديد ان يحكم الحيلة ليقبض على هانىء بن عروة الذي آوى رسول الحسين (ع) وأحسن ضيافته واشترك معه في الرأي والتدبير ، فقبض عليه وقتله بعد حوار طويل جرى بينهما وألقى بجثمانه من أعلى القصر إلى الجماهير المحتشدة حوله ، فاستولى الخوف والتخاذل على الناس وذهب كل انسان إلى بيته وكأن الأمر لا يعنيه .

ولما علم مسلم بما جرى لهانىء ورأى تخاذل مذحج الغنية بعددها وعدتها ، خرج في اصحابه ونادى مناديه في الناس وسار بهم لمحاصرة القصر واشتد الحصار على ابن زياد وضاق به امره ، ولكنه استطاع بدهائه ومكره ان يتغلب على المحنة ويخذل الناس عن مسلم ، فانصرفوا عنه ، وبدخول الليل صلى بمن بقي معه وخرج من المسجد الجامع وحيدا لا ناصر له ولا مؤازر ، ولا من يدله على الطريق وأقفل الناس ابوابهم في وجهه فمضى يبحث عن دار يأوي اليها في ليلته تلك ، وفيما هو يسير في ظلمة الليل ، وجد امرأة على باب دارها وكأنها تنتظر شيئاً فعرفها بنفسه وسألها المبيت عندها الى الصباح فرحبت به وأدخلته بيتها وعرضت عليه العشاء فأبى ان يأكل شيئاً ، وعرف ولدها بمكانه وكان ابن زياد قد اعد جائزة لمن يخبره عنه ، وما كاد الصبح يتنفس حتى اسرع ولدها الى القصر وأخبر محمد بن الاشعث بمكان مسلم بن عقيل، وفور وصول النبأ الى ابن زياد ارسل قوة كبيرة من جنده بقيادة ابن الاشعث الى المكان الذي فيه مسلم ، وما ان سمع بالضجة حتى ادرك ان القوم يطلبونه فخرج اليهم بسيفه وكانوا قد طوقوا الدار من كل جهاتها فانهزموا بين يديه وهم اكثر من مائتي مقاتل ، ولما اعياهم امره أمدهم ابن زياد بالخيل والرجال ، وبعد معارك ضارية بينه وبينهم في الشوارع استعملوا فيها النار والحجارة من اعلى السطوح استسلم لهم مسلم بعد ان أمنه ابن الاشعث وأعطاه العهود والمواثيق بذلك .

ومضى معهم الى القصر فأدخل على ابن زياد ولم يسلم عليه وجرى بينهما حوار طويل كان فيه ابن عقيل رضوان الله عليه رابط الجأش منطلقا في بيانه قوي الحجة حتى اعياه امره وانتفخت اوداجه وجعل يشتم علياً والحسن والحسين ، ثم امر اجهزته ان يصعدوا به الى اعلى القصر ويقتلوه ويرموا جسده الى الناس ويسحبوه في شوارع الكوفة ثم يصلبوه الى جانب هانیء بن عروة ، هذا وأهل الكوفة وقوف في الشوارع وكأنهم لا يعرفون من امره شيئاً وقد صور الفرزدق الشاعر هذه المأساة بقوله :

فان كنت لا تدرين ما الموت فانظري ... الى هانیء في السوق وابن عقيل
الى بطل قد غيَّر الموت لونه ... وآخر يهوي من طمار قتيل
فان انتم لم تثأروا لأخيكم ... فكونوا نساء أرضيت بقليل

وكان مسلم قد طلب من ابن الاشعث ان يكتب الى الحسين يخبره بما جرى له في الكوفة وينصحه بعدم الشخوص اليهم فوعده ابن الاشعث بذلك ، ولكنه لم يف بوعده .



خروج الحسين من مكة الى العراق

ونترك الكوفة قليلا يعيث بها ابن مرجانة ويتتبع شيعة الحسين ويطاردهم ونعود الى مكة لنتابع السير مع ركب الحسين حتى الطف حيث المأساة الكبرى بأقصى ما يمكن من الاختصار ، لأن تلك المأساة قد كتب فيها المحبون وغيرهم عشرات الكتب ، وما زالت حية وأمثولة رائعة من اروع ما قدمه الإنسان حتى اليوم في ذهن القريب والبعيد .

لقد ذكرنا في الصفحات السابقة ان الحسين (ع) قد دخل مكة في الايام الاولى من شهر شعبان سنة ستين من الهجرة ، وكان قد سبقه اليها بأيام قلائل عبد الله بن الزبير الذي كان كما يدعي المؤرخون ساخطا على ولاية يزيد ، وكان وجود الحسين في مكة ثقيلا عليه ، لأن الناس لا يرونه شيئاً ولا يحسون بوجوده ما دام الحسين موجودا ، وكان هو يعرف ذلك ، ويعلم بأن المسلمين لا يعدلون بالحسين احدا ، وخلال المدة التي اقامها الحسين في مكة كان لا يفارق مجلسه يحدثه ويستمع منه ، ولما بلغه موقف اهل الكوفة ورسائلهم نصحه بالشخوص اليهم واجابة طلبهم ، وقال له : لو كان لي مثل انصارك ما ترددت لحظة واحدة في اجابتهم وحتى لا يكون متهما عند الحسين في قوله هذا كان بعدما يشير عليه بالذهاب الى الكوفة ويرجحها له ويتمنى ان يكون له مثل انصاره فيها وحتى لا يكون متهماً يقول له : وإن شئت فأقم هنا

ونحن نبايعك ونقف الى جانبك حتى الموت .

ولم تكن لتخفى على الحسين (ع) دخيلته وما ينطوي عليه من غدر ودجل ونفاق ، كما لم تخف عليه المصلحة فيما عزم عليه ليستمدها من ابن الزبير وأمثاله ، بل كان على ثقة من امره في كل ما عزم عليه وتحرك من اجله محيطا بكل جوانب الموقف ونتائجه .

لقد رأى ان اقراره لبيعة يزيد يشكل خطرا على الاسلام لا يمكن تلافيه ورأى الانظار تتجه اليه من كل جانب وتنتظر موقفه الاخير منها ، وكان يعرف عن أهل العراق اكثر مما يعرفه غيره من الناس ، لقد حمل هو وأبوه وأخوه مرارة غدرهم وتخاذلهم ، ولم يكن يحتمل ان ينتصر بهم عسكريا على يزيد وأنصار يزيد ، ولكنه كان يرى ان عليه ان يسجل موقفا كريما من ولاية الظالمين كيزيد وغيره ولو بقتله وقتل اطفاله ، وسبي نسائه حتى لا يتسرب الى الاذهان إن الإسلام الذي يجسده الحسين (ع) يسمح بمثل هذه الولاية .

لقد عزم على الخروج الى العراق مهما كانت النتائج وكان مسلم بن عقيل رضوان الله عليه قد كتب اليه يستعجله القدوم ويخبره بما رأى وسمع من اقبال الناس عليه وإلحاحهم في طلبه . وقد علم يزيد وأعوانه بكل ما يجري في الكوفة فاستغلوا موسم الحج ودسوا عددا كبيرا من اجهزتهم لقتله ولو كان متعلقاً بأستار الكعبة ولما احس بذلك أحل من احرامه وخرج من مكة في اليوم الثامن من ذي الحجة قبل ان يتم حجه مخافة ان يقتل في الحرم فيضيع دمه ولا يعطي ما اعطاه قتله بالنحو الذي تم عليه من النتائج التي أقضت مضاجع الطغاة والظالمين .

ولو تمكنت اجهزة يزيد من اغتياله في الحرم كما امرهم بذلك ، وكما خطط ابوه من قبله لاغتيال علي (ع) وهو يصلي في بيت الله لقالوا وأشاعوا انه اغتيل بسيف خارجي ، وتبرأوا من دمه كما تبرأوا من دم ابيه وراجت مقالتهم حتى اصبحت وكأنها من حقائق التاريخ .

وجاء في المرويات التي وصفت خروجه من مكة ووداعه لاخيه محمد ابن الحنفية انه قال لاخيه محمد في الليلة التي اراد الخروج في صبيحتها : يا اخي لقد خفت ان يغتالني يزيد بن معاوية في الحرم فأكون الذي يستباح به حرمة هذا البيت .

وفي اليوم الثامن من ذي الحجة كما ذكرنا كان الحسين قد احرم للحج فطاف بالبيت سبعا وسعى بين الصفا والمروة وقصر من شعره وأحل من احرامه وخرج بمن معه من اخوته وأبناء اخوته وبني عمومته وأصحابه ونسائه ، فكان الناس يخرجون الى عرفات والحسين خارج من مكة في طريقه الى العراق . وجاءه ابو بكر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام المخزومي فنهاه عن الخروج وحذره من غدر أهل الكوفة وتخاذلهم ، وأشار عليه ان يتجنبهم فأبى الا المضي في طريقه ، كما جاءه عبد الله بن العباس وحذره من غدر اهل العراق ، وذكره بماضيهم الاسود مع ابيه وأخيه ، فأصر على رأيه ، فقال له ابن عباس : اما والله لو اعلم اني ان اخذت بشعرك وتلابيبك وصحت حتى يجتمع الناس علينا ، انك تطيعني وتنصرف عن رأيك لفعلت ، فرد عليه الحسين بقوله : ذاك امر قد قضاه الله ولا بد من تنفيذه .

ولما يئس ابن عباس من تراجعه ودعه وبكى ،وفي طريقه رأى ابن الزبير فقال :

يا لك من قبرة بمعمر خلا لك الجو فبيضي واصفري

ونقري ما شئت ان تنقري هذا حسين خارج فأبشري

ولم يكن ابن عباس وحده الذي نصح الحسين بالعدول عن الكوفة وحذره من غدرهم ونفاقهم فقد نصحه ايضا ابن جعفر ومحمد بن الحنفية وعبد الله بن مطيع ، وكان عبد الله قد التقى به خارج مكة ، فقال له : اذكرك الله في حرمة الإسلام ان تنهتك ، انشدك الله في حرمة قريش وذمة العرب ، والله لئن طلبت ما في ايدي بني امية ليقتلنك ولئن قتلوك لا يهابون

بعدك احدا فلا تأت الكوفة ولا تعرض نفسك لبني امية .

وممن اشار عليه ان لا يأتي الكوفة عبد الله بن عمر وكان قد سمع بخروجه من مكة فركب راحلته وخرج يطلبه مسرعا فأدركه في بعض المنازل ، فقال له : اين تريد يا ابن رسول الله ؟ قال : العراق ، فقال : ارجع الى حرم جدك ، فأبى عليه ، فلما رأى اصراره قال : يا ابا عبد الله اكشف لي عن الموضع الذي كان رسول الله يقبله منك ، فكشف له الحسين عن سرته فقبلها عبد الله بن عمر ثلاثا وبكى ، ثم قال : استودعك الله يا ابا عبد الله .

وكان آخر ما اجاب به المشيرين عليه بالبقاء في مكة : ان وجوده في مكة وغيرها لن ينجيه من بطش الأمويين ، وانهم لا يزالون به حتى يبايع يزيد او يقتل حتى انه لو دخل في جحر ضب لدخلوا وراءه على حد تعبير الراوي .

ومضت قافلة الحسين (ع) في طريقها الى العراق تاركة وراءها اولئك المشيرين عليه بالبقاء في الحجاز يتلوون ألماً لحاله وينتظرون له المصير المحتوم على ايدي اولئك الطغاة ، وفيما هو يسير واذا به يلتقي بالفرزدق الشاعر فيسأله عن أهل الكوفة ، فيقول له : يا ابن رسول الله عد الى مكة فإن ألسنة القوم وقلوبهم معك ، اما سيوفهم فمع بني امية عليك والقضاء ينزل من السماء والله يفعل ما يشاء ، فقال له الحسين (ع) : ما قضي كائن لا محالة، وتركه ومضى ، واستمرت قافلته في طريقها وكلما رأى رجلا في الطريق سأله عن أهل العراق حتى احيط علما بكل ما جرى وبقتل مسلم بن عقيل وهانيء بن عروة وما سبق ذلك وتلاه من أحداث كما جاء في ص ٢١٦ و ٢١٧ من المجلد السادس تاريخ الطبري .

وجاء في أكثر المرويات التي تحدثت عن رحلة الحسين إلى كربلاء أنه لما نزل الثعلبية عند المساء لحقه اثنان من بني أسد فسلما عليه وأخبراه بما جرى لمسلم وهانيء فاسترجع مراراً،ثم قالا له: ننشدك الله في نفسك وأهل بيتك إلا انصرفت من مكانك هذا فانه ليس لك في الكوفة ناصر ولا شيعة ، فوثب بنو

عقيل وقالوا والله لا نبرح حتى ندرك ثأرنا أو نذوق ما ذاق مسلم، فنظر إليهم الحسين (ع) وقال : لا خير في العيش بعد هؤلاء ، قالا فعلمنا أنه قد عزم ولن يتراجع .

وقال له بعض اصحابه : والله ما أنت كمسلم بن عقيل ولو قدمت الكوفة لكان الناس إليك أسرع ، وفي زبالة بلغه مقتل عبد الله بن يقطر ، وكان قد كتب معه كتابا لمسلم بن عقيل وجماعة من أهل الكوفة، وذلك قبل أن يبلغه مقتل مسلم بن عقيل، فقبض عليه الصحين بن نمير في القادسية وأرسله الى عبيد الله بن زياد ، فقال له : اصعد المنبر والعن الحسين وأباه ثم انزل لأرى رأيي فيك ، فصعد عبد الله المنبر فلما اشرف على الناس لعن معاوية ويزيد بن معاوية وعبيد الله بن زياد ثم قال : أيها الناس إني رسول الحسين بن فاطمة بنت رسول الله (ص) إليكم لتنصروه وتؤازروه على ابن مرجانة وابن سمية الدعي ، فأمر به عبيد الله وألقي من فوق القصر فتكسرت عظامه ، فجاءه رجل وذبحه فعاب الناس عليه ذلك .

وجاء في تاريخ الطبري ان الحسين (ع) لما بلغه مقتل مسلم وهانىء وعبد الله بن يقطر وتوالت عليه أخبار الكوفة وتحيزها لصالح بني أمية وقف خطيبا فيمن كان معه من أهله وأصحابه ومن انضم إليه في الطريق من الأعراب وأصحاب المطامع وأخبرهم بواقع أهل الكوفة وخذلانهم إياه ، ثم قال : فمن أحب منكم الانصراف فليس عليه منا ذمام ، فتفرق الناس عنه يمينا وشمالا حتى بقي في أصحابه الذين خرجوا معه من المدينة . وإنما فعل ذلك لعلمه بأن من انضم إليه في الطريق من الأعراب وسكان البادية قد انضموا إليه لظنهم أنه يأتي بلدا قد استقامت له طاعة أهلها ، فكره أن يسيروا معه بهذا الواقع ، لأنه مقبل على خطر لا تثبت له غير النفوس التي تؤثر الآخرة على الدنيا ولا ترى الحياة مع الطغاة والظالمين الا شقاء وبرماً .

وفيما هو يسير بمن بقي معه من خلص اصحابه وأهل بيته وبني عمومته وإذا بالحسين وصحبه يرون أشباحاً مقبلة من مسافات بعيدة ، وظنها بعضهم أشباح نخيل الكوفة وأشجارها ، ثم حدق الحسين (ع) في تلك الأشباح التي تقترب من قافلته ، فقال : ليست الكوفة ولا نخيلها كما تظنون بل هي هوادي الخيل وأسنة الرماح وأشباح الجنود ، وخلال لحظات قليلة تبين للركب أن تلك الأشباح المطلة عليهم هي ألف فارس من جند ابن زياد بقيادة الحر بن يزيد الرياحي أرسلها ابن زياد لتقطع الطريق على الحسين (ع) وتسيره كما تريد ، ولما اقتربوا من ركب الحسين (ع) سألهم عن المهمة التي جاؤوا من أجلها ، فقال لهم الحر : لقد أمرنا أن نلازمكم ونجعجع بكم حتى ننزلكم على غير ماء ولا حصن ، أو تدخلوا في حكم يزيد وعبيد الله بن زياد ، وجرى حوار طويل بين الطرفين وجدال لم يتوصلا فيه لنتيجة حاسمة ترضي الطرفين ، فلقد أبى الحر أن يمكن الحسين من الرجوع إلى الحجاز أو سلوك الطريق المؤدية إلى الكوفة ، وأبى الحسين (ع) أن يستسلم ليزيد وابن زياد ، وكان مما قاله الحسين وقد وقف بينهم خطيبا بعد أن قدمه الحر ليصلي بعامة الناس ، قال : إني لم آتكم حتى أتتني كتبكم وتوالت علي رسلكم ورسائلكم ، أما إذا كرهتموني فاني مستعد لأن أرجع إلى الحجاز أو أذهب في بلاد الله العريضة ، وأمر عقبة بن سمعان بأن يخرج له كتب القوم ، فقال له الحر : لسنا من هؤلاء الذين كتبوا لك يا أبا عبد الله .

وتابعت القافلة سيرها والحر يحاول منعها من دخول الكوفة ، وحاول أنصار الحسين (ع) احراجه وجره إلى معركة في قلب الصحراء وكان زهير بن القين متحمساً لذلك فقال للحسين (ع) : إن قتالهم الآن أيسر علينا من قتال غيرهم ، ورفض الحسين هذه الفكرة لأن القوم لم يعلنوا حرباً عليه ، وقال : ما كنت لأبدأهم بالقتال ، وما هي إلا أيام قلائل سار فيها الطرفان في تلك الصحراء الفسيحة والحر يساير الحسين ويحذره من قتال بني أمية ويذكره بغدر أهل الكوفة ومواقفهم مع أبيه وأخيه ، وإذا بعمر بن سعد قد خرج من

الكوفة في جيش تقدره بعض المرويات بثلاثين ألفاً وبعضها بأكثر من ذلك ، وفي رواية ثالثة أن ابن زياد قد استنفر الكوفة وضواحيها لحرب الحسين وتوعد كل من يقدر على حمل السلاح بالقتل والحبس إن هو لم يخرج لحرب الحسين ، وكان من نتائج ذلك أن امتلأت السجون بالشيعة واختفى منهم جماعة ، وخرج من خرج لحرب الحسين من أنصار الأمويين وأهل الأطماع والمصالح وكانوا يشكلون أكبر عدد في الكوفة ، أما رواية الخمسة آلاف مقاتل التي تبناها بعض المؤرخين ، فمع أنها من المراسيل لا تؤيدها الظروف والملابسات التي تحيط بحادث من هذا النوع الذي لا يمكن لأحد أن يقدم عليه إلا بعد أن يعد العدة لكل الاحتمالات ويتخذ جميع الاحتياطات وبخاصة اذا كان خبيراً بأهل الكوفة وتقلباتهم وعدم ثباتهم على أمر من الأمور .

ومهما كان الحال فلقد قطعت الجيوش الزاحفة من الكوفة الطريق على الحسين (ع) واضطرته إلى النزول في كربلاء في مكان لا يصلح للحرب وبعيد عن الماء وأخذوا يشددون عليه الحصار وحالوا بينه وبين الماء حسب الأوامر التي صدرت إليهم من عبيد الله بن زياد ، ولما رأى الحسين (ع) كثرتهم وتصميمهم على قتاله إذا لم يستسلم ليزيد بن معاوية تعمم بعمامة رسول الله (ص) وركب ناقته وأخذ سلاحه ثم دنا من معسكرهم بحيث يسمعون صوته وراح يسألهم بعد أن حمد الله وأثنى عليه بما هو أهله عن كتبهم التي أرسلوها إليه وعهودهم التي قطعوها على أنفسهم ، ولما أنكروا قوله أمر بإحضارها وكانت في خرجين كبيرين فنثرها بينهم وهم يرون ويسمعون ونادى كل من كتب إليه باسمه وكان بينهم عدد كبير ممن كتبوا له وعاهدوا الله على نصرته بكل ما لديهم من حول وطول فصمتوا عند ذلك ولم يجيبوه ، ثم سألهم لماذا يريدون قتله هل لثأر لهم عنده ، أم لمال اغتصبه منهم ، أم لبدعة أدخلها في دين الإسلام ، وراح ينادي رجالا بأسمائهم يسألهم : هل يعرفون على ظهر الأرض كلها ابن بنت نبي غيره ، وهل سمعوا جده نبيهم يقول : الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة ، ومضى يقول لهم : إذا كنتم لم

تسمعوا ذلك من الرسول (ص) ففي المسلمين اليوم من اذا سألتموهم اخبروكم بأن النبي (ص) قد قال ذلك مراراً كجابر بن عبد الله الأنصاري وزيد بن أرقم وعد لهم جماعة من أتقياء الصحابة ، ثم قال في ختام حديثه : فإن كنتم تنكرون كتبكم وتنقضون عهودكم فدعوني أرجع إلى المكان الذي خرجت منه أو أذهب في أرض الله الواسعة ، أو التجىء الى ثغر من الثغور اجاهد فيه الكفار والمشركين حتى أموت ، قال ذلك لالقاء الحجة عليهم .

ولكن القوم مع ذلك كله ابوا إلا الاصرار في غيهم والتمادي في باطلهم ، وأجابوه بمثل ما أجاب به أهل مدين نبيهم كما حكى الله عنهم في كتابه : ما نفقه كثيراً مما تقول ، وأنا لنراك فينا ضعيفا ، فإما أن تستسلم لابن زياد يرى فيك رأيه أو نقاتلك قتالا ادناه قطف الرؤوس وقطع الأيدي والأرجل .

وعاد الحسين (ع) إلى مضاربه حزينا يقول لأصحابه : ان القوم قد اصروا على القتال ولا يريدون غيري فان ظفروا بي لا حاجة لهم بكم ، فإذا جن الليل فليذهب كل منكم إلى حيث يأمن ودعوني وهؤلاء القوم .

وأبى أصحابه الأوفياء وأهل بيته البررة أن يفارقوه أو يبخلوا بأرواحهم عليه مع أنه قد تجسد لهم المصير وأصبحوا واثقين به ، والجود بالنفس أقصى غاية الجود ، وقالوا له بلسان واحد : والله لا نفارقك ولا نرضى بالعيش بعدك ولا بالدنيا بكل ما فيها بدلا عن الشهادة بين يديك . وقال له بعضهم : والله يا ابا عبد الله لو أني أعلم بأني أقتل ثم أحيا ثم أقتل وأحيا يفعل ذلك بي سبعين مرة لتسلم أنت ومن معك من هؤلاء الفتية ما ترددت في ذلك ، وتكلم أصحابه وأهل بيته بكلام يشبه بعضه بعضاً أكدوا فيه تصميمهم على القتال واستبشارهم بالموت بين يديه ، وتأثر الحر بن يزيد الرياحي بكلمات الحسين (ع) وندم على ما سبق منه معه ، وراح يدنو بفرسه من معسكر الحسين تارة ويعود الى موقفه أخرى وبدا عليه القلق والاضطراب حتى قال له

أحد رفاقه : والله ما رأيت منك مثل هذا الموقف أبداً ولو قيل لي من أشجع أهل الكوفة ما عدوتك ، فعندها كشف له الحر عما يدور بنفسه ، وقال : والله إني أخير نفسي بين الجنة والنار وبين الدنيا والآخرة ، ولا ينبغي لعاقل أن يختار على الآخرة والجنة شيئاً ، ثم ضرب فرسه والتحق بالحسين ووقف على باب فسطاطه فخرج إليه الحسين فانكب عليه الحر يقبل يديه ويسأله العفو والصفح ، ثم قال : أنا الذي جعجعت بك وحبستك عن الرجوع ، ولو كنت أعلم أن القوم يصلون معك إلى هذا الحد ما فعلت ، فهل ترى لي من توبة ؟ فقال له الحسين : نعم يتوب الله عليك وهو التواب الرحيم ، فقال له الحر : والله لا أرى لنفسي توبة إلا بالقتال بين يديك حتى أموت دونك ، ومضى الى الحرب فتحاماه الناس ، ثم تكاثروا عليه وقتلوه .

وكان قد جرى حوار بين الحسين (ع) وعمر بن سعد ومفاوضات انتهت بأن يرجع الحسين إلى مكة أو يذهب في أرض الله الواسعة ، وكتب ابن سعد إلى عبيد الله بن زياد لعنه الله وأخزاه لاقرار الاتفاق فقال : الآن وقد علقت مخالبنا به يرجو النجاة لا والله حتى يجيئني أسيراً ذليلاً فإن شئت عفوت وإن شئت قتلته ، وكتب إلى ابن سعد بذلك ، فلما قرأ كتابه قال : هيهات ان يجيبهم الحسين إلى ذلك ونفس أبيه بين جنبيه .

ولما بلغه فشل المفاوضات فضل الموت على حياة يكون فيها أسيراً لابن مرجانة ، وقال : والله لا أعطيكم بيدي إعطاء الذليل ولا أقر لكم إقرار العبيد ، إلا وإني لا أرى الموت إلا سعادة والحياة مع الظالمين إلا برما .

وأصدر ابن زياد أوامره لابن سعد بأن يزحف بمن معه من أهل الكوفة على الحسين في التاسع من المحرم سنة إحدى وستين من الهجرة فزحفوا نحو خيام الحسين في مساء ذلك اليوم على حين غفلة من الحسين وأصحابه ، فخرج الحسين وأصحابه من مضاربهم كالليوث الضارية ، ورأى الحسين (ع) أن يستمهلهم تلك الليلة وأرسل إليهم أخاه العباس ، فأبى ابن سعد أن

يمهلهم إلى صبيحة اليوم الثاني ، فقال له عمرو بن الحجاج الزبيدي كما يروي الرواة : يا سبحان الله والله لو كانوا من الترك أو الديلم وسألونا هذه المسألة لكان علينا أن نجيبهم لما طلبوه ، وبعد حوار وجدال بينه وبين قادة جيشه أجابهم لما يريدون إلى صبيحة اليوم العاشر من المحرم .

وفي تلك الليلة جمع الحسين أصحابه فحمد الله وأثنى عليه ، وقال : اللهم إني أحمدك على أن اكرمتنا بالنبوة وجعلت لنا أسماعا وأبصاراً وأفئدة وعلمتنا القرآن وفقهتنا في الدين فاجعلنا لك من الشاكرين ، أما بعد فإني لا أعلم أصحابا ولا أهل بيت أبر ولا أوفى من أصحابي وأهل بيتي فجزاكم الله جميعاً خيراً ألا وإن القوم لا يريدون أحداً غيري ، وإني قد أذنت لكم جميعا بالانصراف فانطلقوا فأنتم في حل مني ليس عليكم حرج ولا ذمام وهذا الليل قد غشيكم فتفرقوا في سواده وانجوا بأنفسكم ، فقال له اخوته وأبناؤه وأبناء عمومته : أنفعل ذلك لنبقى بعدك لا أرانا الله ذلك أبداً ، وتكلم بعدهم أصحابه وقالوا بلسان واحد : والله لا نفارقك يا ابا عبد الله حتى نكسر في صدورهم رماحنا ونضربهم بسيوفنا ما ثبتت قوائمها في أيدينا ولو لم يكن معنا سلاح نقاتلهم به نقذفهم بالحجارة حتى نموت معك ، فشكرهم الحسين وجزاهم خيراً وبشرهم بما أعده الله لهم في جنانه .

وجلس في خبائه تلك الليلة وعنده جون مولى أبي ذر يصلح له سيفه وهو يتمثل بالأبيات التالية :

يا دهر أف لك من خليل	كم لك بالاشراق والأصيل
من صاحب أو طالب قتيل	والدهر لا يقنع بالبديل
وانما الأمر إلى الجليل	وكل حي سالك سبيلي

فسمعته أخته زينب بنت علي (ع) فلم تملك نفسها أن وثبت تجر ذيلها حتى انتهت إليه ونادت : واثكلاه ليت الموت اعدمني الحياة اليوم ماتت أمي

فاطمة وأبي علي وأخي الحسن يا خليفة الماضين وثمال الباقين ، فنظر إليها الحسين (ع) وقال : يا اختاه لا يذهبن بحلمك الشيطان ، ثم قال : لو ترك القطا لغفا وناما ، ثم عزاها بنفسه وأمرها بالصبر وأوصاها بعياله وأطفاله وبات ليلته هو وأصحابه يصلون ويقرأون القرآن حتى الصباح .

وبدخول اليوم العاشر من المحرم زحفت خيل ابن زياد نحو مضارب الحسين (ع) يتقدمها ابن سعد فوضع سهما في قوسه ورمى به خيام الحسين وقال : اشهدوا لي عند الأمير أني أول من رمى الحسين وأصحابه ، وتوالت السهام على مضارب الحسين وأخبيته من كل جانب ، فنادى الحسين في أصحابه وقال : هذه رسل القوم إليكم فخرجوا من خيامهم ومضاربهم كالأسود الضارية لا يبالون بالموت ولا يحسبون لتلك الحشود الهائلة حسابا مستبشرين بلقاء الله سبحانه ، وكأنهم رأوا منازلهم مع النبيين والصديقين وعباده الصالحين ، وكان لا يقتل منهم أحد حتى يقول : السلام عليك يا ابا عبد الله ويوصي أصحابه بأن يفدوه بالمهج والأرواح ، واحتدمت المعركة بين الطرفين فكان لا يقتل الرجل من أنصار الحسين (ع) حتى يقتل العشرة والعشرين ، وخلال ساعات معدودات قتلوا عن آخرهم ، وبقي الحسين في أهل بيته وبنيه وإخوته ، فتقدم إلى القتال ببسالة لا يعرف لها الإنسان نظيرا من قبل ، وكلما قتل منهم واحد حمله الحسين وألقاه بين القتلى من أصحابه ، ولما برز إليهم ولده علي بن الحسين الأكبر وكان كما يصفه الرواة اشبه الناس خلقا وخلقا ومنطقا برسول الله ، وفيه يقول بعض المعاصرين له من الشعراء :

لم تر عين نظرت مثله   من محتف يمشي ومن ناعل

وقد دعا عليهم الحسين ساعة خروجه ووداعه وقال : اللهم اشهد على هؤلاء القوم فقد برز إليهم غلام أشبه الناس خلقاً وخلقاً ومنطقاً برسولك وكنا إذا اشتقنا إلى رسولك نظرنا إلى وجهه ، اللهم امنعهم بركات الأرض وفرقهم

تفريقا ومزقهم تمزيقاً واجعلهم طرائق قددا ولا ترض الولاة عنهم أبداً ، وصاح بعمر بن سعد كما يدعي الرواة وقال : قطع الله رحمك كما قطعت رحمي ولم تحفظ قرابتي من رسول الله ، وحمل علي الأكبر على القوم وقاتلهم قتال الأبطال الأشداء وظل يقاتلهم حتى قتل مائتين من أهل الكوفة كما جاء في المرويات التي وصفت معركة الطف وقتاله فيها .

وكان من أبرز المقاتلين مع الحسين من أهله وإخوته العباس بن علي (ع) وهو وإخوته الثلاثة الذين قتلوا قبله لأم واحدة وهي فاطمة بنت حزام التي تعرف بأم البنين ، ولما لم يبق مع الحسين أحد من أصحابه وبنيه وأهله تقدم نحو الحسين (ع) يطلب منه الاذن في قتال القوم فبكى الحسين وعانقه ثم أذن له فكان يحمل على أهل الكوفة فينهزمون بين يديه كما تنهزم المعزى من الذئاب الضارية وضج أهل الكوفة من كثرة من قتل منهم ، ولما قتل قال الحسين (ع) : الآن انكسر ظهري وقلت حيلتي وشمت بي عدوي .

وفي رواية ثانية أنه خرج للقتال هو وأخوه الحسين فكانا لا يتجهان إلى جهة الا تضعضعت وإلى كتيبة إلا انهارت ، وأخيراً استطاعوا أن يفصلوا بينه وبين الحسين وكمنوا له وراء النخيل وقتلوه وبقي الحسين وحده بينهم فتدافعت عليه حشودهم كالسيل ، ووصفه حميد بن مسلم وهو يقاتل تلك الحشود الموتورة ، فقال : والله ما رأيت مكثورا قط قد قتل ولده وأهل بيته وجميع أصحابه أربط جأشاً ولا أمضى جنانا ولا أجرأ مقدما منه ولقد كان يحمل عليهم وهم ثلاثون ألفاً فينهزمون بين يديه كالجراد المنتشر ، ثم يرجع إلى مركزه بين مضاربه وجيش ابن زياد ويقول : لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم ، فلما رأى ابن سعد ذلك أمرهم أن يرجموه بالحجارة ويرموه بالسهام فانهالت عليه سهامهم وحجارتهم من كل جانب حتى خارت قواه ، وحاول شمر بن ذي الجوشن بمن معه أن يهاجم خيامه فارتفعت أصوات النساء والأطفال ، فصاح (ع) : ويحكم يا شيعة آل أبي سفيان ، إن لم يكن لكم دين وكنتم لا تخافون المعاد فكونوا احراراً في دنياكم وارجعوا إلى

أحسابكم ان كنتم عربا كما تزعمون أنا الذي آقاتلكم وتقاتلوني والنساء ليس عليهن جناح فامنعوا عتاتكم عن التعرض لحرمي ما دمت حيا ، فرجعوا عن خيامه وقصدوه ومالوا عليه بالسهام والرماح والحجارة حتى خر صريعا من كثرة ما أصابه من طعن الرماح وضرب السيوف ، وجاء شمر ومعه جماعة وهو يجود بنفسه فأجهزوا عليه .

وقال ابن حجر في صواعقه : وكان من مظاهر غضب الله لمقتل الحسين أن اسودت السماء وشوهدت النجوم بالنهار وحاق عذاب الله بكل من اشترك في دمه ومضى يقول :

أترجو امة قتلت حسيناً   شفاعة جده يوم الحساب

وروى المقريزي عن السري أنه لما قتل الحسين بكت السماء وكسفت الشمس وبكاؤها حمرتها ، كما روي عن علي بن ميسرة أنه قال : حدثتني جدتي أنها كانت أيام قتل الحسين جارية شابة فبقيت السماء أياماً كأنها علقة ، وروي أيضاً عن الزهري أنه قال : بلغني أنه لم يقلب حجر من أحجار بيت المقدس يوم قتل الحسين إلا وجد تحته دم ، وأظلمت الدنيا ثلاثا وأمطرت السماء دما ، كما روى الرواة عن وقوع أحداث اخرى كلها من المراسيل وليس ذلك على الله بعسير إذا اقتضت المصلحة حصول ذلك .

ولما قتل (ع) مال القوم على رحله فنهبوه وعلى ماله فسلبوه وعلى نسائه فنازعوهن حليهن وثيابهن حتى لقد كانت المرأة تتعلق بقميصها فيغصب منها فتبقى بلا خمار و إزار ،وأمر عمر بن سعد عشرة من الفرسان فداسوا بخيولهم صدره وظهره كما اوصاهم ابن زياد ، ثم فصلوا رؤوس القتلى عن الأجساد ورفعوها على رؤوس الرماح ، وكانت الرؤوس ثمانية وسبعين رأساً تقاسمتها القبائل التي اشتركت في تلك المعركة فيما بينها ، ثم أمر ابن سعد بالنساء فحملن على الاقتاب عاريات الرؤوس ، وبلغت به القسوة أن أمرهم أن يمروا بهن على جثث القتلى فنظرت زينب إلى جسد أخيها ممزقاً من الرماح والسيوف

وحوافر الخيول فرفعت كلتا يديها إلى السماء وقالت : اللهم تقبل منا هذا القربان ، ودفن ابن سعد قتلاه وترك الحسين وأصحابه وبعد ثلاثة أيام تم دفنهم بواسطة الإمام زين العابدين (ع) كما جاء في أكثر الروايات ، وروى المؤرخون أن ابن سعد سرح بالرؤوس بعد انتهاء المعركة إلى الكوفة وكان رأس الحسين مع خولي بن يزيد الأصبحي فوجد القصر مغلقاً فأتى بالرأس الشريف إلى منزله ووضعه تحت أجانة ودخل فراشه ، ثم قال لامرأته : جئتك بغنى الدهر هذا رأس الحسين معك في الدار .

وجاء في رواية الطبري أنها غضبت لما أخبرها بأنه جاءها برأس الحسين فقالت : ويحك لقد جاء الناس بالذهب والفضة وجئتني برأس ابن بنت رسول الله ؟! والله لا يجتمع رأسي ورأسك في بيت ابدا ، وقامت من فراشه وخرجت الى الدار وقالت : ما زلت أنظر الى نور يسطع مثل العمود من الاجانة وإليها ورأيت طيوراً بيضاء ترفرف حولها .

وروى الرواة أن ابن زياد اذن للناس اذنا عاما فدخلوا القصر ورأس الحسين (ع) بين يديه فجعل ينكت ثناياه بقضيب كان في يده ، فرآه زيد بن أرقم ، فقال له : ارفع قضيبك عن هاتين الشفتين ، فوالله الذي لا إله غيره لقد رأيت رسول الله يقبلهما مراراً ، ثم بكى بكاء عالياً فقال له ابن زياد : لولا انك شيخ قد كبرت وذهب عقلك لقتلتك ، فقام من مجلسه وهو يقول : يا أهل الكوفة أنتم العبيد بعد اليوم لقد قتلتم الحسين وأمرتم ابن مرجانة .

وفي رواية ثانية أن ابن زياد جعل ينكت ثنايا الحسين بقضيبه ويقول :

نفلق هاما من رجال اعزة ... علينا وقد كانوا أعق وأظلما

وكان أبو برزة صاحب رسول الله حاضرا فقال له : لا تفعل ذلك يا ابن زياد فلقد رأيت شفتي رسول الله على هذا الثغر مكان قضيبك .

ولما ادخلوا السبايا على ابن زياد انحازت زينب بنت علي (ع) إلى

ناحية من القصر وهي متنكـرة فالتفت ابن زيـاد وقال : من هـذه المتنكرة ؟ فلم تجبـه ، فأعـاد عليها السؤال ثـانياً وثـالثاً فلم تجبـه ، فقال لـه بعض من كان في مجلسه : هي زينب بنت فاطمـة بنت رسول الله ، فـأقبل عليهـا وقال : الحمـد لله الذي فضحكم وقتلكم وأكذب أحـدوثتكم ، فقالت عليهـا السلام : الحمـد لله الـذي اكرمنـا بنبيه محمـد (ص) وطهرنـا من الرجس تـطهيـرا انمـا يفتضـح الفـاسق ويكذب الفـاجر وهـو غيرنـا يا ابن مـرجانـة ، فقال لهـا : كيف رأيت صنع الله بأخيك الحسين ؟ فقـالت : ما رأيت إلا جميـلا هؤلاء قوم كتب عليهم القتل فبرزوا إلى مضـاجعهم وسيجمع الله بينـك وبينهم فتحاج وتخـاصم فانـظر لمن الفلج يـومئذ ثكلتـك أمك يـا ابن مـرجـانـة ، فغضب من جـوابهـا الـلاذع بحضـور تلك الجمـوع المحتشـدة في مجلسه وهم بضـربهـا فقـال لـه عمـرو بن حريث : انها امرأة والمرأة لا تؤاخذ بشيء من منطقها ، فـرجع يكلمهـا بأسلوب الشـامت الحـاقـد وكـأنـه يـريـد اذلالهـا ، فقـال لهـا : لقـد شفى الله قلبي من طـاغيتك الحسـين والعتاة المردة من أهل بيتـك ، فرقت عنـد ذلك وبكت ، ثم قـالت : لعمري لقـد قتلت كهلي وقـطعت فـرعي واجتثثت أصـلي فـإن يكن في هذا شفاؤك فقد اشتفيت .

كـما جرى حـوار عنيف بينه وبـين الإمام زين العـابـدين (ع) لم يخش فيـه سـطوته ولم تـرهبه قـوته فـانتفخت أوداج ابن زياد من الغيظ وهم بقتله لـولا ان السيـدة زينب (ع) ألقت بنفسها عليـه واختـارت المـوت دونـه ، وقـالت لـه : حسبـك من دمائنـا ما سفكت فـإذا اردت قتله فاقتلني دونـه وقـال لـه بعض من كـان في مجلسه : يكفيـه ما بـه من المرض ، فتـركـه عنـد ذلـك وقـال : عجبـا للرحم لقد تمنت أن تموت دونه .

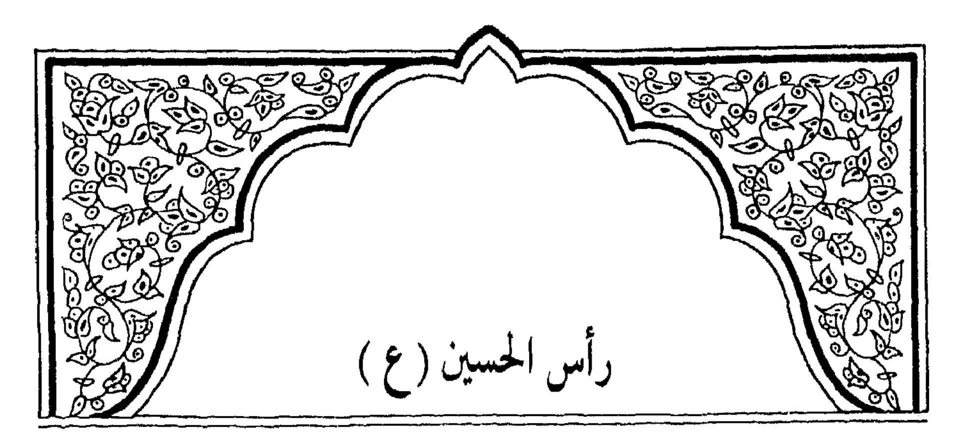
وقـد تحدث الـرواة عن مواقف لـلإمام زين العـابـدين وللسيـدة الكبـرى زينب مع ابن زياد ويـزيد ومـع أهل الكـوفة رجـالا ونساء وقـد ذكرهـا المؤلفون فيـما ذكروه عن أحـداث كربـلاء ونهضـة الحسـين ومـا تـلاهـا ، واكتفيت بهـذه اللمحات عن حياته ونهضته وما تلاها من أحداث مخافة التطويل والملل .

ومجمل القول ان مقتله قد هز العالم الإسلامي وزلزل الأفئدة وخيل للناس من هول الصدمة التي اصابتهم كأن الشمس قد كسفت وان النجوم قد غارت وتناثرت وان السماء تمطر دما وأن هواتف الجن تلاحقهم من كل مكان ، لقد قتلتم ابن نبيكم واستأصلتم عترة رسولكم فانتظروا العذاب والخزي في الدنيا والآخرة ، وحتى ان الأمويين بعد أن رأوا موقف المسلمين في شرق الأرض وغربها من هذا الحادث ونقمتهم على البيت الأموي ، أظهروا الندم واعلنوا براءتهم من كل ما حدث وراح يحيى بن الحكم شقيق مروان ينشد :

لهام بجنب الطف ادنى قرابة ... من ابن زياد الوغد ذي الحسب الدغل
سمية أمسى نسلها عدد الحصى ... وبنت رسول الله اضحت بلا نسل

كما بكى معاوية بن يزيد بكاء شديدا ، ولما سئل عن سبب بكائه وجزعه قال : لا أبكي حسرة على ما فات وإنما ابكي كمدا على من سيأتي من بني أمية ، وأعلن بقية الصحابة يوم ذاك أنهم رأوا النبي وهو اشعث أغبر وبيده قارورة فيها دم وانهم لما سألوه عن ذلك أجابهم بأنه شهد قتل الحسين وجمع من دمه في القارورة وسيطالب قاتليه يوم يعرضون على ربهم .

وأمام غضب المسلمين ونقمتهم على بني أمية لم يجد يزيد بن معاوية بدا من أن يلقي مسؤولية قتله على ابن زياد ويقول : لعن الله ابن مرجانة ، والله ما أمرته بقتله ولا رضيت به وقد حملني فاحتملت ما لا يطاق ، والله لقد وددت أني تنازلت عن كل شيء وأن حسيناً لم يقتل ، قال ذلك كما ذكرنا ، بعد أن بلغه ان قتله قد هز جميع المسلمين وأنهم في مختلف المناطق يتأهبون للثورة عليه ، وكان قد قربه وأدناه وشكره على ما صنع قبل أن تأتيه الأخبار عن موقف المسلمين ونقمتهم عليه كما ذكرنا .



رأس الحسين (ع)

لقد أجمع المؤرخون على أن عبيد الله بن زياد أوصى ابن سعد حينما أرسله لحرب الحسين (ع) ان يمثل به ويرسل إليه برأسه تنفيذاً لأمر يزيد بن معاوية لعنه الله وأجزاه ، وأن عمر قد مثل بالحسين وأهل بيته وأصحابه وأرسل رؤوسهم إلى الكوفة وأرسلها ابن زياد إلى الشام مع السبايا او قبلها كما في بعض المرويات ، وأنه قد دفن أشلاء قتلاه وترك الحسين والقتلى من بنيه وأصحابه على رمال كربلاء وتم بعد ذلك دفن جسد الحسين والعباس وأصحاب الحسين حيث قبورهم الآن بلا شك في ذلك عند أحد من المحدثين والمؤرخين .

أما رأس الحسين فقد ارسل الى الشام مع بقية الرؤوس كما ذكرنا ووضعه يزيد بين يديه في طست وجعل ينكت ثناياه بقضيب كان في يده ، ويتمثل بقول القائل كما يروي بعض الرواة :

ليت أشياخي ببدر شهدوا ... جزع الخزرج من وقع الأسل

لأهلوا واستهلوا فرحاً ... ثم قالوا يا يزيد لا تشل

وقد دفن الرأس بعد ذلك ، ولكن متى وفي أي مكان فلقد آختلف

المؤرخون والرواة في ذلك وتعددت أقوالهم حتى بلغت تسعة أقوال كما أحصاها بعض المؤلفين ، والذي يراه أكثر الشيعة اعتمادا على بعض المرويات أنه مدفون مع الجسد في كربلاء وأن الإمام زين العابدين قد استوهبه من يزيد فوهبه إياه وفي طريقه إلى المدينة مر على كربلاء وألحقه بالجسد الشريف .

والقول الثاني أن يزيد بن معاوية أرسله إلى المدينة وكان الوالي عليها عمرو بن سعيد بن العاص ودفنه عمرو بن سعيد إلى جانب قبر أمه وأخيه الحسن في البقيع ، وممن ذهب إلى ذلك أبو الفداء في تاريخه وعمر بن الوردي في المجلد الأول من تاريخه أيضاً وعلي بن عبد الله السمهوري في وفاء الوفا بأخبار دار المصطفى ، وأضاف إلى ذلك أن ابن أبي الدنيا قال : وجدوا في خزانة ليزيد بن معاوية رأس الحسين (ع) فكفنوه ودفنوه بدمشق عند باب الفراديس .

وقيل كما جاء في إسعاف الراغبين في سيرة المصطفى وفضائل أهل بيته الطاهرين : أن يزيد بن معاوية أمر أن يطاف برأسه في البلاد فلما انتهى إلى عسقلان دفنه أميرها بها ، ولما غلب الأفرنج على عسقلان افتداه منهم الصالح طلائع وزير الفاطميين بمال جزيل ومشى إلى لقائه عدة مراحل ووضعه في كيس من حرير أخضر على كرسي من خشب الأبنوس وفرش تحته المسك والطيب وبنى عليه المشهد الحسيني المعروف بالقاهرة بالقرب من خان الخليلي .

وقال صاحب مرشد الزوار الى طريق الأبرار كما نقل عنه مؤلف نور العين في مشهد الحسين : ذكر بعض العلماء ممن عاصر الفاطميين أن هذا الرأس الذي بالقاهرة هو رأس الحسين (ع) وكان بعسقلان وفي عهد الظاهر الفاطمي كتب عباس إلى الظاهر يقول : ان الافرنج قد اشرفوا على الاستيلاء على عسقلان وإن بها رأساً يقال إنه رأس الحسين بن علي فأرسل إليه من تختار ليأخذه ، فبعث إليه مكنون الخادم مع جماعة من الخدم فحمل الرأس من عسقلان إلى مصر ثم أدخل الى القصر واستقر فيه كما هو الآن وبنى الظاهر مسجد الفاكهاني ليجعله فيه ، وبنى طلائع بن رزيك مسجدا

بظاهر باب زويلة ايضاً وهو المسمى بجامع صالح ليجعله فيه ، ثم استقر رأيهم على أن يجعلوه في القصر في قبة تعرف بقبة الديلم وكانت دهليزا من دهاليز الخدمة ونظم المهذب بن الزبير بهذه المناسبة قصيدة طويلة يقول فيها :

لهف نفسي لرؤوس نقلت   بعد مثواها هنا ثم هنا

وقال المقريزي في المجلد الأول من خططه أن الأفضل بن أمير الجيوش خرج في عسكر كبير إلى بيت المقدس وبه سقمان وأيلغاري ابنا ارتق في جماعة من أقاربهما ورجالهما وعساكر كثيرة من الأتراك ، وفي قاموس الأعلام لسامي بك ان ارتق هو مؤسس دولة بني أرتق الذين حكموا ديار بكر وحلب وماردين ، وقد حكم سقمان وايلغاري ابنا ارتق من سنة ٤٨٤ إلى سنة ٥١٦ ، فراسلهما الأفضل بن أمير الجيوش يلتمس منهما تسليم القدس إليه بغير حرب فلم يجيباه فقاتل البلد ونصب عليها المنجنيق وأخيرا لم يجدا بدا من الأذعان إليه وسلماه القدس ، وعاد في عساكره فدخل عسقلان وكان بها مكان دارس فيه رأس الحسين (ع) فأخرجه وعطره وحمله في سفط إلى أجل دار بها وعمر المكان الذي كان فيه الرأس فلما تكامل البناء حمل الأفضل الرأس الشريف على صدره وسعى به ماشيا إلى أن وضعه في محله ، وفي سنة ٥٤٨ نقل الرأس من عسقلان إلى القاهرة وكان الذي نقله من عسقلان إلى القاهرة الأمير سيف المملكة والقاضي المؤتمن بن مسكين ودفن عند قبة الديلم بباب دهليز الخدمة فكان كل من يدخل يقبل الأرض أمام القبر .

ويبدو من المعنيين بتحقيق هذه الأمور أن الرأس الشريف مر بمرحلتين حتى استقر في القاهرة إذا صح أنه فيها ، الأولى أنه دفن أولا في دمشق في مكان قريب من باب الفراديس بأمر من يزيد بن معاوية ، أو أنه وجد في خزائنه فأخذ منها ودفن .

وممن رجح دفنه في دمشق ابن أبي الدينار البلاذري في تاريخه والواقدي أيضاً ، وهؤلاء بين من ذهب إلى أنه مدفون بباب الفراديس وبين من ذهب

إلى أن يـزيـد بن معـاوية دفنـه في قبر أبيـه ، وبـين من ذهب إلى أنـه دفن في المسجد وقيل في سـور البلد ، وبعد ذلـك نقل من دمشق إلى عسقـلان بواسـطة الفـاطميـين ، وبقي بهـا إلى القـرن الخـامس الهجـري ، وممن ذهب إلى ذلـك عثمـان مدوخ في كتـابه العـدل الشاهـد في تحقيق المشاهـد ، فقد قـال في كتابـه بعـد أن عرض هـذه المراحـل : والدليـل عـلى ذلـك أن بعض العلماء عمـد إلى مكـان قديم قـريب من باب الفـراديس وشرع في هـدمـه ليجعله خـزانـة لحفظ الكتب فعثر على طاق في الجـدار محكم السد بحجـر كبير مكتـوب عليه بـالنقش في الحجـر ما فهمـوا منه أن هـذا مشهد رأس الحسـين السبط فـرفعـوا ذلـك الى والي الشام فذهب ورأى ذلك بنفسه وأمـرهم أن لا يحدثـوا في المكان شيئـاً ، ثم رفـع الأمـر الى السلطان عبـد المجيـد خـان ابن السلطان محمـود خـان ، فـأمـر بكشف ذلـك المكان بحضـور جمهور من العلماء والامـراء ووجوه النـاس وكشفوا الحجر الذي عليـه الكتابـة فوجـدوا فجوة خـالية ليس فيهـا شيء وبعد أن رآهـا الحاضرون أمـر بسدهـا كما كـانت ، ورفع ذلـك الى السلطان عبد المجيـد فأمـر بصنـع طـوق من الفضـة حـول الحجـر ، ومضى المؤلف يقـول : وكنت أعلم مقدار وزنه وأظنـه سبعة آلاف درهم ، واستـطرد يقول : ان هـذه الامارة تـدل على ان هذا الرأس دفن بدمشق وبعـدها بنحـو مائـة عام ظهـر مشهد عسقـلان وانتقل من عسقلان إلى القاهـرة بواسطة الملك الصالح طلائع في نصف القرن السادس .

وأكد وجوده في القاهرة حيث مشهده الآن(عبد الـرحمن كتخدا القـردغلي) لـما اراد تـوسيـع المسجـد المجـاور للمسجـد الشـريف ، قيـل ان هـذا المشهـد لم يثبت فيه دفن فأراد تحقيق ذلـك فكشف مشهد الحسـين بحضور النـاس ونزل فيه الاستاذ الجوهري الشافعي والاستاذ الشيـخ الجلوي المالكي وكـانا من كبـار العلماء العاملين فشاهدا كرسيا من الخشب الساج عليـه طست من الذهب فـوقه ستار من الحريـر الأخضر وفي داخله الرأس الشـريف فأخبـر الناس بـذلك فبنى المسجد والمشهد وأوقف لهما اوقافا لا يزال ريعها ينفق عليهما .

وقيل ان الرأس مدفون بمسجد الرقة في المدينة المشهورة كما نص على ذلك عبد الله بن عمر الوراق في كتابه المقتل ، فقد جاء فيه : لما أرسل ابن زياد رأس الحسين إلى يزيد بن معاوية قال : لأبعثنه إلى آل أبي معيط بدلا عن رأس عثمان وكانوا في الرقة فبعثه إليهم فدفنوه في بعض دورهم ثم أدخلت تلك الدور في المسجد وهو إلى جانب سدرة هناك .

وقيل انه في دمشق ولم يخرج منها وروى الذهبي في تاريخ الإسلام عن أبي بكر أنه قال : كنت في القوم الذين وثبوا على الوليد بن يزيد ونهبوا خزائنه في دمشق فأخذت سفطا وقلت فيه غنائي وركبت فرسي وجعلته بين يدي وخرجت من باب توما ففتحته واذا بحريرة فيها رأس مكتوب عليه هذا رأس الحسين بن علي فنزلت عن فرسي وحفرت له بسيفي ودفنته .

وقيل ان سليمان بن عبد الملك قد دفنه بعد أن بقي في خزائن الأمويين الى عهده ، فلما تغلب المسودة سألوا عن موضعه ونبشوه وأخرجوه ، وقيل انه بقي مدفونا إلى عهد تيمورلنك فنبشوه وأخذوه إلى بلادهم ودفنوه فيها كما أكد جماعة منهم ابن تيمية أن المكان الموجود في القاهرة ليس لرأس الحسين وقيل غير ذلك عن الرأس الشريف ومكانه ولم يتقدم أحد ممن تبنوا تلك الأقوال بدليل قاطع برواية يمكن الاطمئنان إليها وحتى أن من قال من الشيعة بأنه دفن مع الجسد الشريف في كربلاء لم يقدم دليلا مقنعا على ذلك ، والقدر المتيقن أن الجسد الشريف قد دفن حيث مشهده الآن وان الرأس الكريم قد حمل إلى الشام مع السبايا .

أما خروجه من الشام إلى عسقلان أو الرقة أو المدينة أو القاهرة ، أو أنه بقي في خزائن بني أمية وغير ذلك فليس فيما بأيدينا من المصادر ما يوجب الاطمئنان إلى شيء من ذلك ،ومن الجائز القريب أن يكون يزيد بن معاوية قد دفنه في الشام اما إلى جانب المسجد أو في مقبرتها ، لأنه قد أحس بالنقمة العارمة عليه في مختلف المناطق الإسلامية وأدرك أن نتائج قتل الحسين

ستكون قاسية عليه وعلى البيت الأموي بصورة عامة ، لذلك فقد كان يحاول تلافي اخطار جريمته التي لم يسجل التاريخ لها مثيلا ويتملق إلى الإمام زين العابدين وإلى السبايا ويتنصل من ابن زياد ويلعنه في المجتمعات ويقول : لقد حملني ابن مرجانة ما لا أطيق .

ومن البعيد في مثل هذا الجو المشحون بالقلق والاضطراب ان يترك رأس الحسين (ع) بين يديه أو في خزائنه في حين أن بقاءه يثير الأحزان ويعيد إلى الأذهان صوراً لتلك المأساة التي أحس المسلمون بمرارتها وأحس هو وأسرته بأخطارها ، ويترك آثارا سيئة لا يمكن تلافي نتائجها ، لذلك فإني أرجح أن يكون دفنه قد تم خلال الأيام الأولى من دخوله الى الشام ، اما في باب الفراديس أو في مقبرتها أو في مكان ما ، أما نقله بعد ذلك إلى عسقلان ومنها إلى القاهرة أو إلى مكان آخر فليس بمحال ، ولكن ثبوته يحتاج إلى دليل وما ذكروه لا يصلح أن يكون دليلا . وعلى أي الأحوال فإذا حل الحسين في بقعة صغيرة من بقاع الأرض فقد حل في الوقت ذاته في قلوب آلاف الملايين من المؤمنين الطيبين وإذا خفيت تلك الرقعة الصغيرة على الباحثين والمؤرخين وحتى على أنصاره ومحبيه فالقلوب التي احتلها الحسين واتخذته إمامها وقائدها ومثلها الأعلى لا تخفي حبها وولاءها وتقديسها للحسين وأنصار الحسين ولكل من يسير على درب الحسين بفخر واعتزاز ، لقد احتل الحسين كل قلب يتسم للحق والخير والعدالة ونصرة الضعيف والمظلوم ويحقد على الظالمين والطغاة المستبدين والخونة والمنافقين ويضحي في سبيل الله بنفسه وبكل ما يملك من مال وبنين ، وبما أن قلبي من تلك القلوب التي احتلها فإني أقول بفخر واعتزاز للباحثين عن مكانه :

لا تطلبوا رأس الحسين ... بشرق أرض أو بغرب
ودعوا الجميع وعرجوا ... نحوي فمشهده بقلبي[1]

(١) لقد اعتمدنا في ما كتبنا عن رأس الحسين (ع) على ما جاء في كتاب الحسين بن علي لعلي جلال الحسيني ص ١٣٩ وما بعدها .



لقد اختلفت مواقف الكتاب والمتحدثين عن صلح الحسن وثورة الحسين (ع) فاستصوب صلح الحسن (ع) وخطأ الحسين في ثورته جماعة ووقف جماعة منهم موقفا معاكساً فخطأوا الحسن وصوبوا الحسين (ع) كما استصوب موقفهما فريق ثالث ، وأكثر المستشرقين قد خطأوا الحسين في ثورته ووافقهم على ذلك جماعة من الكتّاب العرب القدامى والمحدثين ، وقد ذكرنا في الفصول السابقة خلال حديثنا عن صلح الحسن بن علي (ع) وتسليمه السلطة لمعاوية بن هند ، أنه كان حكيماً في هذا الموقف إلى أبعد الحدود وقد أملته مصلحة الإسلام العليا عليه ، ولو انه استمر في مناهضة معاوية في ذلك الجو المهيأ لانتصار معاوية عليه وبعد أن أعلن معاوية عن رغبته في الصلح وأن الحسن سيكون الآمر الناهي وينحصر دور يزيد في التنفيذ لا غير ، لو أنه استمر في مناهضته والحال هذه مع تفكك جيشه وانحياز أكثره لجانب معاوية لكان استئصال الحسن واخوته وأهل بيته وخلص شيعته وتحوير الإسلام كما يريد من أيسر الأمور على معاوية ، ولو حدث ذلك وليس لدى معاوية ما يمنعه من ذلك لحقق معاوية أحلام أسلافه الذين حاربوا الاسلام عشرين عاما أو تزيد ولم يعد يرهب أحداً من المسلمين في شرق الأرض وغربها كائنا من كان، ومع وجود الحسنين والبقية الباقية من أتقياء المسلمين وحرصهم على إحياء

السنّة ومحاربة الظلم والطغيان فلقد أحدث أموراً تمس الشريعة والإسلام في الصميم ، ولها دلالتها الواضحة على تشويه الإسلام واستغلاله من أجل الملك وأهواء الحاكمين ، وقد ذكرنا فيما مضى أنه لم يكن يستطيع أن يخفي عن خاصته ما في نفسه من حسد وحقد على محمد بن عبد الله (ص) لأن اسمه يردد من على المآذن والمنابر في كل يوم مئات المرات الى غير ذلك مما ذكرناه في الفصول السابقة من الأرقام التي تؤكد أن موقف الحسن من معاوية بن أبي سفيان كانت تمليه مصلحة الإسلام العليا التي كانت تتحكم بتصرفات أهل البيت وتحركاتهم في جميع الحقول .

أما الذين تناولوا ثورة الحسين بالنقد والتجريح فهم بين من تناولها بدافع التعصب الأعمى ومشايعة الأمويين كأبي بكر بن العربي في كتابه العواصم من القواصم ، حيث امتدح يزيد ورأى خروج الحسين عليه خطأ لا مبرر له ومضى يقول : وإذا كانت الخلافة قد خرجت من أخيه ومعه جيوش الأرض وكبار الخلق يطلبونه فكيف ترجع إليه بأوباش الكوفة ، وكبار الصحابة كانوا ينهونه وينهون عنه ، وأضاف إلى ذلك :

لقد كان أولى بالحسين أن يتبع حديث جده حيث قال : ستكون هنات وهنات فمن أراد أن يفرق أمر هذه الأمة وهي جميع فاضربوه بالسيف كائنا من كان ، فكان أولى به أن يسعه بيته ويبايع ، ولم يكن يزيد هو الذي قتله ولا واليه عبيد الله بن زياد ، بل قتله من استدعاه ثم أسلمه من أوباش أهل الكوفة .

وقد حذا حذو ابن العربي ابن حزم الاندلسي وابن تيمية وغيره من الظاهريين والسلفيين وأباضية الخوارج الذين بلغ بهم التطرف والغلو أقصى حدودهما فقدسوا يزيد لأنه قتل الحسين واتخذوا من يوم عاشوراء عيداً يباركونه لأن الحسين بن علي قد قتل فيه ولا يزالون يحتفلون بهذا اليوم حيث يوجدون في أطراف الجزائر وغيرها ، ولعل اليوم العاشر من المحرم من أعظم الأعياد في

الجزائر حتى يومنا الحالي .

وقد احتج أصحاب هذا الرأي على ما يبدو من مؤلفاتهم بما حاصله ان الحسين (ع) قد رفض بيعة يزيد وفرق الجماعة وأراد اشعال الفتنة بين المسلمين ، وإن يزيد وواليه على الكوفة لم يبدأه بالشر والفتنة بل هو الذي بدأهما ومن فعل ذلك حل دمه حفظاً لوحدة الأمة وذوداً عن سلطانها وكرامتها عملا بقول جده : من اراد ان يفرق أمر هذه الأمة وهي مجتمعة فاضربوه بالسيف كائناً من كان ، وشاع عن هؤلاء المغالين في تعصبهم للبيت الأموي كابن تيمية والغزالي وغيرهما أنهم يقولون : لقد قتل الحسين بسيف جده إلى غير ذلك من المقالات التي تنم عن حقدهم وعدائهم السافر لعلي وآل علي عليهم السلام .

والشيء الغريب من هؤلاء الذين برروا جرائم يزيد بما نسبوه إلى الرسول (ص) ولم يطبقوا الحديث المزعوم على معاوية بن أبي سفيان ، مع أنه خالف الأمة وفرق كلمتها وشق عصاها وهي مجتمعة على علي (ع) إمام المسلمين وسيدهم وقد بايعه من بايع ابا بكر وعمر وابن عفان وباركت خلافته جميع الأقطار الإسلامية ، كما خالف الأمة والجماعة بعدوانه الأثيم على سبط الرسول وسيد شباب أهل الجنة الحسن بن علي (ع) بعد أن بايعه من بقي من المهاجرين والأنصار وجميع الأقطار الاسلامية التي كانت مجتمعة على أبيه ، وأغرى انصاره وجنده بالأموال والوعود الكاذبة حتى اضطره الى ترك السلطة بشروط كان من أهمها وأبرزها أن يترك الأمر بعده له او للمسلمين ليختاروا من يرونه صالحا لدينهم ودنياهم ، فنقض جميع شروطه وسعى في قتله ثم فرض ولده الخليع المستهتر على المسلمين وهم له كارهون وخائفون على شريعة محمد بن عبد الله اكثر من خوفهم على أنفسهم ، ومع ذلك فقد بقي عند الجمهور الاعظم من أهل السنّة من صحابة الرسول الكرام وعدولهم الاتقياء ، في حين ان الحديث المزعوم يأمر بقتله ، هذا بالإضافة الى أن حديث النبي لعمار المعترف به عندهم يدمغه بالبغي ، والباغي يجب قتاله

وقتله بحكم القرآن .

﴿وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما ، فإن بغت إحداهما على الاخرى فقاتلوا التي تبغي حتى تفيء الى أمر الله﴾ .

وهل رجع معاوية عن بغيه الى الله وقد نقض شروط الصلح وأمر بسب علي على منابر المسلمين إلى أن يشبّ على ذلك الصغير ويهرم عليه الكبير ، وقتل المئات من الصلحاء والأبرياء كحجر بن عدي وأمثاله ، كما قتل إمام المسلمين الحسن بن علي (ع) بنص الرسول على إمامته ، وألحق زياداً بأبيه مخالفا بذلك حكم القرآن وسنّة الرسول (ص) واجماع الأمة وبدد أموال المسلمين و وزعها على أنصاره وأتباعه ، ولم يخرج من الدنيا إلا بعد أن سلط ولده على رقاب المسلمين وهم له كارهون .

ومجمل القول ان الحديث على تقدير صحته ناظر إلى من يحاول تفريق أمر الأمة المجتمعة على الإمام القائم بأمر الله العامل بشريعته الحريص على مصالح المسلمين وحقوقهم ، اما إذا كان الحاكم ظالما متجاهرا بالفسق والفجور يتحدى الشريعة ومبادئها كيزيد فعلى الأمة بحكم القرآن والإسلام ان تقاتله وإلا كانت شريكة في كل اعماله وتصرفاته ، وقد خرج الحسين (ع) على حكومة يزيد بهذا الواقع ، مع علمه بأن المعركة العسكرية ليست لصالحه ، ولكن نتائجها ستكون لصالح الإسلام والمسلمين كما سنثبت ذلك بالأرقام بعد هذا العرض السريع لآراء الناقدين والمخطئين .

لقد ذكرنا ان الذين تناولوا ثورة الحسين بالنقد والتجريح بين من تناولها بدافع العصبية للأمويين والتشيع لهم ، وبين من تناولها من الناحية السياسية والعسكرية كأكثر المستشرقين وبعض العرب المحدثين من غير ان يقدروا الظروف التي كانت تحيط بالحسين (ع) ودوافعه الدينية والنتائج التي اسفر عنها مقتله ، في حين ان التاريخ لا يعرف معركة لاقت هزيمة كمعركة الحسين مع اخصامه وتركت من الأثر في مجال السياسة والعقيدة ما تركته تلك المعركة

ولا معـركة اقضت مضـاجع المنتصـرين ونهشوا اصـابعهم من النـدم كـما جـرى للمنتصرين في معركة كربلاء .

ومع كل مـا سجله التاريـخ من المكاسب فقـد نظر اليهـا هذا الفريق من الكتّاب تلك النظرة السطحية واتهموه بالقصور وسوء التقدير لموقفه الذي حكم عليه ان يشهد مصرع اولاده واخوتـه وأهله امام عينيـه وسيلحقهم لا محالـة على حد تعبير بعضهم .

وقـال فلهوزن في كتـابه الخـوارج والشيعـة : لقـد مـد الحسـين بن عـلي يده كالطفل ليأخذ القمر وادعى اعرض الـدعاوى ولكنـه لم يبذل شيئاً في سبيل تحقيق ادنـاهـا بـل تـرك لـلآخـرين ان يعملوا من اجله كـل شيء ، ولم يكـد يصـطدم بأول مقـاومـة حتى انهار فـأراد الانسحـاب ولكن كـان ذلـك متـأخـراً فـاكتفى بأن راح ينـظر الى انصاره وهـم يمـوتـون في القتـال من اجله وأبقى عـلى نفسـه حتى اللحظة الاخيـرة ، ومضى يقول : لقـد كان مقتـل عثمـان بن عفـان مأساة ، اما مقتل الحسين فكان قطعة مسـرحية انفعـالية ، ولكن عيـوب الحسين الشخصيـة تختفي امام هـذه الواقعـة وهي ان دم النبي (ص) يجري في عـروقه وانه من اهل البيت (ع) .

ويرى المستشرق جولدتسيهر في كتابـه العقيدة والشـريعة ، ان الحسـين في ثورته على حكومة يزيد قد انسـاق لطيش الشيعـة وقصر نظرهم حتى اشـركوه في تلك المعارك الدامية مع البيت الأموي .

وأما سير وليم مـور ، فقد نـظر اليها نـظر من بيده النفـوذ والسلطان فكل حركة ثورية في نـظره تعد فتنـة ، ومضى يقول : ان الحسـين بانسيـاقه الى تـدبير الخيانة سعيا وراء العرش قـد ارتكب جريمـة هددت كيـان المجتمع وتـطلبت من اولي الأمر في الدولة الاموية التعجيل بقمعها .

وسلك لامنس نفس المسلك فـانتقـد خـروج الحسـين بلهجتـه التي اعتـاد عليها في معالجة بحوثه الاسلامية المليئة بالدس والكـذب والافتراء عـلى الاسلام

ورجالاته وأهل بيت النبي (ص) .

وقد نظر هؤلاء الى الحسين (ع) كرجل يطلب الملك بتلك الحفنة من اهله وأنصاره كما هي عادتهم في معالجة المسائل بطريقة بعيدة عن الواقع ومنطق الاحداث التي ترافقها في حين ان الباحث باستطاعته ان يعثر على اكثر من شاهد على ان الحسين (ع) في خروجه وموقفه العسكري من اخصامه لم يكن يقصد ان يحقق نصرا عسكريا ولا ان يستولي على السلطة ، ذلك لأنه على ما يبدو من تصريحاته ومواقفه كان يعلم بأنه سيقتل في طريقه هذا ، ولم يخرج على يزيد بن معاوية الا بعد ان ادرك ما يحيط بالامة الاسلامية من اخطار لا يمكن تلافيها الا بتلك التضحية التي عزم عليها ونفذها ، وبإمكان الباحث ان يجد عددا من الشواهد على انه كان يعلم بالمصير الذي انتهى اليه قبل خروجه من مكة .

فمن ذلك انه رفض كل مشورة وجهت اليه بعدم الخروج الى العراق في حين ان الذين اشاروا عليه اكثرهم من محبيه كعبد الله بن عباس وابن جعفر وابن الحنفية وعبد الله بن مطيع الذي اشار عليه مرتين بأن لا يفكر في الخروج الى العراق ، مرة وهو بطريقه الى مكة ، والاخرى حيث التقى به وهو في طريقه الى العراق ، وأبا هرة الاسدي وعبد الله بن سليم ، وابن المشمعل والفرزدق وغيرهم ممن صوروا له موقف اهل الكوفة على واقعه وحذروه من المصير الذي لاقاه ، وفي ذلك ما يكفيه لأن يعيد النظر في أمر الكوفة لو كان طامعا في الخلافة .

كما وأن خطبته في مكة قبيل خروجه تكاد تكون صريحة في انه كان على صلة بكل ما جرى ، وقد افتتحها بقوله : خط الموت على ولد آدم مخط القلادة على جيد الفتاة ، وقال فيها : الا ومن كان باذلا فينا مهجته موطنا على لقاء الله نفسه فليرحل معنا فاني راحل مصبحاً إن شاء الله .

وقال لأخيه محمد بن الحنفية في المرة الثانية التي راجعه فيها بخصوص

عدم الذهاب إلى الكوفة ، فقال له : أتاني رسول الله بعدما فارقتك وقال يا حسين اخرج فإن الله شاء أن يراك قتيلا ، فقال له محمد أخوه : اذا كنت تخرج للقتل فما معنى حملك هذه النسوة ؟ فقال : لقد شاء الله ان يراهن سبايا ، كما قال لابن عباس وهو يتململ بين يديه ليثنيه عن عزمه : ان رسول الله أمرني بأمر وأنا ماض اليه .

وقال لشخص التقى فيه بالطريق وأخبره بحال الكوفة وحذره من المضي في طريقه : ليس يخفى علي الرأي ولكن الله لا يغلب على أمره .

وقال في بعض المناسبات : والله لا يدعوني حتى يستخرجوا هذه العلقة من جوفي ، ولو كنت في جحر هامة من هوام الأرض لاستخرجوني وقتلوني ، وقوله في كتاب كتبه لمن تخلف عنه من الهاشميين : أما بعد فإن من لحق بي استشهد ومن تخلف عني لم يدرك الفتح الى غير ذلك من كلماته ومواقفه التي لا تترك مجالا للشك في أنه كان يعلم بالمصير الذي انتهى إليه ولم يكن يطلب السلطة أو يحلم بالانتصار على القوم ، وإنما خرج لأمر يتصل بالإسلام مباشرة وتلافياً للأخطار الجسيمة التي احاطت به خلال حكم معاوية وما سيحيط به من استهتار يزيد وسوء نواياه ، لأن أطماع معاوية كانت تتسع لأكثر من الملك ، وكان يحاول مع الاستيلاء على السلطة تضليل الجماهير وتشويه وجه الإسلام ومعتقداته ، فأعلن اكثر من مرة على جماهير الناس أن الخلافة بينه وبين علي (ع) قد احتكما فيها إلى الله وقضى له فيها عليه .

وحينما أراد البيعة لولده يزيد من أهل الحجاز أعلن أن اختيار يزيد للخلافة كان قضاء لا مرد له وليس للعباد خيرة من أمرهم فيها ، كما كان يحاول في كل مناسبة أن يقر في أذهان المسلمين ان كل ما يصدر عن الخليفة ولو كان معصية لله هو من القضاء المبرم المكتوب على العباد ، ليبعث اليأس والتخاذل في النفوس والاستسلام للحاكمين مهما اسرفوا في المعاصي والمنكرات

والـظلم والعـدوان ، وحتى لا يكـون مسؤولا تجاه الـرأي العـام عن سـوء تصرفاتـه ، لأن تصرفـاتهم إذا كانت بحكم القضـاء المبرم ولا شـأن لهم بها فلم يعد ما يوجب ادانتهم عليها واعطاءهم صفة العصاة المتمردين على الله .

وكان ولده يزيد اكثر استهتاراً منه ، ولعله اخبث نية وعقيـدة كما يبـدو مما وصفـه به عبـد الله بن حنظلة المعـروف والده بغسيـل الملائكـة حيث قـال كـما يروي الرواة عنه : والله ما خرجنا عـلى يزيـد حتى خفنا أن نـرمى بالحجـارة من السـماء ان رجلاً ينكـح الامهات والبنـات والاخوات ويشـرب الخمور ويتجـاهر بترك الصلاة والصيام والله لو لم يكن معي احد من الناس لأبليت الله فيه بلاء حسنا .

لقد نظر الناقدون للحسين (ع) لثورته من الناحيـة العسكريـة التي يجب ان تتوفر لها مقومات الثورة والظروف الملائمة كما هي عـادتهم في احكامهم عـلى جميـع الانتفاضـات العسكريـة عندمـا تفشـل الثـورة ولا تحقق الـربـح المـطلوب فـاعتبروه مغـامراً من أجـل الحكم ويتصرف في ضمن هـذا الاطـار الخـاص من غـير أن يعد العـدة لذلـك ، في حين أنهـم لـو امعنوا في تفكيـرهم وتجـردوا في دراستهم لـوجدوه من غير هؤلاء ولعلمـوا بأن تحـركـاتـه كـانت منسجمـة مـع واقعـه كمسؤول عن الإسلام وابن لصـاحب الرسـالـة قـد اتجهت اليـه الأنـظار وحـده من كل الجهـات وربطت مصـير الإسلام بموقفه في تلك الفتـرة العصيبة من التاريخ .

ولو بايـع الحسين (ع) يـزيد كـما يطلب النـاقدون لثـورته وكـما فعل ابن الزبير وابن عمر وغيرهما من المتخاذلين لو فعل ذلك لكـان من أيسر الأمور عـلى يـزيد ان يضفي عـلى خلافتـه صفة الشـرعية ويكمم الأفـواه عن كل تصرفاته وأعماله المعـادية لـلإسلام ، ولكنـه في امتناعـه عن البيعة وخـروجه بـأهل بيتـه وبتلك الحفنة من انصاره واستشهاده بالنحو الذي جـرى له بعـد ان اقام الحجـة عليهم ولم يتـرك لهم منفذا يبـرر اقدامهم عـلى قتله وقتـل اولاده وأنصـاره وسبي

نسائه قد أفسد جميع تدابير معاوية وولده من بعده وأدان الدولة الاموية بانتهاكها لقوانين الإسلام وشرائعه وامتهانها لمثله العليا وجميع مقدساته ، ولم يجد وسيلة تفضح مخططاتهم ومواقفهم العدائية من الإسلام أجدى من بذل دمه وتعريض نسائه للسبي من بلد الى بلد ، وأصبح الجمهور الأعظم من المسلمين الذي استسلم لخلافة معاوية بعد عام الجماعة اصبح بعد مقتل الحسين في صف المعارضين لحكم الأمويين يعبر عن معارضته لحكمهم الظالم بالسيف حيناً والانكار باللسان والقلب حيناً آخر واشتعل في نفوس الجماهير حزن عميق لم يخمد لهيبه طوال تلك القرون وحتى يومنا الحالي ، وأحس المسلمون في مختلف مناطقهم بوقع تلك الصدمة وآثارها السيئة التي سوف لا ينجو منها احد اذا لم يثأر المسلمون لكرامة الإسلام وكرامتهم .

وقد عبر أهل الكوفة عن عميق شعورهم بالاثم بقولهم : دعونا ابن بنت نبينا و بخلنا عليه بأنفسنا حتى قتل الى جانبنا لا نحن نصرناه بأيدينا ولا جادلنا عنه بألسنتنا ولا واسيناه بمالنا فما عذرنا عند لقاء نبينا ؟ وكانت انتفاضة التوابين وبعدها حركة المختار التي استطاع بها أن يستأصل جميع من اشتركوا في معركة الطف ، كما خرج أهل الحجاز وفيهم البقية من اصحاب الرسول (ص) فخلعوا طاعة يزيد وأدانوا الأمويين بما ارتكبوه من الحسين وأنصاره وعياله ، وتوالت بعده الحركات والثورات ضد الأمويين وأصبحت دماء الحسين امضى وأشد فتكا من جميع الأسلحة ، وقام بها ملك العباسيين والفاطميين ، وتستر بها كل طامع في الحكم ، وحتى ابن الزبير العدو اللدود لعلي وآل علي (ع) قد استغلها لصالحه .

وفي رأيي ان مقتل الحسين (ع) كما أرسى دعائم الإسلام وفضح مخططات الأمويين وأيقظ المسلمين قد ادان اعداء أمير المؤمنين عليا (ع) من أهل الشام وخاذليه من أهل العراق على السواء ، حيث كاد أن يضيع المغزى من حروب علي وصلح الحسن (ع) بين كيد الأعداء وخيانة الأنصار وتضليل معاوية للجماهير بأساليبه المعروفة ، فلما قتل الحسين وطاف بنو أمية

برأسه . ونسائه في البلدان ظهر لأكثر المسلمين أن الصراع بين العلويين والأمويين هو امتداد للصراع الذي كان بين محمد بن عبد الله (ص) وأبي سفيان بن حرب ومن على شاكلته من القرشيين والمشركين .

ومجمل القول أن نهضة الحسين (ع) كانت تخطيطا محكما في منتهى الدقة ، لأنه لو اخذ برأي الناصحين له بالجلوس في بيته والاستسلام لأعطى لحكومة يزيد صفة الشرعية ولو خرج إلى اليمن أو بلد آخر يطلب الأنصار والأتباع لطالت الحرب بينه وبين الأمويين واتهم بإثارة الفتنة وشق العصا وضاعت عدالة قضيته ، وقد رفض الا ان يحمل معه اهله ونساءه ليشهد العالم على ما سيقترفه بنو أمية مما لا يبرره دين ولا وازع من ضمير وانسانية وحتى لا تضيع قضيته مع دمه المراق في الصحراء حين يفقد الشاهد على كل ما جرى بينه وبين أخصامه .

وقالت الدكتورة بنت الشاطىء في كتابها بطلة كربلاء : لقد افسدت زينب اخت الحسين على ابن زياد وبني امية لذة النصر وسكبت قطرات من السم الزعاف في كؤوس الظافرين وان كل الاحداث السياسية التي ترتبت بعد ذلك من خروج المختار وابن الزبير وسقوط الدولة الأموية وقيام الدولة العباسية وتأصل مذهب الشيعة إنما كانت زينب بطلة كربلاء باعثة ذلك ومثيرته .

وقال الدكتور احمد محمود صبحي في كتابه نظرية الإمامة لدى الشيعة الاثني عشرية : واذا كان قد هزم في معركة حربية أو خسر قضية سياسية ، فلم يعرف التاريخ هزيمة كان لها من الأثر لصالح المهزومين كما كان لدم الحسين (ع) فقد أثار مقتله ثورة ابن الزبير وخروج المختار ، ولم ينقض ذلك حتى انقضى الأمر الى ثورات أخرى الى أن زالت الدولة الأموية بعد ان اصبحت ثارات الحسين هي الصرخة المدوية لتدك العروش وتزيل الدول فقام بها ملك العباسيين ثم الفاطميين واستظل بها الملوك والامراء بين العرب

والفرس والروم .

ومضى يقول في كتابه المذكور : لقد استطاع الحسين (ع) ان يجعل اولئك الذين لم يأبهوا لمقتل أبيه ، ولم يعبأوا للذل الذي تركه اخوه يذوقونه تحت رحمة الأمويين استطاع وان كلفه ذلك حياته ان يجعل الذين خانوا أباه وغدروا بأخيه في حزن مقيم وعبرة لا تسكن وندب لا يذهب مهما طالت السنون وانقضت القرون .

كما استطاع ان يركز حملة من السخط والكراهية على الأمويين بعد ان كادت تضفي على خلافتهم صفة الشرعية بعد عام الجماعة ، وأضاف الى ذلك : لقد اصبح الحسين عند المسلمين امام كل حركة قامت لدك العروش وخلع الملوك الذين تسنموا الحكم باسم الخلافة ، وفي مجال العقيدة فالتشيع حسيني اذ هو اعظم ائمة الشيعة على حد تعبيره على الاطلاق بعد والده ، إذ كان لمقتله من الأثر في العقيدة ما لم يتركه أي إمام من أئمة الشيعة على الاطلاق بعد علي (ع) .

واستطرد في حديثه عن نتائج نهضة الحسين وآثارها الخالدة يقول : من اجل هذا كله ادرك مستشرق ألماني لم ينظر إلى خروج الحسين نظرة عسكرية بحتة ادت الى الحكم السطحي عليها كما فعل غيره من المستشرقين ، اذ اعتبرها المستشرق (ماريني) بتدبير من الحسين توخاه منذ اللحظة الاولى وعلم موعد النصر فيه ، فحركة خروجه على يزيد انما كانت عزمة قلب كبير عز عليه الاذعان وعز عليه النصر العاجل فخرج بأهله وذويه ذلك الخروج الذي يبلغ به النصر الأجل بعد موته ويحيي به قضية مخذولة ليس لها بغير ذلك حياة .

وقال الدكتور احمد صبحي : ولم يكن خروج الحسين بعد ذلك كله كمن يقوم بعمل انتحاري يحسب عليه من قبيل القاء نفسه في التهلكة ، فقد قطع على اعدائه كل عذر ، ولم يدع لهم حجة تبرر اقدامهم على قتله حين

عـرض عليهم شروطـه وحـين تحمـل العـطش هـو ومن معـه وفي معسكـره من النسـوة والاطفـال ، وحـين لم يبـدأهم بقتـال حتى اغلق عليهم بـاب كـل عـذر وحـين وقف فيهم خطيبـاً قبل نشـوب القتال وسألهم فيم يقتلونه وليس لهم ثـأر عنـده ولم يغتصب منهم مـالا وهم لا يشكـون أنه ابن بنت نبيهم ، ومـع ذلـك فهـذه كتبهم التي تملأ خـرجين كبيـرين كلها تـدعوه للخـروج وقـد نشرهـا بـين ايديهم .

وهكـذا فإن حـركة الحسـين السياسيـة والعقـائـديـة تفصـح عن بـواعث خروجه التي لم يفصح عنها هـو حين خـالف الناصحـين والمشيرين ، فضـلا عن أن خـروجه عـلى يزيـد لم يكن هناك من محيص عنـه لما يتـرتب عـلى بيعتـه من الأخطاء الجسيمة التي لا تبررها تقية ولا تشفع لهـا الأعذار ، واستـطاع بحركتـه ان يسلط معـاول الهدم عـلى دولة بني أميـة وأن يغير مجـرى التاريـخ الـذي اراد الأمويون ان يخطوه بأيديهم .

لقـد جاء في الاستيعـاب لابن عبـد البـر عن الحسن البصـري ان الـذين قتلوا مع الحسين من أهل بيته رجال ما على وجه الأرض يومئذ لهم شبيه .

وجاء في شرح النهج لابن أبي الحديد أنه قيل لرجل شهد يوم الطف مع عمـر بن سعـد : ويحكم أقتلتم ذريـة رسـول الله (ص) فـقال : عضضـت بـالجندل : انـك لو شهـدت ما شهـدنا لفعلت مـا فعلنا ، ثـارت علينا عصـابة ايديها في مقابض سيوفها كالأسـود الضاريـة تحطم الفـرسان يمينـا وشمالا وتلقي أنفسها على الموت لا تقبل الامان ولا ترغب في المـال ولا يحول حـائل بينهـا وبين الـورود على حيـاض الموت أو الاستيـلاء على الملك فلو كففنـا عنهـا رويـدا لأتت على العسكر بكامله فما كنا فاعلين لا أم لك ؟!

وذكـر منهم بعض المؤرخـين والاصفهـاني في مقـاتـل الـطالبيـين عـلي بن الحسـين الأكبر ، وكـان له من العمـر تسع عشـرة سنـة ، وفي روايـة ثانية ثلاث وعشـرون سنـة وأمـه ليـلى بنت أبي مـرة بن عـروة بن مسعـود الثقفي وتؤكـد

المرويات الكثيرة انها كانت مع الحسين في كربلاء وشهدت مصرع ولدها .

وعبد الله بن الحسين وكان طفلا صغيراً وقد تناوله الحسين من اخته زينب ليودعه في آخر ساعة من حياته فأصيب بسهم في رقبته وهو في حضن أبيه ، وجاء في أكثر المرويات أن الحسين أخرجه من الخيمة وطلب له من القوم ماء بعد أن اضر به العطش فرماه حرملة بن كاهل بسهم أصاب رقبته ومات من ساعته ، وأمه الرباب بنت امرىء القيس بن عدي .

وفي رواية حميد بن مسلم وهو الذي احصى اكثر حوادث الطف ان الحسين (ع) دعا بغلام صغير فأقعده في حجره فرماه عقبة بن بشير بسهم فذبحه فأخذ الحسين من دمه بكفيه ورمى به نحو السماء وقال : اللهم لا يكون اهون عليك من فصيل ناقة صالح .

العباس بن علي المعروف بأبي الفضل ويلقب بالسقا ، وجاء في عمدة الطالب لابن مهنا : انه كان يأتي بالماء لأخيه وعائلته خلال الأيام الاخيرة التي اشتد فيها الحصار على الحسين وفي المرة الاخيرة خرج في طلب الماء كعادته ولم يرجع ودفن في مكانه بالقرب من الشريعة وأمه ام البنين ، وقتل قبله من اخوته لأمه وأبيه ثلاثة بين يدي الحسين ، وكان وسيما جميلا يركب الفرس المطهم ورجلاه تخطان في الأرض كما وصفه المؤرخون ، ويلقب بقمر بني هاشم والسقا ، وقد بكاه الحسين على صبره وجلده ، وقال : الآن انكسر ظهري ، وله من العمر حين قتل أربع وثلاثون سنة .

عبد الله بن علي بن ابي طالب وأمه أم البنين ، وقد قدمه العباس وقال له : تقدم بين يدي الحسين لأحتسبك عند الله فتقدم وقاتل قتال الابطال فتكاثروا عليه وقتلوه .

جعفر بن علي شقيق العباس أيضاً وكان في مطلع شبابه لم يبلغ العشرين كما وصفه المؤلفون في أحداث كربلاء فقاتل القوم قتال الأبطال المستميتين وقتل بعد أن تكاثروا عليه ، كما تقدم بعده اخوه عثمان بن علي

وقتل أيضاً وهؤلاء الثلاثة والعباس من أم فاطمة بنت حزام وبهم كانت تكنى وتعرف بأم البنين . ويروي الرواة أنها بعد قتلهم كانت تخرج الى البقيع وتندبهم فيجتمع عليها العدو والصديق ويبكون لحالها وبكائها وكانت تقول في ندبتها :

لا تدعوني ويك ام البنين تذكريني بليوث العرين
كانت بنون لي ادعى بها واليوم أصبحت ومالي بنون

محمد الأخضر بن علي بن أبي طالب وأمه اسماء بنت عميس كما في رواية الطبري وقيل انه لأم ولد وأبو بكر بن علي وأمه ليلى بنت مسعود وجاء في رواية المدائني انه وجد بين القتلى ولم يعرف قاتله وأبو بكر بن الحسن وكان غلاماً لم يبلغ الحلم قتله كما يدعي ارباب المقاتل عقبة الغنوي، والقاسم بن الحسن شقيق أبي بكر بن الحسن ، وجاء في رواية حميد بن مسلم أنه قال : خرج علينا غلام كأن وجهه شقة قمر وفي يده سيف وعليه قميص وإزار وفي رجليه نعلان قد انقطع شسع احدهما لا أنسى انها كانت اليسرى ، فقال عمرو بن سعد بن نفيل الأزدي : والله لأشدن عليه وكان الى جانبي ، فقلت يكفيه هؤلاء الذين تراهم قد احتوشوه من كل جانب ، فما ولى وجهه حتى ضرب رأس الغلام بالسيف فوقع لوجهه وصاح يا عماه ، فوالله لقد تجلى الحسين له كما تجلى الصقر ، ثم شد شدة الليث فضرب عمرا بالسيف اتقاه بساعده فأطنها من لدن المرفق وتنحى عنه وحملت خيل بني سعد لتخلصه من الحسين فاستقبلته بصدورها ووطئته بأقدامها حتى مات ، فلما انجلت الغبرة فإذا بالحسين على رأس الغلام وهو يفحص برجليه والحسين يقول : بعد القوم قتلوك يا بني عز على عمك أن تدعوه فلا يجيبك أو يجيبك فلا يغني عنك .

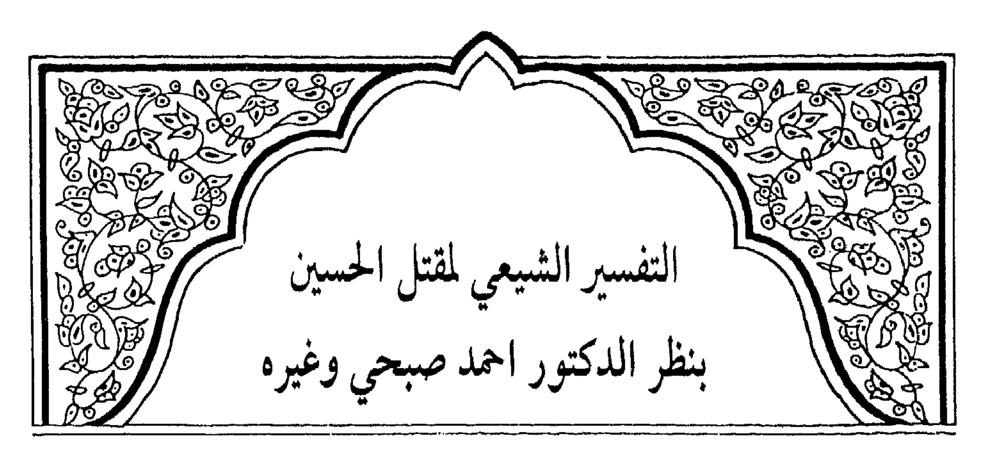
ومنهم عبد الله بن الحسن ، وعوف بن عبد الله بن جعفر ومحمد بن عبد الله بن جعفر ، وثلاثة من اولاد عقيل وهم عبد الله وجعفر وعبد الرحمن ، وفي رواية ابن كثير في البداية والنهاية ان من بين القتلى ولد لجعفر بن عقيل

يدعى خالد بن جعفر ، كما قتل معه محمد بن أبي سعيد بن عقيل وعبد الله بن مسلم ، ومحمد بن مسلم ، وعبيد الله بن جعفر بن أبي طالب ، فيكون مجموع القتلى من العلويين كما احصاهم محمد فتح بدران وفؤاد علي وفا في كتابيهما غصن الرسول والحسين بن علي واحداً وعشرين قتيلا .

وسلم من اولاد الحسين الإمام زين العابدين (ع) وكان مريضا كما تنص على ذلك اخبار معركة الطف وحاول ابن زياد بعد وصول السبايا الى الكوفة ودخولهم عليه ان يقتله ، ولكن عمته زينب قد تعلقت به وألقت بنفسها عليه وقالت : إذا اردت قتله فاقتلني قبله فتركه لها ، وكان يوم ذاك متزوجا وله من اولاده محمد الباقر وهو طفل في حدود السنتين أو اكثر من ذلك بقليل .

وجاء في رواية ابن قتيبة في الإمامة والسياسة عن الإمام محمد بن علي الباقر (ع) انه قال : دخلنا على يزيد بن معاوية ونحن اثنا عشر غلاما مغللين في الحديد وعلينا قمص فقال اخلصتم أنفسكم لعبيد أهل العراق وما علمت بخروج أبي عبد الله حين خرج ولا بقتله حين قتل .

وقد ذكرنا سابقا انه كان يحاول بكلماته هذه ونحوها أن يتنصل من قتل الحسين بعد أن أمر به وخطط له ، لانه احس بالنقمة عليه من كل الجهات وان الاخطار قد احدقت به وبأسرته ، وأدرك أن المسلمين مهما تحملوا منه ومن أبيه من أنواع الظلم والجور لا يتحملون قتل الحسين وسبي نسائه .



التفسير الشيعي لمقتل الحسين بنظر الدكتور احمد صبحي وغيره

وقبل الحديث عن رأي الدكتور صبحي وغيره في التفسير الشيعي لمقتل الحسين (ع) أود أن أشير إلى رأي الشيعة في مقتل الحسين كما يعتقده الشيعة وإن كنت قد تحدثت عن ذلك خلال الفصول السابقة بما يكفي لدحض مزاعم المفترين الذين يحاولون تشويه العقيدة الشيعية بقصد أو بدون قصد لوجود بعض المرويات بين أحاديثهم لا يعتمد عليها الشيعة ولا يحسبون لها حساباً ، والتمني على المؤلفين في هذه المواضيع أن لا يتسرعوا في أحكامهم قبل التتبع والتحقيق حتى لا تأتي أحكامهم بهذا المستوى الرخيص .

يعتقد الشيعة ان الحسين بن علي (ع) هو الإمام الثالث بعد أبيه وأخيه الحسن وقد نص على إمامته وإمامة أخيه الحسن (ع) جدهما المصطفى (ص) في حديث قد اشتهر بين جميع المحدثين من سنيين وشيعيين وصححه أكثر محدثي السنّة ، الحسن والحسين إمامان قاما أو قعدا ، وقد ذكرناه من مصادره في الفصول الأولى من هذا الكتاب ، كما ذكرنا بعض ما جاء عن جده فيه وفي أخيه وأبيه من المرويات التي تكاد أن تكون متواترة في معناها .

وكان المسلمون طيلة حياته يقدسونه ويعظمونه ويرون فيه شبه جده لا

لأنـه ابن الرسـول المقرب ، بـل لأنه كـان يجسد سيـرة جده وتعـاليم الإسـلام والمثل العليا في سيرته وسلوكه وجميع مـواقفه كـما أشرنـا إلى بعض هذه الجـوانب من سيرته خلال حديثنا عنه في الفصول السابقة .

ولما اصبح الحكم بيد الأمويين وأسرفـوا في تعاطي المنكـرات ، واستهتروا بـالقيم وتعاليم الإسـلام ، ومارسـوا أسوأ أنـواع الـظلم والجـور مـع الصلحـاء والأبرياء ولاذ المسلمون بالحسين حفيد الرسول وحـامي الشريعـة لم يجد بـداً من الوقوف في وجه اولئك الـطغاة مهـما كلفه ذلـك من ثمن ، وقد استعـرض جميع جـوانب الموقف السلبي من حكـومة يـزيد بن معـاوية وجميـع ما يمكن ان ينتجـه من الآثار لمصلحة الإسـلام ، فلم يجد أجـدى وأنفع من تضحيتـه بنفسه وبتلك الحفنـة من بنيـه وأهله وأنصـاره وتعـريض نسـائـه وأطفـالـه للسبي من بلد إلى بلد ، فمضى بمن معه من بنيه واخوته وبني عمومته وأصحـابه وهـو على بينـة من أمـره ويقين من مصيـره غير مبـال بنصح من نصحـه بعدم الخـروج ولا بلوم من لامـه عليه فعـاش بطلا ومـات بطلا وأبى الا أن يكـون القدوة الحسنـة والأسـوة الصالحة والمثل الأعلى لكـل أبي كريم يؤثـر الموت تحت ظـلال الأسنة عـلى الحياة مـع الطغـاة المستبدين ، ومضى في الـطريق الذي يفـرضـه عليـه الـواجب وهـو يقول : لا أرى الموت إلا سعادة والحياة مع الظالمين إلا برماً .

ولم يحـدث التاريـخ عن معركـة كان لهـا من الآثار الـطيبة الخيـرة لمصلحة المهزومين كما كان لمعـركته مـع الأمويـين ، ولم تقم ثورة من بعـده إلا واستمدت من مبادئه وعزيمته ونضاله .

ولـرب نصر عـاد شر هـزيمـة　　تـركت بيـوت الـظالمـين طلولا

من هذه الزاويـة ينظر الشيعـة إلى مقتل الحسـين وهم إذ يحتفلون بذكـراه في كـل عام وفي كثـير من الأوقات يحـرصون عـلى أن تبقى تلك الجذوة المشتعلة متقـدة لا تخبو ولا تخمـد لتستمد منهـا الأجيال نهضتهـا وقـوتهـا في وجـه الـظلم والطغيان في كل عصر ومكان .

وكان الأئمة من أهل البيت يحرصون على بقاء هذه الذكرى حية خالدة فأمروا بإحيائها وانتشارها لأنها لا تنفصل عن أهداف الإسلام العليا ومقاصده السامية ، وقال الإمام الصادق (ع) لجماعة من أصحابه في اليوم العاشر من المحرم : اتذكرون ما صنع بجدي الحسين (ع) لقد ذبح والله كما يذبح الكبش وقتل معه سبعة عشر شاباً من بنيه وأهل بيته وإخوته ما لهم على وجه الأرض من مثيل .

ويرى العارفون من الشيعة أن الإمام (ع) لم يقصد بذلك ان يثير عواطفهم وأحزانهم ويستدرجهم للبكاء والنحيب ، بل يريد من ترديد تلك المآسي على مسامعهم ان يغرس في نفوسهم عظمة الحق الذي قتل الحسين وأهل بيته من أجله والاستهانة في سبيله بكل شيء كما صنع الحسين وضحى بكل ما لديه من مال وبنين وأخيراً بنفسه الكريمة .

ويقول الإمام الرضا (ع) وهو يحدث جماعة من أصحابه عما جرى على الحسين وأهله وبنيه ويعيد إلى أذهانهم أحداث كربلاء : قولوا متى ما ذكرتموهم يا ليتنا كنا معكم فنفوز فوزاً عظيماً فهو يريد من أصحابه وشيعته ومن عامة المسلمين أن يكونوا مع الحسين بأرواحهم وعزيمتهم مع العاملين بمبادىء القرآن وسنن الأنبياء والمصلحين العاملين لخير الإنسان في كل زمان ومكان لأن الحسين بثورته على الظلم كان يجسد هذه النواحي من الإسلام .

يريد الإمام الرضا ان يقول لأصحابه وشيعته : في كل زمان ظالم كيزيد وجبابرة كبني امية فكونوا في كل زمان على الظالمين والجبابرة والطغاة كما كان الحسين في زمانه على يزيد وأعوانه إلى كثير من أمثال هذه المواقف التي كان الأئمة (ع) يحاولون فيها ان يشحنوا النفوس بالنقمة على الظالمين والاستهانة بكل شيء في سبيل الحق وكرامة الإنسان وحريته .

وإذا اساء بعض عوام الشيعة فهم الاهداف لنهضة الحسين وانحرفوا في الذكريات التي تقام للحسين في كل عام هنا وهناك عن أهدافها الصحيحة

وأدخلوا عليها بعض ما لا يجدي شيئاً فذاك لا يعبر عن رأي الشيعة ولا عن عقيدتهم في الحسين ومقتله وآثاره .

ولقد كتب الدكتور احمد محمود صبحي في كتابه نظرية الإمامة عن الشيعة وأئمتهم وكان منسجماً مع الواقع ومجردا في بعض فصول كتابه كباحث يريد الحقيقة ويتحراها حيث كانت وهذا ما نقدره فيه وفي كل كاتب مهما كان لونه وجنسه ، ولكنه في بعضها الآخر يبدو وكأنه يكتب بغير الروح والعقلية التي كتب فيها تلك الفصول وإلى القراء مثلا من ذلك ، لقد جاء في ص ٣٤٤ من كتابه المذكور تحت عنوان التفسير الشيعي لمقتل الحسين :

يعتقد الشيعة أنه لما أظهر النبي (ص) الحزن والجزع لوفاة ولده ابراهيم وبكى على قبره قائلا : ان العين لتدمع وإن القلب ليخشع وإنا عليك يا إبراهيم لمحزونون أطلعه الله على سر وفاته ونزل عليه جبرائيل فقال له : ان الرب يقرئك السلام ويقول لك : اما ان تختار حياة إبراهيم فيرده عليك حياً ويورثه النبوة من بعدك فتقتله امتك من بعدك ويدخلها الله النار ، أو يبقى ميتاً ويبقى لك الحسين فيجعله الله إماماً ثم يقتله نصف امتك بين قاتل له ومعين عليه وخاذل له وراض بقتله فيدخلهم الله النار فاختار أهون الضررين بأمته ورضي بمقتل الحسين ، وأضاف إلى ذلك أن العقيدة الشيعية في مقتل الحسين لم تجد انسب من عقيدة النصارى في مقتل المسيح فهو قد ضحى مختاراً ليخلص شيعته المذنبين كما يقول النصارى في المسيح ، ونقل عن المستشرق رونلدسن في كتابه عقيدة الشيعة ما يتضمن هذا المعنى .

ومضى يقول : ولا يخفي الشيعة هذا التشابه الذي أوجدته فكرة الخلاص بين التشيع والمسيحية اذ يذكرون أوجه الشبه بين المسيح والحسين فيقولون : لم يولد قط لستة أشهر من الحمل إلا عيسى بن مريم والحسين ، واستطرد الدكتور صبحي يقول : ان بعض الهنود المعاصرين وصف الحسين بأنه الباعث الأصلي على الوجود والرابطة الجوهرية بين العلة والمعلول والحلقة

الذهبية بين الله والانسان ، وانتهى من ذلك إلى أن الكاتب الهندي الشيعي قد أضفى على الحسين صفات إلهية نجد نظيراً لها في عقيدة المسيحيين في المسيح إلى غير ذلك مما جاء في كتابه حول هذا الموضوع مما لا عين له ولا أثر بين معتقدات الشيعة في مقتل الحسين لشيء منه كما وان ما ذكره من الحوار بين جبرائيل والنبي بخصوص حياة إبراهيم وموته لا وجود له بين المرويات الشيعية الصحيحة ولا يلزم به احد منهم ، والتفسير الصحيح لمقتل الحسين (ع) عند الشيعة وعلمائهم وأئمتهم الكرام لا يعدو ما ذكرناه أكثر من مرة خلال حديثنا عن سيرته الغنية بالمثل والتضحيات والآداب والأخلاق وكل ما يرفع من شأن الإنسان في دنياه وآخرته .



الشيعة والثلث الأول من شهر المحرم

لقد كانت الأيـام الأولى من شهر المحـرم ولا تزال مـأتما سنـوياً لـلأحزان والآلام عند الشيعة منذ قتل الحسـين (ع) في العاشر منـه ، وكان أئمـة الشيعة يحـرصون عـلى بقاء تلك المـأساة مـاثلة في الأذهان بمـا لها من المعـاني الساميـة ، وتنص المـرويات الشيعيـة عـلى أن الإمام علي بن الحسـين (ع) كـان يـرد تلك المأساة ويذكر ما صنع الأمويون بـأبيه ويبكي لـذلك حتى أصبح البكاء لقبـا من ألقابه ، وهكذا كان غيـره من الأئمة فـاتخذ الشيعـة تلك الأيام من شهـر المحرم أيام حزن و نياحة عـلى الحسين يجتمعـون ويذكـرون ما جـرى عليه وعـلى أهل بيته من القتل والتنكيل والسبي ويذهب الكثيـرون منهم إلى قبره لـزيارتـه في كل عـام ، ولم تكن السلطات الحاكمـة تمنع أحـداً أو تعارضهم في ذلـك ، ولما جـاء المتوكل العباسي المعروف بعدائه الشديد للعلويين هدم قبـر الحسين ومنـع الناس من زيارته وهددهم بالقتل ومصادرة أموالهم وممتلكاتهم إذا أقـاموا مـأتماً أو ذهبـوا لزيارته .

وجاء في تاريـخ ابن الأثير وهـو يستعرض حـوادث سنة ٢٣٦ ان المتـوكل العبـاسي كان شـديد البغض لعـلي وأ[illegible]ـتـه ويقصد من يبلغـه عنـه أنه يتـولى علياً والحسين بمصـادرة مالـه وقتله [illegible] إلى ذلـك أنه كتب الى واليـه عـلى مصر يـأمـره بـإخـراج آل أبي ط[illegible] مصر إلى العـراق وكـانـوا في مصر

يتظاهرون بالولاء لعلي (ع) ويذكرون ما صنع بالحسين في كربلاء ، فأخرجهم أمير مصر إسحاق بن يحيى لعشر خلون من رجب سنة ٢٣٦ ، واستتر من كان فيها على رأي أهل البيت وحلت بالشيعة والعلويين أزمة فائقة في عهده من الظلم والجور الذي أحيط بهم من تعصب المتوكل وولاته في مختلف الأمصار والأقطار .

وانفرجت الأزمة التي اجتاحتهم بموت المتوكل واستيلاء ولده المنتصر على السلطة من بعده ، كما ذهب إلى ذلك ابن الأثير وغيره من المؤرخين ، فقد قال في حوادث سنة ٢٤٨ ان المنتصر أمر بزيارة قبر الحسين وعلي (ع) وآمن العلويين وأطلق سراحهم ورد عليهم فدكاً ، وكان أول ما أحدثه أن عزل عن المدينة صالح بن علي الذي كان يتتبعهم بكل انواع الأذى والظلم والجور وعين مكانه علي بن الحسن بن اسماعيل بن العباس بن محمد ، ولما دخل عليه يودعه وهو في طريقه إلى المدينة قال له : يا علي إني موجهك إلى لحمي ودمي وساعدي فانظر كيف تكون للقوم وكيف تعاملني فيهم .

واستمر أمر الشيعة أينما حلوا يحتفلون بذكرى الحسين الأليمة وبكل مظاهر التشيع عندما يتاح لهم ذلك سواء في ذلك البلاد التي غلب عليها كالعراق وافريقيا في ظل الفاطميين وغيرهما من المقاطعات التي كان الشيعة فيها قلة بجانب غيرهم ، كما كان حالهم في مصر يوم كانت في سلطة كافور الأخشيدي الذي كان كما كان يصفه بعض المؤرخين شديد التعصب على الشيعة ، ومع ذلك فقد اظهروا من الصلابة والتماسك مع قلتهم بالنسبة إلى غيرهم مما اضطر كافور لمصانعتهم والتغاضي عما يقومون به من مظاهر الحزن والجزع لما أصاب أهل البيت .

ولم تنفرج الأزمة في مصر إلا بعد أن تغلب عليها الفاطميون وحكمها المعز لدين الله الفاطمي فارتفعت معنويات الشيعة بوجوده بعد أن هيأوا لهم الأجواء المناسبة واشتركوا معهم في إحياء تلك الذكرى وبذلوا في سبيلها الأموال بسخاء .

وقال المقريزي في خططه : كان الفاطميون في يوم عاشوراء ينحرون الابل والبقر ويكثرون النوح والبكاء وما زالوا على ذلك حتى انقرضت دولتهم ، وأضاف الى ذلك بروايته عن ابن زولاق في سيرة المعز لدين الله ، أنه في يوم عاشوراء سنة ٣٦٣ انصرف خلق من الشيعة إلى قبري أم كلثوم ونفيسة ومعهم جماعة من فرسان المغاربة ورجالهم بالقيام والبكاء على الحسين وكسروا أواني السقائين ، وفي سنة ٣٩٦ جرى الأمر على ما كان يجري في كل سنة من تعطيل الاسواق وخروج المنشدين الى جامع القاهرة ونزولهم مجتمعين بالنوح والبكاء والنشيد ، واستطرد المقريزي في وصف ما كان عليه حال الفاطميين من مظاهر الحزن حكومة وشعباً في العاشر من المحرم إلى أن قال : إذا كان يوم العاشر احتجب الخليفة عن الناس فإذا ارتفع النهار ركب قاضي القضاة والشهود وقد غيروا زيهم ثم صاروا إلى مشهد الحسين فإذا جلسوا فيه جعلوا ينشدون الشعر في رثاء أهل البيت ولا يزالون على ذلك إلى أن تمضي عليهم ثلاث ساعات ، ثم يستدعيهم الخليفة إلى القصر فيدخل قاضي القضاة والداعي ومن معهما إلى باب الذهب فيجدون الدهاليز قد فرشت بالحصر فيجلس القاضي والداعي إلى جانبه وسائر الناس على اختلاف طبقاتهم فيقرأ القرآن ثم ينشد المنشدون ، ويتقدمون بعد ذلك للمائدة المؤلفة من الأجبان والألبان والعسل وغير ذلك . وبعد الفراغ من الأكل انصرف النواح وطافوا بالقاهرة وقد اغلق البياعون محلاتهم وحوانيتهم ذلك النهار بكامله إلى غير ذلك من المظاهر التي دأبت عليها الدولة الفاطمية في مصر طيلة حكمها .

ولما جاء دور الأيوبيين حاربوا جميع تلك المظاهر وأصبح اليوم العاشر من المحرم يوم فرح وسرور يتباهون فيه بالملابس الفاخرة وأنواع الطعام والحلوى والأواني الجديدة ليرغموا بذلك أنوف الشيعة على حد تعبير المقريزي في خططه .

وفي عهد بني بويه كان الشيعة والحكام يمثلون دور الفاطميين في مصر ، وجاء في تاريخ أبي الفداء خلال حديثه عن أحداث سنة ٣٥٢ أن معز الدولة

كـان في اليوم العـاشر من المحـرم يعـطل الأسـواق ويـأمر النـاس أن يخـرجـوا بـالنياحـة والنساء نـاشـرات الشعـور قـد شققن ثيـابهن ولـطمن وجـوههن عـلى الحسين (ع) ، وأيد ذلك ابن كثير في بـدايته وهـو يتحدث عن دولـة بني بويـه وما كانت تصنعه في بغداد في اليوم العاشر من المحرم والأيام الأولى منه في كل عام إلى غير ذلك مما رواه الـرواة عن مظاهـر الحزن التي كـان الشيعة وحكـامهم يـظهرون بهـا ، وكان السنّـة وحكامهم يقـابلون ذلك بـالفـرح والسـرور تحـدياً للشيعـة وعاداتهم ، ومنـه سبحانـه نستمد التـوفيق وان يلهمنا السـداد في القول والاخلاص في العمل والتوفيق لأن نستلهم من ثورة الحسـين معاني التضحيـة في سبيل الحق والمظلومين والمعذبين انه قريب مجيب .



الإمام الرابع

علي بن الحسين زين العابدين "عليهما السلام"





الإمام علي بن الحسين زين العابدين (ع)

المعروف بين المحدثين بابن الخيرتين فأبوه الحسين بن علي بن أبي طالب ، وأمه من بنات ملوك الفرس ، وجاء في ربيع الأبرار للزمخشري : ان لله من عباده خيرتين فخيرته من العرب بنو هاشم ومن العجم فارس وفيه يقول ابو الأسود الدؤلي :

وان وليدا بين كسرى وهاشم   لأكرم من نيطت عليه التمائم

وقد اتفقت الروايات على أن أمه من أشراف الفرس ، ولكنها اختلفت في تاريخ استيلاء المسلمين عليها وزواجها من الحسين (ع) وفي اسمها ، ففي البحار عن جعفر بن بابويه أن اسمها شهربانويه بنت يزدجرد بن شهريار ، وفي الكامل لابن الأثير أن اسمها سلافة وخولة وبرة .

وجاء في رواية الكافي عن أبي جعفر الباقر (ع) أنه قال : لما قدمت بنت يزدجرد على عمر بن الخطاب غطت وجهها وقالت باللغة الفارسية ما معناه : اسود يوم هرمز وأساء الدهر إليه والزمان عليه حيث صار أولاده اسارى تحت حكم رجل كهذا وأشارت الى عمر بن الخطاب ، فظن عمر وهي تتكلم انها تشتمه ، فأوضح له أمير المؤمنين مرادها .

وفي رواية المفيد ، ان عمر بن الخطاب اراد بيعها، فقال له أمير المؤمنين :

ان بنات الملوك لا تباع و لو كن كفاراً ، و لكن اعرض عليها ان تختار أحداً لنفسها فمن اختارته فزوجها منه واحسب ذلك من عطائه فخيرها فاختارت الحسين ؛ فتزوجها وأمره أمير المؤمنين بحفظها والإحسان إليها ، وقال له كما يدعي الراوي : يا ابا عبد الله لتلدن لك خير أهل الأرض ، فأولدها علياً زين العابدين (ع) وكان يقول له الحسين : انت ابن الخيرتين ، فخيرته من العرب قريش ومن قريش بنو هاشم ومن العجم فارس .

وأيد مضمون هذه الرواية أحمد بن علي بن مهنا في كتابه عمدة الطالب في أنساب آل أبي طالب ، وأضاف الى ذلك : وقيل انها اسرت في خلافة علي بن أبي طالب (ع) وكان الحارث بن جابر الحنفي قد بعث إليه ببنتي يزدجرد فأعطى واحدة منها لابنه الحسين فأولدها الإمام علي بن الحسين ، وأعطى الثانية لمحمد بن أبي بكر فأولدها القاسم بن محمد الفقيه المعروف في عهد التابعين ، وأيد هذه الرواية ابن الكلبي كما نقل عنه علي جلال الدين الحسيني في كتابه الحسين بن علي ، كما أيد الرواية الأولى الشبلنجي في نور الأبصار والزمخشري في ربيع الأبرار ، وأضافا إلى ذلك أنه لما أتي عمر بن الخطاب بسبي فارس كان في السبي ثلاث بنات ليزدجرد فباع السبي ، ولما اراد ان يبيع بنات يزدجرد قال له امير المؤمنين : ان بنات الملوك لا يعاملن كغيرهن ، بل يقومن ومهما بلغ ثمنهن اداه من يختارهن من المسلمين فقومهن جماعة ممن كانوا في المجلس وأخذهن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب وأعطى واحدة منهن للحسين فأولدها الإمام زين العابدين وواحدة لعبد الله بن عمر فأولدها سالم بن عبد الله ، وواحدة لمحمد بن أبي بكر فأولدها القاسم بن محمد فكان هؤلاء الثلاثة أبناء خالة .

وجاء في رواية ابن بابويه ان عبد الله بن عامر لما فتح خراسان في خلافة عثمان بن عفان أخذ بنتين لكسرى وأرسلها لعثمان فأعطى واحدة للحسن وواحدة للحسين وماتتا في النفاس ، وأيد مضمون هذه الرواية بعض الرواة في

رواية رواها عن الإمام الرضا (ع) جاء فيها أنه قال لمحمد بن سهل بن قاسم النوشجاني : ان بيننا وبينكم نسبا ، قال وما هو ؟ قال ان عبد الله بن عامر بن كرز أصاب بنتين ليزدجرد بن شهريار فبعث بهما إلى عثمان فوهب احداهما للحسن والأخرى للحسين فماتتا في النفاس وصاحبة الحسين قد نفست بعلي بن الحسين .

ويبدو أنه لا خلاف بين الرواة والمؤرخين في أن أم السجاد من بنات ملوك فارس وانها وصلت إلى الحسين (ع) هي وأختاها أو أختها بالأسر ، وأبرز نقاط الخلاف في أنها سبيت في عهد عمر بن الخطاب أو في عهد عثمان ، أو في عهد أمير المؤمنين (ع) بواسطة عامله على بعض بلاد المشرق الحارث بن جابر الحنفي ، والذي يرجح احدى الروايتين الأخيرتين ان الإمام زين العابدين كان حين وفاة أبيه بين الحادية والعشرين والخامسة والعشرين من عمره ، وبين معركة الطف ووفاة عمر بن الخطاب قرابة أربعين عاما أو أقل من ذلك بقليل .

وجاء في بعض المرويات أن أم السجاد توفيت بعد أن ولدته بأيام قليلة ، ولما قتل محمد بن أبي بكر في مصر تزوج الحسين (ع) اختها فتولت هي تربيته ، وقال بعض الرواة انها بقيت مع الحسين وأدركت معركة الطف وألقت بنفسها في الفرات من شدة ما دخلها من الحزن على الحسين (ع) وقيل غير ذلك ولا يهمنا تحقيق هذه الناحية ، ويدعي الرواة أنه لم يكن أحد من أهل المدينة يرغب في نكاح الجواري حتى ولد علي بن الحسين فصاروا يرغبون في الزواج منهن .

ومهما كان الحال فلقد ذهب اكثر الرواة إلى أن ولادته كانت بين الخامس والعاشر من شهر شعبان سنة ثمان وثلاثين أو سبع وثلاثين من الهجرة ، وقيل في النصف من جمادى الثانية ، وكان له من العمر حينما قام بأعباء الإمامة بعد مقتل ابيه بناء على ذلك اثنان وعشرون عاماً أو ثلاثة وعشرون وبناء على أن

ولادته كانت سنة ثلاثين كما قيل يكون في الثلاثين من عمره حين وفاة أبيه ، واستمرت امامته أربعة وثلاثين سنة عاصر فيها ملك يزيد بن معاوية ومروان بن الحكم وعبد الملك بن مروان ، وتوفي مسموماً كما جاء في أكثر الروايات الشيعية في عهد الوليد بن عبد الملك بن مروان وكانت وفاته في النصف الأول من شهر المحرم سنة خمس وتسعين هجرية وقيل غير ذلك .

ومن أشهر ألقابه زين العابدين والسجاد وذو الثفنات والبكاء والعابد ، ومن أشهرها زين العابدين وبه كان يعرف كما يعرف باسمه ، وجاء في المرويات عن محمد بن شهاب الزهري أنه كان يقول : ينادي مناد يوم القيامة ليقم سيد العابدين في زمانه فيقوم علي بن الحسين (ع) ، كما جاء في تذكرة الخواص لابن الجوزي ان رسول الله (ص) سماه بهذا الاسم .

وجاء في تسميته بذي الثفنات كما في حلية الأولياء والكافي للكليني ان الإمام الباقر (ع) قال : كان لأبي في موضع سجوده آثار ثابتة يقطعها في كل سنة من طول سجوده وكثرته ، وفي رواية الصدوق انه كان يقطعها ويجمعها وأوصى أن تدفن معه في قبره ، فلما مات دفنت معه .

ويروي الرواة عن سبب تسميته بالبكاء عن الإمام جعفر بن محمد الصادق (ع) أنه قال : بكى علي بن الحسين على أبيه عشرين سنة ما وضع خلالها بين يديه طعام إلا بكى ، وقال له بعض مواليه : جعلت فداك يا بن رسول الله ، إني أخاف ان تكون من الهالكين ، فقال : انما اشكو بثي وحزني إلى الله وأعلم من الله ما لا تعلمون ، إني لم أذكر مصرع أبي واخوتي وبني عمومتي إلا خنقتني العبرة .

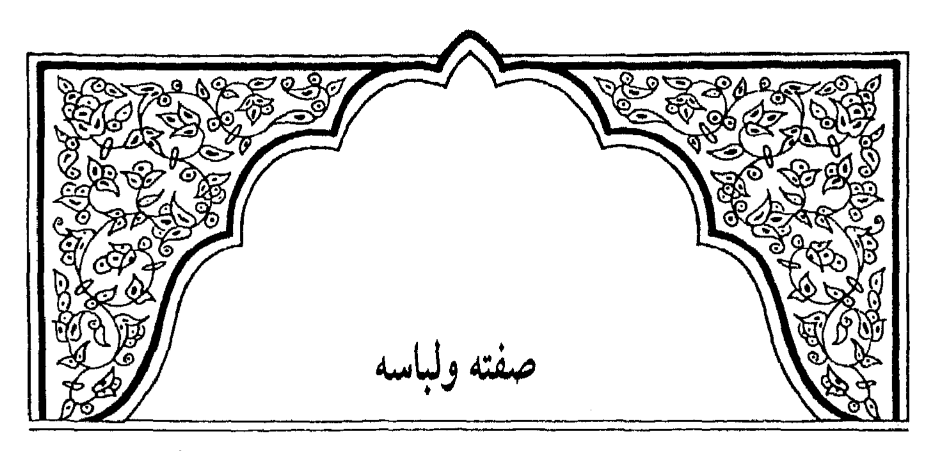
وفي رواية ثانية أن أحد مواليه قال له : اما آن لحزنك أن ينقضي ولبكائك أن يقل ، فقال له : ويحك ، ان يعقوب النبي كان له اثنا عشر ولداً فغيب الله عنه واحداً منهم فابيضت عيناه من كثرة البكاء واحدودب ظهره وابنه حي في دار الدنيا ، وأنا نظرت إلى أبي واخوتي وعمومتي وسبعة عشر

شـابا من بني عمـومتي مجزرين كـالأضاحي ، ونـظرت إلى عماتي وأخـواتي وقـد احـاط بهم أهل الكـوفة وهن يستغثن وينـدبن قتلاهن ، والله مـا ذكـرت ذلـك اليوم إلا وخنقتني العبرة .

وجـاء عن أبي عبد الله الصـادق (ع) أنه قـال : البكـاؤون خمسـة : آدم ويعقوب ويوسف وفـاطمة بنت محمـد (ص) وعلي بن الحسـين ، أما آدم فلقـد بكى واشتد حزنه لما أخـرجه الله من الجنـة ، وأما يعقـوب فلقد بكى عـلى ولده يوسف حتى ابيضت عيناه من الحزن وقيل له﴿**تالله تفتأ تذكر يوسف حتى تكون حـرضاً أو تكـون من الهالكـين**﴾وأما يـوسف فإنـه بكى على أبيـه حتى تأذى من كـان معه في السجن ، وأمـا فاطمـة فقـد بكت عـلى أبيهـا حتى لحقت بـه وقـد تـأذى أهل المـدينة من بكـائها وقـالوا لهـا : لقد آذيتنـا بكثرة بكـائك ، فكـانت تخـرج الى مقابـر الشهداء تبكي يـومها فـإذا جاء الليـل رجعت إلى بيتها ، وأمـا عـلي بن الحسين (ع) فلقـد بكى على أبيـه اكثر من ثـلاثـين سنـة ولم يقـدم لـه طعام وشراب إلا وقال : كيف آكل وقد قتل أبـو عبد الله جـائعاً وكيف أشـرب وقد قتل أبو عبد الله عطشان ، إلى غـير ذلك ممـا رواه الرواة عن حـزنه وبكـائه عنـد كل منـاسبة تـذكره بمـا جرى لأهل بيته من المـآسي والمصـائب التي تحمـل مرارتها طيلة حياته وكـان كلما اجتمع إليـه جماعـة أو وفد من وفـود الأقطار يـردد عليهم تلك المـأساة ويقص عليهم من أخبـارها ويخـرج إلى السوق أحيـانـاً فـإذا رأى جزاراً يريد أن يذبح شاة او غيـرها يـدنو منـه ويقول : هـل سقيتها المـاء ؟ فيقول له : نعـم يـا ابن رسول الله ، انـا لا نذبـح حيوانـاً حتى نسقيه ولـو قليلاً من الماء ، فيبكي عند ذلك ويقول : لقد ذبح ابو عبد الله عطشان .

وجاء عنه انه دخل يوماً فرأى غريباً فسلم عليه ودعاه الى بيته لضيافته ، وقـال له بحضـور جمع من النـاس : أترى لـو اصابـك الموت وأنت غـريب عن أهلك هـل تجد من يغسلك ويـدفنك ؟ فقـال الناس : يـا ابن رسـول الله كلنـا يقوم بهذا الواجب ، فبكى وقال : لقد قتل أبو عبد الله غـريباً وبقي ثـلاثة أيـام تصهره الشمس بلا غسل ولا كفن .

وكـان في اكثر مـواقفه هـذه يحاول أن يشحن النفـوس ويهيئها للثـورة على الظلم والظالمين الذين يستبيحـون المحارم ويستهتـرون بالقيم والاديـان في سبيل عـروشهم وأطمـاعهم وقـد اعـطت هـذه المـواقف ثمـارهـا وهيـأت الجمـاهـير الاسـلامية في الحجـاز والعراق وغيـرهما للثـورة فأعلنت الكـوفة عصيـانها وأظهر أهلهـا النـدم لموقفهم المتخـاذل من الحسـين ، وأحس أهـل المـدينـة بـأن تلك الصـدمة قـد أصابت الإسـلام في الصميم فأنكـروا على يـزيد طغيـانـه وطـردوا ولاته وكانت تلك المعركة التي استباح فيها قائده مسلم بن عقبـة مدينـة الرسـول وقتل من أهلها اكثر من عشرة آلاف من علماء المسلمين وخيارهم .



صفته ولباسه

لقد جاء في صفته عن الفرزدق الشاعر أنه كان وسيما جميلاً من أحسن الناس وجهاً وأطيبهم رائحة بين عينيه سجادة ، يعني بذلك أن أثر السجود كان بارزاً بين عينيه ولذلك لقب بذي الثفنات وقال في وصفه كما جاء في قصيدته الميمية المشهورة :

ينشق ثوب الدجى عن نور غرته	كالشمس تنجاب عن اشراقها الظلم
الله شرفه قدما وعظمه	جرى بذاك له في لوحه القلم

وكان مع ذلك أفضل أهل زمانه في أخلاقه وصدقاته وعطفه على الفقراء وأنصحهم للمسلمين معظما مهابا عند القريب والبعيد يشتري كساء الخز بخمسين دينارا ، ثم يبيعه بعد فصل الشتاء ويتصدق بثمنه على الفقراء ، وفي الصيف يلبس أفخر الثياب ويقول : ﴿ **قل من حرم زينة الله التي أخرج لعباده والطيبات من الرزق** ﴾ كما نص على ذلك ابن سعد في طبقاته .

وجاء عن الإمام الباقر (ع) أنه قال : كان أبي علي بن الحسين (ع) إذا انقضى الشتاء يتصدق بكسوته على الفقراء ، وإذا انقضى الصيف يتصدق بها أيضاً ، والخز هو الغالب عليها ، وقيل له : انك تعطي ثيابك من لا

يعرف قيمتها ولا يليق به لبسها ، فلو بعتها وتصدقت بثمنها ، فقال: إني أكره ان ابيع ثوباً صليت فيه ، وتواتر عنه أنه كان يلبس أفخر أنواع الثياب ، واذا وقف بين يدي الله اغتسل وتطيب ، وهكذا كان أكثر الأئمة (ع) في لباسهم ومظهرهم .

ومن ذلك يظهر ان الزهد في الدنيا الذي كان شعارهم لا يعني ترك الطيبات ولا التقشف في العيش ، بل يعني العمل بما اراد الله واجتناب ما حرمه ونهى عنه وعدم التطلع إلى ما في أيدي الناس من متاع الدنيا وطيباتها ، وقد جاء في الحديث : اعلى درجات الزهد ادنى درجات الورع .

ويروي الرواة ان ابن عيينة قال لأبي عبد الله الصادق (ع) ان جدك علي بن أبي طالب (ع) كان يلبس الخشن وأنت تلبس القهوي المروي ، فقال : ويحك يا ابن عيينة ان علياً كان في زمن ضيق فإذا اتسع الزمان فأبرار الزمان أولى به .

وقال الإمام الصادق في وصفه لجده علي بن الحسين (ع) : كان جدي اذا مشى كأن الطير على رأسه لا يسبق يمينه شماله ولا يخطر بيده وعليه السكينة والوقار .

وفي رواية عبد الله بن سليمان أنه قال : كنت مع أبي في المسجد فدخل علي بن الحسين ولست أثبته وعليه عمامة سوداء وقد أرسل طرفيها بين كتفيه فقلت لرجل قريب مني : من هذا الرجل الذي أرى ؟ فقال لي : ما لك لم تسألني عن أحد دخل هذا المسجد غير هذا الشيخ ؟ فقلت له : اني لم أر احدا دخل المسجد احسن منه هيئة فلذلك سألتك عنه ، فقال : انه علي بن الحسين (ع) .



الإمام علي بن الحسين في الكوفة والشام

لقد نشأ علي بن الحسين في بيت النبوة ومهبط الوحي في البيت الذي تحمل أقسى ما يتصور من الألم والمحن والمصائب في سبيل الله ، واستقبل في طفولته الطرية محنة جده الأعظم وهو يتخبط بدمه في بيت الله ، وبعدها وهو مقبل على الشباب محنة عمه الحسن وهو يلفظ كبده من السم الذي دسه إليه معاوية بن هند آكلة الأكباد ، وشاهد في شبابه وهو طريح الفراش من المرض الذي كان يفتك بجسمه مصرع أبيه واخوته وبني عمومته وسبي عماته وأخواته من كربلاء إلى الكوفة ومنها إلى الشام ورؤوس الأهل والأصحاب على الرماح يتقدمها رأس أبيه ، وشاهد عبيد الله بن زياد ويزيد بن معاوية ينكثان ثنايا أبيه تشفيا وانتقاما وقد عرضاه على السيف أكثر من مرة ولكن مشيئة الله كانت تحول بينهم وبين ما يريدون .

وجاء في طبقات ابن سعد أن علي بن الحسين اكبر ولد ابيه وكان مع أبيه بطف كربلاء وقد انهكته العلة والمرض ، وروى عنه ابو مخنف أنه قال : إني لجالس في تلك العشية التي قتل أبي في صبيحتها وعندي عمتي زينب تمرضني إذ اعتزل أبي في خباء له وعنده جون مولى أبي ذر الغفاري يعالج له سيفه ويصلحه وأبي يقول :

يـا دهـر أف لـك مـن خليـل   كم لـك بـالاشـراق والأصيـل
مـن صـاحب وطـالـب قـتيـل   والـدهـر لا يقنـع بـالبـديـل
وكـل حـي سـالـك سبـيـل   مـا اقـرب الـوعـد من الـرحيـل

فخنقتني العبرة فرددتها ولزمت السكوت وعلمت ان البلاء قد وقع وأما عمتي زينب فإنها لما سمعت ما سمعت لم تملك نفسها أن وثبت تجر ذيلها حتى انتهت إليه ونادت واثكلاه ليت الموت اعدمني الحياة اليوم ماتت امي فاطمة وأبي علي وأخي الحسن يا خليفة الماضين وثمال الباقين . فنظر إليها أبي وقال : يا أخية لا يذهبن بحلمك الشيطان وأوصاها بالصبر وحفظ العيال .

وقد روى الإمام علي بن الحسين الكثير من أخبار الطف وما جرى فيه من المعارك وخطبة أبيه في أهل الكوفة قبيل وفاته ، وفي اللحظات الأخيرة من حياة أبيه دخل عليه وأوصاه بوصاياه وسلمه مواريث النبوة وكانت آخر وصية اوصاه بها : يا بني أوصيك بما اوصى به جدك رسول الله عليا حين وفاته وبما اوصى به جدك علي عمك الحسن وبما اوصاني به عمك ، إياك وظلم من لا يجد عليك ناصرا إلا الله ، ثم ودعه ومضى الى المعركة الأخيرة التي قتل فيها .

وهو الذي دفن أباه الحسين والقتلى من أهله وأنصاره كما في أكثر الروايات الشيعية وأخبر بني أسد بقبور الشهداء وأسمائهم وكانوا قد حضروا لدفنهم في اليوم الثالث أو الثاني عشر من المحرم ، وإذا صح أنه هو الذي تولى دفنهم فخروجه بالطريقة التي يرويها الرواة لا تفسير لها إلا بمشيئة الله . ولما دخل هو وعماته الكوفة اجتمع عليهم الناس فهالهم ذلك المشهد وجعلوا يبكون وينوحون ، فأومأ إلى الناس أن اسكتوا ، ووقف وهو عليل قد أنهكه المرض فحمد الله وأثنى عليه وذكر النبي وصلى عليه ، ثم قال : أيها الناس من عرفني فقد عرفني ومن لم يعرفني فأنا اعرفه بنفسي ، أنا علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب ، أنا ابن من انتهك حريمه وسلب نعيمه وانتهب ماله وسبي عياله ، انا ابن المذبوح بشط الفرات ، انا ابن من قتل جرا وكفى بذلك

فخرا ، ومضى يذكر أهل الكوفة بكتبهم ومواعيدهم وبما ارتكبوه من الفظائع حتى ضج الناس بالبكاء والعويل كما يدعي الراوي ، وإن كنت اشك في كل ما قيل حول خطبه وخطب عماته ، لأن ابن زياد لا يمكنهم من مثل هذه المواقف التي تهيج عليه الرأي العام وتلهب المشاعر وقد اتخذ كل الاحتياطات عند دخولهم الكوفة حتى لا يترك مجالا لمتنفس .

ولما أدخل مع عماته على ابن زياد لعنه الله وأخزاه قال له كما يروي الرواة : من أنت ؟ قال : انا علي بن الحسين ، فرد عليه بقوله : أليس قد قتل الله علي بن الحسين ، فأجابه الإمام : كان لي أخ يسمى علياً قتله الناس ، فقال ابن زياد : بل الله قتله ، فقال الإمام : الله يتوفى الأنفس حين موتها ، فغضب ابن زياد وقال : أبك جرأة على رد جوابي ؟ وأمر جلاوزته بقتله فتعلقت به عمته زينب واعتنقته وقالت : يا ابن زياد حسبك من دمائنا ما سفكت والله لا افارقه فإن اردت قتله فاقتلني معه ، فرق لها وتركه .

ولما كتب يزيد بن معاوية الى عبيد الله يأمره بإرسال رأس الحسين ورؤوس القتلى مع السبايا الى الشام ، أرسلهم إليه مع مخفر بن ثعلبة العائدي وشمر بن ذي الجوشن وجماعة من جنده ، وكان كما يصفه الرواة مقيدا بالحديد ، ولما بلغوا بهم الشام خرج أهلها إلى استقبالهم بأبهى مظاهر الزينة والفرح .

وجاء في كامل البهائي والبحار عن سهل بن سعد الساعدي أنه قال : خرجت إلى بيت المقدس ، فلما توسطت الشام فإذا بمدينة مطردة الأنهار كثيرة الاشجار وقد علق أهلها الستور والحجب والديباج وهم فرحون مستبشرون ، والنساء تلعب بالدفوف والطبول ، فقلت في نفسي : لا أرى لأهل الشام عيدا لا نعرفه ، فأقبلت على قوم يتحدثون وقلت لهم : يا قوم ألكم بالشام عيد لا نعرفه ؟ فقالوا : يا شيخ نظنك غريباً ، فقلت لهم : انا صاحب رسول الله (ص) سهل بن سعد الساعدي وقد رأيت رسول الله وسمعت حديثه ،

فقالوا : يا سهل ما اعجبك ان السماء لتمطر دما والأرض لتنخسف بأهلها ، فقلت لهم ولم ذاك ؟ فقالوا : هذا رأس الحسين بن علي يهدى من أرض العراق الى يزيد بن معاوية ، فقلت واعجباه رأس الحسين والناس يفرحون كما أرى ، من أي باب يدخل ؟ فأشاروا إلى باب يقال له باب الساعات ، فبينما نحن في الحديث وإذا بالرايات يتلو بعضها بعضاً ، وفارس بيده رمح منزوع السنان عليه رأس الحسين (ع) من أشبه الناس وجها برسول الله (ص) ووراءه نسوة على جمال بغير وطاء فدنوت من أولاهن وقلت : يا جارية من أنت ، قالت : أنا سكينة بنت الحسين، فقلت لها : ألك حاجة إلي أنا سهل بن سعد ممن رأى جدك رسول الله قالت : يا سهل قل لصاحب هذا الرأس يتقدم بالرأس امامنا حتى يشتغل الناس بالنظر إليه عن النظر إلى حرم رسول الله ، قال سهل بن سعد : فدنوت من صاحب الرأس وقلت له : هل لك ان تقضي حاجتي وتأخذ مني أربعمائة دينار ، قال : وما هي ؟ قلت : تقدم الرأس امام الحرم ، ففعل ذلك ودفعت إليه المبلغ ، وفي رواية ثانية أن الذي طلب من سهل ان يدفع شيئاً الى حامل الرؤوس هو الإمام زين العابدين (ع) ثم دعا يزيد بن معاوية أشراف الشام ووجوهها وأجلسهم حوله وأمر بإدخال علي بن الحسين والرؤوس والسبايا فأدخلوهم عليه مربطين بالحبال ، فقال له علي بن الحسين : انشدك الله يا يزيد ما ظنك برسول الله لو رآنا على مثل هذه الحالة فلم يبق أحدا ممن كان حاضرا الا بكى كما جاء في بعض المرويات ، فأمر يزيد بالحبال فقطعت ، وأنشد حينما وضعت الرؤوس بين يديه :

نفلق هاما من رجال اعزة   علينا وقد كانوا أعق وأظلما

وكان يحيى بن الحكم شقيق مروان بن الحكم في المجلس فأنشد حينما رأى يزيد يترنح فرحاً وسروراً :

لهـام بـأدنى الـلطف أدنى قـرابـة | من ابن زياد العبد ذي الحسب الوغل
سمية اضحى نسلهـا عـدد الحصى | وبنت رسـول الله اضحت بـلا نسـل

فضـربه يـزيـد في صـدره وقـال : اسكت ، والتفت الى عـلي بن الحسـين وقـال : أبوك قـطع رحمي وجهـل حقي ونـازعني سلطاني فصنـع الله بـه مـا قـد رأيت ، فقـال عـلي بن الحسـين : ﴿ مـا أصـاب من مصيبـة في الأرض ولا في أنفسكم إلا في كتاب من قبـل ان نبرأهـا ان ذلك عـلى الله يسير لكيـلا تأسـوا عـلى ما فـاتكم ولا تفرحـوا بما آتـاكم والله لا يحب كـل مختـال فخـور ﴾ فقـال يزيدلابنه خالـد : رد عليه فلم يـدر خالـد ما يقـول ، فقال لـه يزيـد قل لـه : ﴿ ما اصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم ويعفو عن كثير ﴾ .

فقـال له الإمـام زين العابـدين : يا ابن معـاويـة وهنـد وصخـر لم تنـزل النبوة والأمرة إلا لآبائي وأجدادي من قبل أن تولد،ولقد كان جدي عـلي بن أبي طالب في بدر وأحد والأحزاب في يـده راية رسـول الله (ص) وأبوك وجـدك في ايـديهما رايـة الكفار ويلك يـا يزيـد لو تـدري ما صنعت ومـا الذي ارتكبت من أبي وأهل بيته لهربت في الجبال وافترشت الرمـاد ودعوت بـالويـل والثبور فـابشر بالخزي والندامة إذا اجتمع الناس ليوم الحساب .

وقـد روى الرواة ان يـزيد بن معـاوية أمـر أحد أنصـاره أن يصعـد المنبـر وينـال من علي والحسن والحسـين ويثني عـلى معـاويـة ، فصعـد الخـطيب المنبـر وأفاض في ذلك على معاويـة واطرائـه ونال من عـلي والحسن والحسين ، فقال له الإمـام السجـاد : ويلك أيهـا المتكلم لقـد اشتـريت مـرضـاة المخلوق بسخط الخـالق فتبـوأ مقعـدك من النـار ، ثم التفت إلى يـزيـد وقـال : أتسمـح لي أن أصعـد هـذه الأعـواد وأتكلم بكلمـات فيهـا لله رضـا ولهؤلاء الجلوس اجـر وثواب ، فلم يأذن له يزيد بذلـك ، فقال لـه من في المجلس : ائذن لـه يا أمـير لنسمع ما يقول ، فرد عليهم يـزيد بن معـاوية بقـوله : إذا صعـد المنبر لا ينـزل الا بفضيحتي وفضيحـة آل أبي سفيـان ، فقيـل لـه : ومـا قـدر مـا يحسن هـذا

الغلام ، فقال كما يزعم الرواة : انه من أهل بيت زقوا العلم زقاً ، فلم يزالوا به حتى أذن له فصعد المنبر وحمد الله وأثنى عليه وقال : أيها الناس لقد اعطينا ستاً وفضلنا بسبع ، اعطينا العلم والحلم والسماحة والفصاحة والشجاعة والمحبة في قلوب المؤمنين ، وفضلنا بأن منا النبي المختار (ص) ومنا الصديق ومنا الطيار ومنا أسد الله وأسد رسوله ومنا سيدة النساء ومنا سبطا هذه الأمة ثم قال :

أيها الناس من عرفني فقد عرفني ومن لم يعرفني أنبأته بحسبي ونسبي أنا ابنَ مكة ومنى أنا ابن زمزم والصفا انا ابن من حمل الزكاة بأطراف الردا ، أنا ابن خير من ائتزر وارتدى أنا ابن خير من انتعل واحتفى ، انا ابن خير من طاف وسعى أنا ابن خير من حج البيت الحرام ولبى ، أنا ابن من حمل على البراق في الهوا ، أنا ابن من اسري به من المسجد الحرام الى المسجد الأقصى ، أنا ابن من بلغ به جبرائيل إلى سدرة المنتهى ، أنا ابن من دنا فتدلى فكان قاب قوسين أو أدنى ، أنا ابن من صلى بملائكة السماء ، أنا ابن من أوحى إليه الجليل ما أوحى ، أنا ابن محمد المصطفى وابن علي المرتضى ، أنا ابن من ضرب خراطيم الخلق حتى قالوا لا إله إلا الله ، انا ابن من ضرب بين يدي رسول الله بسيفين وبايع البيعتين وطعن برمحين وهاجر الهجرتين وقاتل ببدر وحنين ولم يكفر بالله طرفة عين ولم يزل يقول انا انا ويعدد على الحضور مآثر جديه رسول الله وأمير المؤمنين وأبيه أبي عبد الله ويذكر ما جرى في طف كربلاء حتى ضج الناس بالبكاء والنحيب وخشي يزيد ان ينتقض أهل الشام عليه كما تدعي الرواية فأمر المؤذن أن يؤذن ليقطع حديثه فلما قال المؤذن : الله أكبر قال (ع) : لا شيء اكبر من الله ، ولما قال : أشهد أن لا إله إلا الله قال الإمام (ع) : شهد بها لحمي ودمي وبشري وشعري ، ولما قال : أشهد أن محمدا رسول الله ، التفت علي بن الحسين إلى يزيد بن معاوية وقال : محمد هذا جدي أم جدك ، فإن زعمت أنه جدك فقد كذبت وكفرت ، وإن زعمت أنه جدي فلم قتلت عترته .

وانتهى الراوي عند هذا الحد من الحوار بين الإمام زين العابدين ويزيد ابن معاوية ، وأضاف أنه كان في مجلس يزيد حبر من أحبار اليهود فقال ليزيد : من هذا الغلام ؟ فقال : هو علي بن الحسين ، وسأله اليهودي عن جده وأبيه وأمه فأخبره بنسبه حتى انتهى الى رسول الله (ص) فقال اليهودي : يا سبحان الله لقد قتلتم ابن بنت نبيكم بهذه السرعة بئسما خلفتموه في ذريته والله لو ترك فينا موسى بن عمران سبطاً من صلبه لظننا انا كنا نعبده من دون الله ، وأنتم قد فارقتم نبيكم بالأمس ووثبتم على ابنه فقتلتموه فسوءة لكم من أمة .

ومضى الراوي يقول : ان الإمام زين العابدين خرج في بعض الأيام من المكان الذي اعده يزيد للأسرى ، فبينما كان يسير في بعض الأسواق واذا بالمنهال بن عمرو يستقبله ويسأله عن حاله ، فقال له الإمام (ع) : أمسينا كمثل بني اسرائيل في آل فرعون يذبحون ابناءهم ويستحيون نساءهم ثم قال له الإمام : يا منهال ، أمست العرب تفتخر على العجم بأن محمدا منها وأمست قريش تفتخر على سائر العرب بأن محمدا منها ، وأمسينا معشر أهل بيته ونحن مغصوبون مقتولون مشردون هكذا امسينا وأصبحنا يا منهال .

وفي رواية ثانية ان الإمام (ع) قال له : كيف يصبح من كان اسيراً ليزيد بن معاوية بالاضافة ما ذكرنا .

وكان يزيد بن معاوية قد وعد علي بن الحسين أن يقضي له ثلاث حاجات كما جاء في الملهوف ، فقال له يوما : اذكر حاجاتك الثلاث اللاتي وعدتك بقضائهن ، فقال له : الأولى ان تريني وجه أبي لأتزود من النظر إليه ، والثانية أن ترد علينا ما أخذ منا ، والثالثة ان كنت عزمت على قتلي أن ترسل مع هؤلاء النسوة من يردهن إلى حرم جدهن رسول الله ، فقال له يزيد كما يزعم الراوي : أما رأس أبيك فلن تراه أبداً ، وأما النساء فلا يردهن غيرك إلى المدينة ، وأما ما أخذ منكم فأنا أعوضكم عنه أضعاف قيمته ، فقال

له الإمام (ع) : أما مالك فلا نريده وهو موفور عليك ، وإنما طلبت منك ما أخذ منا لأن فيه مغزل جدتي فاطمة ومقنعتها وقلادتها وقميصها فأمر يزيد برد ذلك عليه وأضاف إليه مائتي دينار فأخذها وفرقها على الفقراء .

ويروي بعض الرواة ان يزيد بن معاوية خيَّر الإمام زين العابدين بين البقاء بالشام والرجوع الى المدينة فاختار الرجوع إليها فجهزهم يزيد بن معاوية وأرسل معهم من يتولى ادارة شؤونهم ورعايتهم خلال طريقهم وطلبوا من الدليل أن يعرج بهم على كربلاء فأجابهم لذلك وكان جابر بن عبد الله الأنصاري وجماعة من بني هاشم قد شدوا الرحال لزيارة الحسين (ع) فوردوا كربلاء قبل وصول السبايا اليها بيوم واحد وفيها كان جابر بن عبد الله ومن معه يجولون بين القبور واذا بموكب الإمام قد أطل عليهم من ناحية الشام ، فقال له قائده وكان جابر : اذهب وأتنا بخبره مسرعا فان كان من أتباع ابن زياد لعلنا نأوي الى ملجأ ، وان كان لعلي ابن الحسين وعماته وأخواته فأنت حر لوجه الله ، فمضى وما لبث ان رجع مسرعا وهو يقول : يا جابر قم واستقبل حرم رسول الله هذا زين العابدين قد جاء بعماته وأخواته، فقام جابر يمشي حافي الأقدام مسرعا حتى دنا من الإمام زين العابدين ، فوقع عليه يقبله ويبكي فارتج المكان من كثرة البكاء ، وقال له الإمام (ع) : يا جابر ها هنا والله قتلت رجالنا وذبحت اطفالنا وسبيت نساؤنا وحرقت خيامنا .

وقال ابن طاوس في كتابه الملهوف انهم لما وصلوا الى كربلاء وجدوا جابر بن عبد الله وجماعة من بني هاشم ورجالا من آل الرسول (ص) قد اقبلوا لزيارة قبر الحسين فتلاقوا بالبكاء والعويل وأقاموا المأتم واجتمع إليهم من كان في جوار كربلاء من القبائل النازلة على الفرات ، وبعد أيام قلائل مضى الموكب في طريقه الى المدينة كما جاء في المرويات التي وصفت رحلة السبايا من العراق الى الشام ومنها الى الحجاز على طريق كربلاء .

وروى الرواة مواقف للإمام زين العابدين (ع) في طريقه إلى الشام

وفي دمشق أيضاً ونسبوا لـه وللرأس الشريف من الكـرامات في الـطريق ومجلس يزيد بن معاوية بأسانيـد لا تثبت في مقام النقـد والتمحيص وليس ذلك بغـريب عليهم ولا ببعيـد على الله سبحـانه أن يستجيب لأوليـائه بعـد ان استجـابـوا لـه وبذلوا أعز ما يملكون مع انفسهم في سبيله .

ومما لا شك فيه ان يزيد بن معاوية وأعوانـه الطغـاة قد مثلوا مـع الحسين في كـربلاء ومـع السبايـا في الكوفـة وفي الشام أقبح الفصـول والادوار بنحـو لم يعرف له تـاريخ العـرب نظيـرا من قبل وليس ذلـك بغريب عـلى يزيـد المستهتر الخليـع الذي كـان شاذا حتى بـالقياس الى طغـاة اسرتـه ، امـا التفـاصيـل التي رواهـا المؤلفون في مقتـل الحسين ومـا تلاه من الأحـداث فـأكـثر المـرويـات التي تعرضت لها من نوع المراسيل والقليل المسنـد منها عـلى ما في بعضـه من العيوب لا يغـطي جميع تلك التفـاصيل ولا نصفهـا ، كما واني لا اشـك في ان للمحبـين والقصاصين دورا فيما يرويه الرواة من تلك الأحـداث التي امتلأت بهـا المؤلفات في معركة الطف .



الإمام علي بن الحسين في المدينة

يـدعي بعض الرواة ان الإمـام زين العابـدين (ع) لما اصبح قـريبـا من المدينة حط رحله وضرب فسطاطه وأنزل النساء فيه وكـان معه بشر بن جـذيم ، فقـال له : يـا بشر رحم الله اباك لقـد كان شـاعرا فهـل تقدر عـلى شيء منـه ؟ قـال بلى يـا ابن رسول الله ، قـال : فادخـل المدينـة وانـع ابـا عبـد الله ، قـال بشر : فـركبت فـرسي ومضيت حتى دخلتهـا فلما بلغت مسجـد النبي (ص) رفعت صوتي بالبكاء وأنشأت اقول :

يـا أهـل يثـرب لا مقـام لكـم بهـا ... قتـل الحسـين فـأدمعي مـدرار

الجسـم منـه بكـربـلاء مضـرج ... والـرأس منه عـلى القناة يـدار

ثم قلت : يـا أهل المـدينة هـذا علي بن الحسـين مع عمـاته وأخـواته قـد حلوا بساحتكم ونزلوا بفنائكم وأنا رسولـه إليكم أعرفكم مكـانه ، وأضـاف الى ذلـك الراوي أنـه لم تبق في المدينـة مخدرة إلا وبـرزت من خـدرهـا ، ولم يبق في المدينة أحد إلا وخرج وهم يبكـون ويندبون .

قـال بشر بن جـذيم : وبعـد أن نعيتـه لأهـل المـدينـة ولم يبق أحـد إلا وخرج ضربت فـرسي ورجعت فوجـدت الناس قـد أخذوا الـطرق والمواضـع ،

فنزلت عن فرسي وجعلت اتخطى الرقاب حتى دنوت من الفسطاط الذي فيه الإمام علي بن الحسين فخرج بعد أن ازدحم الناس حول فسطاطه خرج ومعه خرقة يمسح بها دموعه وأخرج الخادم له كرسيا وضعه له فجلس عليه وهو لا يتمالك من العبرة وارتفعت أصوات الناس بالبكاء من حوله يعزونه بأبيه فأومأ بيده الى الناس أن اسكتوا وقال : الحمد لله رب العالمين الرحمن الرحيم مالك يوم الدين بارىء الخلق اجمعين الذي بعد فارتفع في السماوات العلى وقرب فشهد النجوى نحمده على عظائم الأمور وفجائع الدهور وألم الفجائع ومضاضة اللواذع وجليل الرزء وعظيم المصائب الفاظعة الكاظة الفادحة الجائحة .

ثم قال : ايها القوم ان الله وله الحمد ابتلانا بمصائب جليلة وثلمة في الإسلام عظيمة قتل ابو عبد الله وعترته وسبي نساؤه وصبيته وداروا برأسه في البلدان من فوق عامل السنان ، وهذه الرزية التي لا مثلها رزية .

أيها الناس فأي رجالات منكم يسرون بعد قتله ، أم أي فؤاد لا يحزن من أجله ، ام أي عين منكم تحبس دمعها وتضن عن انهمالها وأي قلب لا يتصدع لقتله ، وأي فؤاد لا يحن إليه ، وأي سمع يسمع هذه الثلمة التي ثلمت في الإسلام ولا يصم .

أيها الناس اصبحنا مطرودين مشردين مذودين شاسعين عن الأمصار من غير جرم اجترمناه ولا مكروه ارتكبناه ولا ثلمة في الإسلام ثلمناها ما سمعنا بهذا في آبائنا الأولين ان هذا الا اختلاق ، والله لو ان النبي (ص) تقدم إليهم في قتالنا كما تقدم إليهم في الوصاية بنا لما زادوا على ما فعلوا بنا فإنا لله وإنا إليه راجعون من مصيبة ما اعظمها وأوجعها وأكظها وأفظعها وأمرها وأفدحها فعند الله نحتسب ما اصابنا وما بلغ منا انه عزيز ذو انتقام .

فأثار خطابه الأسى والحزن في نفوس تلك الجماهير التي احتشدت من حوله وارتج المكان بالبكاء والعويل وأحس المسلمون بمرارة تلك الصدمة

العنيفة التي اصابت الإسلام في الصميم ومشت في أوصالهم الهامدة جذوة جديدة وفي ضمائرهم المشلولة روح النضال والدفاع عن كرامتهم التي باتت تهددها الأخطار من كل الجهات ، ودب الشعور بالاثم في ضمير كل مسلم استطاع نصره فلم ينصره وسمع دعواته فلم يجبها ، وبدأ المجتمع الإسلامي يشهد من حين لآخر تلك الانتفاضات التي كان يقوم بها أولئك الذين دب فيهم الشعور بالاثم والتقصير وأحسوا بأن كرامة كل مسلم قد اصبحت تحت اقدام يزيد بن معاوية والامويين بعد ان اقدم على قتل الحسين ريحانة الرسول وسبى نسائه فكانت ثورة التوابين والمختار بن عبيد الثقفي والمسلمين في المدينة وما حولها على يزيد بن معاوية خلال سنوات ثلاث مضت على مقتل الحسين وكان مقتله يلهب القائمين بها ويدفعهم على الاستماتة للتكفير عن تخاذلهم عن نصرته والخضوع للظالمين وأعوانهم وتوالى الثائرون بعد ذلك على دولة الأمويين بدون انقطاع تقودهم معركة كربلاء بمعانيها السامية الخيرة للتضحية والبذل بسخاء في سبيل ما يرونه حقا حتى تحطمت دولة الأمويين وقامت دولة العباسيين على حساب كربلاء وما جرى فيها للحسين وصحبه الكرام ، واستمرت الثورات التي تقودها روح كربلاء بدون انقطاع ضد الظلم والطغيان والفساد عشرات السنين بل ومئات السنين .

ودخل الإمام زين العابدين المدينة بعد أن أتم خطابه وهو يكفكف دموعه فرآها موحشة قد خيم على اهلها الحزن والأسى ووجد ديار أهله خالية تنعى سكانها وانصرف عن شؤون الناس ولم يكن يعنيه شيء من الدنيا وأهلها وظل في السنين الأولى من اقامته يبكي على أبيه ومن استشهد معه من اخوته وبني عمومته حتى عده المحدثون مع البكائين وقالوا : بأنه بكى على أبيه عشرين عاماً أو أكثر من ذلك .

وجاء في حلية الأولياء بسند ينتهي إلى أبي حمزة الثمالي عن الإمام جعفر بن محمد الصادق (ع) أنه قال : سئل علي بن الحسين عن كثرة بكائه

فقـال : لا تلوموني فـإن يعقوب النبي (ص) فقـد سبـطا من ولـده فبكى حتى ابيضت عيناه ، وقد نـظرت إلى أربعة عشر رجـلاً من أهل بيتي قتـلى على رمـال كربلاء أفترون حزنهم يذهب من قلبي .

وروى ابن شهـراشوب عن الإمام الصادق (ع) أنـه ما وضـع بين يـديه طعـام الا بكى فقال لـه مولى من مـواليه : جعلت فـداك يا ابن رسـول الله إني أخـاف أن تكون من الهـالكين ، فقـال : إنمـا أشكـو بثي وحـزني إلى الله وأعلم من الله ما لا تعلمون ، إني لم أذكر مصارع بني فاطمة إلا وخنقتني العبرة .

وروى الصـدوق في الخصال أنـه بكى عـلى أبيـه عشـرين سنـة وقـال لـه مولاه : أما آن لحزنك أن ينقضي ، فقـال له : ويحـك ، إن يعقوب النبي كـان له اثنا عشر ابناً فغيب الله عنه واحداً منهم فابيضت عينـاه من كثرة بكـائه عليـه وشاب رأسه واحدودب ظهره من الحزن وابنه حي في دار الدنيا وأنا نظرت الى أبي وأخي وعمي وسبعة عشر رجلاً من أهـل بيتي مقتولـين حولي فكيف ينقضي حزني ، وقد اشتهر عنه ذلك بين الرواة وبين كـل من تعرض لسيـرته وتـاريخه ، وكـان مع ذلـك لا يترك منـاسبـة الا ويـذكـر فيهـا مـا جـرى لأبيـه وأسـرتـه في كربلاء ، وأحيانا كان يطلب المنـاسبة ويبحث عنهـا ليحدث بمـا جرى عـلى أهل بيته ، فيذهب إلى سـوق الجزارين في المـدينة ويقف معهم يسـألهم عما إذا كـانوا يسقون الشاة ماء قبل ذبحها ، وعندمـا يسمعهم يقولـون : انا لا نـذبح حيـوانا قبـل ان نسقيه ولـو قليلا من المـاء يبكي ويقول : لقـد ذبح ابـو عبد الله غـريباً عطشان فيبكون لبكائه حتى ترتفع الأصوات بالنحيب ويجتمع الناس عليه .

وكـان إذا رأى غريبـاً في الطريق دعـاه الى ضيـافتـه وطعـامـه ، ثم يبكي ويقـول : لقد قتـل أبو عبـد الله غريبـاً جائعـاً عطشـان في طف كربـلاء إلى غير ذلـك من المـواقف التي كـان يقفهـا في السنـين الأولى بعـد مقتـل أبيـه ليشحن النفوس بالحقد على الظالمين والكراهية ليـزيد ودولتـه ويهيئها للثـورة عندمـا يحين وقتهـا ، وقد سـاهمت عمته زينب الكبـرى في هذا النـوع من التحرك السيـاسي المغلف بهـذا اللون من الحزن المثـير لعواطف الجمـاهـير وغضبهـا ونقمتهـا عـلى

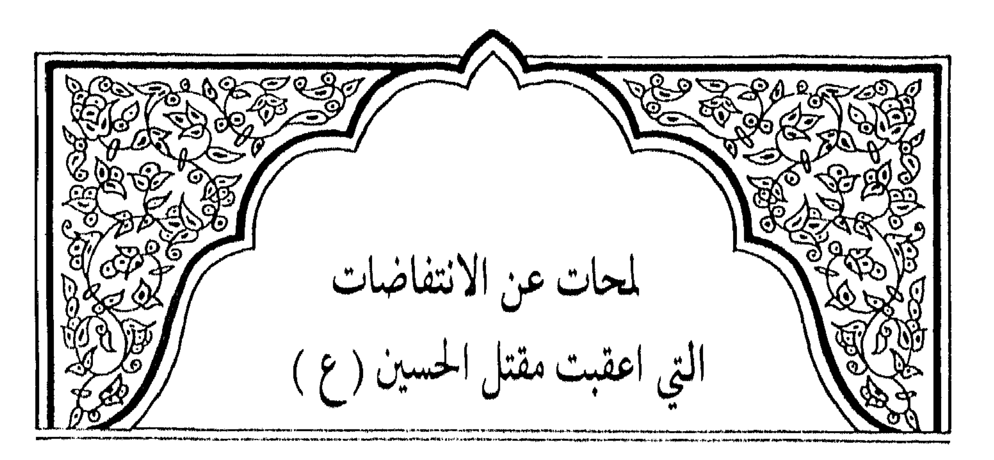
يزيد وحكومته ، وخيم على المدينة جو من القلق ينذر بتفجير الموقف بين حين وآخر ، مما دعا عمرو بن سعيد الأشدق بصفته المسؤول الأول في المدينة ليزيد بن معاوية أن يكتب إليه كتاباً يكشف له فيه ما سينجم عن مواقف العقيلة زينب بنت علي (ع) من أخطار تحيط به وبعرشه .

وما جاء فيه : ان وجودها بين أهل المدينة يهيج الخواطر وهي فصيحة عاقلة لبيبة وقد عزمت هي ومن معها على الثورة لتأخذ بثأر أخيها الحسين ، فكتب إليه في جوابه يأمره بأن يضع حدا لنشاطها ويفرق بينها وبين الناس[1] .

ومن المعلوم ان النشاط الذي كانت تقوم به السيدة زينب (ع) لم يكن يعدو ترديد تلك المأساة والنوح والبكاء المتواصل الذي ألهب النفوس وهيأها للثورة على يزيد وحكومته الجائرة التي لم تعد تهاب أحدا بعد قتل الحسين (ع) واستطاع الإمام زين العابدين (ع) وعمته العقيلة تعبئة النفوس للثورة ، ولكنها كانت تبحث عن مبرر للانفجار .

---

(١) زينب الكبرى لجعفر نقدي ص ١٢٠ و ١٢٢ ، وبطلة كربلاء للدكتورة بنت الشاطىء .



لقد روى بعض الرواة ان عثمان بن محمد بن أبي سفيان والي المدينة أرسل وفداً من أهل المدينة ليزيد بن معاوية فيهم عبد الله بن حنظلة الأنصاري المعروف بغسيل الملائكة وعبد الله بن أبي عمرو بن حفص بن المغيرة المخزومي ، والمنذر بن الزبير ورجال من أشراف المدينة ، فلما قدموا على يزيد بن معاوية أكرمهم وأحسن إليهم وأعظم جوائزهم . وقد رأوا استهتاره بالدين والاخلاق وجميع القيم والمقدسات ، فلما رجعوا إلى المدينة اظهروا شتم يزيد وعيبه ، وأعلنوا على أهل المدينة ما شاهدوه من استهتاره وفسقه ومجونه وخلعوا طاعته وكان قتل الحسين من أبرز أسباب النقمة عليه كما يبدو ذلك من المؤرخين كالمسعودي وغيره واستغله حتى اعداء العلويين لصالحهم حيث وجدوا النفوس مشحونة بالنقمة والكراهية ليزيد وأسرته ، فقد قال الطبري في تاريخه وابن الأثير في الكامل وابن كثير في البداية والنهاية : انه لما قتل الحسين (ع) في سنة احدى وستين قام عبد الله بن الزبير في أهل مكة وعظم مقتله وعاب على أهل الكوفة خاصة ولام أهل العراق عامة ولعن من قتله ، وقال : ان أهل العراق أهل غدر وفجور ، وان أهل الكوفة شرار أهل العراق ، لقد دعوا حسيناً لينصروه ويولوه عليهم ، فلما قدم عليهم ثاروا عليه وقالوا له : إما ان تضع يدك في أيدينا فنبعث بك إلى ابن زياد فيمضي فيك حكمه ،

واما أن تحارب ، فرأى والله أنه هو وأصحابه قليل في كثير ، وإن كان الله عز وجل لم يطلع على الغيب أحداً أنه مقتول ، ولكنه اختار الميتة الكريمة على الحياة الذميمة ، فرحم الله حسينا وأخزى قاتل حسين لقد قتلوه طويلاً بالليل قيامه كثيراً بالنهار صيامه ما كان يستبدل بالقرآن الغناء ولا بالصيام شرب الخمور ، يعرض في ذلك بيزيد بن معاوية لعنه الله ، إلى كثير من المواقف التي كان يتظاهر فيها بالحسرة والألم لقتل الحسين ويحرض فيها على من أمر بقتله .

ومجمل القول ان اهل المدينة بعد أن أوغر صدورهم قتل الحسين (ع) وعبأتهم مواقف الإمام السجاد وعمته العقيلة ووفد على يزيد جماعة منهم ، وبالرغم من أنه أكرمهم وأغدق في عطائهم والاحسان إليهم خلعوا بيعته بعد رجوعهم وقال عبد الله بن حنظلة : لقد جئتكم من عند رجل لو لم أجد إلا بنيّ هؤلاء لقاتلته بهم وقد اعطاني وأكرمني وما قبلت عطاءه إلا لأتقوى به .

وقال المنذر بن الزبير وكان أحد الوافدين على يزيد بن معاوية : انه قد أجازني بمائة ألف وما يمنعني ما صنع بي أن أخبركم خبره وأصدقكم عنه ، والله انه ليشرب الخمر ، والله انه ليسكر حتى يدع الصلاة ، وانه ليفعل جميع المنكرات ويستحل المحارم ، وتكلم اعضاء الوفد بكلام يشبه بعضه بعضاً .

وجاء في المجلد الثاني من تاريخ الخميس أن أكابر أهل المدينة نقضوا بيعة يزيد وأبغضوه لما جرى من قتل الحسين وسوء سيرته وولوا عليهم عبد الله بن حنظلة وعبد الله بن مطيع العدوي كما في رواية المسعودي وطردوا عامله عليها عثمان بن محمد بن أبي سفيان وحصروا بني أمية في دار مروان ، ثم أخرجوهم من المدينة وكان ذلك سنة ثلاث وستين ، وجاء في ص ١٠٣ من كتاب الفخري لمحمد بن علي بن طباطبا المعروف بابن الطقطقي ان أهل المدينة خرجوا على يزيد بعد مقتل الحسين سنة اثنتين وستين أي بعد مقتله بسنة واحدة .

وفيها كانت وقعة الحرة وهي موضع خارج المدينة ، ولما خرج مروان وبنو أمية إلى الشام تركوا عيالهم في المدينة ، فكلم مروان بن الحكم عبد الله بن عمر بأن يترك عياله وحرمه عنده فأبى عليه ، فكلم الإمام علي بن الحسين فوافق على ذلك وبقيت عائلة مروان في رعايته إلى أن انتهت المعركة ولما بلغ يزيد ما فعله أهل المدينة أرسل اليهم جيشاً بقيادة مسلم بن عقبة المري ، وحينما انتهى جيشه إلى الحرة خرج أهل المدينة لقتاله بقيادة عبد الله بن حنظلة فاقتتل الطرفان قتالا شديداً كانت الغلبة فيه لجيش الشام فقدم عبد الله اولاده الثمانية وقتل معهم .

وقال المسعودي في مروج الذهب : انه قتل في تلك المعركة خلق كثير من الناس من بني هاشم وقريش والأنصار وغيرهم من سائر الناس ، ومضى يقول : فممن قتل من آل أبي طالب اثنان عبد الله بن جعفر بن أبي طالب وجعفر بن محمد بن علي بن أبي طالب ، ومن بني هاشم من غير آل أبي طالب الفضل بن العباس بن ربيعة بن الحرث بن عبد المطلب وحمزة بن عبد الله بن نوفل بن الحرث بن عبد المطلب والعباس بن عتبة بن ابي لهب وبضع وتسعون رجلا من قريش ومثلهم من الأنصار وأربعة آلاف من سائر الناس ممن ادركهم الاحصاء دون من لم يعرف ، وبايع الناس على أنهم عبيد ليزيد ومن أبى ذلك امرهم مسلم بن عقبة على السيف غير علي بن الحسين وعلي بن عبد الله بن العباس . وأضاف إلى ذلك أن الناس نظروا إلى علي بن الحسين السجاد قد لاذ بقبر النبي (ص) وهو يدعو فأتي به إلى مسلم بن عقبة وهو مغتاظ فتبرأ منه ومن آبائه ، فلما راه وقد اشرف عليه ارتعد وقام له وأقعده الى جانبه ، ثم قال له : سلني حوائجك فلم يسأله في أحد ممن قدم الى السيف إلا شفعه فيه ، ثم انصرف عنه ، وفي رواية ثانية أنه قال له : لعل اهلك فزعوا ، فقال له الإمام علي بن الحسين : أي والله فأمر بدابته فأسرجت ثم حمله ورده عليها .

وقال المسعودي : انه لما انصرف علي بن الحسين (ع) قيل له رأيناك

تحرك شفتيك فما الذي قلت ؟ قال : كنت أقول اللهم رب السموات السبع وما اظللن والأرضين السبع وما اقللن رب العرش العظيم رب محمد وآله الطاهرين اعوذ بك من شره وادرأ بك في نحره اسألك ان تؤتيني خيره وتكفيني شره .

وقيل لمسلم بن عقبة : رأيناك تسب هذا الغلام وسلفه فلما أتي به اليك رفعت منزلته ، فقال : ما كان لرأي مني لقد ملىء قلبي منه رعبا .

وقيل كما في رواية الطبري : ان يزيد بن معاوية اوصاه بعلي بن الحسين وأنه جاءه مع مروان وابنه عبد الملك ، ولما رآه معهما قال : لقد جئتني بين هذين ، والله لو كان الأمر اليهما لقتلتك ولكن أمير المؤمنين يزيد قد أوصاني بك فذلك نافعك عندي لا مجيئك معهما .

وليس ببعيد على يزيد ان يوصي به وبالعلويين خيراً لا لأنه يفعل الخير أو يتمناه لأحد ولا لأنه يتمنى الحياة أو يريدها لأحد من آل علي ومن ذرية محمد بن عبد الله (ص) بالذات وحتى لجميع الناس ، بل لأنه أحس بوطأة جريمته التي ارتكبها في كربلاء مع الحسين وآل الحسين وأدرك أن الأخطار قد أصبحت تهدد عرشه من جميع الجهات والأصوات التي تنادي يا لثارات الحسين يدوي صداها في جميع انحاء الدولة وتجد ترحيباً وتجاوبا من الجميع ، ولم تكن ثورة أهل المدينة إلا من أجل الحسين وآله الذين سقطوا على رمال كربلاء وستليها ثورات وانتفاضات ضد الحكم الأموي الظالم تستمد شرعيتها فيما تستمده من مصرع الحسين والمبادىء التي من أجلها كان مصرع الحسين ، وأظن أن يزيد بن معاوية بعد أحداث كربلاء أصبح يدرك كل ذلك ، ولعله بعد نتائجها المريرة قد أدرك سر وصية أبيه بالحسين قبيل وفاته يوم قال له : ان اهل الكوفة لا يدعونه حتى يخرجوه إليهم ، فاذا ظفرت به فلا تمسه بسوء فإن له رحماً ماسة .

ان معاوية لم يكن اكرم نفساً من ولده يزيد ولا أطيب قلباً منه ، ولم

يكن هو وأبوه وأسرته يحسبون للرحم حساباً في يوم من أيام الإسلام منذ أن بزغ فجره خلال معاركهم مع النبي وعلي بن أبي طالب ، وما يوم هند وأبي سفيان من الحمزة بن عبد المطلب في معركة أحد ببعيد عن الأذهان ، ولكنه كان أبعد نظرا وأكثر احساساً بنتائج الأحداث ومضاعفاتها من ولده ، وكان مع ذلك حريصا على بلوغ أهدافه بأقرب الوسائل وأيسرها اذا وجد سبيلا لذلك .

فمن غير البعيد أن يوصي يزيد بن معاوية قائده مسلم بن عقبة بعلي بن الحسين (ع) بعد أن كان لمعركة كربلاء ذلك الصدى الواسع في جميع الأوساط وبعد أن ارتفعت الأصوات هنا وهناك يالثارات الحسين ، وأصبح حتى من كان الحسين (ع) اثقل عليهم من يزيد بن معاوية يتباكون عليه ويحرضون على يزيد وغيره من طغاة الأمويين . ومهما كان الحال فلقد سلم علي بن الحسين واهل بيته من شر مسلم بن عقبة وسلم كل من التجأ إلى بيته من أهل المدينة ، وقد اشتهر بين الرواة والمؤرخين أن الذين انضموا إلى علي بن الحسين (ع) يزيدون على اربعمائة عائلة .

وجاء في ربيع الأبرار للزمخشري انه لما ارسل يزيد بن معاوية مسلم بن عقبة لقتال أهل المدينة واستباحتها كفل الإمام زين العابدين اربعمائة امرأة مع اولادهن وحشمهن وضمهن إلى عياله وقام بنفقتهن واطعامهن إلى أن خرج جيش بن عقبة من المدينة ، وقد أقسمت واحدة منهن أنها ما رأت في دار أبيها وأمها من الراحة والعيش الهنيء ما رأته في دار علي بن الحسين .

ويروي ابن قتيبة ان عدد من قتل من أبناء الأنصار والمهاجرين والوجوه بلغ ألفاً وسبعمائة ومن سائر الناس عشرة آلاف سوى النساء والأطفال ، ومضى يقول : لقد دخل رجل من جند مسلم بن عقبة على امرأة نفساء من الأنصار ومعها صبي لها فقال : هل من مال ؟ فقالت : لا والله ما تركوا لنا شيئاً ، فقال : والله لتخرجنّ إلي شيئاً أو لأقتلنك وصبيك هذا ، فقالت له :

ويحك انه ولد ابن أبي كبشة الأنصاري صاحب رسول الله ، فأخذ برجل الصبي والثدي في فمه فجذبه من حجرها وضرب به الحائط فانتثر دماغه على الأرض .

ولم يسلم احد من أهل المدينة نساء ورجالا من جيش أهل الشام خلال المعركة والأيام الثلاثة التي اباحها مسلم بن عقبة سوى من خرج منها هارباً ومن التجأ إلى الإمام علي بن الحسين (ع) .

وفيما كان يزيد بن معاوية يتعقب الثائرين في المدينة كان التوابون في الكوفة منذ سنة احدى وستين يعدون العدة للثورة على يزيد وأعوانه وقد بدأوا يحسون بمرارة تلك الفاجعة منذ اللحظة الأولى التي وقف فيها الإمام زين العابدين موقفه الأليم في جموعهم التي احتشدت في شوارع الكوفة ومداخلها تستقبل الرؤوس والأسرى وكان مما خاطب به أهل الكوفة :

أيها الناس انشدكم الله هل تعلمون انكم كتبتم إلى أبي وخدعتموه وأعطيتموه من انفسكم العهد والميثاق والبيعة وقاتلتموه ، فتبا لما قدمتم لأنفسكم وسوءة لرأيكم بأية عين تنظرون إلى رسول الله (ص) إذ يقول لكم : قتلتم عترتي وانتهكتم حرمتي فلستم من أمتي .

قال الرواة : فارتفعت اصوات الناس بالبكاء من كل ناحية وقال بعضهم لبعض : هلكتم وما تعلمون .

وقد رأتهم العقيلة زينب بنت علي (ع) يبكون ويعولون فقالت : أي والله فابكوا كثيراً واضحكوا قليلاً فلقد ذهبتم بعارها وشنارها فلن ترحضوها بغسل أبدا ، وكيف ترحضون قتل سبط خاتم النبوة وسيد شباب أهل الجنة .

ويروي الرواة ان الشيعة في الكوفة بعد هذه المواقف تلاقوا بالتلاوم والندم وخلقت في نفوسهم شعوراً بالاثم وتأنيباً للنفس ورغبة عارمة في التكفير وقال قائلهم : دعونا ابن بنت نبينا وقد قتل بيننا فبخلنا عنه بأنفسنا فلا نحن

نصرناه بأيدينا ولا جادلنا عنه بألسنتنا ولا قويناه بأموالنا فما عذرنا عند ربنا وعند لقاء نبينا ؟ لا والله لا عذر دون أن تقتلوا قاتليه والمؤلبين عليه أو تقتلوا في طلب ذلك عسى أن يتوب الله علينا .

وقال سليمان بن صرد الخزاعي : كنا نمد اعناقنا الى قدوم آل نبينا ونمنيهم النصر ونحثهم على القدوم ، فلما قدموا ونينا وعجزنا وانتظرنا ما يكون حتى قتل فينا ولد نبينا وسلالته وبضعة من لحمه ودمه ، الا انهضوا فقد سخط ربكم ولا ترجعوا الى الحلائل والابناء حتى يرضى الله وما أظنه راضياً حتى تناجزوا من قتله أو تبيدوا ، ومضى يقول : ألا لا تهابوا الموت ، فوالله ما هابه امرؤ قط إلا ذل .

وكتب سليمان بن صرد الى سعد بن حذيفة بن اليمان ومن معه من الشيعة في المدائن كما كتب إلى المثنى بن محربة العبدي في البصرة يدعوه إلى الأخذ بثأر الحسين ومضى سليمان بن صرد هو ومن معه في الكوفة منذ قتل الحسين يستعدون ويجمعون الأموال والرجال حتى اجتمع لهم جيش عرف في التاريخ بجيش التوابين ولم يكتموا امرهم عن أحد ، بل خرجوا يشترون السلاح ولوازم الحرب وهم ينادون من كل جانب : اللهم انا لا نريد الدنيا ولا لها نعمل ونريد أن نخرج وانما نريد ان نطلب بدم الحسين ، وكانت دعوتهم تتسع يوما بعد يوم حتى دخلت كل بيت في الكوفة والبصرة والمدائن ووجدت تجاوبا واقبالا وبخاصة بعد ان هلك يزيد بن معاوية وبلغ عدد المبايعين لسليمان بن صرد ورفاقه اكثر من ستة عشر ألفاً .

وما أن دخلت سنة ٦٥ حتى كانت صيحتهم يا لثارات الحسين تزلزل الأرض تحت بني امية وأعوانهم وشهدتهم الكوفة بأسلحتهم وعتادهم ساعين في أحيائها وشوارعها يدعون الناس للتوبة الى الله مما صنعوه مع الحسين (ع) والخروج معهم لحرب الظالمين .

وفي ليلة الجمعة لخمس مضين من شهر ربيع الآخر ، سنة خمس وستين

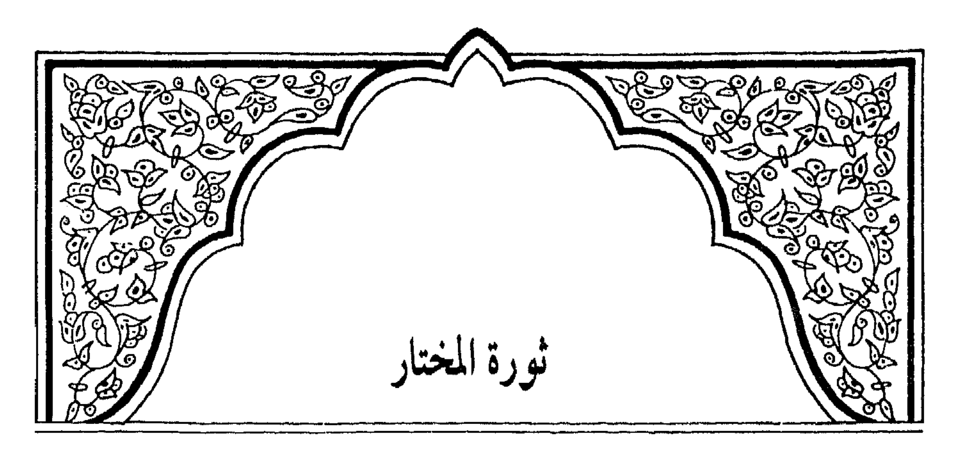
خرجوا من الكوفة الى قبر الحسين (ع) وهم يتلون الآية : ﴿ **فتوبوا الى ربكم فاقتلوا انفسكم ذلكم خير لكم عند بارئكم** ﴾ .

فلما بلغوا القبر الشريف صاحوا صيحة واحدة باكين نادبين وأقاموا عنده يوما وليلة وهم يقولون : ربنا انا خذلنا ابن بنت نبينا فاغفر لنا وتب علينا إنك أنت التواب الرحيم ، وارحم حسيناً وأصحابه الشهداء الصديقين ، وإنا نشهدك إنا على مثل ما قتلوا عليه فإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين .

وغادروا القبر متجهين إلى الشام تاركين الكثيرين ممن باشروا القتال في كربلاء وراءهم في الكوفة ، وكان مروان بن الحكم بعد أن استولى على السلطة قد أرسل جيشاً من الشام لقمع الثورة في الكوفة بقيادة عبيد الله بن زياد فالتقى الفريقان في مكان يدعى (عين الوردة) واندفع الثوار كالموج مستبسلين يقابلون تلك الألوف التي زحفت من الشام بقيادة ابن زياد ودارت بينهما معارك طاحنة كادت تقضي على ابن زياد وجيشه لولا المدد الذي كان يصلهم بين الحين والآخر ، وظلوا يقاتلون اياما حتى ابيدوا عن آخرهم وفي ذلك يقول اعشى همدان في رثائهم من قصيدة طويلة :

فجاءهم جمع من الشام بعده جموع كموج البحر من كل جانب
فما برحوا حتى ابيدت سراتهم فلم ينج منهم ثم غير عصائب
وغودر اهل الصبر صرعى فاصبحوا تعاودهم ريح الصبا والجنائب

لقد مضى التوابون شهداء الندم والتوبة ، وتركوا وراءهم الندم ميراثا للابناء من بعدهم والاحفاد يصلى بناره الجيل بعد الجيل .



ثورة المختار

ودخلت سنة ست وستين للهجرة وفيها خرج المختار بالكوفة ودعا الناس للطلب بثأر الحسين وأظهر الحزن والجزع وجعل يردد في المجتمعات والمحافل حديث كربلاء وما ارتكبه أهل الكوفة فيها من الجرائم فمال إليه الشيعة واستولى على بيت المال ففرق ما فيه من الأموال على أهلها فانحاز إلى جانبه أكثرهم واستتب له الأمر وأراد أن يدعم مكانه في الكوفة وبخاصة عند شيعتها باظهار الدعوة إلى علي بن الحسين (ع) فأرسل إليه كتاباً ومالاً كثيراً وعرض عليه ان يأخذ له البيعة في الكوفة ويدعو الناس إليه ، وهنا يدعي جماعة من المؤرخين أن الإمام (ع) قد رفض الأموال ولم يجب على كتابه وسبه على رؤوس الملأ في مسجد رسول الله (ص) ، ولما يئس منه المختار كتب الى عمه محمد بن الحنفية يعرض عليه البيعة ، فاستشار ابن الحنفية الإمام زين العابدين فأشار عليه أن يرفض بيعته ولا يجيبه الى شيء مما عرضه عليه ، وان يظهر للناس عيبه والبراءة منه ، ورجح له ابن عباس ان لا يقف منه هذا الموقف ويبقى على صلة به تحسباً مما ينتظره من ابن الزبير لأنه استقل بالحجاز واشتد امره فيها ، فأطاع ابن عباس وسكت عن عيب المختار ، كما يدعي المسعودي وغيره .

وسواء صح ذلك أم لم يصح فلقد تتبع المختار قتلة الحسين (ع)

والمشتركين في حربه ولم ينج منهم الا من فر من الكوفة والتحق بالشام أو بابن الزبير ، ونادى منادي المختار في الكوفة وأنحائها من أغلق عليه بابه فهو آمن إلا من اشترك في قتال آل محمد (ص) وكان يوعي اصحابه بأسرهم ليأتوه بهم أحياء فاذا اوقفوهم بين يديه يصنع بهم مثل ما صنعوه مع الحسين وأصحاب الحسين (ع) .

وكان عمر بن سعد خائفا يترقب دوره ساعة بعد ساعة فأرسل إليه المختار من قتله وجاءه برأسه فوضعه بين يديه فنظر إليه ولده حفص وكان في مجلس المختار ، فقال له اتعرفه ؟ قال : نعم ولا خير في العيش من بعده ، فقال له المختار : ومن أنبأك انك تعيش من بعده ؟ ثم أمر بقتله ووضع رأسه الى جانب رأس أبيه ، وقال هذا بحسين وهذا بعلي بن الحسين ولا سواء وبكى ، ومضى يقول : والله لو قتلت به ثلاثة أرباع قريش ما وفوا بانملة من انامله وأرسل برأسيهما الى علي بن الحسين (ع) وقيل ارسلهما إلى محمد بن الحنفية .

وطلب المختار فيمن طلبهم من قتلة الحسين والمشتركين في معركة كربلاء محمد بن الأشعث وكان في قرية له خارج الكوفة ، فلما احس بالطلب خرج من قصره متخفياً والتحق بمصعب بن الزبير كغيره ممن فروا من الكوفة ، فهدم المختار داره وبنى بأحجارها وطينها دار حجر بن عدي الكندي وكان قد هدمها عبيد الله بن زياد فيما هدمه من دور الشيعة في الكوفة يوم كان فيها والياً لمعاوية .

وظل المختار يتحين الفرصة التي تمكنه من عبيد الله بن زياد ، ولما بلغه أنه قد سار من الشام في جيش عظيم الى العراق وبلغ الموصل واستولى عليها ارسل ابراهيم بن الأشتر في جيش من فرسان الكوفة وأهل البصائر والتجربة لحرب ابن زياد وذلك لثمان بقين من ذي الحجة سنة ست وستين فالتقيا بمكان يقال له الخازر بالقرب من الموصل ودارت بين الطرفين معارك لم يعرف

التاريخ اشد ضراوة منها واستمرت الى ظلام الليل وثبت عبيد الله لابراهيم بن الأشتر وهو لا يعرفه فقتله ابراهيم وانهزم من بقي من أهل الشام تاركين آلاف القتلى على شواطىء نهر الخازر وكانت المعركة الحاسمة يوم العاشر من المحرم سنة سبع وستين وظن إبراهيم بن الأشتر أنه قد قتل عبيد الله بن زياد بيده ، فقال لأصحابه : التمسوا في القتلى رجلا ضربته بالسيف فنفحني منه ريح المسك شرقت يداه وغربت رجلاه على شاطىء النهر ، فالتمسوه فإذا هو عبيد الله بن زياد وقد قطعته ضربة ابن الأشتر نصفين فقطعوا رأسه وأرسلوه الى المختار فأرسله المختار إلى علي بن الحسين في المدينة فأدخل الرأس عليه وهو يتغدى ، فقال : يا سبحان الله لقد أدخل رأس ابي على صاحب هذا الرأس وهو يتغدى كما جاء في رواية ابن سعد في الطبقات ورواية ابن عبد البر في الاستيعاب .

و روى الكشي في كتابه اخبار الرجال عن عمر بن علي بن الحسين (ع) أنه لما أرسل المختار رأس عبيد الله بن زياد ورأس عمر بن سعد الى علي بن الحسين خر ساجداً وقال : الحمد لله الذي أدرك لي ثاري من اعدائي وجزى الله المختار خيراً .

وجاء عن الإمام الصادق (ع) أنه قال : ما اكتحلت هاشمية ولا اختضبت ولا رؤي في دار هاشمي دخان خمس سنين حتى قتل عبيد الله بن زياد .

وجاء عن فاطمة بنت علي أمير المؤمنين (ع) انها قالت : ما تحنأت امرأة منا ولا اجالت في عينها مروداً ولا امتشطت حتى بعث المختار برأس عبيد الله بن زياد الى المدينة .

وروى ابن الأثير ان ابن الزبير قال لابن عباس : ألم يبلغك قتل الكذاب؟قال: ومن الكذاب؟قال: ابن ابي عبيد،قال: لقد بلغني قتل المختار ، قال : كأنك انكرت تسميته كذابا ، قال : ذاك رجل قتل قتلتنا

وطلب ثأرنا وشفى غليل صدورنا وليس جزاؤه الشتم والشماتة .

وقد وردت اخبار كثيرة عن الأئمة (ع) في مدحه والترحم عليه واستقامته كما ورد في مقابلها ما يشير الى انحرافه ونسب إليه المؤرخون والباحثون في احوال الفرق الاسلامية من الأباطيل والآراء ما لا يتفق مع الإسلام وأصوله .

وزكاه جماعة من أعلام الشيعة ونزهوه مما نسب إليه كالعلامة الحلي وابن طاوس والمحقق الاردبيلي وغيرهم من اعيان العلماء كما ذكر ذلك السيد عبد الرزاق المكرم في كتابه تنزيه المختار .

لقد كان المختار خصما عنيدا للأمويين والزبيريين وكلاهما كانا يتزاحمان على العراق وقد انتزعه منهما على حساب العلويين وأظهر الولاء والتشيع لأهل البيت بلا شك في ذلك ولم يترك احدا ممن اشترك في معركة كربلاء الا ونكل به ، في حين ان عبد الله بن الزبير المفتون في الحكم والأمويين كانا على خلاف في كل شيء الا في كره العلويين والهاشميين فأولئك كانوا يلعنون علياً على منابرهم وقتلوا عترة النبي بالاضافة إلى مواقفهم من محمد ودعوته منذ بعثه الله ، وابن الزبير حينما حكم في الحجاز لولا المختار لمثل دور الأمويين معهم وزاد على ذلك ان ترك ذكر النبي (ص) في خطبة الجمعة معتذرا عن ذلك بأن له أهيل سوء اذا ذكره يرفعون رؤوسهم فخرا واعتزازاً فليس ببعيد عليهم والحال هذه أن ينسبوا الى المختار ما ليس فيه ما دام يناصر عدوهم المشترك ، ويضعوه في صفوف المشعوذين والمضللين . والذين كتبوا التاريخ كانوا مسيرين لنزعاتهم وللحكام لا للحق والواقع كما هو ثابت لكل من اخذ الظروف التي كانت تحيط بالمؤرخين القدامى بعين الاعتبار . ومهما كان حاله فلقد وقف موقفا من الطغاة والظالمين ومن قتلة الحسين وآله وأصحابه الكرام لا ينساه له التاريخ ولا الرسول الأعظم وأبناؤه أئمة الهدى (ع) وخفف عن أهل البيت (ع) من آلام تلك الفاجعة التي حلت بهم في كربلاء وبكى لها

النبي (ص) قبل وقوعها بعشرات السنين وبقيت مرارتها في قلوب الأئمة من أهل البيت وشيعتهم طيلة حياتهم وستبقى مثلا كريما يستمد من فصولها ومعانيها كل ثائر على الظلم والطغيان فرحمه الله وجزاه جزاء المحسنين والمجاهدين في سبيله بأموالهم وأنفسهم انه بعباده رؤوف رحيم .



لمحات عن أخلاق الإمام زين العابدين (ع) وصفاته

لقد كانت فاجعة مقتل أبيه واخوته وبني عمومته التي شاهدها ببصره وتجرع مرارتها وهو مريض يعاني من وطأة المرض خلال تلك الأحداث ، لقد كانت تلك الفاجعة أقسى من أن تتركه يطلب بعد ذلك شيئاً من السلطة او يثق بالناس ، أو يشارك في شيء من شؤون السياسة ، واتجه الى القيام بشؤون الإمامة الروحية كالعبادة ونشر الأحكام والأخلاق وتفقد الفقراء والمساكين وما الى ذلك من المهمات التي اتجه إليها وتفانى في سبيلها مبتعدا عن السياسة والسياسيين وأسس مدرسة الفقه والحديث التي كانت تضم الكثير من الموالي والتابعين وقد أحصى الشيخ الطوسي في رجاله وغيره من المؤلفين في الرجال أكثر من مائة وستين من التابعين والموالي كانوا ينهلون من معينه ويروون عنه في مختلف المواضيع وعدوا منهم سعيد بن المسيب وابن جبير ، وجبير بن مطعم والقاسم بن محمد بن أبي بكر وجابر بن عبد الله الأنصاري ويحيى بن ام الطويل وأمثال هذه الطبقة من أعلام التابعين .

وجاء في طبقات ابن سعد ان علي بن الحسين (ع) كان ثقة مأمونا كثير الحديث عالياً رفيعاً ورعا ، وقال المبرد في الكامل : ان رجلاً من قريش قال : كنت أجالس سعيد بن المسيب ، فقال لي يوما : من أخوالك ؟ فقلت أمي فتاة وكأني نقصت من عينه فأمهلته حتى جاء علي بن الحسين (ع) فسلم عليه

ثم نهض فقلت : يـا عم من هذا ؟ قـال : هـذا الـذي لا يسـع مسلما أن يجهله ، هـذا عـلي بن الحسـين بن عـلي بن أبي طـالب ، قلت من أمـه ؟ قـال فتاة ، قلت يا عم رأيتني نقصت من عينك لما علمت اني لأم ولد .

وفي محـاضرات الـراغب الأصفهاني ومنـاقب ابن الجـوزي ، ان عمـر بن عبـد العزيـز وقد قـام من مجلسـه عـلي بن الحسـين (ع) قـال لمن حـولـه : من أشـرف النـاس ؟ فقـال من في مجلسـه من المتـزلفـين والنفعيـين : أنتم يـا أمـير المؤمنـين ، فقال : كـلا أشرف النـاس هذا القـائم من عنـدي آنفـاً ، من أحب الناس أن يكونوا منه ، ولم يحب أن يكون من أحد .

وروى الشيـخ الصدوق في كفـاية العلل بسنـده الى سفيـان بن عيينـة أنـه قـال : قلت لمحمد بن شهـاب الزهـري : لقيت علي بن الحسـين ؟ قـال : نعم لقيته وما لقيت احدا أفضل منـه ، والله ما علمت لـه صديقـاً في السر ولا عدواً في العلانية ، فقيـل له : وكيف ذلـك ، فقال : لأني لم ار أحـدا وان كان يحبـه الا وهو لشدة معرفته بفضله يحسـده ، ولا رأيت احدا وان كـان يبغضه الا وهـو لشدة مداراته له يداريه .

وقال المفيد في ارشاده : لقد روى عنه الفقهاء من العلوم ما لا يحصى كثـرة وحفظ عنه من المواعظ والادعية وفضـائل القـرآن والحلال والحـرام ما هـو مشهور بـين العلماء ، ومضى يقـول : ان عبـد الله بن الحسن بن الحسن السبط (ع) قال : كانت امي فـاطمة بنت الحسـين (ع) فما جلست إليـه قط إلا قمت بخير قـد أفـدتـه امـا خشيـة لله تحـدث في قلبي لمـا أرى من خشيتـه لله أو علم قـد استفدته منه .

وقد أجمع المؤرخون على أنه قد انصرف الى العبادة والعلم والـدراسة لأنـه وجد في ذلك غذاء لقلبه وسلوة لنفسه ، وكان يقـدر العالم سـواء أكان رفيعـاً في أعـين الناس أم كـان غير رفيـع ما دام عنـده علم ينتفع بـه الناس ، وإذا دخـل المسجد يتخطى الناس حتى يجلس إلى جانب زيـد بن أسلم ، فقال لـه نافـع بن

جبير عاتباً : غفر الله لك أنت سيد الناس تتخطى خلق الله وأهل العلم وقريشا حتى تجلس مع هذا العبد الأسود ، فقال له الإمام (ع) : العلم يقصد حيث كان ، كما كان يقصد سعيد بن جبير حيث وجد وهو من الموالي ويقول أريد أن أسأله عن أشياء ينفعنا الله بها ولا منقصة أنه ليس عندنا ما يرمينا به هؤلاء .

وكان إلى جانب انصرافه إلى نشر العلم والفقه رحيماً بالناس جوادا سخيا حليماً لم يحدث التاريخ عن أحد بمثل ما حدث عنه ، فقد روى عنه الكليني في الكافي أنه قال : ما تجرعت جرعة أحب الي من جرعة غيظ لا أكافىء بها صاحبها ، و وقف عليه رجل من بني عمومته فأسمعه كلاما مرا وشتمه ، فلم يكلمه ، فلما انصرف قال لجلسائه : قد سمعتم ما قال هذا الرجل ، وأنا أحب أن تبلغوا معي حتى تسمعوا ردي عليه ، فمضوا معه وهو يقول : ﴿**والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس والله يحب المحسنين**﴾ . فخرج الرجل متوثباً للشر وهو لا يشك انه انما جاءه مكافيا له على بعض ما كان منه ، فقال له علي بن الحسين(ع) : يا اخي انك قد وقفت علي آنفاً وقلت ما قلت فإن كنت قد قلت ما فيّ فأنا أستغفر الله منه ،وان كنت قلت ما ليس فيّ فغفر الله لك ، فأقبل عليه الرجل معتذراً وقال : لقد قلت ما ليس فيك وأنا أحق به .

ويروي الرواة عن حلمه وسماحته أن جارية كانت تحمل ابريقا وتسكب منه الماء لوضوئه فسقط من يدها على وجهه فشجه وسال دمه فرفع رأسه إليها لائماً ، فقالت له الجارية : ان الله يقول : ﴿ **والكاظمين الغيظ** ﴾ ، فقال : قد كظمت غيظي ، فقالت : ﴿ **والعافين عن الناس** ﴾ ، فقال : عفا الله عنك ، فقالت : ﴿ **والله يحب المحسنين** ﴾ ، فقال : أنت حرة لوجه الله .

وجاء في مناقب ابن شهراشوب وكشف الغمة ان ضيوفاً طرقوا الإمام (ع) فاستعجل خادما له بشواء كان في التنور فأقبل به الخادم مسرعا فسقط

السفود منه عـلى رأس طفل لـه ، فقتله فتحير الخـادم واضطرب ، فلما نـظر إليه الإمام وهو بتلك الحالة قال له : انك لم تتعمده اذهب فأنت حر لوجه الله .

وأضـاف الرواة إلى ذلـك ، أنه كـان له مـولى يعمل في ضيعـة له فـأفسد فيها كثيرا فاغتاظ منـه الإمام وضـربه بسـوط كان في يـده ، فلما رجع إلى منـزله أرسل في طلب المولى فجاءه خائفاً ووجد الإمـام عاريـا والسوط بـين يديـه فظن أنه يريـد عقوبتـه ، فقال لـه : قد كـان مني إليك مـا لم يتقدم مني مثله وكـانت هفـوة وزلة فـدونك السـوط واقتص لنفسك مني ، فقـال : يا مـولاي والله لقـد ظننت انـك تريـد عقوبتي وأنـا مستحق للعقوبـة ، فكيف اقتص منك ، قـال : ويحـك اقتص ، فقال : معـاذ الله ، أنت في حـل وسعـة ، فلما امتنـع المـولى ، قال له الإمام (ع) : أما إذا أبيت فالضيعة صدقة عليك .

وجاء في رواية الواقدي ان هشام بن اسماعيل بن هشام بن الوليد المخزومي كان والياً على المدينة لعبد الملك بن مروان وقد أساء جوار الإمام ولحقه منـه اذى شديد على حد تعبير الراوي ، فلما تـوفي عبد الملك عـزله الـوليد بن عبـد الملك وأوقفـه للنـاس لكي يقتصـوا منـه ، فقـال والله اني لا أخـاف إلا من عـلي بن الحسـين ، فمر عليـه الإمام وسلم عليـه وأمر خـاصتـه أن لا يتعـرض لـه احـد بسـوء ، وأرسل لـه : ان كان اعجـزك مال تؤخـذ به فعنـدنا مـا يسعك ويسـد حاجتك فطب نفساً منـا ومن كل من يـطيعنا ، فقـال له هشـام بن اسماعيل : الله اعلم حيث يجعل رسالته .

وفي روايـة الطبقـات الكبرى لابن سعـد أن عبـد الله بن عـلي بن الحسـين (ع) قال : لما عزل الوليد بن عبد الملك هشـام بن اسماعيـل عن ولاية المـدينة وأوقفه الوليد إلى الناس ليقتصـوا منه ، وكـان يسيء إلى أبي ، جمعنا أبي عـلي بن الحسين وقال : ان هذا الرجل قد عزل وقد اوقفه الوليد للناس فلا يتعرض له احـد منكم بسـوء ، فقلت يـا أبت ، ولِمَ والله ان اثـره عنـدنـا لسيء ومـا كنـا نـطلب الا مثل هـذا اليوم ، قـال : يا بني نكله الى الله ، فـوالله ما تعـرض لـه

احد من آل الحسين بسوء حتى تصرم امره .

ولم يكتف السجاد بذلك بل أرسل إليه كما ذكرنا يعرض عليه من الأموال ما يسعه ويسد حاجته مع انه كما تنص المرويات كان لا يخاف إلا منه لكثرة ما كان يسيء إليه ويؤذيه ، وقد صنع قبل ذلك مع الد اعداء أهل البيت وأنكد خصومهم مروان بن الحكم الذي أشار على يزيد بقتل الحسين وظهر بمظهر الشامت يوم بلغه قتل الحسين وانضم الى الناكثين والقاسطين في البصرة وصفين وظل إلى جانب معاوية يتتبع أهل البيت بالأذى والاساءة ويحاول التنكيل بهم وبشيعتهم بكل ما لديه من الوسائل ، ومع ذلك فقد صنع معه علي بن الحسين مثلما صنعه مع هشام وبالغ بالاحسان إليه كما بالغ هو بالاساءة إليه وإلى أبيه وعمه وجده وذلك يوم ثار أهل المدينة على الأمويين وضيقوا عليهم ولم يعد لهم ملجأ بها ، فقد ضاقت الأمور بمروان بن الحكم يوم ذاك فراح يستعطف ابناء المهاجرين والأنصار فلم يجد من يحمي له عيال الأمويين ونساءهم ويمنع عنهم الثائرين غير علي بن الحسين فضمهم الى عياله وعاملهم بما كان يعامل به أسرته وعياله ونساءه وأقسمت احدى بنات مروان أو احدى نساء الأمويين أنها ما رأت في دار أبيها وأمها من الراحة والعيش الهنيء ما رأته في دار علي بن الحسين زين العابدين يوم ذاك .

واذا كان ذلك غريبا وبعيدا عن أخلاق الناس وطبائعهم ، فليس بغريب على من اجتباهم الله وخصهم بالكرامة والعصمة وجعلهم فوق مستوى الناس في مواهبهم وأخلاقهم وجميع صفاتهم ، ان اخلاق الإمام زين العابدين من أخلاق جديه محمد بن عبد الله وعلي أمير المؤمنين ومواهبه من مواهبهما ، لقد عفا رسول الله عن أبي سفيان رأس الشرك والنفاق وأحسن إليه بعد أن ظفر به ، كما عفا عن زوجته هند بنت عتبة وأحسن إليها بعد أن شقت بطن الحمزة واستخرجت كبده منها ونهشتها بأسنانها وحملتها إلى مكة تتشفى بالنظر إليها ، وعفا عن الحكم والد مروان يوم ظفر به في مكة وقد كان يؤذيه ويقصده بكل أنواع الاساءة ، وبعد أن أظهر الإسلام بعد فتح مكة كان

يستهزىء به ويفتري عليه فلم يزد النبي (ص) على أن نفاه وولده إلى الطائف كما عفا عن جميع مشركي مكة وجبابرتهم وعن كل من كان يسيء إليه وقال كلمته المشهورة : اذهبوا فأنتم الطلقاء .

وقد عفا جده أمير المؤمنين عن مروان وقد قاد الجيوش لحربه في البصرة بعد أن ظفر به ووقع أسيراً في قبضته وتركه مع علمه بأنه سينضم الى معاوية ويحاربه في صفين وغيرها . وبعد ان استتب الأمر لمعاوية واختاره والياً على المدينة كان يؤذي الإمام الحسن ويجرعه الغيظ وكانت مجزرة كربلاء من أعز أمانيه وأحبها إليه ، وكان أمير المؤمنين (ع) يقول : إذا ظفرت بعدوك فليكن العفو أحلى الظفرين ، فلا غرابة إذا أحسن الإمام زين العابدين لمن أساء اليه .

وقد روى الرواة عشرات الحوادث عن عفوه وسماحته ، كما رووا عن كرمه ومعروفه ، فما علم أن على أحد دينا وقصده مستعينا به إلا أداه عنه ، وما قصده معسر إلا ووسع عليه ، ولا سائل إلا وأعطاه ما يغنيه عن سؤال غيره ، ودخل يوما على محمد بن أسامة بن زيد يعوده فوجده يبكي ، فقال : ما يبكيك ؟ قال : دين علي خمسة عشر ألف دينار ، فقال الإمام : هي علي بكاملها ووفاها عنه من ساعته .

وكان اذا جاءه سائل يقول : مرحبا بمن يحمل زادي ليوم القيامة ، ولا يأكل طعاما حتى يتصدق بمثله ، ويعول مع ذلك بمائة بيت في المدينة كما في رواية أحمد بن حنبل والصدوق عن الإمام الباقر (ع) .

وقال أبو نعيم في حلية الأولياء : كانت بيوت في المدينة تعيش من صدقات علي بن الحسين (ع) ولا تدري من أين تعيش فلما مات علي بن الحسين فقدوا ما كان يأتيهم فعلموا بأنه هو الذي كان يعيلهم ، وقالوا ما فقدنا صدقة السر حتى فقدنا علي بن الحسين زين العابدين .

وجاء في رواية الصدوق عن سفيان بن عيينة أن محمد بن شهاب

الزهري رأى علي بن الحسين (ع) في ليلة باردة وعلى ظهره دقيق وهو يمشي فقال : يا ابن رسول الله ما هذا ؟ قال : أريد سفرا اعددت له زادا احمله الى موضع حريز ، قال : فهذا غلامي يحمله عنك ، فأبى عليه الإمام (ع) ، فقال : دعني أحمله عنك فاني أرفعك عن حمله ، فقال : لكني لا ارفع نفسي عما ينجيني من سفري ويحسن ورودي على ما أرد عليه أسألك بحق الله لما مضيت لحاجتك وتركتني ، فلما كان بعد أيام لقيه ابن شهاب وقال : يا ابن رسول الله لست أرى لذلك السفر الذي ذكرته أثراً ، قال : بلى يا زهري ، ليس هو كما ظننت ولكنه الموت وله استعد ، إنما الاستعداد للموت تجنب الحرام وبذل الندى في الخير .

وكان يطرق بيوت الفقراء وهو متلثم وأكثرهم كانوا يقفون على أبواب بيوتهم ينتظرونه فإذا رأوه تباشروا به وقالوا : جاءنا صاحب الجراب .

وروى ابن طاوس في الاقبال بسند ينتهي إلى الإمام الصادق (ع) ان علي بن الحسين اذا دخل شهر رمضان لا يضرب عبداً له ولا امة واذا اذنب عبد له أو أمة يسجل ذلك عليهم ، فإذا كان آخر ليلة من شهر رمضان دعاهم وجمعهم حوله ، ثم يعرض عليهم سيئاتهم فيعترفون بها ، فيقول لهم : قولوا يا علي بن الحسين ان ربك قد احصى عليك كل ما عملت كما احصيت علينا كل ما عملنا ، ولديه كتاب ينطق عليك بالحق لا يغادر صغيرة ولا كبيرة الا احصاها ، وتجد كل ما عملت لديه حاضراً كما وجدنا كل ما عملنا لديك حاضرا فاعف واصفح يعف عنك المليك ويصفح وهو واقف بينهم يبكي ويقول : ربنا انك امرتنا ان نعفو عمن ظلمنا وقد عفونا كما أمرت فاعف عنا فانك أولى بذلك منا ومن المأمورين ، ثم يقبل عليهم ويقول : لقد عفوت عنكم فهل عفوتم ما كان مني إليكم اذهبوا فقد اعتقت رقابكم طمعا في عفو الله وعتق رقبتي من النار ، فإذا كان يوم العيد اجازهم بجوائز تصونهم وتغنيهم عما في أيدي الناس .

وكان يقول : ان لله تعالى في كل ليلة من شهر رمضان سبعين ألف

عتيق من النار ،فإذا كان آخر ليلة منه اعتق الله فيها مثلما اعتق في جميعه ، وإني لأحب أن يراني الله وقد اعتقت رقابا في ملكي في دار الدنيا رجاء ان يعتق رقبتي من النار .

وروى الرواة انه كان اذا توضأ للصلاة اصفر لونه فيقال له : ما هذا الذي يعتادك عند الوضوء فيقول : أتدرون بين يدي من أريد أن أقف ، واذا قام الى الصلاة اخذته رعدة فيقال له : مالك يا ابن رسول الله ؟ فيقول : ما تدرون لمن اريد ان اناجي . ووقع حريق في داره وهو ساجد ، فاجتمع الناس وقالوا : النار النار يا ابن رسول الله ، فلم يكترث ولم يرفع رأسه حتى اطفئت فقيل له : ما الذي الهاك عنها ؟ فقال : الهتني النار الكبرى .

الى غير ذلك من المرويات الكثيرة التي تحدثت عن بره ومعروفه وسماحته وعبادته وسخائه . ومما يؤكد مضمون تلك الروايات ما شاع بين القريب والبعيد والعدو والصديق من المؤرخين والمحدثين من أنه كان أفضل الناس وأورع الناس وأكرم أهل زمانه .

وكان مع كل ذلك مهابا معظما فقد دخل على عبد الملك بن مروان وكان حاقدا عليه فلما نظر إليه مقبلا عليه قام اليه وأجلسه إلى جنبه وأكرمه ، فقيل له في ذلك فقال: لما رأيته امتلأ قلبي رعبا . ولما دخل على مسلم بن عقبة في المدينة قال: لقد ملىء قلبي منه خيفة .

وجاء في رواية السبكي في طبقات الشافعية ان هشام بن عبد الملك حج في بعض السنين فطاف حول البيت وحاول ان يلمس الحجر الأسود فلم يجد لذلك سبيلا من كثرة الزحام فوضع له من كان معه كرسياً في ناحية من نواحي الحرم وجلس عليه ينتظر أن يخف الزحام عن الحجر ليلمسه ووقف حوله أهل الشام ، وفيما هو ينظر إلى الناس إذ أقبل الإمام زين العابدين وكان من أحسن الناس وجهاً وأطيبهم أرجاً على حد تعبير الراوي فطاف بالبيت فلما بلغ الحجر انفرج له الناس عنه ووقفوا له اجلالاً وتعظيماً حتى اذا استلم

الحجر وقبله والناس وقوف ينظرون إليه وكأنما على رؤوسهم الطير فلما مضى عنه عادوا الى طوافهم ، هذا وهشام بن عبد الملك ومن معه من أهل الشام يرون كل ذلك ونفس هشام يعبث فيها الحقد والحسد ، اما من كان معه من وجوه الشام فكانوا لا يعرفون الرجل الذي هابه الناس وأفرجوا له عن الحجر ، والخليفة حاول هو وجنده أن يجدوا ممرا الى الحجر فلم تجدهم المحاولة ، فالتفت أحدهم الى هشام بن عبد الملك وسأله : من هذا الذي هابه الناس هذه المهابة فقال لا اعرفه مخافة ان يرغب فيه أهل الشام وكان الفرزدق الشاعر حاضرا فقال انا اعرفه فقال الشامي : ومن هو يا ابا فراس ؟ فقال الفرزدق : هذا علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب وابن فاطمة بنت رسول الله (ص) ، ومضى على البديهة في وسط تلك الجموع المحتشدة يقول :

هذا الذي تعرف البطحاء وطأته ... والبيت يعرفه والحل والحرم
هذا ابن خير عباد الله كلهم ... هذا التقي النقي الطاهر العلم
يكاد يمسكه عرفان راحته ... ركن الحطيم اذا ما جاء يستلم
اذا رأته قريش قال قائلها ... الى مكارم هذا ينتهي الكرم
هذا ابن فاطمة ان كنت جاهله ... بجده أنبياء الله قد ختموا
وليس قولك من هذا بضائره ... العرب تعرف من انكرت والعجم
يغضي حياء ويغضى من مهابته ... فما يكلم الا حين يبتسم
ينمى الى ذروة العز التي قصرت ... عنها الأكف وعن ادراكها القدم
من جده دان فضل الأنبياء له ... وفضل امته دانت له الامم
ينشق نور الهدى عن صبح غرته ... كالشمس تنجاب عن اشراقها الظلم
الله شرفه قدما وفضله ... جرى بذاك له في لوحه القلم
كلتا يديه غياث عم نفعهما ... يستوكفان ولا يعروهما العدم

إلى آخر القصيدة التي تبلغ نحواً من ثلاثين بيتاً تقريباً كما في رواية ابن الجوزي والسبكي في طبقات الشافعية .

وقد روى هذا الموقف للفرزدق مع هشام بن عبد الملك أكثر المؤرخين والمحدثين بتفاوت يسير في الشكل الذي وقع عليه الحادث وفي عدد الأبيات التي أنشدها أبو فراس في ذلك الموقف متحديا بها سلطان اولئك الحكام الجبابرة المعتزين بملكهم وجندهم فلم يغن عنهم الجند والملك شيئاً في ذلك الموقف الذي تتدافع فيه الجماهير وتتسابق لاستلام الحجر ، حتى اذا اقبل الإمام (ع) المعتز بالله وحده انفرجت له الحشود المتدفقة كالسيل وانكشفت له عن ركن البيت ووقف الناس كلهم وكأن الأرض تشدهم الى اعماقها حتى اذا قضى الامام حاجته وترك المكان عاد الناس يتسابقون ويتدافعون كحالتهم الأولى ، هذا وأهل الشام ينظرون إلى هذا المشهد الغريب وينتظرون من يعرفهم بالشاب الذي هابه الناس وعظموه بعد أن تجاهله خليفتهم وقال لا أعرفه . لقد كان يتمنى ان لا يعرفه أهل الشام لأنه كان هو وأسلافه من بني أمية يزعمون لأهل الشام بأنهم آل الرسول الذي أمر الله بمودتهم ، ولم يكن يحسب ان ابا فراس سيصفعه بتلك الصفعة التي كانت عليه اشد من الصاعقة وهو يقول :

وليس قولك من هذا بضائره	العرب تعرف من انكرت والعجم
هذا علي رسول الله والده	امست بنور هداه تهتدي الامم
هذا ابن فاطمة ان كنت تجهله	بجده انبياء الله قد ختموا

ويدعي الرواة ان هشام بن عبد الملك قد غضب على الفرزدق ، وأمر بحبسه بعسفان وهو مكان بين مكة والمدينة وأوصى بالتضييق عليه وأضاف الرواة إلى ذلك أن الإمام علي بن الحسين (ع) أرسل له ألف دينار فردها الفرزدق وقال للرسول : إني لم أقل ما قلت إلا غضبا لله ولرسوله ولا آخذ على طاعة الله اجراً ، فأعادها الإمام (ع) وأرسل إليه : نحن أهل بيت لا يعود إلينا ما أعطينا فقبلها الفرزدق وبقي في حبس هشام مدة من الزمن

وأخيراً هجاه بقوله :

أيحبسني بين المدينة والتي إليها قلوب الناس يهوي منيبها
يقلب رأساً لم يكن رأس سيد وعيناً له حولاء باد عيوبها

ويدعي الرواة أنه لما بلغه هجاؤه أمر بإخراجه من السجن فرحم الله الفرزدق وأجزل ثوابه ، فلقد كان في موقفه الذي وقفه مع هشام بن عبد الملك من أفضل المجاهدين في سبيل الله بمقتضى ما جاء عن النبي (ص) أنه قال :

أفضل المجاهدين في سبيل الله الحمزة بن عبد المطلب ورجل قال كلمة حق في وجه سلطان جائر .

ويروي بعض الرواة أنه بلغ عبد الملك بن مروان ان سيف رسول الله (ص) موجود عند الإمام علي بن الحسين (ع) فبعث إليه يستوهبه إياه وألح عليه في الطلب فأبى عليه فكتب إليه عبد الملك يهدده ويتوعده بقطع رزقه من بيت المال ، وفي رواية ثانية أنه أرسل إلى الحجاز من يأتيه به مقيدا إلى الشام ، فأجابه الإمام (ع) بكتاب جاء فيه : أما بعد فإن الله ضمن للمتقين المخرج من حيث يكرهون والرزق من حيث لا يحتسبون ، وقال تعالى في كتابه :

﴿ **ان الله لا يحب كل خوان كفور** ﴾ فانظر اينا أولى بهذه الآية .

والرواية التي تنص على أنه أرسل من يحمله إليه مقيدا ذكرها ابن الجوزي في تذكرته عن ابن حمدون في كتابه التذكرة عن الزهري .

وجاء فيها ان عبد الملك حمل علي بن الحسين مقيدا من المدينة ووكل به حفظة قال الزهري : فاستأذنتهم في وداعه فأذنوا لي فدخلت عليه والقيد في رجليه والغل في يديه فبكيت وقلت وددت أني مكانك وأنت سالم ، فقال : يا زهري أتظن أن ما ترى علي وفي عنقي يكرثني ، أما لو شئت لما كان ، وإنه

ليذكرني عذاب الله ، ومضى محمد بن شهاب يقول : ثم انه أخرج يديه ورجليه من القيد وما مضت إلا أربع ليال واذا بالموكلين به قد رجعوا الى المدينة يطلبونه فلم يجدوه فسألت بعضهم فقال لقد فقدناه فلم نجده ووجدنا الحديد الذي كان في يديه ورجليه ، وأضاف إلى ذلك الزهري : اني قدمت بعد ذلك على عبد الملك بن مروان فسألني عنه فأخبرته بخبره ، فقال : لقد جاءني يوم فقده الاعوان فدخل علي وقال : ما أنا وأنت ، فقلت له : اقم عندي ، قال : لا أحب ، ثم خرج فوالله لقد امتلأ قلبي منه خيفة .

وروى له بعض الرواة غير هذه من الكرامات بأسانيد لا تثبت في مقام النقد والتمحيص ، وحسبها أظن أن بعض الكرامات المنسوبة إليه وإلى غيره من صنع القصاصين الذين اتخذوا القصص مهنة يستدرون بها عطف عوام الناس وضعفائهم ، والتاريخ مليء بالشواهد على ذلك ، في حين أني اعتقد بأنهم لو سألوا الله سبحانه لأعطاهم ما يريدون ولكنهم كانوا يصبرون على الشدائد والنكبات رغبة بما اعده الله سبحانه للصابرين الراضين بقضائه . كما يؤكد ذلك تاريخهم المجيد الناصع الغني بالفضائل والبر والاحسان والتضحيات في سبيله .

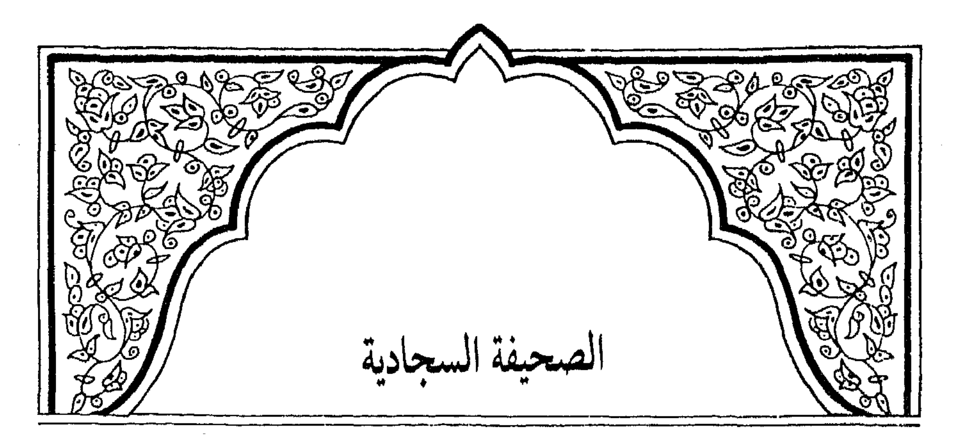
وجاء عن الإمام محمد الباقر ان علي بن الحسين (ع) قال : مرضت يوما ، فقال لي ابي ما تشتهي يا بني ؟ فقلت له اشتهي ان اكون ممن لا اقترح على الله ربي ما يدبر لي ، فقال لي : احسنت يا بني : لقد ضاهيت إبراهيم الخليل حيث قال له جبرائيل : هل من حاجة ؟ فقال : لا اقترح على ربي حسبي الله ونعم الوكيل .

وكان يتمنى على محبيه وشيعته أن لا يبالغوا في الحديث عنهم وأن يكونوا معتدلين في تعظيمهم ، فقد روى ابن سعد في طبقاته أن الإمام زين العابدين كان يقول : ايها الناس احبونا حب الإسلام ، فوالله ما برح حبكم لنا حتى اصبح علينا عارا وبغضتمونا إلى الناس .

وفي رواية ثانية أنه كان يقول لشيعته : لنا ذكر في كتاب الله ونسب من رسول الله وولادة طيبة ، وكأنه يتمنى أن يقفوا عند هذه المزايا وكفى بها شرفاً وفخرا ولا يحدثوا الناس بما لا تتحمله عقول العامة .

وجاء في مناقب ابن شهراشوب أنه قيل له : مالك يا بن رسول الله إذا سافرت كتمت نفسك أهل الرفقة ، فقال : اني اكره ان آخذ برسول الله (ص) ما لا اعطي مثله .

وفي رواية ثانية انه قال : سافرت مرة مع قوم يعرفوني فأعطوني برسول الله (ص) ما لا استحق فصار كتمان امري احب الي .



الصحيفة السجادية

لقد وجد الإمام علي بن الحسين في عصر قد استسلم الناس فيه لشهواتهم وطغت عليهم سيرة حكامهم فابتعدوا عن مفاهيم الرسالة وأخلاق الإسلام وآدابه ، ولم يتسن له ان يرتقي المنابر ويقف في المجتمعات لإرشاد الناس إلى ما يصلحهم من أخلاق الإسلام وآدابه وأحكامه وانقاذهم من أئمة الجور الذين شوهوا وجه الاسلام بسلوكهم وطغيانهم وتمادوا في استهتارهم بالقيم وانتهاك الحريات والحرمات، فجعل ينشر رسالة الإسلام ويدعو الناس إلى الرجوع الى دينهم وكتابهم وأخلاقهم وسيرة نبيهم ويدعو الحكام الى احقاق الحق واقامة العدل وانصاف المحرومين والمعذبين ويلفت الأنظار إلى ما يجب أن يتوفر في الحكام وما لهم على الرعية من حقوق وواجبات في مقابل قيامهم بحفظ الأمن ونشر العدل وحفظ الثغور وما إلى ذلك مما يضمن للدولة حقها ولكل انسان كرامته وحقه في الحياة .

لقد كان الإمام علي بن الحسين (ع) يحرص على أن يضع الناس على اختلاف طبقاتهم ومنازلهم تجاه مسؤولياتهم وما يجب عليهم لله وللناس ولكن بأسلوب يختلف عن أساليب الوعاظ والمرشدين والقصاصين ، لقد استعمل اسلوب الحوار مع الله ومناجاته واستعطافه وتمجيده في ستين دعاء عرفت بالصحيفة السجادية رواها عنه الإمام الباقر (ع) وولده زيد بن علي وثقات

اصحـاب الأئمة وتـداولها الشيعـة من بعده ولا تـزال من المقدسـات عنـد خيـار الشيعـة يـواظبـون عـلى ادعيتهـا في الليـل والنهـار والغـدوات والاسمـار وطلب الحوائج وغير ذلك .

ومـا جـاء في بعض ادعيتهـا في ليـالي رمضـان : إلهي مـا اردت بمعصيتي مخالفتك ، ومـا عصيتك إذ عصيتـك وأنا بـك شاك ولا بنكـالك مستخف ، ولا لعقوبتك معترض ولكن سولت لي نفسي ، وأعانني على ذلك سترك عـلي ، فأنـا الآن من عـذابـك من ينقـذني ، وبحبـل من أعتصم ان انت قـطعت حبلك عني ، فواسوأتاه غدا إذا قيـل للمخفين جـوزوا وللمثقلين حطوا ، أمـع المخفين أجوز ، أم مع المثقلين أحط ، وفي هذا الدعاء يقول :

اللهم ارحمني اذا انقطعت حجتي وكل عن جـوابك لسـاني ، وطاش عنـد سؤالـك اياي لبي ، الهي ان عفـوت فمن أولى منك بـالعفو وإن عذبت فمن أعدل منك في الحكم ارحم في هـذه الدنيـا غربتي وعنـد الموت كـربتي وفي القبر وحـدتي وفي اللحد وحشتي وارحمني صـريعـا عـلى فـراشي تقلبني أيـدي احبتي ، وتفضل علي ممدودا على المغتسل يغسلني صالـح جيرتي ، وتحنن عـلي محمولا قـد تنـاول الاقربـاء اطـراف جنـازتي ، وارحم في ذلـك البيت الجـديـد وفي اللحـد غربتي ووحشتي .

ويمضي الإمـام (ع) في الدعـاء لنفسـه وأهله واخـوانـه وجيـرانـه وجميـع المسلمين ثم يقول :

إلهي وسيدي وعزتك وجلالك لئن طالبتني بذنوبي لأطـالبنك بعفـوك ولئن طالبتني بجرمي لأطـالبنك بكـرمك ولئن ادخلتني النـار لأخبرن أهـل النار بحبي لـك ، الهي ان كنت لا تغفـر الا لأوليـائـك وأهـل طـاعتـك فـإلى من يفـزع المـذنبون ، وإن كنت لا تكـرم الا أهل الـوفـاء بـك فبمن يستغيث المسيئـون ؟ إلهي إن أدخلتني النـار ففي ذلـك سـرور عـدوك وان ادخلتني الجنـة ففي ذلـك سـرور نبيك ، وأنـا والله اعلم ان سـرور نبيـك أحب اليـك من سـرور عـدوك

اللهم اعطني بصيرة في دينك وفهما في حكمك وفقها في علمك وورعا يحجزني عن معصيتك ، اللهم إني أعوذ بك من الكسل والجبن والبخل والغفلة والقسوة والذلة والمسكنة والفقر والفاقة وأعوذ بك من نفس لا تقنع وبطن لا يشبع وقلب لا يخشع ودعاء لا يسمع وعمل لا ينفع ، اللهم انك انزلت في كتابك العفو وأمرتنا أن نعفو عمن ظلمنا وقد ظلمنا أنفسنا فاعف عنا فإنك أولى بذلك منا .

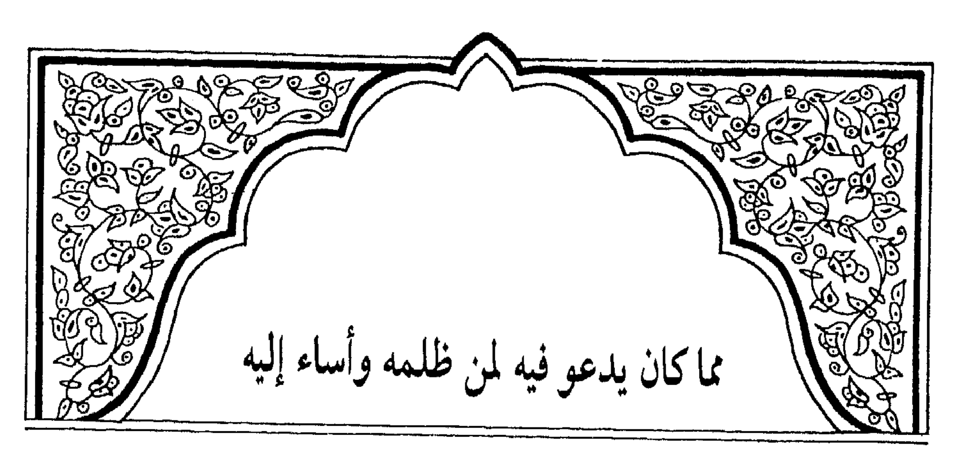


من دعائه في الآداب والأخلاق

اللهم أوسع علي من رزقك ولا تفتني بالبطر وأعزني ولا تبتلني بالكبر ، وعبدني لك ولا تفسد عبادتي بالعجب ، وأجر للناس على يدي الخير ولا تمحقه بالمن ، اللهم لا ترفعني عند الناس درجة إلا حطمتني عند نفسي مثلها ، ولا تحدث لي عزا ظاهرا الا احدثت لي ذلة باطنة عند نفسي بقدرها ، اللهم لا تدع خصلة تعاب مني الا اصلحتها ،ولا عائبة أؤنب بها الا احسنتها ، ولا اكرومة في ناقصة الا اتممتها ، ووفقني لطاعة من سددني ومتابعة من أرشدني ، وسددني لأن اعارض من غشني بالنصح وأجزي من هجرني بالبر وأثيب من حرمني بالبذل وأكافىء من قطعني بالصلة وأخالف من اغتابني الى حسن الذكر ، وأن أشكر الحسنة وأغضي عن السيئه .

وفي هذه المناجاة يقول :

اللهم اجعلني احول بك عند الضرورة وأسألك عند الحاجة وأتضرع إليك عند المسكنة ولا تفتني بالاستعانة بغيرك اذا اضطررت ولا بالخضوع لسؤال غيرك اذا افتقرت فأستحق بذلك خذلانك ومنعك واعراضك يا أرحم الراحمين .



مما كان يدعو فيه لمن ظلمه وأساء إليه

ولم يكتف هو بالاحسان إلى من كان يسيء إليه ، بل كان يطلب لهم العفو والمغفرة من الله سبحانه ويقول :

اللهم وأيما عبد نال مني ما حظرت عليه فاغفر له ما ألم به مني واجعل ما سمحت به من العفو عنهم وتبرعت به من الصدقة عليهم في أزكى صدقات المتصدقين وأعلى صلات المتقربين ، وعوضني من عفوي عنهم عفوك حتى يسعد كل واحد منا بفضلك وينجو كل منا بمنك .

وكان مع كل ذلك يرى نفسه مقصرا في حقوق الناس ويعتذر إلى الله من ذلك ويقول في بعض ادعيته :

اللهم إني أعتذر إليك من مظلوم ظلم بحضرتي فلم أنصره ومن معروف أسدي إلي فلم أشكره ومن مسيء اعتذر إلي فلم أعذره ومن ذي فاقة سألني فلم أوفره ومن عيب مسلم ظهر لي فلم استره ومن كل اثم عرض لي فلم اهجره ، واجعل ندامتي على ما وقعت فيه من الزلات وعزمي على ترك ما يعرض لي من السيئات توبة توجب لي محبتك يا محب التوابين .

وكان يدعو في خلواته مع الله سبحانه للمحاربين والمرابطين على حدود البلاد التي تفصل بين بلاد المسلمين وبلاد المشركين والكفار ويسأله سبحانه لهم الصبر والتأييد والنصر على أعداء الإسلام .



من دعائه للمرابطين والمحاربين في الثغور

اللهم صل على محمد وآل محمد وحصن ثغور المسلمين بعزتك وأيد حماتها بقوتك واسبغ عطاياهم من جدتك وكثر عدتهم واشحذ أسلحتهم واحرس حوزتهم وامنع حومتهم وألف جمعهم ودبر أمرهم واعضدهم بالصبر وأعنهم بالنصر وأنسهم عند لقاء العدو ذكر دنياهم الخداعة الغرور وامح عن قلوبهم خطرات المال الفتون واجعل الجنة نصب أعينهم حتى لا يهم أحد منهم بالادبار ولا يحدث نفسه عن قرنه بفرار ، اللهم وأيما غاز غزاهم من أهل ملتك أو مجاهد جاهدهم من أتباع سنتك ليكون دينك الأعلى وحزبك الأقوى وحظك الأوفى فلقه اليسر وهيء له الأمر وتوله بالنجح وافرغ عليه الصبر وسهل له النصر وتخير له الأصحاب واسبغ عليه في النفقة ومتعه بالنشاط وأنسه ذكر الأهل والولد وتوله بالعافية واصحبه السلامة واعفه عن الجبن وألهمه الجرأة وارزقه الشدة وأيده بالنصرة واجعل فكره وذكره وظعنه واقامته فيك ومنك يا أرحم الراحمين .

ومضى في دعائه للمرابطين والمجاهدين فقال :

اللهم اشغل المشركين بالمشركين عن تناول أطراف المسلمين وخذهم بالنقص عن تنقصهم وثبطهم بالفرقة عن الاحتشاد عليهم ، اللهم أخل قلوبهم من الامنة وأبدانهم من القوة ، وأذهل قلوبهم عن الاحتيال وأوهن

أركانهم عن منازلة الرجال وجبنهم عن مقارعة الأبطال واقطع عنهم المدد واملأ افئدتهم بالرعب واقبض أيديهم عن البسط. اللهم وأيما مسلم خلف غازيا او مرابطا في داره ، أو تعهد خالفيه في غيبته ، أو أعانه بطائفة من ماله أو أمده بعتاد أو شحذه على جهاد ، أو أتبعه في وجهه دعوة أو رعى له من ورائه حرمة فأجز له مثل أجره وزنا بوزن ومثلاً بمثل وعوضه من فعله عوضا حاضرا يتعجل به نفع ما قدم وسرور ما أتى به إلى أن ينتهي به الوقت إلى ما اجريت له من فضلك وأعددت له من كرامتك .

اللهم وأيما مسلم أهمه أمر الإسلام واحزنه تحزب أهل الشرك عليهم فنوى غزوا بجهاد فقعد به ضعف أو أبطأت به فاقة أو أخره عنه حادث أو عرض له دون ارادته مانع فاكتب اسمه في العابدين وأوجب له ثواب المجاهدين واجعله في نظام الشهداء والصالحين .

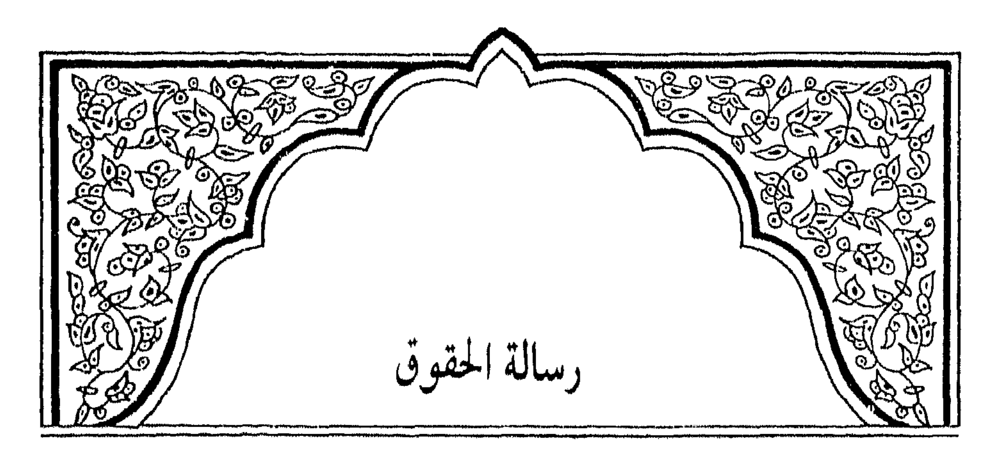
ومما كان يدعو به لوالديه :

اللهم اجعلني أهابهما هيبة السلطان العسوف وأبرهما بر الأم الرؤوف واجعل طاعتي لوالدي وبري بهما أقر لعيني من رقدة الوسنان وأثلج لصدري من شربة الظمآن حتى أؤثر على هواي هواهما وأقدم على رضاي رضاهما واستكثر برهما بي وان قل واستقل بري بهما وان كثر .

اللهم اشكر لهما تربيتي وأثبهما على تكرمتي واخفض لهما ما حفظاه مني في صغري ، اللهم وما مسهما مني من اذى أو خلص اليهما عني من مكروه او ضاع قبلي لهما من حق فاجعله حطة لذنوبهما وعلوا في درجاتهما وزيادة في حسناتهما يا أرحم الراحمين .

وتشتمل الصحيفة السجادية بالاضافة إلى هذه المقتطفات من بعض الادعية على عشرات الأدعية في طلب الرزق وقضاء الدين وطلب الحوائج والعفو والمغفرة ودفع كيد الاعداء ولصحابة النبي والتابعين ينبغي للإنسان ان يدعو به لوالديه ولاولاده وجيرانه وعند الصباح والمساء من كل يوم وعند ذكر

الموت وأيام شهر رمضان ولياليه وغير ذلك من محتويات تلك الصحيفة التي جمعت الكثير من الأحكام والآداب والأخلاق وكل ما يرفع من مستوى الانسان ويقربه من الله سبحانه .



رسالة الحقوق

لقد روى المحدثون في مجاميعهم ان الإمـام زين العابـدين بعد أن عـاصر الأحداث التي مرت عـلى آبائـه ورأى ما تعـانيه الأمـة في ظل العهـد الأموي من جور واضطهـاد وما يحـاوله اولئـك الحكام من تحـوير وتحـريف لمفاهيم الـرسالـة وضع رسالة لأصحابه وشيعة آبائه تتضمن مـا يجب عليهم وما يجب لهم تشتمـل عـلى خمسين مـادة وقد عـرفت برسـالة الحقـوق على لسـان المحدثـين رواهـا عنه الإمام (ع) الصدوق في الخصال بسند معتبـر كما يصفـه اكثر المؤلفـين في أحوال الإمـام زين العابـدين كما رواهـا عـلي بن شعبـة الحلبي في كتـابـه تحف العقـول بسند ينتهي إلى أبي حمزة الثمالي وقد افتتحهـا الإمام (ع) بقـوله : اعلـم رحمـك الله ان لله عليـك حقوقـاً محيطة بـك في كل حـركة تحـركتها أو سكنـة سكنتها أو منـزلة نـزلتها أو جـارحة قلبتهـا أو آلة تصـرفت بها وأكبـر حقوق الله عليـك مـا أوجبـه عليك لنفسـك من قرنـك الى قدمـك عـلى اختـلاف جـوارحـك فجعـل لبصـرك عليك حقـا ولسمعك عليـك حقا وللسـانك عليـك حقاً وليـدك عليك حقـا ولرجلك عليـك حقا ولفـرجك عليـك حقا ، ثم ينتقـل الإمام من حقـوق الجـوارح الى حقـوق الافعـال ، ومنهـا ينتقـل إلى مـا عـلى الإنسـان من حقـوق لمجتمعه واخوانه وجيرانه وسلطانه وأعوانه وجلسائه وأصحابه وشـركائـه وخدمـه وزوجاته وغير ذلك ، ومما جاء فيها عن حقوق السلطان .

وتلطف لأعطائه من الرضا ما يكفه عنك ولا يضر بدينك وتستعين عليه في ذلك بالله ، ولا تعانده فإنك ان فعلت ذلك عققته وعققت نفسك فعرضتها لمكروهه وعرضته للهلكة فيك ، وكنت خليقا ان تكون معينا له على نفسك وشريكا له فيما اتى إليك ولا قوة إلا بالله .

وقال وهو يتحدث عن حق المعلم : ومن حقه عليك التعظيم له والتوقير لمجلسه وحسن الاستماع إليه والإقبال عليه والمعونة له على نفسك فيما لا غنى بك عنه من العلم ، بأن تفرغ له عقلك وتحضره فهمك وتذكي له قلبك وتجلي له بصرك بترك الملذات ونقص الشهوات ، ولا ترفع في وجهه صوتك ، ولا تجيب أحدا حتى يكون هو الذي يجيب ولا تحدث في مجلسه احداً وان تدافع عنه اذا ذكر عندك بسوء وتستر عيوبه وتظهر مناقبه ولا تجالس له عدوا وتعادي له وليا .

وقال (ع) فيما يجب للأمهات على الأولاد : فحق امك ان تعلم انها حملتك حيث لا يحمل أحد احدا وأطعمتك من ثمرة قلبها ما لا يطعم أحد احدا ووقتك بسمعها وبصرها ويدها ورجلها وشعرها وبشرها وجميع جوارحها مستبشرة فرحة محتملة لما فيه مكروهها وألمها وثقلها وغمها حتى دفعتها عنك يد القدرة واخرجتك إلى الأرض ، فرضيت أن تشبعك وتجوع وتكسوك وتعرى وترويك وتظمى وتظللك وتضحى وتنعمك ببؤسها وتلذذك بالنوم بأرقها فإنك لا تطيق شكرها ولا تقدر عليه إلا بعون الله وتوفيقه .

وقال فيما يجب للأخ على أخيه : انه يدك التي تبسطها وظهرك الذي تلتجي إليه وعزك الذي تعتمد عليه وقوتك التي تصول بها فلا تتخذه سلاحا على معصية الله ولا عدة لظلم خلق الله ولا تدع نصرته على نفسه ومعونته على عدوه والحؤول بينه وبين شياطينه وتأدية النصيحة له والاقبال عليه في الله فان انقاد لربه وأحسن الاجابة له والا فليكن الله آثر عندك وألزم عليه منه .

وقال (ع) في حقوق الجيران : ومن حق الجار عليك حفظه غائباً

وكـرامته شـاهدا ونصـرته ومعـونته في الحـالين ، لا تتبـع له عـورة ولا تبحث له عن سـوءة لتعـرفهـا فـإن عـرفتهـا منـه عن غـير ارادة منـك ولا تكلف كنت لمـا علمت حصنـا حصينا وستـرا ستيرا لـو بحثت الأسنة عنـه ضميرا لم تتصـل إليه لانطوائه عليه ، ولا تستمع عليه من حيث لا يعلم، ولا تسلمه عنـد الشدائـد ، ولا تحسده عند نعمة ، وان تقيل عثرته وتغفر زلته ، ولا تـدخر حلمـك عنه اذا جهل عليك .

وقـال (ع) فيما يجب للصـاحب : ان له عليـك ان تصحبه بـالفضل مـا وجدت إليه سبيلاً ، وإلا فلا أقـل من الانصاف ، وأن تكـرمه كـما يكرمـك ولا يسبقـك إلى مكرمـة فإن سبقـك كافـأته ، وتلزم نفسـك على نصيحتـه وحياطتـه ومعاضدته على طاعة ربه ومعونته على نفسه فيما يهم به من معصية ربه .

وقال في تحديـد موقف الانسـان مما في يـده من الأموال : إن عليـك ان لا تـأخذه إلا من حله ولا تنفقـه إلا في حله ولا تحـرفـه عن مـواضعـه ، ولا تجعله إذا كـان من الله إلا إليـه وسببـاً إلى الله ، ولا تؤثـر بـه عـلى نفسـك من لعله لا يحمدك ولا يعمل فيه بطاعة ربه فيذهب بالغنيمة وتبوء بـالإثم والحسرة والنـدامة مع التبعة .

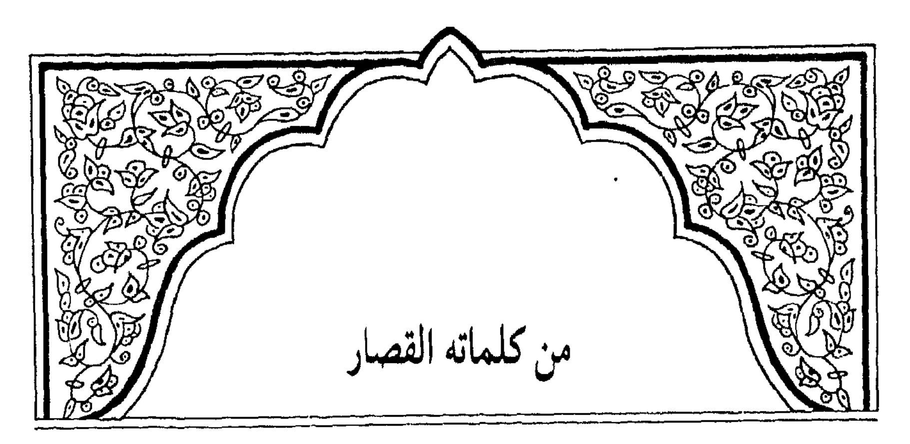
وقـال (ع) فيـما يجب عـلى الإنسـان لمن نصحـه : وعليـك ان تلين لـه جناحك وتشـرئب له قلبـك ، وتفتح لـه سمعك حتى تفهم منـه نصيحته وتنـظر فيها فإن كـان وفق لها ، وإلا رحمتـه ولم تتهمه وعلمت أنـه لم يألـك نصحا ، إلا أن يكون عندك مستحقا للتهمة فـلا تعبأ بشيء من أمـره على كـل حال ولا قـوة إلا بالله .

وقـال (ع) وهو يتحـدث عن حق من أدخل السـرور عـلى غيـره : فـإن كان تعمد المسرة لك حمـدت الله اولا ثم شكرتـه على ذلـك وكافـأته عـلى فضل الابتداء وأرصدت له المكافـأة ، وإن لم يكن تعمدهـا حمدت الله أولاً ثم شكـرته إذ كان سبباً من أسباب نعم الله عليك ورجوت له بعـد ذلك خيـراً فإن أسبـاب

النعم بركة حيثما كانت وإن كان لم يتعمد .

وقال (ع) فيما يجب لأهل الذمة : فالحكم فيهم أن تقبل منهم ما قبل الله وكفى بما جعل الله لهم من ذمته وعهده ، وتحكم فيهم بما حكم به على نفسك فيما جرى بينك وبينهم من معاملة ، وليكن بينك وبين ظلمهم من رعاية ذمة الله والوفاء بعهده وعهد رسوله حائل ، فلقد قال رسول الله : من ظلم معاهدا كنت خصمه فاتق الله فيهم ولا حول ولا قوة إلا بالله .

وقد اشتملت رسالة الإمام على خمسين حقا كما ذكرنا في مختلف المواضيع واقتصرنا منها على هذه النماذج تهربا من ملل القراء .



من كلماته القصار

لقد جاء عنه أنه قال لبعض بنيه : يا بني ان الله رضيني لك ولم يرضك لي فأوصاك بي ولم يوصني بك عليك بالبر فإنه تحفة كبيرة .

وقال : طلب الحوائج الى الناس مذلة للحياة ومذهبة للحياء واستخفاف بالوقار وهو الفقر الحاضر ، وقلة طلب الحوائج هو الغنى الحاضر .

وقال : إن أحبكم إلى الله أحسنكم عملاً ، وإن أعظمكم عند الله عملاً أعظمكم فيما عند الله رغبة ، وإن انجاكم من عذاب الله أشدكم خشية لله ، وإن أقربكم من الله أوسعكم خلقاً ، وإن أرضاكم عند الله أسعاكم على عياله ، وان اكرمكم على الله أتقاكم لله .

وقال (ع) لبعض بنيه : يا بني انظر خمسة فلا تصاحبهم ولا تحادثهم ولا ترافقهم في طريق ، فقال: من هم يا أبتاه ؟ فقال : إياك ومصاحبة الكذاب فإنه بمنزلة السراب يقرب لك البعيد ويبعد لك القريب ، واياك ومصاحبة الفاسق فإنه يبيعك بأكلة وما دونها ، فقال له ولده : وما دونها ؟ قال : يطمع فيها ولا ينالها ، وإياك ومصحابة البخيل فإنه يخذلك فيما أنت أحوج ما تكون إليه ، وإياك ومصاحبة الأحمق فإنه يريد أن ينفعك فيضرك ، وإياك ومصاحبة القاطع لرحمه فإني وجدته ملعونا في كتاب الله .

وقال (ع) ثلاث من كن فيه من المؤمنين كان في كنف الله وأظله يوم القيامة في ظل عرشه وأمنه من فزع اليوم الأكبر، من أعطى الناس من نفسه ما هو سائلهم لنفسه، ورجل لم يقدم يدا ولا رجلا حتى يعلم أنه قدمها في طاعة الله أو في معصيته، ورجل لم يعب اخاه بعيب حتى يترك ذلك العيب من نفسه، وكفى بالرجل شغلا بعيب نفسه عن عيوب الناس.

وقال لابنه الباقر (ع): افعل الخير إلى كل من طلبه منك، فإن كان من أهله فقد أصبت موضعه، وان لم يكن من أهله كنت أنت من أهله، وإن شتمك رجل عن يمينك ثم تحول الى يسارك واعتذر إليك فاقبل عذره.

وقال طاوس اليماني: رأيت رجلا يصلي في المسجد الحرام تحت الميزاب يدعو ويبكي في دعائه فجئته حين فرغ من صلاته فإذا هو زين العابدين علي بن الحسين (ع) فقلت له: يا ابن رسول الله رأيتك على تلك الحالة، ولك ثلاث أرجو ان تؤمنك من الخوف، احدها انك ابن رسول الله، والثانية شفاعة جدك والثالثة رحمة الله عز وجل.

فقال: يا طاوس، أما اني ابن رسول الله فذاك لا يؤمنني وقد سمعت الله يقول: ﴿فلا أنساب بينهم يومئذ﴾ وأما شفاعة جدي، فلا تؤمنني لأن الله يقول: ﴿لا يشفعون إلا لمن ارتضى﴾ وأما رحمة الله تعالى، فإن الله يقول: ﴿إنها قريبة من المحسنين﴾ ولا أرى أني من المحسنين.

وفي رواية ثانية عن طاوس اليماني أنه قال: سمعت علي بن الحسين (ع) يقول في دعائه: سبحانك تعصى كأنك لا ترى وتحلم كأنك لم تعص، تتودد إلى خلقك بحسن الصنيع كأن بك إليهم حاجة وأنت سيدي الغني عنهم، ثم خر ساجدا، قال طاوس: فدنوت منه وأخذت برأسه ووضعته على ركبتي وبكيت حتى جرت دموعي على خده فاستوى جالساً وقال: من الذي شغلني عن ذكر ربي، فقلت: انا يا ابن رسول الله، ما هذا الجزع والفزع ونحن يلزمنا أن نفعل مثل هذا ونحن عاصون حافون سيدي أبوك

الحسين بن علي وأمك فاطمة الزهراء وجدك رسول الله ، قال طاوس: فالتفت إلي وقال :

هيهات هيهات يا طاوس دع عني حديث أبي وأمي وجدي ، خلق الله الجنة لمن أطاعه وأحسن ولو كان عبدا حبشيا وخلق النار لمن عصاه وأساء ولو كان سيدا قرشياً ، أما سمعت قوله تعالى :

﴿ فإذا نفخ في الصور فلا أنساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون﴾ والله لا ينفعك غدا الا ما تقدمه من عمل صالح .

وجاء في الكافي بسنده إلى أبي حمزة الثمالي ان علي بن الحسين (ع) كان يقول في مناجاته ويبكي : سيدي تعذبني وحبك في قلبي ، اما وعزتك لئن فعلت لتجمعن بيني وبين قوم طالما عاديتهم فيك .

وكان عليه السلام يوصي أصحابه بأداء الأمانة ويقول : فوالذي بعث محمداً بالحق لو أن قاتل أبي الحسين (ع) ائتمنني على السيف الذي قتله به لأديته اليه .

ويوصي بشكر المحسن ويقول : ان الله يوم القيامة يقول لعبده اشكرت من أحسن إليك فيقول له بلى شكرتك يا الهي فيقول لم تشكرني إذا لم تشكره .

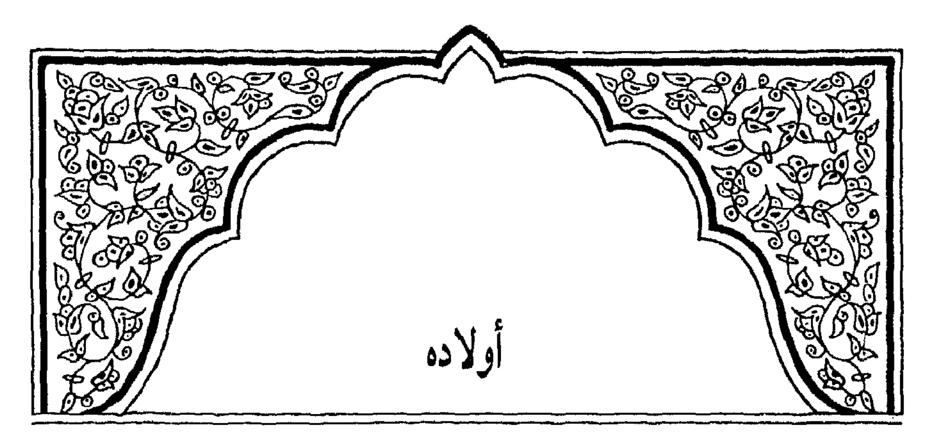
وجاء عنه انه قال لولده الإمام ابي جعفر الباقر (ع) حين حضرته الوفاة : يا بني إياك وظلم من لا يجد عليك ناصرا إلا الله ، وأنه كان يقول : من استجار بأحد اخوانه ولم يجره فقد قطع ولاية الله عنه .

ويقول : ان لله عبادا يسعون في حوائج الناس هم الآمنون يوم القيامة ومن أدخل على مؤمن سروراً فرج الله قلبه يوم القيامة .

ويقول أيضاً ان لسان ابن آدم يشرف في كل يوم على جوارحه كل صباح فيقول كيف أصبحتم فيقولون بخير ان تركتنا وإنما يثاب المرء ويعاقب

بلسانه .

ويروي الرواة ان جماعة من أهل العراق دخلوا على الإمام علي بن الحسين (ع) وذكروا أبا بكر وعمر وعثمان بسوء ونالوا منهم ، فقال لهم : ألا تخبروني من أنتم ، أنتم من المهاجرين الأولين الذين اخرجوا من ديارهم وأموالهم يبتغون فضلا من الله ورضوانا وينصرون الله ورسوله اولئك هم الصادقون قالوا : لا ، قال : أفأنتم من الذين تبوأوا الدار والإيمان من قبلهم يحبون من هاجر إليهم ولا يجدون في صدورهم حاجة مما أوتوا ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ، فقالوا : لا ، فقال : أما أنتم فقد تبرأتم من أن تكونوا من هذين الفريقين وأنا أشهد أنكم لستم من الذين قال الله في حقهم ، ﴿ **والذين جاؤوا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا بالإيمان ولا تجعل في قلوبنا غلا للذين آمنوا** ﴾،اخرجوا عني فلا بارك الله فيكم . .



أولاده

قال المفيد في ارشاده وابن الصباغ في الفصول المهمة ان اولاده كانوا بين ذكر وانثى خمسة عشر احد عشر ذكرا وأربع بنات ، اكبرهم سنا وقدرا الإمام محمد بن علي الملقب بالباقر وأمه فاطمة بنت الحسن السبط .

وجاء في طبقات ابن سعد ان فاطمة بنت الحسن (ع) قد اولدت له اربعة الحسن والحسين الأكبر ومحمد الباقر وعبد الله وبه كانت تكنى ، والظاهر ان محمد الباقر (ع) اكبر اولاده فقد ولد له سنة سبع وخمسين هجرية وكان له من العمر عندما قتل جده الحسين (ع) في كربلاء ثلاث سنوات ، وله من الذكور زيد بن علي وعلي بن علي وأمهما ام ولد كما في تذكرة الخواص .

وقال ابن الخشاب في كتابه مواليد أهل البيت : ان اولاده كانوا ثمانية ولم يكن له انثى وقيل غير ذلك ، وكان أشهرهم وأجلهم الإمام الباقر وسنتحدث عنه في فصل خاص من هذا الكتاب ، وأما زيد بن علي الشهيد فقد نشأ في بيت الإمام زين العابدين حفيد علي بن أبي طالب باب مدينة العلم ، في هذا البيت الذي يعد مهد العلم والحكمة نشأ زيد بن علي وتكونت ميوله ومنازعه واتجاهاته ، وبلا شك في انه حفظ القرآن الكريم في المراحل الأولى من دراسته واتجه من بعد القرآن إلى الحديث يتلقاه عن أبيه وأصبح بعد فترة من الزمن فقيها واسع العلم والمعرفة يأخذ بكتاب الله وسنّة

رسوله ويروي الحديث لغيره ، وإذا كان أبوه قد تركه يافعا في حدود الرابعة عشرة من عمره فان أخاه الإمام محمد الباقر خليفة أبيه في الإمامة والفقه والحديث كان يتعاهده ويزوده بكل ما يحتاج إليه فأخذ عنه الكثير من الفقه والحديث والتفسير حتى أصبح من مشاهير علماء عصره ومرجعا لرواد العلم والحديث في المدينة وغيرها ، ويدعي بعض الرواة أنه سافر إلى البصرة والتقى بعلمائها وناظر واصل بن عطاء الغزال رأس المعتزلة يوم ذاك ناظره في أصول العقائد ، فلقد كانت البصرة موطن الفرق المختلفة في العقائد الإسلامية وإليها كان يذهب أبو حنيفة في صدر حياته يوم كان متجها إلى علم الكلام ، حتى لقد روي أنه ذهب إليها اثنتين وعشرين مرة للمناظرة في الكلام مع المعتزلة والفورية والجهمية والمتكلمين في الصفات وغيرهم ، ولم يكن خروج زيد الى البصرة ليتتلمذ على واصل بن عطاء كما يدعي الشهرستاني في الملل والنحل ، ولا ليأخذ من غيره لأنه كان في مثل سنه بل للحوار والمناقشة بعد أن ظهرت بين علمائها بعض النزعات الغريبة عن الإسلام وأصوله .

ولم يكن زيد بن علي على ما يبدو من تاريخه متجها للسياسة أو يعمل للاستيلاء على السلطة بل اضطروه إليها وظلوا يلاحقونه حتى لم يجد وسيلة ولا ملاذا غير قتالهم بتلك الفئة القليلة بعد ان غدر به أهل العراق كما غدروا بآبائه من قبل .

لقد بدأوا يتحرشون بزيد بن علي بسبب تردده على الكوفة وفيها اكبر عدد من شيعة أهل البيت ، ولم يكن خالد القسري الوالي على العراق متعصباً ضدهم ، بل كان يحسن إليهم ويحسن وفادتهم ، وأتيح لهم أن يتصلوا خلال عهده بزيد بن علي وغيره من العلويين فلم يرض يوسف بن عمر الثقفي عن هذه السياسة ورأى ان فيها خطراً على الحكم الأموي فكتب إلى هشام بن عبد الملك ، أن أهل هذا البيت من بني هاشم قد كانوا هلكوا جوعا حتى كان همة احدهم قوت عياله ، فلما ولي خالد العراق اعطاهم الأموال فقووا بها حتى تطلعوا الى طلب الخلافة ، وكانت معاملة خالد القسري للشيعة من العوامل

التي دفعت هشام بن عبد الملك الى عزله وتولية يوسف بن عمر الثقفي الذي بذل كل جهد في اضطهادهم ، وكتب في محاولة منه للوقيعة بزيد حيث كان يتردد على الكوفة كتب إلى هشام بأن خالد القسري قد أودع ستمائة الف درهم عند زيد بن علي بن الحسين وان زيدا ينكر هذه الوديعة ، فبعث هشام إلى زيد بن علي (ع) يستدعيه إليه ، فقدم زيد من المدينة إلى دمشق وأكد لهشام بن عبد الملك ان لا علم له بما يدعيه يوسف بن عمر الثقفي ، فعرض عليه هشام بن عبد الملك ان يذهب بنفسه إلى يوسف بن عمر الثقفي ليواجهه بما يدعيه ، ولكن زيدا أبى أشد الاباء وأدرك أنه المقصود بكل هذه المحاولات وأن يوسف بن عمر اذا قبض عليه سوف ينفذ فيه رغبة الأمويين ، واستحلف هشاما ألا يبعث به إلى يوسف بن عمر غير أن هشاماً أصر على رحيله إلى العراق وامتنع زيد بن علي من ذلك ، ولما وجد ان محاولته باءت بالفشل اراد ان يتحداه ويحط من شأنه وكان مجلسه حافلا بأعيان أهل الشام وخاصته ، فقال له : بلغني انك تؤهل نفسك للخلافة وأنت ابن امة ، فقال له زيد بن علي : ويلك يا هشام أمكان أمي يضعني ؟ والله لقد كان اسحاق بن حرة واسماعيل بن أمة فلم يمنعه ذلك من أن بعثه الله نبيا وجعل من نسله سيد العرب والعجم محمد بن عبد الله ، ان الأمهات لا يقعدن بالرجال عن الغايات اتق الله يا أمير المؤمنين في ذرية نبيك ، فغضب هشام وقال : ومثلك يا زيد يأمر مثلي بتقوى الله ؟ فرد عليه زيد بقوله : انه لا يكبر أحد فوق ان يوصى بتقوى الله ولا يصغر دون ان يوصي بتقوى الله .

وفي رواية ثانية ان هشام بن عبد الملك قال لزيد وهو يحاوره بعد ان افحمه زيد : ما فعل اخوك البقرة ، يعني بذلك الإمام محمد الباقر (ع) ، فقال له زيد : لقد سماه رسول الله باقر العلم وأنت تسميه البقرة لشد ما اختلفتما فسترد النار ويرد الجنة ، فقال له هشام اخرج يا ابن الزانية فخرج زيد بن علي من مجلسه وهو يقول :

شرده الخوف وأزرى به   كذاك من يكره حر الجلاد

منخـرق الكفـين يشكـو الجـوى تـنـكـثـه اطـراف مـرد حـداد
قـد كـان في المـوت لـه راحـة والمـوت حتم في رقـاب العبـاد
ان يحـدث الله لـه دولـة يتـرك آثـار العـدى كـالـرمـاد

ومضى في طـريقه إلى الكـوفة وقـال ما احب امـرؤ الحيـاة الا ذل وبـايعـه اهلها على الأمر بالمعـروف والنهي عن المنكر والـدفاع عن المستضعفـين وانصاف المظلومين ، وأشار عليه جماعة من العلويـين والهاشميـين بعدم الـركون إلى أهـل العـراق والاطمئنان إليهم وذكـروه بما جـرى لهم مـع جـده أمـير المؤمنـين وعمـه الحسن وجـده الحسين ، ولكنـه أصر على المضي في طـريقه ولقي تـأييدا واسعـا من الفقهاء وخيار المسلمين .

وجـاء عن أبي حنيفة أنـه قال : ان خـروجه يضـاهي خروج جـده رسول الله يوم بدر وأرسل إليه مبلغاً من المال يستعـين به عـلى قتال الـظالمين ، ويـروي بعض المؤرخـين أنه خـرج بنفسه إلى البصـرة ودعاهم إلى نصـرته عـلى بني أميـة وأرسل رسله إلى المدائن والموصل وغيـرهما ، وانتشـرت دعوتـه في سواد العـراق ومـدنه وامتـدت إلى ما وراء العـراق . ولما بلغ أمـره هشام بن عبـد الملك أرسل إلى واليه على العـراق يوسف بن عمـر يأمـره بالتضييق عليـه ومطاردتـه ، فاتخـذ يـوسف بن عمر جميع الاحتياطـات لتخذيـل الناس عنـه ، وأدرك زيد خـطورة الموقف فتعجل الخروج ، فدس إليـه يوسف بن عمـر من يسألـه عن رأيه في أبي بكـر وعمر ، فقـال زيـد : رحمهـما الله مـا سمعت احـدا من آبـائي يتبـرأ منهـما فتفرق عنه عـدد كبير من أصحـابه ، ولهـذه المناسبـة لحقهم اسم الرافضـة لأنهم رفضوا القتال مع زيد بن علي ، ولما احتدمت المعركـة بينه وبـين يوسف بن عمـر لم يثبت معه سوى مائتين وثمانية عشر رجـلا فأصـابه سهم اودى بحيـاته فـدفنه اصحـابه في مجـرى مـاء حتى لا يصلب او يحـرق ولكنهم عـرفـوا بـه بعـد ذلـك فـأخرجـوه ومثلوا به وأرسلوا رأسـه إلى الشام ومنهـا إلى المـدينـة ، وأمـا جسـده فبقي مصلوبـا خمسين شهـرا كما جـاء ذلك في مـروج الذهب وغيـره ، ولما جـاء عهد الوليد بن يزيد كتب الوليد إلى عامله على الكوفـة ان يحرقـه بخشبته ففعـل

به ذلك .

وأحدث قتله استياء عاما في اكثر المناطق الاسلامية وجدد احزان أهل البيت وبكاه الإمام الصادق وترحم عليه وجلس للعزاء وروى فضيل بن يسار انه دخل على الإمام الصادق (ع) بعد ما قتل زيد بن علي ، فقال لي : يا فضيل قتل عمي زيد بن علي ، قلت : نعم يا بن رسول الله ، قال : رحمه الله ، أما انه كان مؤمناً وكان عارفاً عالماً وكان صدوقاً ، اما انه لو ملك لعرف كيف يضعها .

وقال الإمام الرضا (ع) ان زيد بن علي لم يدع ما ليس له بحق وانه كان اتقى لله من ذلك انه قال : أدعوكم إلى الرضا من آل محمد .

وجاء في رواية ثالثة أن الإمام الصادق (ع) قال : رحم الله زيدا انه دعا إلى الرضا من آل محمد ولو ظفر لوفى بما دعا إليه ، ولقد استشارني في خروجه فقلت له : يا عم ان رضيت ان تكون المصلوب بالكناسة فشأنك ، فلما ولى قال الإمام (ع) ويل لمن سمع داعيته ولم يجبه .

وجاء في رواية ابي حمزة الثمالي انه قال : دخلت على سيدي ومولاي علي بن الحسين فوجدته جالساً وعلى فخذه صبي وهو مشغوف به يقبله ويحنو عليه فقام الصبي يمشي فعثر في عتبة الدار فقام الإمام مهرولاً فأخذه وجعل يمسح دمه بخرقة ويقول : يا بني اني اعيذك بالله ان تكون المصلوب في الكناسة ، فقلت له وأي كناسة هذه فقال (ع) : يصلب ابني هذا في موضع يقال له الكناسة من اعمال الكوفة ، ومضى يقول : والذي بعث محمدا بالحق لئن عشت بعدي لترين هذا الغلام في ناحية من نواحي الكوفة وهو مقتول مسحوب ثم يدفن وينبش ويصلب في الكناسة ، ثم يحرق بعد ذلك ويذرى في الهواء ، قلت : جعلت فداك ما اسم هذا الغلام ؟ فقال : هو ابني زيد ، وكان يحدث ويبكي على حد تعبير الراوي .

وأضاف إلى ذلك أبو حمزة الثمالي ان الإمام قال لي : أتحب ان احدثك

بحديث ابني هذا ؟ قلت : بلى ، قال : بينما أنا ساجد في محرابي في بعض الليالي اذ ذهب بي النوم فرأيت كأني في الجنة وكان رسول الله (ص) وعلي والحسن والحسين وفاطمة كلهم مجتمعون وقد زوجوني فواقعتها واغتسلت عند سدرة المنتهى واذا بهاتف يقول : اتحب أن أبشرك بولد اسمه زيد ، فاستيقظت من نومي وقمت وصليت صلاة الفجر واذا انا بطارق يطرق الباب فخرجت إليه وإذا معه جارية وهي مخمرة بخمار ، فقلت له : ما حاجتك فقال أريد علي بن الحسين (ع) فقلت : انا هو ، فقال : انا رسول المختار إليك وهو يقرئك السلام ويقول قد وقعت هذه الجارية بأيدينا فاشتريناها بستمائة دينار وقد وهبتها لك ، وهذه أيضاً ستمائة دينار أخرى استعن بها على زمانك ، فدفع لي المال وسلمني الكتاب الذي حمله من المختار والجارية ، فقلت لها : ما اسمك ؟ قالت : حورية ، فقلت هذا تأويل رؤياي من قبل قد جعلها ربي حقا ، وقد علقت مني بهذا الغلام فلما وضعته سميته زيدا وسترى ما قلت لك . قال أبو حمزة الثمالي : فوالله لقد رأيت زيدا مقتولا ثم دفن وأخرج من قبره وصلب ولم يزل مصلوبا حتى عشعشت الفاختة في جوفه ، ثم احرق وذري في الهواء .

ومهما كان الحال فلقد كان زيد بن علي من أبرز اخوته بعد أخيه الإمام محمد الباقر وأعظمهم قدرا وأوسعهم آفاقا في فقه أهل البيت وأصول العقائد الإسلامية التي سلك فيها مذهب آبائه الأئمة الكرام وناظر فيها المعتزلة والقدرية وغيرهما من المنحرفين عن المنهج السليم ، ولم يكن يفكر في الثورة على حكام عصره لولا انهم اضطروه الى ذلك وطاردوه وفرضوا عليه القتال فرضا وكان يدعو الى الرضا من أهل البيت (ع) ولو ظفر لوفى كما وصفه الإمام الصادق (ع) ولم يدع الامامة ولا ادعاها له احد في حياته وقد ظهر القول بإمامته بعد مقتله بمدة من الزمن يوم كان العباسيون يعملون على تشتيت التشيع لائمة الشيعة وخلق الاضداد والمعارضين لهم وتطور بعد ذلك حتى أصبح مذهبا مستقلا يستمد قوته وبقاءه من انتسابه لأحد عظماء أهل

البيت ويلتقي مع فقه الإمامية وأصولهم في أكثر المسائل والمباحث كما يبدو ذلك من فقه الزيـدية الـذين اعتمدوا آراء زيـد بن علي (ع) أسـاسـاً لفقههم ، ومن المجمـوعة الفقهيـة التي رواها عنـه تلاميـذه وألصقهم به أبـو خـالـد عمـرو بن خالد الواسطي .

فرحم الله زيد بن علي الذي حمـل رسالـة آبائـه فناضـل وجاهـد حتى قتل على منهاج المجاهدين في سبيل الله وأصبح من الخالدين .



عبد الله وعمر والحسين أبناء علي (ع)

وممن تحدثت عنهم كتب الأنساب من أولاد الإمام علي بن الحسين (ع) عبد الله بن علي الملقب بالباهر وكان فاضلا فقيها روى عن آبائه عن رسول الله أحاديث كثيرة على حد تعبيرهم ، وجاء في بعض المرويات أنه قيل لأبي جعفر الباقر : أي اخوانك أحب إليك وأفضل فقال : أما عبد الله فيدي التي ابطش بها ، وأما عمر فبصري الذي أبصر به ، وأما زيد فلساني الذي أنطق به ، وأما الحسين فحليم يمشي على الأرض هونا وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما ، وكان عبد الله يلي صدقات رسول الله وصدقات أمير المؤمنين كما جاء في الارشاد للمفيد وغيره .

وأما عمر بن علي فقد جاء في وصفه انه كان فاضلا جليلاً ورعاً سخياً تولى صدقات النبي وصدقات جده امير المؤمنين (ع) وكان يشترط على من يبتاع ثمارها ان يثلم في الحائط ثلمة لكي تأكل منها المارة ولا يرد احدا عنها ، ويروى عنه انه قال : المفرط في حبنا كالمفرط في بغضنا انزلونا بالمنزل الذي انزلنا الله به ولا تقولوا فينا ما ليس بنا ان يعذبنا الله فبذنوبنا وان يرحمنا فبرحمته وفضله علينا .

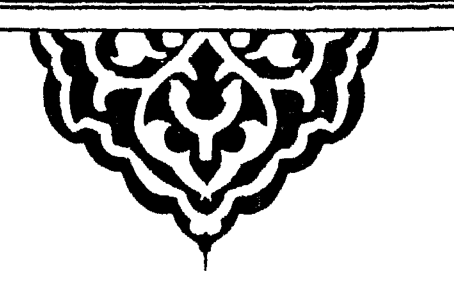
وأما الحسين بن علي بن الحسين (ع) فقد قال المفيد عنه في ارشاده انه كان فاضلاً ورعاً روى حديثاً كثيراً عن أبيه علي بن الحسين وعمته فاطمة بنت

الحسين (ع) التي أودعها الحسين عند خروجه من المدينة إلى كربلاء وصيته ، وروى عن أخيه أبي جعفر الباقر وعده الشيخ الطوسي في رجاله من أصحاب الباقر والصادق عليهما السلام .

وكانت وفاة الإمام علي بن الحسين خلال شهر المحرم من سنة خمس وتسعين مسموماً بأمر الوليد بن عبد الملك بن مروان كما يرى ذلك أكثر المحدثين والرواة ، وجاء في بعض الروايات عن محمد بن شهاب الزهري أنه قال لي الوليد بن عبد الملك يوما : لا راحة لي وعلي بن الحسين موجود في دار الدنيا وقبيل وفاته جمع أولاده وأوصاهم بتقوى الله وطاعة أخيهم الإمام محمد الباقر كما أخبر أعيان شيعته بإمامته من بعده .

وخرج من هذه الدنيا بعد جهاد شاق طويل ومرير لانقاذ البشرية مما كانت تعانيه ، وظل طيلة حياته بعد أبيه يذكر الناس بمأساة كربلاء ويبكي لها لتبقى حية خالدة تدفعهم للثورة على الظلم والتضحية في سبيل الله ، وواظب على العبادة في ليله ونهاره حتى سمي بالسجاد ولقب بزين العابدين وانتسب إلى النبي (ص) وإلى كسرى ملك الفرس فعرف بابن الخيرتين .





الإمام الخامس

محمد بن علي الباقر "عليهما السلام"


Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)



لمحات من سيرة الإمام محمد بن علي الباقر (ع)

لقد ولد الإمام محمد بن علي المعروف بـالباقـر في المدينـة المنورة سنـة سبع وخمسين بعد هجـرة النبي (ص) من مكة إلى المـدينة في مـطلع رجب من ذلك العام وقيل في مطلع صفر وكـانت وفاتـه بعد مضي مـائة وأربعـة عشر سنة عـلى هجـرة النبي من مكة في السـابع من شهـر ذي الحجة وقيـل في ربيـع الأول من ذلـك العام عن سبعـة وخمسين عـاما أدرك فيهـا جده الحسـين (ع) وبقي معـه نحواً من أربع سنين ، ومع أبيه السجاد بعد جده خمسـاً وثلاثـين سنة ، وعـاش بعـد أبيه ثمـانية عشر عـامـا وقيـل تسعـة عشر كـما في روايـة الكـافي وهي مـدة امامته ، وكانت وفاته في السنين الاخيرة من ملك هشام بن عبد الملك وقيل في مطلع حكم ابراهيم بن الـوليد بن يـزيد بن عبـد الملك ، وفي أيام طفـولته وهـو في مـطلع الصبا كـانت المحنة الكبـرى التي مـرت عـلى أهـل البيت في كـربـلاء وقتـل فيها جـده الحسين ومن معـه من اخوتـه وبني عمه وأصحـابـه وتجـرع من مـرارتها وآلامهـا ما تجـرعه غيـره من النساء والأطفـال ، وشاهـد بعـدهـا جميـع الـرزايا والمصـائب التي توالت عـلى بيته وعـلى أبيـه من اولئـك الحكـام الـطغـاة الـذين انغمسوا في الشهـوات وتنكروا للقيم والأخـلاق وجميع المبـادىء التي جاء بها الإسلام وجاهد الرسول من أجلها عشرين عاما أو تزيد .

لقد انصرف الأمويون عن مفاهيم الرسالة ومارسوا الـرذيلة بكل اشكـالها

ومظاهرها معلنين بالفسق والفجور في قصورهم ونواديهم وأينما حلوا وارتحلوا ، وقد غمر هذا التيار الذي طغى على قصور الخلفاء والحكام والولاة اكثر المسلمين فمارسوا ملذات العيش ومغريات الدنيا وجميع المنكرات وقديما قيل : الناس على دين ملوكهم .

لقد اختار حكام الأمويين لبناء دولتهم أساليب العنف والظلم والاضطهاد وقتل الابرياء والصلحاء وتبذير الأموال في سبيل عروشهم وشهواتهم ، ولحق العلويين وشيعتهم النصيب الأكبر من تلك السياسة الخرقاء لا لشيء إلا لأنهم يتمتعون بكل ما يشدهم إلى الناس ويؤهلهم لخلافة الرسول وقد استعرض الإمام الباقر (ع) في حديث له مع بعض أصحابه الأوضاع في ذلك العصر كما جاء في شرح النهج وصور لهم اولئك الحكام وقسوتهم على الشيعة واسرافهم في اراقة الدماء وشراءهم الذمم بالأموال وأطايب الطعام للدس والكذب في حديث الرسول ، واستعرض في حديثه الدور الذي قام به الحجاج بن يوسف مع الشيعة حتى شردهم في البلاد وأذاقهم جميع أنواع البلاء وصنوف العذاب وبلغ بهم الحال ان الرجل كان يتمنى ان يقال له زنديق ولا يقال له مؤمن شيعي .

في هذا الجو المشحون بالظلم والفساد وجد الإمام الباقر ورحل والده عن الدنيا وله من العمر اربعون عاما وبقي بعده ثمانية عشر عاما كما ذكرنا كان يتلوى خلالها على شيعة آبائه وعلى الضعفاء والمساكين وعلى مصير الإسلام إن استمر اولئك الحكام في سيرتهم وطغيانهم وقد علمته الأحداث الماضية مع آبائه وخذلان الناس لهم في ساعات المحنة ان ينصرف عن السياسة وشؤون السياسيين ، فاتجه الى خدمة الإسلام عن طريق الدفاع عن اصوله ومبادئه ونشر تعاليمه وأحكامه ، ومناظرة الفرق التي انحرفت في تفكيرها واتجاهاتها ، بعد ان انتشر الإسلام يميناً وشمالاً وخضعت لسلطانه أمم وشعوب ذات ماض يزخر بالحضارة والعمران ، وقد حدث انقلاب في التفكير وجميع اسباب الحياة ، وبرزت بين ذلك الوان من النزعات والاتجاهات تجر من ورائها الالحاد

والزندقـة ، ولعل الحكـام انفسهم كانـوا من وراء ذلك التحـول الذي طـرأ على الفكر الإسلامي وامتد حتى أصبح يهـدد العقيدة الإسـلامية في جـوهرهـا ، لأن الـذين اثـاروا تلك الأفكـار ومهـدوا لهـا أكثـرهم من العنـاصر التي لا تـدين بالإسلام ومن الذين التحقوا بقصور الخلفاء وخـرجوا منهـا بتلك الأفكار ، ومن أعز أماني الحكام أن ينصرف المسلمـون عن تصرفـاتهم وجورهم إلى الصـراع في هذه الميادين .

في حين ان بعض المسائـل التي احتدم فيهـا الصراع وبلغ أشـده كمسألتي الجبـر والارجـاء كـان رواجهـما وانتشـارهمـا لمصلحـة الحكـام قبـل غيـرهم من العصاة ، لأن الجبر يضع عنهم مسؤولية تصرفاتهم الجـائرة والارجـاء يضعهم في صفـوف المؤمنين في الـوقت الذي لا يعتـرف لهم المعتزلـة بالايمـان ولا الخـوارج بالإسلام .

في هـذا الجو المشحـون بالصـراع العقـائـدي وجـد الإمـام البـاقـر (ع) وكانت مصلحة الإسلام تفرض عليـه ان ينصرف إلى الـدفاع عن العقيـدة ونشر تعـاليم الإسلام فـالتف حـولـه الآلاف من العلماء وطـلاب العلم والحـديث من الشيعة وغيرهـم .

وجـاء في تذكـرة الخواص لابن الجـوزي بعد أن فسر التبقـر بالتـوسـع في العلم ان الإمام محمد الباقر انما وصف بهذه الصفة لتبقره في العلم ، وقال ابن سعد في طبقاته : انه كـان عالما عابـداً ثقة عنـد جميع المسلمـين وروى عنه أبـو حنيفة وغيره من أئمة العلم والمذاهب .

وجاء عن جابر بن عبد الله الأنصـاري أنه قـال : لقد أخبـرني رسول الله بـأني سأبقى حتى أرى رجـلا من ولده اشبـه الناس بـه وأمرني أن أقرئه السـلام واسمه محمد يبقر العلم بقرا ، ويقول الرواة ان جـابر بن عبـد الله كان آخر من بقي من أصحاب رسول الله ،وفي آخر ايامه كان يصيـح في مسجد رسـول الله يا بـاقر علم آل بيت محمـد ، فلما رآه وقع عليـه يقبل يـديـه ورجليـه وأبلغـه تحيـة

رسول الله (ص) .

وجاء في تذكرة ابن الجوزي عن عطاء احد اعلام التابعين أنه قال : ما رأيت العلماء عند احد اصغر علما منهم في مجلس ابي جعفر الباقر (ع) لقد رأيت الحكم بن عيينة عنده كأنه عصفور مغلوب لا يملك من أمره شيئاً .

وقال واصفوه : لقد كان الباقر محمد بن علي بن الحسين (ع) من بين اخوته خليفة ابيه علي بن الحسين ووصيه والقائم بالامامة من بعده وقد برز عليهم جميعا بالفضل والعلم والزهد والسؤدد ، وكان أنبههم ذكرا وأجلهم عند العامة والخاصة وأعظمهم قدرا ، ولم يظهر عن ولد الحسن والحسين (ع) من العلوم والآثار والسنّة والتفسير والسيرة وسائر الفنون ما ظهر عنه ، وقد روى عنه معالم الدين من بقي الى عصره من الصحابة ووجوه التابعين وفقهاء المسلمين وقال فيه القرطبي :

يا باقر العلم لأهل التقى وخير من لبى على الأجبل

ومدحه مالك بن اعين الجهني بالابيات التالية :

اذا طلب الناس علم القرآن كانت قريش عليه عيالا
وان قيل اين ابن بنت النبي نلت بذاك فروعا طوالا
نجوم تهلل للمدلجين جبال تورث علماً جبالا

ولما قيل لعمر بن عبد العزيز ان علي بن الحسين قد رحل عن دنيا الناس إلى جوار ربه ، قال : لقد ذهب سراج الدنيا وجمال الإسلام وزين العابدين ، فقيل له : لقد ترك ولده أبا جعفر وفيه بقية ، فكتب إليه كما جاء في رواية اليعقوبي ، كتاباً يختبره فيه فأجابه الإمام ابو جعفر الباقر جواباً يعظه فيه ، فقال عمر : اخرجوا لي كتابه الى سليمان ، فأخرج إليه فوجدوه قد كتب إليه يقرظه ويمدحه ، فانفذ عمر بن عبد العزيز إلى عامله في المدينة وقال له : احضر محمد بن علي وقل له هذا كتابك إلى سليمان تقرظه وتمدحه وهذا كتابك إلى عمر بن عبد العزيز مع ما اظهر من العدل والاحسان تعظه

وتخوفه ، فأحضره العامل وأخبره بما كتب إليه ، فقال الباقر (ع) : ان سليمان كان جباراً فكتبت إليه بما يكتب إلى الجبارين وان صاحبك اظهر العدل والاحسان فكتبت إليه بما يكتب إلى المحسنين فكتب إليه عامل المدينة بجواب الإمام (ع) فلما قرأه قال : ان اهل هذا البيت لا يخليهم الله من فضل .

وقال فيه محيي الدين بن شرف النووي المتوفى سنة ٦٧٦ كما جاء في مرآة الجنان محمد بن علي بن الحسين القرشي الهاشمي المعروف بالباقر سمي بذلك لأنه بقر العلم أي شقه فعرف أصله وخفاياه وهو تابعي جليل وامام بارع مجمع على جلالته معدود في فقهاء المدينة وأئمتهم سمع جابرا وانسا وجماعات من كبار التابعين ، وروى عنه أبو اسحاق السبيعي وعطاء بن أبي رباح وعمر بن دينار الاعرج والزهري وربيعة الرأي وجماعة آخرون وكبار الأئمة .

وقال فيه ابن العماد الحنبلي في المجلد الأول من الشذرات : ابو جعفر بن علي بن الحسين كان من فقهاء المدينة وقيل له الباقر لأنه بقر العلم وتوسع فيه وعرف أصله وهو احد الأئمة الأثني عشر وأضاف إلى ذلك ان عبد الله بن عطاء قال فيه : ما رأيت العلماء عند احد اصغر منهم عند محمد بن علي الباقر (ع) .

وقال فيه محمد بن طلحة القرشي العدوي الشافعي كما جاء في مطالب السؤال : محمد بن علي الباقر هو باقر العلم وجامعه وشاهر علمه ورافعه ومتفوق دره وراضعه ومنمق درره وراصعه صفا قلبه وزكا عمله وطهرت نفسه وشرفت أخلاقه وعمرت بطاعة الله اوقاته ورسخت في مقام التقوى قدمه فالمناقب تسبق إليه والصفات تشرف به له القاب ثلاثة : باقر العلم ، والشاكر والهادي وأشهرها الباقر وسمي كذلك لتبقره في العلم وتوسعه فيه .

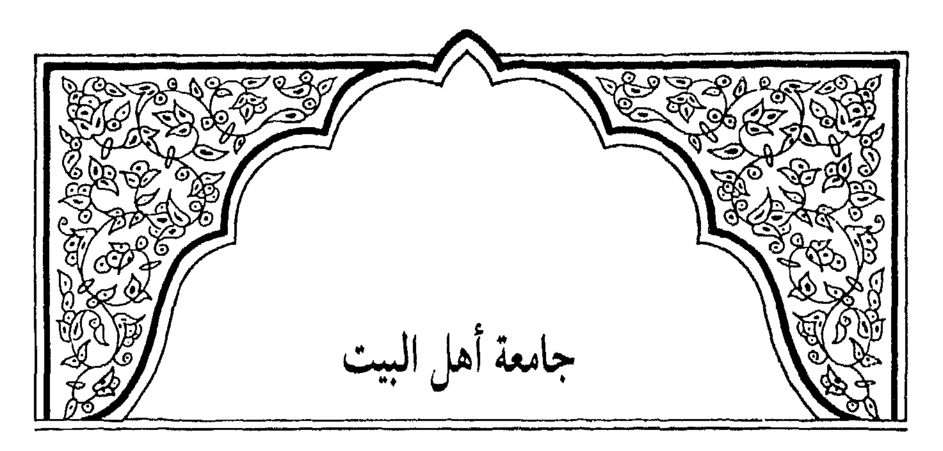
وقال فيه محمود بن عبد الفتاح الحنفي كما جاء في كتاب جوهرة الكلام : محمد بن علي بن الحسين سمي بالباقر من بقر الأرض أي شقها وأنار

مخبآتها ومكامنها فكذلك هو أظهر من مخبآت كنوز المعارف وحقائق الأحكام والحكمة واللطائف ما لا يخفى إلا على منطمس البصيرة ، ومن ثم قيل : هو باقر العلم وجامعه ورافعه صفا قلبه وزكا عمله وعلمه وطهرت نفسه وشرف خلقه وعمرت أوقاته بطاعة مولاه .

كنيته ابو جعفر لا غير وألقابه ثلاثة الباقر والشاكر والهادي وأشهرها الأول . ومضى يقول : ويكفيه ما رواه ابن المديني عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه وقد قال له وهو صغير : يسلم عليك رسول الله فقيل له يا جابر وكيف ذاك ؟ قال : كنت جالساً عنده والحسين (ع) في حجره يداعبه فقال لي : يا جابر يولد له مولود اسمه علي اذا كان يوم القيامة نادى مناد ليقم سيد العابدين فيقوم ولده علي ، ثم يولد له ولد اسمه محمد فإن أدركته يا جابر فاقرأه مني السلام . إلى غير ذلك مما ورد على لسان من ترجمه من المتقدمين والمؤلفين في تراجم الأعلام في وصفه وتقريظه .

ونكتفي بهذا المقدار مما قيل فيه تهربا من ملل القراء في حين اني لا أرى للاطالة في هذه النواحي من فائدة وهو أشهر من أن يعرف ويوصف .

واذا استطال الشيء قام بنفسه   وصفات ضوء الشمس تذهب باطلا



جامعة أهل البيت

لا احسب احدا بريئـاً من مرض الجهـل والتعصب يتهمني بالغلو او التحيز اذا اعطيت لتلك الحلقات التي كانت تجتمع في مسجد المدينة إلى الإمام أبي جعفر الباقر بالذات ، اسم الجامعة ، لأنها كانت تجمع بين الحين والآخر المئات من مختلف الأقطار لدراسة الفقه والحديث والفلسفة والتفسير واللغة وغير ذلك من مختلف العلوم ، وتخرج منها منذ أن أسسها الإمام الباقر حتى آخر مرحلة من نموها وتكاملها في عهد ولده الإمام الصادق آلاف العلماء في مختلف المواضيع . وقد وصفها الاستاذ عبد العزيز بقوله: وأرسلت الكوفة والبصرة وواسط والحجاز إلى جامعة أهل البيت أفلاذ أكبادها وتخرج منها كبار العلماء والمحدثين والرواة ، وقد ادرك الحسن بن علي الوشا تسعمائة شيخ في مسجد الكوفة يتدارسون ويروون الحديث عن جعفر بن محمد وأبيه (ع) .

وهو القائل في حديث له مع بعض اصحابه : لقد أدركت في هذا المسجد تسعمائة شيخ كل يقول حدثني جعفر بن محمد ، والحسن بن علي الوشا هذا قد عاصر الإمام الرضا (ع) وبينه وبين مدرسة الإمامين الباقر والصادق نحو من ثلاثين عاما وقد احصيت مؤلفات المتخرجين من تلك الجامعة فبلغت ستة آلاف كتاب منها اربعمائة كانت تعرف بالاصول على

لسان محدثي الشيعة ، ولعل اكثر محتويات الكتب الأربعة الكافي ومن لا يحضره الفقيه والوافي والاستبصار مأخوذة منها .

ولا يفوتنا ونحن نتحدث عن جامعة أهل البيت التي اسسها الإمام الباقر (ع) ان نشير إلى أن المهمة التي قام بها الإمامان الباقر والصادق (ع) وأعطت تلك النتائج الكبرى هي من أولى المهمات التي تعني كل واحد من أئمة الشيعة ، ولكن الظروف التي تهيأت للإمامين الباقر والصادق لم تتهيأ لغيرهما منم الأئمة (ع) ذلك لأن سني امامة الباقر (ع) قد رافقتها بوادر النقمة العارمة على سياسة الامويين والدعوة في مختلف الأقطار للتخلص منهم وكان سوء صنيعهم مع العلويين من أقوى الأسلحة بيد اخصامهم الطامعين بالحكم ، مما دعاهم إلى اتخاذ موقف من الشيعة وأئمتهم أكثر اعتدالا مما كانوا عليه بالأمس ، ولما جاء عهد الإمام الصادق (ع) كانت الدولة الأموية تلفظ أنفاسها الأخيرة وتعاني من انتصارات اخصامها العباسيين هنا وهناك وبالتالي تقلص ظلها وتم الأمر للعباسيين .

في هذه الظروف الخاصة انطلق الإمامان الباقر والصادق (ع) لأداء رسالتهما وتم لهما ذلك بين عهدين : عهد تحيط به الكوارث والهزائم ، وعهد ظهرت فيه تباشير النصر وأحلام السيطرة على الحكم ، وقامت الحكومة الجديدة على حساب العلويين ، ولم تتهيأ مثل هذه الظروف لأحد من أئمة الشيعة ، ولما استتب الأمر للعباسيين الذين تستروا بأهل البيت وشيعتهم عادوا يمثلون أقبح الأدوار التي مثلها الأمويون معهم حتى قال قائلهم :

يا ليت جور بني مروان دام لنا وليت عدل بني العباس في النار

لقد تأسست جامعة أهل البيت في وقت كانت الدولة الأموية تحيط بها الأخطار من جميع جهاتها واتسعت لأكثر من أربعة آلاف طالب ، ولكن ذلك قد كان بعد أن مضى على المسلمين اكثر من قرن من الزمن لا عهد لهم فيه بفقه يختص بأهل البيت ، ولا بحديث يتجاهر الرواة في نسبته إليهم سوى ما

كان يروى عنهم احيانا بطريق الكتابة في الغالب لأن الامويين كانوا جادين في القضاء على كل آثارهم والتنكيل بكل من يتهم بولائهم .

ولو اتيح للأئمة بعد علي (ع) ان ينصرفوا الى الناحية التي اتجه لها الإمامان الباقر والصادق لكان فقه أهل البيت هو الفقه السائد والمعمول به عند عامة المسلمين ، لأنه من فقه أمير المؤمنين (ع) وأمير المؤمنين كان صاحب الرأي الأول والأخير في الفقه والقضاء بلا منازع ، وقد ترك منه في المدينة والكوفة ما يكفي لحل جميع ما يعترض المسلمين من المشاكل حيث كانوا ، ولكن اخصامه عملوا على طمس آثاره وخلقوا له الأنداد والاضداد بوسائلهم المعروفة كما وقفوا لأبنائه من بعده وشيعتهم بالمرصاد وكانوا يحاسبون ويعاقبون كل من ينسب إليهم رأياً أو يروي عنهم حديثاً ، في حين أنهم أباحوا لكل متعلم أو عالم ان يقول ويروي ما يشاء ويفتي بما يريد في العواصم الإسلامية الكبرى وغيرها ، فسالم بن عبد الله بن عمر وعروة بن الزبير والزهري ومحمد بن شهاب ، ويحيى بن سعيد وعطاء وغيرهم من الموالي والاحرار كانوا أئمة الافتاء في مكة والمدينة وابراهيم النخعي والشعبي كانا بالاضافة الى غيرهما في الكوفة بالرغم من أن النخعي قد اخذ الفقه ممن اخذه عن علي(ع)ولكنه كان ينسب رأي علي(ع)احيانا لنفسه فعدوه لهذه الغاية ممن يجنحون الى العمل بالرأي ، كما كان فقيه البصرة الحسن البصري ، وفقيه اليمن طاوس ، وهكذا فرضوا لكل بلد عالماً او اكثر ليرجع إليه الناس في الحلال والحرام ، أما فقهاء الشيعة الذين عاصروا هذه الطبقة تقريباً كسعيد ابن المسيب والقاسم بن محمد وأمثالهما فمع انهم كانوا من البارزين بين علماء ذلك العصر في الفقه وغيره إلا انه لم يكن لفقههم صبغة التشيع الصريح ، وقد شاع عن سعيد بن المسيب أنه كان يجيب احيانا برأي غيره من علماء عصره أو برأي من سبقه من الصحابة والتابعين مخافة ان يصيبه ما اصاب سعيد بن جبير ويحيى بن أم الطويل وغيرهما ممن تعرضوا للقتل والتشريد لا لشيء سوى تشيعهم لعلي وبنيه (ع) .

ومجمل القول لقد شاء الله لجامعة أهل البيت ان تعيش آمنة مطمئنة ولو لفترة من الزمن تلك الفترة ليست شيئاً بالنسبة لما تركته من الآثار في شرق البلاد وغربها في ثلث قرن من الزمن تقريباً لا اكثر .

وشاء الله لمذهب أهل البيت وفقههم فقه علي بن أبي طالب الذي اخذه عن الرسول بلا وساطة ان ينسبا الى حفيده جعفر بن محمد الصادق الذي اشترك مع ابيه في تأسيسها واستقل بها بعد وفاته ، لا لأن له رأياً في أصول المذهب أو فقهه يختلف فيها عن آبائه وأحفاده وهو القائل حديثي حديث ابي وحديث ابي حديث جدي وحديث جدي حديث رسول الله وحديث رسول الله هو قول الله ، لا لذلك بل لأنه وأباه تهيأ لهما ما لم يتهيأ لغيرهما واستطاعا في تلك الفترة القصيرة المشحونة بالاحداث التي كانت كلها لصالحهما ان يملآ شرق الأرض وغربها بآثار اهل البيت وفقههم ويحققا ما لم يتيسر تحقيقه لمن سبقهما ومن جاء بعدهما لذلك نسبا إلى الإمام الصادق كما يبدو ذلك لكل من تتبع آراء أهل البيت في فقههم ومعتقداتهم .

ولا بد لنا ونحن نتحدث عن الإمام الباقر ودوره في تأسيس تلك الجامعة ان نشير إلى بعض اولئك الذين تخرجوا منها وحملوا آثارها الى مختلف الأقطار . فمن هؤلاء أبان بن تغلب بن رياح ابو سعيد البكري الذي عاصر ثلاثة من ائمة الشيعة وأخذ عنهم ، ويبدو ممن كتبوا في احوال الرواة ان صلته بالإمام الباقر كانت أطول من صلاته بالسجاد والصادق (ع) وأخذ عنه أكثر مما أخذ عنهما ، وروى النجاشي عن إبراهيم بن يزيد النخعي أن أبان بن تغلب كان مقدما في كل فن من العلوم وعد منها الفقه والحديث والأدب واللغة والنحو وأضاف إلى ذلك أنه ألف كتباً كثيرةً منها كتاب في تفسير غريب القرآن . وقال له الإمام أبو جعفر الباقر : اجلس في مسجد المدينة وأفت الناس فإني احب ان يرى في شيعتي مثلك .

وقال المؤلفون في احوال الرواة : انه كان اذا دخل على الإمام الصادق

صـافحه واعتنقـه وأمر لـه بوسـادة ورحب بقـدومـه ، واذا دخـل مسجـد النبي (ص) اخليت له سارية النبي (ص) وتقوضت إليه الحلق .

وجاء في حديث لعبد الرحمن بن الحجاج أنه قال : كنا في مجلس أبان بن تغلب فجـاءه شاب وقـال : يا ابـا سعيد اخبـرني كم شهـد من أصحـاب النبي (ص) عـلي بن أبي طالب في مـواقفه ؟ فقـال ابان بن تغلب : كـأنك تـريد أن تعـرف فضل عـلي (ع) بمن تبعه من أصحـاب النبي (ص) فقـال هـو ذاك ، فقال له ابان : والله ما عرفنا فضلهم إلا باتباعهم إياه .

ونص المؤلفـون في علمي الدرايـة والرجـال انه روى عن الإمـامين البـاقر والصادق أكثر من ثـلاثين ألف حـديث في مختلف المواضيـع وأكثرهـا في الفقه ، وقـال لمن عاتبـه في روايته عن الإمـام الباقـر : كيف تلومني في روايتي عن رجل ما سألته عن شيء إلا قال قال رسول الله ، وقال الإمام الصادق لسليم بن أبي حية : ائت ابان بن تغلب فإنه قـد سمع مني حـديثاً كثيـراً فما روى لـك فاروه عني .

وقد وثقه علماء السنّة ومحدثـوهم مع اعتـرافهم بتشيعه ووصفـه الذهبي في ميزان الاعتدال بالصلابة في تشيعه وصدق الحديث ، وقـال : لنا صـدقه وعليـه بدعته ويعني الذهبي بالبـدعة تفضيله لعـلي (ع) على كبـار الصحابـة وموالاتـه له .

وقـد عد لـه ابن النديم في الفهـرست ثلاثـة كتب ، كتـاب في القـراءات وكتاب في معاني القرآن وكتاب في اصول الحديث على مذهب الشيعة .

ومن تـلامـذة الإمـام البـاقـر زرارة بن أعـين ، وكـان مـرجعـاً في الفقـه والرواية على مذهب أهـل البيت (ع) وفيه يقـول الإمام الصـادق (ع) : لولا زرارة لظننت أن أحاديث أبي ستذهب ، ومما يـدل على جـلالة قـدره وعلو شأنـه قـول الإمام الصـادق فيه وقـد عرض عليـه يـونس بن عمـار مـا رواه زرارة عن أبيـه البـاقــر (ع) من أنـه لا يـرث مـع الأب والام والابن والبنت احـد من

النـاس ، فقال الإمـام الصـادق (ع) : امـا مـا رواه زرارة عن أبي جعفـر فـلا يجوز لي رده .

وجـاء في رواية ابـراهيم بن عبد الحميـد وغيره ان ابـا عبـد الله الصـادق (ع) كـان يقـول : رحم الله زرارة بن اعـين لـولا زرارة ونـظراؤه لانـدرست احـاديث أبي ، وقال فيـه وفي جماعـة من اصحابـه منهم ابـو بصـير ليث المـرادي ومحمـد بن مسلم ويزيـد بن معاويـة العجلي : لـولا هؤلاء ما كـان احـد يستنبط هـذا الفقه ، هؤلاء حفـاظ الدين وأمنـاء أبي (ع) عـلى حـلالـه وحـرامـه وهم السابقون إلينا في الدنيا والآخرة .

وقال له الصـادق (ع) في بعض مجالسـه كما جـاء في ترجمتـه : انك والله احب الناس إلي وأحب اصحاب أبي الي حيـا وميتاً ، وقـد ترك كتـابين احـدهما في الجبر والتفويض ، والثـاني في الاستطاعـة ، كما جـاء في سفينة البحـار للقمي واتقـان المقال للشيـخ محمد طـه نجف وهو احـد الستة من اصحـاب ابي جعفـر الباقر الذين اجمع الرواة على صحة ما صدر عنهم .

ومن اعيان تلامـذته محمـد بن مسلم الثقفي ، وفيه وفي زرارة ومحمـد بن عـلي بن النعمان الملقب بمؤمن الـطاق ويزيـد العجـلي يقـول الإمـام الصـادق : اربعـة احب الناس الي أحيـاء وأمواتـاً ، وقال ابن ابي يعفـور لـلإمـام الصـادق (ع) : ليس كل ساعـة القاك واتمكـن من القدوم عليـك ، ويجيء الرجـل من اصحابنـاً فيسـألني وليس عندي كـل ما يسـألني عنه ، قـال (ع) فما يمنعـك من محمد بن مسلم الثقفي فانه قد سمـع من أبي وكان عنده وجيها .

وروى عنـه جماعـة انه قـال : اني لنـائم ذات ليلة عـلى السـطح اذ طـرق الباب طارق فأشرفت من عـلى السطح فـاذا الطارق امـرأة ، فقالت لي عـروس ظهـر بها الـطلق فما زالت تـطلق حتى ماتت والـولـد يتحـرك في بـطنهـا يـذهب ويجيء فما اصنع بها ؟ فقلت يا امـة الله ، سئل محمـد بن علي بن الحسـين (ع) عن مثل ذلك ، فقال يشق بطن الميت ويستخـرج منه الـولد افعـلي مثل ذلـك ،

انـا يا أمـة الله في ستر من وجهـك إلي ، فقـالـت : رحمـك الله ، لقـد جئت ابـا حنيفـة اسألـه فقـال مـا عنـدي في هـذا شيء ، ولكن عليـك بمحمـد بن مسلم الثقفي فانه يخبرك فما افتاك به من شيء فعودي إلي .

وكـان محمد بن مسلم يقـول : ما شجـر في رأيي شيء إلا سألت عنـه ابا جعفـر الباقـر حتى سألتـه عن ثلاثـين الف حديث ، وسـألت ولده ابـا عبـد الله عن ستـة عشر ألف حـديث كـما جـاء ذلـك في روايـة الكشي وأكـثر المؤلفـين في الرجال .

ومنهم محمـد بن عـلي بن النعمـان الملقب بمؤمن الـطاق ، فقـد نص أبـو العباس النجاشي أنه أخذ العلم عن ثلاثة من الأئمـة علي بن الحسـين ومحمد بن عـلي وجعفر بن محمـد ، ولقب بالـطاق لأنه كـان صـرافـاً في محـل يـدعى بـاب الـطاق من محلات الكـوفة ، وهـو أحد الأربعـة الذين دعـا لهم الإمام الصـادق وترحم عليهـم احياء وأمواتاً .

وجاء عن أبي خالد الكابلي أنه قـال : رأيت أبا جعفـر صاحب الـطاق في الروضة وقـد قطع أهـل المدينـة أزراره وهو دائب يجيبهم ويسـألونـه فدنـوت منه وقلت لـه ان ابا عبـد الله نهانا عن الكـلام ، فقال : لقـد امـرك ان تقـول لي ؟ فقـال لا والله ولكنـه امـرني ان لا اكلم احـدا ، قـال : فـاذهب وأطعـه فيـما أمرك ، قال الكابلي : فـدخلت على أبي عبـد الله الصادق (ع) فـأخبرتـه بقصة صاحب الطاق ومـا قلت له ومـا اجابني بـه ، فتبسم ابو عبـد الله (ع) وقال : يا ابا خـالد ان صـاحب الطاق يكلم النـاس فيطير وينقض وأنت اذا قصـوك لن تطير .

ويبـدو من تتبع اخبـاره أنه كـان قوي الحجة كثـير الجـدل ينهـزم امـامـه الخصم بـالغـاً مـا بلغ من العلم ، لـذلـك فـان الإمـام لم يمنعـه من الجـدل والمناظرة ، وانما كان يمنـع عنها من لا يثبتـون امام الخصم ولا يعـرفون اسـاليب المنـاظرة والاحتجـاج كما يـدل على ذلـك قولـه لأبي خـالـد الكـابـلي : ان مؤمن

الطاق يكلم الناس فيطير وأنت اذا قصوك لن تطير .

وجاء في اخباره انه دخل على بعض زعماء الخوارج في الكوفة ، فقال له : انا على بصيرة من ديني وقد سمعتك تصف العدل فأحببت الدخول معك ، فقال الخارجي لأصحابه : ان دخل هذا معكم نفعكم ، فقال له مؤمن الطاق : لِمَ تبرأتم من علي بن أبي طالب واستحللتم قتله وقتاله ؟ قال الخارجي : لأنه حكم الرجال في دين الله ، قال وكل من حكم في دين الله استحللتم قتله ؟ قال : نعم ، فقال له : فاخبرني عن الدين الذي جئت اناظرك به لأدخل معك فيه ، ان غلبت حجتي حجتك من يوقف المخطىء منا عن خطئه ويحكم للمصيب بصوابه ؟ فأشار الضحاك الى رجل من أصحابه وقال : هذا هو الحكم بيننا ، فتوجه عند ذلك مؤمن الطاق إلى من كان حاضراً من الخوارج وقال : ان زعيمكم هذا قد حكم في دين الله ، فضربوه بسيوفهم حتى سكت ، وله مواقف كثيرة مع زعماء الفرق وعلماء المذاهب كان يخرج منها ظافراً منتصراً على خصومه ، ويبدو من مواقفه ومناظراته أنه كان ذكياً قوي الحجة يأخذ خصمه من حيث لا يشعر ويخصمه بمنطقه كما يشير إلى ذلك موقفه المتقدم مع الخارجي .

ومنهم يزيد العجلي وقد نص المؤلفون في احوال الرواة على أنه كان من البارزين بين اصحاب الإمام الباقر (ع) ولازم الصادق بعد وفاة ابيه كما هو الحال في كثير من أصحابه الذين امتدت بهم الحياة وأدركوا شطرا من حياته وبعضهم بقي الى عهد الإمام الكاظم وروى عنه ايضا .

وقد عده الإمام الصادق من النجباء والامناء على حلال الله وحرامه كما جاء في رواية جميل بن دراج عنه .

وجاء في رواية داود بن سرحان ان الإمام الصادق (ع) كان يقول : ان اصحابي لو سمعوا وأطاعوا لأودعتهم ما اودع ابي اصحابه ، وأضاف الى ذلك : ان اصحاب ابي كانوا زينا لنا أحياء وأمواتاً . وعد الإمام منهم يزيد

العجلي ووصفهم بالقوامين بالقسط والصدق والسابقين الى الخيرات .

ومنهم جابر الجعفي الذي روى عن الإمام الباقر نحوا من خمسين ألف حديث في مختلف المواضيع كما نصت على ذلك المؤلفات في احوال الرواة ، ولو افترضنا وليس ببعيد ان هذا العدد مبالغ فيه ، فمما لا ريب فيه في أنه كان قد أكثر من الرواية عنه ، وقلما يجد المتتبع بابا من ابواب الفقه وغيره من المواضيع الإسلامية إلا ويجد له رواية او اكثر فيه .

ومنهم الفضيل بن يسار ، وأبو بصير الأسدي ، وعبد الله بن مسكان ، وابان بن عثمان الأحمر ، وحريز بن عبد الله ، وعبد الله بن جندب ، وعلي بن النعمان وصفوان الجمال ، وهؤلاء الثلاثة عبد الله وعلي بن النعمان وصفوان الجمال كانوا قد تعاهدوا في بيت الله على ان من مات منهم قبل الآخر صلى عنه من بقي بعده وصام عنه وحج له ، وأعطى عنه من ماله مقدار ما كان يعطيه في كل عام من الزكاة ، وقام بجميع ما كان يقوم به من أعمال الخير ، فمات عبد الله بن جندب وعلي بن النعمان قبل صفوان بن مهران ، فكان يصلي في كل يوم مائة وخمسين ركعة ويصوم في كل سنة ثلاثة اشهر ، ويزكي عنه وعن صاحبيه ، وكل ما كان يأتي به من أعمال الخير عن نفسه يأتي بمثله عنهما ، الى غير هؤلاء من المئات الذين تخرجوا من جامعة أهل البيت وأخذوا الفقه والحديث عن الإمامين الباقر والصادق ، وألفوا مما سمعوه منهما عشرات الكتب كما نصت على ذلك المؤلفات التي تحدثت عن تاريخهم وآثارهم .



من أجوبة الإمام ومناظراته

لم يكن دور الإمام الباقر مقتصرا على الفقه والحديث كما ذكرنا ، بل كان هو وأصحابه يناظرون في أصول الإسلام ويحاولون تركيزها في النفوس حتى لا تتعرض لما أثير في ذلك العصر من الجدل والنزاع في أصول العقائد .

وجاء في الوافي لمحسن الفيض وغيره من كتب الحديث ان نافع بن عبد الله الازرق كان يقول : لو علمت ان بين قطريها احدا تبلغني إليه المطايا يخصمني ان عليا قتل أهل النهروان وهو غير ظالم لهم لرحلت إليه ، فقيل له ولا ولده ، فقال في ولده عالم ؟ فقيل له هذا أول جهلك ، وهل يخلون من عالم في كل عصر ؟ فقال : ومن عالمهم اليوم ؟ قيل له محمد بن علي بن الحسين ، فرحل إليه في جمع من اصحابه حتى أتى المدينة فاستأذن على أبي جعفر ، فقال وما يصنع بي وهو يبرأ مني ومن آبائي ، ثم قال الإمام لغلامه : اخرج إليه وقل له : إذا كان الغد فأتنا ، فلما أصبح دخل عليه عبد الله في أصحابه ، وكان الإمام (ع) قد جمع ابناء المهاجرين والانصار ، فقال لمن حضر منهم : من كانت عنده منقبة لعلي بن أبي طالب اقسمت عليه الا ذكرها ، فتحدث جماعة منهم بما اشتهر من فضله ومناقبه ، فلم ينكر نافع بن عبد الله بن الأزرق شيئاً مما ذكروه ، ولكنه نسب له الكفر لأنه وافق على

التحكيم في صفين فذكره الإمام (ع) بحديث خيبر وقول النبي (ص) : لأعطين الراية غداً رجلاً يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله ، واعترف ابن الأزرق بصحة الحديث .

فقال له ابو جعفر : اخبرني عن الله سبحانه أحب علياً يوم احبه وهو يعلم أنه يقتل أهل النهروان ، أو انه لا يعلم ، فسكت الخارجي ، ولم يعرف بماذا يجيب ، فإن قال بأن الله لا يعلم فقد نسب إليه الجهل : وان قال بأنه يعلم ، فإذا لم يكونوا مستحقين للقتل يكون علي بن أبي طالب قد ارتكب خطأ كبيراً وظلماً فاحشاً بقتلهم فكيف احبه الله وهو ظالم لعباده ، والله لا يحب الظالمين المجرمين ، ولا مفر له عن الاعتراف باستحقاقهم للقتل فخرج من مجلس الإمام مخصوماً مدحوراً .

وجاء في توحيد الصدوق عن عبد الله بن سنان عن أبيه أنه قال : كنت في مجلس الإمام محمد الباقر (ع) فجاءه أحد الخوارج وقال له : يا جعفر أي شيء تعبد ؟ قال له : اعبد الله ، فقال : هل رأيته ؟ فقال : لم تره العيون بمشاهدة العيان ولكن رأته القلوب بحقائق الإيمان لا يعرف بالقياس ولا يدرك بالحواس ولا يشبه الناس موصوف بالآيات لا يجور في حكم ذلك هو الله لا إله إلا هو ، فخرج الرجل وهو يقول : الله أعلم حيث يجعل رسالته .

وفي توحيد الصدوق عن محمد بن مسلم انه قال : سألت ابا جعفر (ع)عن قول الله عز وجل : ﴿**يا ابليس ما منعك ان تسجد لما خلقت بيدي**﴾، فقال (ع) : اليد في كلام العرب القوة والعظمة ، قال سبحانه : والسماء بنيناها بأيد اي بقوة ، وقال تعالى : ﴿**وأيدهم بروح منه**﴾أي بقوة ويقال لفلان : عندي أياد كثيرة أي فواضل واحسان وله عندي يد بيضاء أي نعمة .

وسأله عمرو بن عبيد عن قوله سبحانه ﴿ **ومن يحلل عليه غضبي فقد هوى** ﴾ ما ذلك الغضب ؟ فقال أبو جعفر (ع) : الغضب هو العقاب يا

عمرو انه من زعم ان الله عز وجل زال من شيء إلى شيء فقد وصفه بصفة المخلوقين ، ان الله لا يستفزه شيء ولا يغيره شيء .

وجاء في الارشاد للمفيد عن محمد بن أبي عمير عن عبد الرحمن بن الحجاج عن أبي عبد الله الصادق (ع) انه قال : ان محمد بن المنكدر كان يقول : ما كنت ارى أن مثل علي بن الحسين يدع خلفاً لفضل علي بن الحسين حتى رأيت ابنه محمد بن علي (ع) فأردت أن أعظه فوعظني ، خرجت إلى بعض نواحي المدينة في ساعة حارة فلقيت محمد بن علي (ع) وكان رجلاً بديناً وهو متكىء على غلامين له ، فقلت شيخ من شيوخ قريش في هذه الساعة على هذه الحال في طلب الدنيا والله لأعظنه فدنوت منه وسلمت عليه فسلم علي بنهر وقد تصبب عرقاً فقلت : اصلحك الله شيخ من أشياخ قريش في هذه الساعة على مثل هذه الحالة في طلب الدنيا لو جاءك الموت وأنت على هذه الحالة ، قال : فخلى عن الغلامين يديه ثم تساند وقال : لو جاءني والله الموت وأنا على هذه الحال جاءني وأنا في طاعة من طاعات الله اكف بها نفسي عنك وعن الناس ، وانما كنت اخاف الموت لو جاءني وأنا على معصية من معاصي الله ، فقلت : يرحمك الله اردت ان اعظك فوعظتني .

وابن المنكدر هذا كان يميل إلى التصوف كطاوس اليماني وابراهيم بن ادهم وغيرهما وكان قد ترك التكسب وانصرف إلى العبادة وعاش كلاً على الناس فكان جواب الإمام (ع) تعريضاً به وتنبيهاً له على خطئه في هذا الأسلوب لأن السعي في طلب الرزق ليستغني به عن الناس من أفضل العبادات ، وقد جاء عن النبي (ص) انه كان يقول : ملعون ملعون من القى كله على الناس ، وقال: عمل يوم خير من عبادة سنة ولذلك قال له ابن المنكدر : اردت ان اعظك فوعظتني .

وجاء في رواية المفيد أن نافع بن الازرق جاءه يوماً يسأله عن مسائل في الحلال والحرام ، فقال له الإمام أبو جعفر الباقر وهو يحدثه : يا نافع قل لهذه

المارقة بِم استحللتم فراق أمير المؤمنين وقد سفكتم دمـاءكم بين يـديه في طـاعته والتقـرب الى الله بنصرتـه واذا قالـوا لك لأنـه حكم الرجـال في دين الله ، فقل لهم : قـد حكم الله تعالى في الشـريعة رجلين من خلقـه فقـال : وابعثـوا حكـما من اهله وحكـماً من أهلها ان يـريدا اصـلاحاً يـوفق الله بينهـما ، وحكم رسـول الله (ص) سعـد بن معـاذ في بني قـريـظة فحكم فيهم بمـا امضـاه الله ، او مـا علمتم ان امير المؤمنين انما أمر الحكمـين أن يحكما بـالقرآن ولا يتعـدياه واشتـرط رد مـا خالف القـرآن من أحكام الـرجال ، وقـال حين قـالـوا لـه حكمت عـلى نفسـك من حكم عليـك ، قـال : مـا حكمت مخلوقـاً وانمـا حكمت كتـاب الله فـأين تجد المـارقة تضليـل من أمر بـالحكم بالقـرآن واشترط رد مـا خـالفـه لـولا ارتكـابهم في بدعتهم البهتـان ، فقال نـافع بن الازرق : هـذا والله كلام مـا مر بمسمعي قط ولا خطر مني على بال وهو الحق .

وروى الكليني في الكـافي عن أبي حمزة الثمـالي انه قـال : كنت جالسـاً في مسجـد محمـد رسـول الله (ص) اذ اقبـل رجـل فسلم فقـال من أنت يـا عبـد الله ؟ قلت : رجـل من أهل الكـوفة فـما حاجتـك ، قـال : أتعـرف أبـا جعفـر محمـد بن عـلي ؟ قلت : نعم فـما حـاجتـك اليـه اذا كنت تعـرف مـا بـين الحق والبـاطل ، فقـال لي : انتم يا أهـل الكوفـة قوم لا تـطاقون إذا رأيت ابـا جعفر فاخبرني ، فما انقطع كلامه حتى أقبل أبو جعفـر وحولـه أهل خـراسان وغيـرهم يسألونـه عن مناسـك الحج فمضى حتى جلس مجلسـه وجلس الرجـل قريبـاً منه فجلست اسمـع الكلام وحـوله عـالم من الناس فلما قضى حـوائجهم وانصـرفـوا التفت الى الرجل وقـال له : من أنت ؟ فقـال : انا قتـادة بن دعامـة البصري ، فقـال له ابـو جعفـر (ع) : انت فقيـه أهـل البصـرة ؟ قـال : نعم ، فقـال : ويحـك يا قتـادة ان الله عز وجـل خلق خلقـاً فجعلهم حججـاً عـلى خلقـه فهم أوتاد في أرضه قـوام بأمـره نجباء في علمـه اصطفـاهـم قبل خلقـه اظلة عن يمين عـرشه ، فسكت قتـادة طويـلاً ثم قال : اصلحـك الله ، والله لقد جلست بـين يـدي الفقهاء ومـع ابن عباس فـما اضـطرب قلبي من احـد منهم مـا اضـطرب

منك ، فقال له ابو جعفر (ع) : أتدري أين أنت ؟ أنت بين يدي بيوت اذن الله ان ترفع ويذكر.فيها اسمه يسبح له فيها بالغدو والآصال رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله واقام الصلاة وإيتاء الزكاة فأنت ثم ونحن اولئك ، فقال له قتادة : صدقت والله جعلني الله فداك ما هي بيوت حجارة ولا طين .

ثم قال له قتادة : فأخبرني عن الجبن ، فتبسم ابو جعفر الباقر (ع) وقال : رجعت مسائلك الى هذا ، قال : ضلت عني ، قال له الإمام (ع) : لا بأس به ، فقال قتادة : انه ربما جعلت فيه انفحة الميتة ، قال : ليس بها بأس ، ان الأنفحة ليس لها عروق ولا فيها دم ولا لها عظم انما تخرج من بين فرث ودم ، ومضى يقول : ان الأنفحة بمنزلة دجاجة ميتة اخرجت منها بيضة فهل تأكل تلك البيضة ، فقال له قتادة : لا ولا آمر بأكلها ، فقال له ابو جعفر : ولم ؟ قال لأنها من الميتة ، فقال له الإمام (ع) : فان حضنت تلك البيضة فخرجت منها دجاجة اتأكلها ؟ قال : نعم ، قال : فما حرم عليك البيضة وأحل لك الدجاجة وكذلك الأنفحة ، فاشتر الجبن من أسواق المسلمين ومن أيدي المصلين ولا تسأل عنه الا أن يأتيك من يخبرك عنه .

وروى الرواة ان عبد الله بن معمر الليثي قال لأبي جعفر الباقر (ع) : بلغني انك تفتي في المتعة ، فقال : لقد احلها الله في كتابه وسنها رسول الله (ص) وعمل بها اصحابه ، فقال له عبد الله : وقد نهى عنها عمر بن الخطاب ، فقال له الإمام : انت على قول صاحبك وأنا على قول رسول الله (ص) ، فرد عليه عبد الله بن معمر بقوله : ايسرك أن نساءك فعلن ذلك ، فقال له الإمام (ع) : وما ذكر النساء يا احمق ، ان الذي احلها في كتابه وأباحها لعباده أغير منك وممن نهى عنها تكلفا ، بل يسرك ان بعض حرمك تحت حائك من حاكة يثرب نكاحا ، قال : لا ، قال : فلِمَ تحرم ما أحل الله ، قال : لا أحرم ولكن الحائك ما هو لي بكفء ، قال ابو جعفر (ع) : فإن الله ارتضى عمله ورغب فيه وزوجه حوراً أفترغب عمن رغب الله فيه وتستنكف ممن هو كفء لحور الجنان كبرا وعتوا ، فضحك عبد الله وقال : ما

احسب صدوركم الا منابت اشجار العلم فصار لكم ثمره وللناس ورقه .

وجاء في رواية ابي بصير ان الإمام الباقر جلس يوماً في الحرم ومعه جماعة من أصحابه فأقبل طاوس اليماني في جماعة من الناس وقال لأبي جعفر : اتأذن لي في السؤال ، فقال : قد اذنت لك فسل عما تريد ، قال : اخبرني متى هلك ثلث الناس ، فقال الإمام (ع) : لعلك وهمت يا شيخ وأردت ان تقول ربع الناس ، فقال : نعم لقد اردت ذلك يا ابن رسول الله ، فقال الإمام (ع) : لقد هلك ربع الناس يوم قتل قابيل هابيل ذلك انه لم يكن على وجه الأرض غير آدم وحواء وقابيل وهابيل ، فهلك ربعهم بموت هابيل ، فقال طاوس : فأيهما كان ابا للناس القاتل او المقتول ، فقال الإمام (ع) : لا هذا ولا ذاك بل شيث بن آدم ، فقال : فلِمَ سمي آدم آدم ؟ قال : لأن طينته رفعت من أديم الأرض السفلى ، فقال : لِمَ سميت زوجته حواء ، قال (ع) : لأنها خلقت من ضلع حي يعني ضلع آدم ، قال : فلِمَ سمي إبليس بهذا الاسم ؟ قال : لأنه ابلس من رحمة الله عز وجل فلا يرجوها ، قال : فلِمَ سمي الجن جناً ؟ قال : لأنهم استجنوا فلم يروا ، قال : فاخبرني عن أول كذبة كذبت من صاحبها ، قال : كذبة ابليس حين قال : انا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين ، قال : فاخبرني عن قوم شهدوا شهادة الحق وكانوا كاذبين ، قال (ع) : المنافقون حين قالوا نشهد انك لرسول الله والله يشهد ان المنافقين لكاذبون ، قال : فاخبرني عن طائر طار مرة ولم يطر قبلها ولا بعدها ذكره الله عز وجل في القرآن ما هو ، فقال الإمام : هو طور سيناء اطاره الله عز وجل على بني اسرائيل حين اظلهم بجناح منه فيه الوان العذاب حتى قبلوا التوراة ، وذلك قوله تعالى : واذ نتقنا الجبل فوقهم كأنه ظلة وظنوا انه واقع بهم ، قال طاوس : فاخبرني عن رسول بعثه الله ليس من الجن ولا من الانس ولا من الملائكة ذكره الله في كتابه ، فقال الإمام (ع) : هو الغراب حين بعثه الله ليري قابيل كيف يواري سوأة أخيه هابيل حين قتله وذلك قوله تعالى فبعث الله غراباً يبحث في

الأرض ليريه كيف يواري سوأة أخيه ، قال فاخبرني عمن أنذر قومه وهو ليس من الجن ولا الانس ولا الملائكة وقد ذكره الله في كتابه ، فقال الإمام : هو النملة حين قالت : يا ايها النمل ادخلوا مساكنكم لا يحطمنكم سليمان وجنوده وهم لا يشعرون ، قال : فاخبرني عن صلاة مفروضة بدون وضوء وصائم صام ولم يمتنع عن الأكل والشرب ، فقال الإمام (ع) : اما الصلاة بغير وضوء فهي الصلاة على النبي وآله ، وأما الصوم فقد حكاه الله سبحانه عن مريم بقوله : اني نذرت للرحمن صوما فلن اكلم اليوم انسيا .

وقد سأله كما يدعي الراوي عن شيء يزيد وينقص وشيء يزيد ولا ينقص وشيء ينقص ولا يزيد ، فقال له ان الذي يزيد وينقص هو القمر والذي يزيد ولا ينقص هو البحر ، والذي ينقص ولا يزيد هو العمر .

وجاء في بعض المرويات عن أبي محمد الحسن العسكري (ع) أنه قال : كان محمد بن علي بن الحسين في مجلسه يوما فقال ان رسول الله (ص) لما أمر بالمسير إلى تبوك أمر بأن يخلف علياً في المدينة فقال علي : يا رسول الله ما كنت احب ان اتخلف عنك في شيء من امورك وان اغيب عن مشاهدتك والنظر إلى هديك وسمتك ، فقال رسول الله (ص) : يا علي اما ترضى ان تكون مني بمنزلة هارون من موسى إلا إنه لا نبي بعدي ، تقيم يا علي وإن لك من الأجر مثل الذي يكون لك لو خرجت مع رسول الله ، ولك مع ذلك اجر كل من خرج مع رسول الله موقنا طائعا ، وان لك على الله يا علي لمحبتك ان تشاهد من محمد سمته في سائر احواله ولا يفوتك شيء بقدرة الله ومشيئته فقام إليه رجل وقال : يا ابن رسول الله كيف يكون وهذا للأنبياء لا لغيرهم ، فقال الإمام (ع) : هذا هو معجزة لمحمد رسول الله لا لغيره لأن الله يمكنه من ذلك بدعاء محمد (ص) .

ثم قال الإمام الباقر : ما اكثر ظلم هذه الأمة لعلي بن أبي طالب وأقل انصاره ، انهم يمنعون علياً ما يعطونه لسائر الصحابة وهو افضلهم ، فكيف

يمنع منزلة يعطونها غيره ، فقيل له : وكيف ذاك يا ابن رسول الله ؟ قال : لأنكم تتولون محبي ابي بكر بن أبي قحافة وتتبرأون من اعدائه كائنا من كان ، كذلك تتولون عمر بن الخطاب وعثمان بن عفان وتتبرأون من اعدائهما كائنا من كان حتى اذا صار الى علي (ع) قلتم نتولاه ولا نتبرأ من اعدائه بل نحبهم فكيف يجوز هذا لهم ورسول الله (ص) يقول : في علي (ع) اللهم وال من والاه وعاد من عاداه واخذل من خذله ، افترونه يقول ذلك ، ولا يعادي من عاداه ولا يخذل من خذله ليس هذا بإنصاف .

ومضى الإمام يقول كما يدعي الراوي : ثم انهم اذا ذكروا ما اختص الله به علياً بدعاء رسول الله (ص) وكرامته على ربه تعالى جحدوه ويقبلون ما يذكر لغيره من الصحابة ، فما الذي منع علياً (ع) ما جعله لسائر اصحاب رسول الله (ص) هذا عمر بن الخطاب اذا قيل لهم انه كان على المنبر في المدينة يخطب في الناس واذا به ينادي يا سارية الجبل ، فلما اتم خطابه وفرغ من الصلاة سألوه عما قاله وهو يخطب فقال : اعلموا أني وأنا اخطب اذ رمقت ببصري نحو الجهة التي خرج فيها اخوانكم الى غزوة الكافرين بنهاوند بقيادة سعد بن وقاص ففتح الله لي الاستار والحجب وقوي بصري حتى رأيتهم اصطفوا بين يدي جبل هناك .

وقد جاء بعض الكفار ليدور خلف سارية ومن معه من المسلمين ويحيطوا بهم ، فقلت : يا سارية الجبل ليلتجىء إليه ويكون الجبل في ظهره ويمنعهم بذلك من أن يحيطوا به ، وقد منح الله اخوانكم المؤمنين اكتاف الكافرين وفتح الله عليهم بلادهم ، فاحفظوا هذا الوقت فسيرد عليكم الخبر بذلك ، وكان بين المدينة ونهاوند مسيرة اكثر من خمسين يوماً ، وأضاف الى ذلك الإمام أبو جعفر الباقر كما جاء في الرواية فإذا جاز مثل هذا لعمر بن الخطاب فكيف لا يكون مثله لعلي بن أبي طالب (ع) ولكنهم قوم لا ينصفون بل يكابرون .

وحـدث زرارة عنه فقـال : كنت جالسـاً الى جنب أبي جعفر البـاقر وهـو مستقبل القبلة فقال : امـا ان النظر إليهـا عبادة فجـاءه رجل من بجيلة فقـال : يا أبا جعفر ان كعب الأحبار كان يقول: ان الكعبة تسجد لبيت المقـدس في كل غداة ، فقال ابو جعفر (ع) : فـما تقول انت فيـما قال كعب ؟ فقـال الرجـل : صدق كعب الأحبار ، فـرد عليه ابـو جعفر (ع) بقـوله : كـذبت وكذب كعب الأحبار معك وغضب . وقال زرارة : ما رأيته استقبل احدا بقوله كذبت غيره .



الإمام الباقر مع عبد الملك بن مروان

يـدعي بعض الرواة ان عبـد الملك بن مروان كـان يحاول ان يكـون أقـل عنفاً من أسلافـه مع العلويـين وأنه كتب إلى عـامله في الحجاز كتـاباً جـاء فيه : جنبني دمـاء آل أبي طالب فـإني رأيت آل حرب لما تهجموا بهـا لم ينصروا ، وإذا صح عنه أنه كان أرفق بـالعلويين وشيعتهم من اسـلافه ، فـذلك لأنـه قد أدرك مدى الاستياء الذي خلفته سياسة معـاوية وولـده يزيـد معهم وما تـرتب عليها من الانتفـاضات في مختلف أنحـاء الدولـة لا سيما وقـد ظهر منـافسه الجـديد في الحجـاز واتسعت اطماعـه للعراق وغيـرها من المنـاطق ولكن هذه الـظاهـرة من عبد الملك لم ترافقه طيلة حكمه ، فما أن تم له القضـاء على خصمـه ابن الزبـير حتى كتب إلى عمـالـه وأمـرهم بـالشـدة والقسـوة عـلى شيعـة أهـل البيت وأمـر الحجـاج بأن يـذهب إلى العراق وقـال لـه : احتـل لقتلهم فقـد بلغني عنهم مـا اكره ، وإذا قدمت الكوفة فطأها وطـأة يتضاءل لهـا اهل البصـرة ، وراح يراقب تحركات الأئمة وتصرفاتهم وأمر واليـه على الحجـاز ان يرسـل إليه زين العـابدين وكـان حاقـداً عليه كما ذكرنـا ذلك خـلال حديثنـا عن سيرتـه وكانت للحجـاج مواقف مع شيعـة العراق لم يحـدث التاريخ بأسـوأ منها ، ومـع ما كـان منه مـع الأئمـة وشيعتهم ، فلقد كـان يلجأ اليهم في بعض المهمـات التي تهمـه ولا يجـد المخـرج منها لعلمـه بمكانتهم وأنهم لا يبخلون في النصيحـة على احـد ولـو كـان

من ألد أخصامهم وأعدائهم وبخاصة إذا كانت لمصلحة الإسلام .

فقد جاء في حياة الحيوان للشيخ كمال الدين الدميري وفي شذرات العقود للمقريزي وغيرهما عن الكسائي انه قال : دخلت على الرشيد ذات يوم وهو في ايوانه وبين يديه مال كثير قد شق عنه البدر شقا وأمر بتفريقه وبيده درهم تلوح كتابته وهو يتأمله كثيراً ، ثم قال لي : هل علمت أول من سن هذه الكتابة في الذهب والفضة ؟ قلت : سيدي هو عبد الملك بن مروان ، قال : فما كان السبب في ذلك ؟ قلت : لا علم لي غير انه اول من أحدث هذه الكتابة ، فقال : سأخبرك بذلك ، لقد كانت القراطيس للروم وكان اكثر من بمصر نصرانياً على دين ملك الروم وكانت تطرز بالرومية وطرازها (اب وابن وروح القدس) فلم يزل كذلك في صدر الإسلام كله يمضي على ما كان عليه إلى أن ملك عبد الملك بن مروان فتنبه له وكان فطناً ، فبينما هو ذات يوم اذ مر به قرطاس فنظر إلى طرازه فأمر أن يترجم إلى العربية ففعل ذلك فأنكره وقال : ما اغلظ هذا في أمر الدين والإسلام ان يكون طراز القراطيس وهي تحمل في الأواني والثياب وهما يعملان في مصر وغير ذلك مما يطرز من ستور وغيرها من عمل هذا البلد على سعته وكثرة ماله وقد طرزت بسطر مثبت عليها ، فكتب إلى اخيه عبد العزيز بن مروان وكان عامله على مصر بإبطال ذلك الطراز وأن يأمر صناع القراطيس ان يطرزوها بسورة من القرآن وهذا طراز القراطيس خاصة الى هذا الوقت لم ينقص ولم يزد ولم يتغير ، وكتب الى عماله في الآفاق بإبطال ما في اعمالهم من القراطيس المطرزة بطراز الروم ومعاقبة من وجد عنده بعد هذا النهي شيء منها بالضرب والحبس ، فلما ثبتت القراطيس بالطرز الجديد وحمل الى بلاد الروم وانتشر خبره ووصل الى ملكهم وترجم له انكره واستشاط غيظاً ، فكتب إلى عبد الملك أن عمل القراطيس بمصر وسائر ما يطرز هناك للروم ولم يزل يطرز بطراز الروم إلى أن أبطلته أنت ، فإن كان من قبلك من الخلفاء أصاب فقد أخطأت أنت ، وإن كنت قد أصبت فقد اخطأوا فاختر من هاتين أيهما شئت وأحببت ، وبعث إليه

مع الكتاب هدية ثمينة وطلب إليه رد الطراز إلى ما كان عليه فرد عليه عبد الملك كتابه وهديته فأرسل إليه ملك الروم ثانياً وثالثاً وفي كل مرة يكتب إليه ويضاعف الهدية وعبد الملك يرفضها وأخيراً تهدده ملك الروم بأن ينقش على الدراهم والدنانير شتم النبي (ص) ودار حوار بين الطرفين لم ينته الى حل للأزمة وبقي ملك الروم على اصراره وكانت الدراهم والدنانير التي يتعامل بها المسلمون في جميع بلادهم من صنع الروم ، فضاق بعبد الملك امره واستشار حاشيته وأصحابه وذوي الرأي من المسلمين فلم ينتهوا الى نتيجة تحسم النزاع وتحفظ للمسلمين كرامتهم ، ولما ضاق بعبد الملك امره استشار روح بن زنباع ، فقال له : انك لتعرف المخرج من هذا الأمر ولكنك تتعمد تركه ، فقال له : ويحك من هو؟ فقال : عليك بالباقر من أهل بيت النبي (ص) ، فقال : صدقت ولكنه ارتج علي الرأي فيه ، فكتب إلى عامله في المدينة ان أشخص الي محمد بن علي بن الحسين (ع) مكرما ومتعه بمائة ألف درهم لجهازه وبثلاثمائة الف درهم لنفقته ، ولما عرض الوالي على الإمام الباقر كتاب عبد الملك شد الرحال واتجه الى الشام ، ودخل على عبد الملك فاستقبله ورحب بقدومه وقص عليه ما جرى له مع ملك الروم وطلب منه المخرج من تلك الأزمة التي استعصى عليه حلها ، فقال له الباقر (ع) : لا يعظم هذا عليك ، الرأي ان تدعو في هذه الساعة من يضرب لك الدراهم والدنانير وتنقش على احد وجهيها صورة التوحيد وعلى الوجه الثاني محمد رسول الله ، وتجعل في مدارها ذكر البلد الذي يضرب فيه والسنة التي يضرب فيها ، ثم وضع له الإمام (ع) خطة يستحيل معها التلاعب في وزن الدراهم والدنانير او تزويرها كما بيّن له الكيفية التي يتم صنع النقود الإسلامية فيها بصنع صنجات من قوارير لا تستحيل الى زيادة ولا نقصان على حد تعبير الراوي ، ثم قال له الإمام (ع) : فإذا فعلت ذلك فأمر بوجوب التعامل بها وتهدد المخالفين بأشد العقوبات وبذلك تقطع الطريق على ملك الروم وتستغني عن نقوده ، فاستحسن ذلك عبد الملك وباشر فعلا بما اشار به الإمام الباقر (ع) ، وخلال اشهر قليلات انتهى كل شيء وأصدر اوامره الى جميع الأقطار

الإسلامية بالتعامل بالدنانير والدراهم الإسلامية وابطال ما كان متعارفاً من استعمال الطروز الرومية ، وقيل لملك الروم : افعل ما كنت تهدد به ملك العرب ، فقال : انما اردت ان اغيظه بما كتبت إليه لأني كنت قادراً عليه والمال وغيره برسوم للروم ، فأما الآن فلا أفعل لأن ذلك لا يتعامل به أهل الاسلام ، هذا مجمل ما رواه الدميري في حياة الحيوان عن المحاسن والمساوىء للبيهقي ورواه غيره بهذا المضمون عن شذرات العقود للمقريزي .

وفي رواية ثانية تتلخص فيما يلي : على أثر صراع عنيف واشتباكات بين الدولتين الرومانية والإسلامية على حدودهما هدد ملك الروم عبد الملك بن مروان بقطع النقود عن البلاد الإسلامية وكان المسلمون يتعاملون بها اذا لم يتخل المسلمون عن الحدود المتنازع عليها فاضطرب عبد الملك لأن عملا من هذا النوع يؤدي الى شلل الاقتصاد الاسلامي ، فجمع اعيان المسلمين واستشارهم في المخرج من هذه الأزمة ، فلم ينتهوا إلى نتيجة حاسمة ، فأشاروا عليه بالرجوع إلى الإمام الباقر (ع) ، فأرسل إليه كتاباً يدعوه فيه الى الحضور ، فلبى الإمام الدعوة ووفد على الشام ، فعرض عليه عبد الملك ما جرى له مع الروم وما انتهى إليه الحال فقال له الإمام (ع) : لا يهولنك ما ترى أرسل إلى ملك الروم واستمهله مدة من الزمن لترى رأيك فيما عرضه عليك وخلال تلك المدة ارسل الى عمالك في جميع المقاطعات وأمرهم بأن يجمعوا الذهب والفضة حتى الأقراط من آذان النساء حتى اذا توفرت لك الكمية الكافية باشر بصك الدرهم والدينار ، وحدد له الإمام وزنهما وكيفيتهما وأمره ان يكتب على احدى الجهتين محمد رسول الله وترك له ان يكتب على الجهة الثانية ما يريد ، وأضاف الإمام الى ذلك ما حاصله ، وعند الفراغ من ذلك ضع الدرهم والدينار في أيدي المسلمين وامنع من التعامل بغيرهما حتى لا يبقى لملك الروم سلطان عليك ، فلم يجد عبد الملك بديلا لهذا الرأي وباشر بتنفيذه في الحال .

وخلال اشهر معدودات كان النقد الجديد في ايدي المسلمين يتعاملون به

بـدلا من النقـد الـروماني ، وأرسـل عبـد الملك الى ملك الـروم يـرفض طلبـه بتعـديل الحـدود بين الـدولتين ، وكـانت الدولـة الـرومـانيـة تحسب ان الضغط الاقتصادي بالنحو الذي هـددت به المسلمـين ورقة رابحـة بيدهـا ولكنها فشلت في ذلك بعد ان استغنى المسلمون بنقدهم الجديد وثروتهم الجديدة، فعادت تفكر في أسلوب جـديـد للضغط عـلى المسلمـين فلم تـر بـديـلا للضغط العسكـري ، فـأرسلت فـرقاً من المردة وكـانوا قـد التحقوا بـالـدولـة الـرومـانيـة بعـد الفتـح الاسـلامي ، ارسلتهم للتخـريب في بـلاد الشـام فسلكـوا السـواحـل يقتلون ويفسدون حتى انتهوا الى سـواحل لبنـان ، فأرسـل عبد الملك جيشـاً لمطاردتهم فقتـل منهم جماعـة وأسر آخرين ، والتجـأت فلولهم إلى الكهـوف والغـابـات في جبال لبنان ولم تكن مسكونة يوم ذاك ، فكانوا يظهـرون من اوكارهم بـين الحين والآخـر للقنص والسلب والتخـريب بتـوجيـه من الـرومـان ، فـإذا داهمتهم الحاميات الإسـلامية عـادوا إلى الكهوف والغـابات . واستمـروا على ذلـك شطرا من الـزمن إلى أن الفـوا تلك المنـاطق واستـوطنـوا بهـا وخضعـوا لحكم الـدولـة الإسـلامية بعـد ان وجـدوا ان لا مفـر لهم من ذلـك ، وانتعشـوا في عهـد الصليبيـين الذين حكمـوا لبنان زمنـا طويـلا ، وعندمـا خرجـوا منه تـركـوا من احفادهم عشرات الألوف ، وارتفع عـددهم على مـرور الزمن حتى اصبـح نحوا من ربع سكان لبنان في عصرنـا الحالي ، ولا يـزالون يتبـاهون بـأجدادهم المـردة الذين دخلوا البلاد يوم ذاك بالنحو الذي وصفته بعض الروايات .

هذا مجمل مـا جاء في بعض المـرويات حـول النقد الاسـلامي ، وجاء في بعض المـرويات ان اول من أمـر بضرب السكـة الإسلاميـة هو الخليفـة علي بن ابي طـالـب (ع) في البصرة سنـة اربعـين من الهجـرة ، وكـان رأس البغـل قـد ضرب الدراهم لعمـر بن الخطاب بسكـة الفرس ، ومن ذلـك الدرهم المعـروف بالبغلي . ومن الجائز ان يكون الأمر كذلك ولكنه بقي التعامـل بالنقـد الرومـاني إلى جانب تلك النقود ، ولما ضرب السكـة عبد الملك بـاشارة الإمـام الباقـر منع من التعامل بغيرها . والشيء الذي يدعو الى التساؤل ولا بـد من الوقـوف عنده

هي ان الروايات تنص على ان تاريخ النقد الاسلامي يعود لسنة ستة وسبعين للهجرة يوم قام عبد الملك بهذه المهمة باشارة من الإمام الباقر ، والباقر يوم ذاك كان في التاسعة عشرة من عمره ولم يكن قد اشتهر امره وكان والده الإمام زين العابدين لا يزال حيا وعاش الى سنة خمس وتسعين هجرية وبعدها انتقلت الإمامة الى محمد الباقر (ع) وذلك بعد وفاة عبد الملك بخمسة عشر عاما او اقل من ذلك ومن الجائز ان يكون المشير على عبد الملك قد ارشده الى الإمام علي بن الحسين (ع) لأنه الإمام يوم ذاك والمعروف في الأوساط الاسلامية كما يجوز وليس ببعيد ان يكون الإمام الباقر (ع) كما نصت على ذلك الرواية لأنه كان معروفاً في الأوساط الإسلامية ، ومؤهلات الأئمة (ع) لا تقاس بعدد السنين ، كما يبدو ذلك للمتتبع في تاريخهم المجيد وآثارهم الخالدة التي اختص الله بها بنيه وورثهم اياها .



ما جاء عنه من الحكم والآداب والمواعظ

لقد جاء عنه انه قال : ما دخل قلب امرىء شيء من الكبر الا نقص من عقله مثل ما دخله من ذلك قل أو كثر .

وقال : عالم ينتفع بعلمه أفضل من الف عابد ، والله لموت العالم احب الى ابليس من موت سبعين عابداً ، وقال لأحد بنيه : يا بني اياك والكسل والضجر فانهما مفتاح كل شر انك ان كسلت لم تؤد حقاً ، وان ضجرت لم تصبر على حق .

وقال (ع) لجابر الجعفي :

يا جابر ما الدنيا وما عسى ان تكون ، هل هي الا مركب ركبته او ثوب لبسته او امرأة احببتها ، يا جابر ان المؤمنين لم يطمئنوا الى الدنيا لبقاء فيها و لم يأمنوا قدوم الآخرة عليهم ففازوا بثواب الأبرار ، ان اهل التقوى أيسر أهل الدنيا مؤونة وأكثرهم لك معونة ان نسيت ذكروك وان ذكرت اعانوك قوالين بحق الله قوامين بأمر الله .

يا جابر انزل الدنيا كنزل نزلت فيه وارتحلت منه ، او كمال احببته في منامك فاستيقظت وليس معك منه شيء ، انما هي مع اهل اللب والعالمين بالله تعالى كفيء الظلال فاحفظ ما استحفظك الله من دينه وحكمته .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وكان عليه السلام يقول :

ما من شيء احب الى الله عز وجل من أن يسأل ولا يدفع القضاء الا الدعاء ، وان اسرع الخير ثوابا البر واسرع الشر عقوبة البغي وكفى بالمرء عيباً ان يبصر من الناس ما يعمى عليه من نفسه ، وأن يأمر الناس بما لا يستطيع التحول عنه وأن يؤذي جليسه بما لا يعنيه .

وجاء في وصيته لأحد أصحابه : اوصيك بخمس ان ظلمت فلا تظلم ، وإن خانوك فلا تخن ، وإن كذبت فلا تغضب ، وإن مدحت فلا تفرح ، وإن ذممت فلا تجزع ، فكر فيما قيل فيك فإن عرفت من نفسك ما قيل فيك فسقوطك من عين الله عز وجل عند غضبك من الحق أعظم عليك مصيبة مما خفت من سقوطك من أعين الناس ، وإن كنت على خلاف ما قيل فيك فثواب اكتسبته من غير ان تتعب بذلك ، ولو اجتمع عليك أهل مصرك وقالوا انك رجل سوء لم يحزنك ذلك ولو قالوا انك رجل صالح لم يسرك ذلك و لكن اعرض نفسك على كتاب الله فان كنت سالكاً سبيله زاهداً في تزهيده راغباً في ترغيبه خائفاً من تخويفه فاثبت وابشر فانه لا يضرك ما قيل فيك ، وان كنت مباينا للقرآن فما الذي يغرك من نفسك ان المؤمن معني بمجاهدة نفسه ليغلبها على هواها فمرة يقيم اودها ويخالف هواها في محبة الله ومرة تصرعه نفسه فيتبع هواها فينعشه الله فينتعش ويقيل الله عثرته فيتذكر ويفزع الى التوبة والمخافة ، يا جابر استكثر لنفسك من الله قليل الرزق تخلصا الى الشكر واستقلل من نفسك كثير الطاعة لله ازراء على النفس وتعرضا للعفو ، الى ان يقول : واياك والثقة بغير المأمون ، واعلم انه لا علم كطلب السلامة ، ولا عقل كمخالفة الهوى ولا فقر كفقر القلب ولا غنى كغنى النفس ، ولا معرفة كمعرفتك بنفسك ولا نعمة كالعافية ، ولا عافية كمساعدة التوفيق ولا شرف كبعد الهمة ولا زهد كقصر الأمل ولا عدل كالانصاف ولا جور كموافقة الهوى ولا طاعة كأداء الفرائض ولا مصيبة كعدم العقل ولا معصية كاستهانتك بالذنب ورضاك بالحالة التي انت عليها ولا جهاد كمخالفة

الهوى ولا قوة كـرد الغضب ولا ذل كذل الـطمع ، واياك والتفريط عنـد امكان الفرصة فإنه ميدان يجري لأهله بالخسران .

وقال (ع) لبعض اصحابـه : خذ الكلمـة الطيبـة ممن قالهـا وان لم يعمل بهـا فإن الله يقـول : ﴿ الذين يستمعـون القول فيتبعـون احسنه اولئـك الـذين هداهم الله ﴾ .

وروى عنه جماعـة من أصحابـه أنه قـال : أيدخـل احدكم يـده في جيب صـاحبه فيـأخذ منهـا ما يـريـد وهـو لا يعلم ؟ فقـالـوا لا يـا ابن رسـول الله ، فقال : اذهبوا فلستم اخواننا كما تزعمون .

وقـال لبعض اصحـابـه : اعتـزل مـا لا يعنيـك وتجنب عـدوك واحـذر صـديقك ، ولا تصحب الفـاجر وتـطلعه عـلى سرك ، واستشر في أمـرك الـذين يخشـون الله واذا استطعت ان لا تعـامل احـدا الا ولك الفضـل عليه فـافعـل ، وثلاثة من مكـارم الاخلاق ان تعفـو عمن ظلمك وتصـل من قطعـك وتحلم اذا جهـل عليـك ، ويقـول : الـظلم ثـلاثـة ظلم لا يغفـره الله وظلم يغفـره الله ، وظلم لا يدعه الله ، فأما الظلم الذي لا يغفـره الله فالشـرك بالله ، وأمـا الظلم الـذي يغفره الله فـظلم الرجـل نفسه فيـما بينه وبـين الله ، وأما الـظلم الذي لا يدعه الله فظلم العباد بعضهم لبعض .

وقال عليه السلام مرة لاصحابه وهو يعظهم ويحثهم على التعاون :

ما من عبد يمتنـع من معونـة اخيه المسلم والسعي في حـاجته قضيت أو لم تقتض الا ابتـلي بـالسعي في حـاجـة فيـما يؤثم عليـه ولا يؤجـر ، ومـا من عبـد يبخـل بنفقة ينفقهـا فيـما يـرضي الله الا ابتـلي بـأن ينفق أضعـافهـا فيـما اسخط الله .

وقـال (ع) : لا يكون العبـد عالمـاً حتى لا يكون حـاسداً لمن فـوقـه ولا محقـراً لمن دونه ، ويقـول : ثـلاث خصـال لا يمـوت صـاحبهن ابـداً حتى يـرى وبـالهن ، البغي وقطيعـة الرحم واليمـين الكاذبـة يبارز الله فيهـا ، وان اعجـل

الطاعة ثواباً لصلة الرحم ، وان القوم ليكونون فجاراً فيتواصلون فتنمو احوالهم ويثرون ، وان اليمين الكاذبة وقطيعة الرحم ليذران الديار بلاقع من أهلها .

وقال مخاطباً لمن يدعون التشيع لهم :

والله ما شيعتنا إلا من اتقى الله وأطاعه وما كانوا يعرفون إلا بالتواضع والتخشع وأداء الأمانة وكثرة ذكر الله والصوم والصلاة والبر بالوالدين وتعهد الجيران من الفقراء وذوي المسكنة والغارمين والايتام وصدق الحديث وتلاوة القرآن وكف الالسن عن الناس الا من خير .

وقال في وصفهم ايضاً : انما شيعة علي (ع) المتباذلون في ولايتنا المتحابون في مودتنا المتزاورون لاحياء الدين ، اذا غضبوا لم يظلموا واذا رضوا لم يسرفوا بركة على من جاوروا وسلم لمن خالطوا .

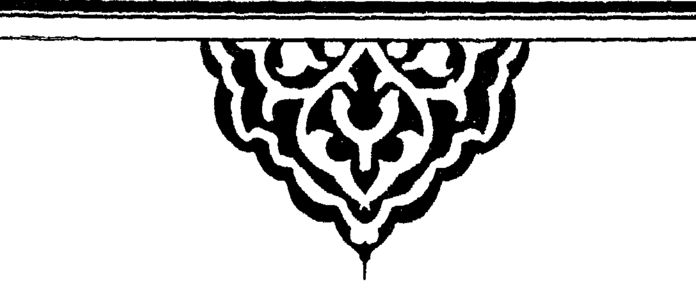
وكان يقول : ان هذا اللسان مفتاح كل شر وخير فينبغي للمؤمن ان يختم على لسانه كما يختم على ذهبه وفضته فان رسول الله (ص) قال : رحم الله مؤمنا امسك لسانه عن كل شر فان ذلك صدقة منه على نفسه ، ولا يسلم احد من الذنوب حتى يخزن لسانه من الغيبة فيقول في اخيه ما ستره الله عليه فإن قال ما ليس فيه فقد بهته ، وان اشد الناس حسرة يوم القيامة من وصف عدلا ثم خالفه إلى غيره عليكم بصدق الحديث والورع والاجتهاد وأداء الامانة إلى من ائتمنكم عليها براً كان او فاجراً ، فلو ان قاتل علي بن ابي طالب ائتمنني على امانة لأديتها اليه .

وكان مما اوصى به ولده الإمام جعفر الصادق (ع) ان الله خبأ ثلاثة اشياء في ثلاثة اشياء خبأ رضاه في طاعته فلا تحقرن من الطاعة شيئاً فلعل رضاه فيه ، وخبأ سخطه في معصيته فلا تحقرن من المعصية شيئاً فلعل سخطه فيه ، وخبأ اولياءه في خلقه فلا تحقرن احدا فلعله ذلك الولي .

وقد نص على امامته بالاضافة الى نص الرسول (ع) عليه الإمام علي

ابن الحسين (ع) كما جاء في الكافي وغيره من مجاميع الحديث برواية العدول الثقات من رواة احاديث اهل البيت (ع) كما نص هو في المرحلة الأخيرة من حياته على خليفته الإمام جعفر بن محمد (ع) وانتقل إلى جوار ربه وهو ابن سبع وخمسين سنة في عهد هشام بن عبد الملك وقيل في عهد يزيد بن عبد الملك سنة ١١٤ وقيل غير ذلك وترك سبعة اولاد بين ذكر وانثى اكبرهم جعفر بن محمد الصادق وبه كان يكنى من زوجته فاطمة او قريبة بنت القاسم بن محمد بن ابي بكر المكناة بأم فروة وأمها اسماء بنت عبد الرحمن بن ابي بكر والى ذلك يشير الإمام الصادق بقوله : ان ابا بكر ولدني مرتين .

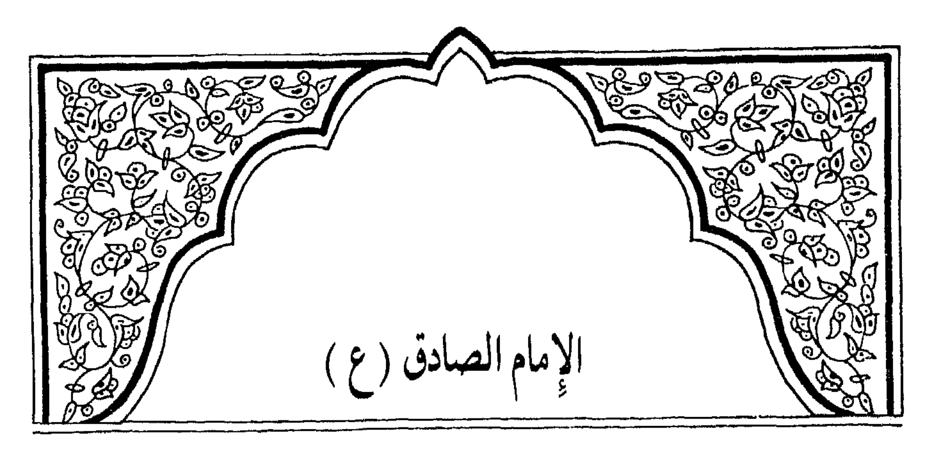




الإمام السادس

جعفر بن محمّد الصادق "عليهما السلام"





الإمام الصادق (ع)

ولـد الإمام الصـادق (ع) في اوائل النصف الثـاني من شهر ربيـع الأول وقيـل في مطلع رجب من سنـة ثلاث وثمانـين للهجرة كـما جاء في رواية المفيـد والكليني وقيـل سنة ثمـانين ، وخـرج من الدنيـا وافدا عـلى ربه سنـة ١٤٩ عن عمر يتراوح بين الثامنة والستين والخامسة والستـين حسب اختلاف الـروايات فى تاريخ ولادته اقام منهـا مع جـده علي بن الحسـين (ع)اثنتيعشرة سنة أو خمس عشرة سنة في بيت لا عهد له إلا بالمصـائب والنوازل جـديد عهـد بمأسـاة الدهـر فـاجعة كـربلاء ، وفي مـطلع شبابـه تجـرع آلام تلك الكـارثـة التي حلت بعمـه زيـد بن علي وكـان وقعها شـديـداً عليـه وعـلى أهـل البيت (ع) وسمـع انـين المظلومين والمعذبين من شيعة آبائه الكرام ، وأقام بعد جده مع أبيـه الباقـر تسع عشرة سنة كان فيها ناضج التفكـير متكامـل المواهب يقصـده العلماء والمحدثـون ليـأخذوا من علمـه وحديثـه في مختلف المواضيـع ، واشترك مـع ابيه في تـأسيس تلك الجامعة التي مـلأت الـدنيـا بآثـارها ، وأقـام بعد أبيـه اربعاً وثـلاثين سنـة وهي مدة امامتـه عاصر خـلالها هشـام بن عبد الملك والـوليد بن يـزيد بن عبـد الملك ، ويزيد بن الوليد بن عبـد الملك الملقب بالنـاقص ، وابراهيم بن الـوليد ومـروان بن محمد وعبـد الله بن محمد بن عـلي بن عبد الله بن العبـاس المعـروف بالسفاح ، وكانت وفاته بعد مضي عشر سنين من خلافة المنصور العباسي .

لقد ادرك الإمام ابو عبد الله الصادق (ع) نحوا من ثمانية وأربعين عاماً من عهد الأمويين كانت مليئة بالاحداث التي تبعث الألم في نفسه وتنكد عليه عيشه ، لقد كان يرى المضطهدين من خيار الأمة وصلحائها يساقون الى الموت والسجون زرافات ووحدانا ، ويرى بين الحين و الآخر بين عمومته من الطالبيين شبابا وشيوخا مطاردين ومشردين يساقون الى الموت شهيدا بعد شهيد وهو يتحمل مرارة ذلك ولا يستطيع ان يدفع عنهم شر اولئك الطغاة المستهترين بالدين ومقدساته وبالأمة ومقدراتها وبالانسان وكرامته ، وإلى جانب ذلك فقد اجحفوا على الأمة في فرض الضرائب وأساؤوا جباية الخراج وفرضوا ما يشبه الجزية على من يدخل في الإسلام من أهل الكتاب الذين كانوا يدخلون فيه فرارا من اعباء الجزية التي كانت تستنزف جميع امكانياتهم .

فقد حدث الجهشياري انهم كانوا يأخذون الجزية ممن لم تجب عليهم ، وأمر عبد العزيز بن مروان باحصاء الرهبان في مصر فأخذت منهم الجزية وهي أول جزية اخذت في الإسلام من الرهبان على حد تعبيره ، ومضى يقول : ان الأمويين فرضوا ضرائب اضافية كالرسوم على الصناعات والحرف وعلى من يتزوج او يكتب عرضا وأرجعوا الضرائب الساسانية التي تسمى هدايا النيروز وأول من طالب بها معاوية وفرضها على أهل السواد في النيروز .

وقدم دهقان هراة الى أسد بن عبد الله القسري عامل هشام بن عبد الملك على هرات بهدايا المهرجان وبلغت الف الف كما جاء في المجلد الخامس من كامل ابن الأثير .

وجاء في الطبري ان والي هراة وفد على هشام ومعه دهقان سنة ١٢٠ بالهدايا وكان بها قصران قصر من ذهب وقصر من فضة وأباريق من ذهب وفضة وصحون من ذهب وفضة وغير ذلك من الديباج .

وبعث عبد الملك الى عامله في الجزيرة يأمره باحصاء الجماجم واعتبار الناس كلهم عمالا وان يجمع ما يجنيه كل انسان في مجموع السنة ، ويأخذ منه

ما يبقى من نفقته ، فأحصاهم العامل واعتبرهم عمالاً بأجر معين واستثنى من مجموع الدخل السنوي نفقتهم وكسوتهم في تمام السنة فوجد انه يبقى لكل فرد أربعة دنانير فألزمهم بدفعها كما جاء في كتاب الإمام الصادق والمذاهب الأربعة[1] .

وجاء في الكتاب المذكور عن الجهشياري ان اسامة بن زيد وفد على سليمان بن عبد الملك بما اجتمع عنده من الخراج وكان والياً له على مصر فقال له : يا أمير المؤمنين اني ما جئتك حتى نهكت الرعية وجهدت فإن رأيت ان ترفق بها و ترفه عليها وتخفف من خراجها ما تقوى به على عمارة بلادها وصلاح معاشها فافعل فإنه يستدرك ذلك في العام المقبل ، فقال له سليمان : هبلتك امك احلب الدر فإذا انقطع فاحلب الدم .

وكان الخلفاء احيانا يتركون لعمالهم جميع ما تحت ايديهم من تلك الأموال وقد يبلغ احيانا حدود الملايين من الدراهم وبلغ ما تحت يد الوالي في خراسان عشرين الف الف درهم ، فتركها له وكان عنده من العروض مثلها فقال يوما لكاتبه : اني لأعجب كيف يجيئني النوم وهذا المال عندي ، فقال له : وكم مبلغه ؟ قال : اني قدرت ما عندي لمائة سنة في كل يوم الف درهم لا احتاج منه الى شراء رقيق ولا كراع ولا عرض من العروض ، فقال له كاتبه : انام الله عينك أيها الأمير لا تعجب من نومك وهذا المال عندك ولكن اعجب من نومك إذا ذهب ثم نمت فذهب ذلك المال كله. وآل أمره أن باع فضة مصحفه ليأكل بثمنها وكان يركب حماراً صغيراً وآثار الفقر بادية عليه ، فلقيه مالك بن دينار وقال له : ما فعل المال الذي قلت فيه ما قلت ، قال : كل شيء هالك الا وجهه [2] .

---

(١) انظر ج ٢ ص ٤٠ من الكتاب المذكور .

(٢) نفس المصدر عن الجهشياري .

واستمر الحال على ذلك حتى ضج الناس من جورهم وخافوهم على اموالهم ودمائهم ، ولما جاء دور عمر بن عبد العزيز عالج مشكلة الخراج والضرائب والجزية فيما عالجه من المظالم فكتب إلى عامل الكوفة : اما بعد فإن أهل الكوفة قد أصابهم بلاء وشدة في أحكام الله وسن فيهم سنّة خبيثة عمال السوء ، وإن قوام الدين العدل والإحسان فلا يكن شيء أهم اليك من نفسك فلا تحملها قليلا من الاثم ، ولا تحمل خراباً على عامر وخذ منه ما اطاق واصلحه حتى يعمر ، ولا تأخذن اجور الضرابين ولا هدية النوروز والمهرجان ولا ثمن المصحف ولا أجور الفتوح والبيوت ولا درهم النكاح ، ولا خراج من أسلم من أهل الأرض واتبع في ذلك أمري فاني قد وليتك من ذلك ما ولاني الله ولا تعجل في أمر حتى تراجعني فيه ، كما كتب إلى بقية عماله بمثل ذلك فأحس الناس بالراحة وحلاوة طعم الحياة خلال تلك الفترة القصيرة من خلافته ، كما احس بوطأتها ومرارتها بنو امية وأتباعهم الذين كانوا يعبثون بالأمة ومقدراتها وكرامتها ، وعادت الأمور اسوأ مما كانت عليه بعد وفاته وانتهى بذلك عهد كان كالحلم اللذيذ العابر ، فلقد اعاد يزيد بن عبد الملك سيرة الماضين من آبائه و أجداده بأقبح مما كانت عليه ، وكتب الى الولاة وحكام المقاطعات كتابا جاء فيه :

أما بعد فإن عمر بن عبد العزيز كان مغروراً فدعوا ما كنتم تعرفون من عهده وأعيدوا الناس الى طبقتهم الاولى اخصبوا ام اجدبوا احبوا ام كرهوا عاشوا ام ماتوا ، فعظمت المحنة على الناس واشتد البلاء وشاع التذمر بين جميع فئات الشعب وعمت الفوضى ووقف الكثير من المسلمين الى جانب كل ثائر واندلعت الثورات في اكثر انحاء البلاد ، فكانت ثورة في الأردن وأخرى في مصر وقد قتل أهلها اميرهم حفص بن الوليد الحضرمي ، وثالثة في حمص فقتلوا عاملهم عبد الله بن شجرة الكندي ، وأخرج أهل المدينة عاملهم ، ووقع الخلاف بين الأمويين أنفسهم فدارت في الشام معركة قتل فيها ثمانية عشر الفا كما جاء في البداية والنهاية لابن كثير ، واندلعت الثورة في فلسطين

وقتل فيها خلق كثير كما يصفها ابن الأثير في الكامل وغيره ، وتولى قيادة الثوار في نواحي خراسان ابو مسلم الخراساني بعد أن قام بجولة في غربي ايران يصور للمسلمين ظلم بني امية للناس وقتلهم ذرية النبي (ص) وشيعتهم واستهتارهم بالقيم والمقدسات وكانت المعارك الدامية بينه وبين انصار الأمويين وفي الوقت ذاته نهض العباسيون في البلاد العربية وقادوا الثورة بأنفسهم واستغلوا جرائم الأمويين مع أهل البيت وانتشروا في طول البلاد وعرضها يرددونها على الجماهير الحاقدة على بني امية من جراء جورهم واستهتارهم بالمقدسات وكرامة العباد ، وتستر بنو العباس في بداية امرهم بما لحق العلويين من ظلم وحيف كما ذكرنا وتباكوا على قتلاهم وأظهروا الدعوة لهم ، ولما انهارت الدولة الأموية وأحسوا بالنصر المؤكد اتفقوا على عبد الله بن محمد بن علي السفاح وانتخبوه زعيما للدولة الجديدة سنة ١٣٢ في الكوفة ، وكان مروان ابن محمد في مكان يعرف بالزاب من بلاد الموصل فوجه إليه السفاح جيشاً من الكوفة عاصمتهم الأولى بقيادة عمه عبد الله بن علي بن عبد الله بن العباس فكانت بينهما معارك ضارية فر على اثرها مروان بن محمد وتلت معارك بين الطرفين قتل فيها مروان في قرية من قرى مصر على يد رجل من أهل الكوفة ومضى السفاح وقادة جيوشه في طلب فلول الامويين وقتل أتباعهم وأعوانهم المنتشرين في البلاد ولم يعد لأحد ما يعنيه سوى أن ينجو بنفسه ، وخرجوا رجالا ونساء هائمين على وجوههم فالتجأوا لبلاد الشرك فأخرجهم حكامها منها ، وكان عبد الله وعبيد الله ابنا مروان بن محمد ، قد قادا تلك الفرقة الهائمة فعرض لهما طريقان بينهما جبل فسار كل واحد منهما في طريق وهما يظنان انهما سيلتقيان بعد ساعة او ساعات قليلة فسارا يومهما ولم ينتهيا الى طريق يجمعهما ولم يقدرا على الرجوع وظلا اياما يسيران ولا يعلم احد منهما عن الآخر شيئاً ، فالتقى عبد الله ومن معه بفرقة من جنود الاحباش فقتلوا عبد الله بن محمد وأسروا اصحابه وبعد ان جردوهم من كل ما معهم وحتى من ثيابهم تركوهم يسيرون في البراري وقد أضر بهم العطش والجوع حتى كان الرجل يبول بيده ويشرب منه وأخيراً جمعتهم الصدف مع عبيد الله وقد ناله

اكـثر مما نـالهم ومعه عـدة من حرمـه وقد تقـطعت أقـدامهم من المشي وشـربـوا البول حتى تفطرت شفاههم ووافوا المندب فأقـاموا بهـا شهرا ، وجمـع الناس لهم من المؤن والملبس مـا يسـد ضـروراتهم ويسـتر ابـدانهم وخـرجـوا من المنـدب يريدون مكة في زي الحمالـين على حـد تعبير اليعقـوبي في تاريخـه وابن عبد ربـه في العقد الفريد .

وجـاء في شذرات الـذهب لابن العمـاد الحنبـلي : ان عـامر بن صـالـح الخـراساني احـد القادة في جيش صـالح بن عـلي السفاح ، انـه لما قتـل مـروان الجعدي آخر ملوك بني أميـة دخل دار مـروان وجلس على سـريره ودعـا بنسائـه ووضع رأس مروان في حجر ابنته وأقبل عليها يـوبخها ، فقـالت له : يـا عامـر ان دهـرا انزل مـروان وأقعـدك عـلى سـريـره حتى تعشيت عشـاءه لقـد ابلغ في موعظتك وعمل في ايقاظك وتنبيهك ان عقلت وفكرت .

وقتـل سليمان بن عـلي في البصرة جمـاعـة من بني اميـة وأمـر بهم فجـروا بـأرجلهم إلى الصحراء فـأكلتهم الكلاب والـوحوش ، واختفى كثير منهم ، ولم يـظهروا إلا بعـد ان استتب الأمر لبني العبـاس وطوى التـاريـخ حـديث دولتهم فيمن طوى من الجبابـرة والطغـاة ، وقامت عـلى انقاضهم دولـة اخرى كـما هي سنّـة التاريـخ منذ وجـد الإنسان عـلى وجه البسيـطة ، يهلك ملوكـاً ويستخلف آخرين، ولن تجد لسنّة الله تحويلا .

والذي اردناه من هـذا العرض السـريع لهـذا الجانب من سيـرة الأمويـين ان الإمام الصادق (ع) قـد رافق جميع تلك الأحـداث ووقف بعيدا عنهـا وعن الحكـام والسياسيـين يتحين الفـرص المؤاتية لأداء رسـالته حتى اذا وجـد الدولـة الأموية تتخبط في مشاكلها ووجـد الجو الـذي بدأت تبـاشيره في عهـد ابيه مهيـأ لـه هب لأداء رسالتـه بكل مـا لديـه من قوة وتـوافد عليـه العلماء وطلاب العلم ومن يحملون افكـاراً غـريبـة عن الإسـلام من كـل الجهـات ، حتى بلغت تلك الجامعة التي اسسها ابوه من قبله ، وكان الصادق (ع) نفسـه من نتاجهـا الغني

بـالبـذل والعـطاء ، بلغت في عصره بفضـل جهـوده ذروة نشـاطها في شتى المواضيع ، ومجمل القول ان الإمام الصادق (ع) عـاش نحوا من خمسـين عاما في عهـد الأمويـين ، ونحوا من خمسـة عشر عاما في عهد العباسيين ، فـأدرك الدولة الأموية في قوتها وعنفوانها ، ثم في تحدرها وانهيارها كما ادرك من الدولة العباسية فجرها الأول وهي تبني امجادها على أنقاض الأمويين ، وتستمد من سيئاتهم بعض الحسنات ، وما أن استتبت لها الأمور حتى راح الناس يرددون قول القائل :

يـا ليت جـور بني مـروان دام لنـا   وليت عـدل بني العبـاس في النـار

وقد أخذ على عاتقه بعد وفاة أبيه أن يتابع المسيرة من حيث انتهى والده فحـارب الفسـاد والـظلم والـطغيـان وفـرض عـلى دعـاة الخـير والمصلحـين من أصحـابه أن يكـونوا القـدوة الصالحـة بأعمـالهم قبل اقـوالهم ، لأن النـاس انمـا ينـظرون الى القادة من خـلال اعمالهم ، أمـا الأقـوال التي تصـدر من الـوعـاظ والدعاة الى الخير فليست بأشـد تأثيـراً منها وهي مسـطورة في الكتب او منقوشـة على الجدران وحتى تحقق دعوته الغاية المنشـودة كان يقـول لأصحابـه : اوصيكم بتقوى الله واداء الامانـة لمن ائتمنكم وحسن الصحبة لمن صحبتمـوه وان تكونـوا لنا دعاة صامتين .

وقد وقع هذا القول عندهم موقـع الاستغراب ، وكيف يكـونون صـامتين وهم يـدعون الى الخـير ، فقالـوا : يا ابن رسـول الله كيف ندعـو الى الله ونحن صامتون ، فقال (ع) : تعملون بما امرناكم بـه من طاعـة الله وتعاملون النـاس بالصدق والعدل وتؤدون الأمانة وتأمـرون بالمعـروف وتنهون عن المنكـر ولا يطلع الناس منكم الا على خير ، فاذا رأوا ما انتم عليه علمـوا فضل مـا عندنـا فعادوا إليه .

ولم يزل يكرر هـذه الوصيـة ويؤكدهـا على أصحـابه ، فلقـد جاء عنـه أنه قـال : عليكم بتقوى الله والـورع والاجتهـاد وصـدق الحـديث واداء الامـانـة

وحسن الخلق والجوار وكونوا دعاة لأنفسكم بغير ألسنتكم .

وقال ابن ابي يعفور : سمعت جعفر بن محمد الصادق (ع) يقول لأصحابه : كونوا دعاة للناس بغير السنتكم ليروا منكم الاجتهاد والصدق والورع .

لقد كان الإمام الصادق (ع) يريد من الدعاة ان يقرنوا العمل بالقول وأن تكون اقوالهم صورة عن اعمالهم لأن ذلك ابلغ في التأثير ومن انجع الوسائل لخوض معركة تكافح الظلم بكل انواعه الى جانب اولئك المظلومين والمعذبين الذين كانوا يعانون من سياسة اولئك الطغاة المتسلطين على الأمة باسم الدين والإسلام وهم أداة هدم وتخريب لكل ما يتصل بالإسلام من قريب أو بعيد .

لقد ادرك الإمام الصادق حكم الأمويين في أقسى مظاهره وأعنف اشكاله ، فكان يسمع بين الحين والآخر بما يجري على شيعة آبائه وعلى صلحاء المسلمين من قتل وحبس وتشريد وبما يحل ببني عمه وأهل بيته من القتل والصلب لا لشيء إلا لأنهم دعاة حق يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ، وبما حل بالأمة كلها وهي تئن من ظلم الولاة وجورهم وارهاقها بالضرائب التي تستنزف خيراتها وموارد عيشها فلا عدل في حكم ولا مساواة في حق ولا نظام يضمن لأحد حريته وكرامته في هذا الوسط المشحون بالفوضى والفساد والتلاعب بمقدرات الأمة وخيراتها وكرامتها .

قضى الإمام شطراً من حياته وهو يتلوى من الألم على مصير الإسلام وعلى ما حل بالمسلمين من الويلات والمصائب وهو لا يملك سبيلا لانقاذهم مما يعانون فآثر القيام بالثورة وقادها بنفسه على الظلم والطغيان والانحراف ، ولكن ثورته لم تكن بقوة السلاح كغيرها من الانتفاضات التي كانت تحدث هنا وهناك بين الحين والآخر ، بل كانت بنشر الثقافة الإسلامية والدعوة الى التحلي بالخلق الإسلامي الرفيع الذي يفرض على المسلمين اجتناب المعاصي

والمنكـرات وحسن الصحبة والجـوار والتعاون والصبـر على المكـاره والعمل لخـير الناس اجمعين ، وأراد من أصحابه أن يكـونوا دعـاة صامتـين يدعـون الناس الى هذه الخصال بـأعمالهم قبـل اقوالهم ، وكـان يقول لهم : مـروا بالمعـروف وانهوا عن المنكـر ، فإن الأمـر بـالمعـروف والنهي عن المنكـر لم يقـربـا اجـلا ولم يبعـدا رزقـاً ، ويعقب على ذلـك بقولـه : ويل لقـوم لا يدينـون الله بالامـر بالمعـروف والنهي عن المنكر .

ثم يلتفت إليهم لينتـزع من نفـوسهم الاستئثـار ويضـع مكـانـه التعـاون والاحساس بآلام الغير كاحسـاسهم بآلامهم وأمـانيهم فيقول : حب لأخيـك ما تحب لنفسـك ولا تتمن له مـا لا ترضـاه لنفسك ويؤكـد هذه النـاحية بقـولـه : المؤمن من المؤمن كـالجسد الـواحـد إذا اشتكى شيء منه وجـد ذلـك في سـائـر جسـده ، ان المؤمن اخو المؤمن وهـو عينه ودليله لا يخـونه ولا يـظلمه ولا يغشـه ولا يعده عدة فيخلفه إلى كثير من مـواقفه التي كـان يحاول فيهـا تهذيب النفـوس وتطهيرهـا ووضع حـد للفساد والفـوضى والتمهيد للثـورة على الـظلم والطغيـان ومقابلة الشدائد والاهوال بقلوب لا يعرف الضعف اليها سبيلا ولا يجد الخوف فيهـا مكانـا كما يبـدو ذلك من قـوله : ان الأمـر بالمعـروف والنهي عن المنكـر لم يقربا اجلا ولم يمنعا رزقاً ، ولكن ثورته على الـظلم والظالمـين والطغـاة المستبدين كـانت من نوع جـديد كـما ذكرنـا كانت بنشر التعـاليم الإسلاميـة والالتزام بهـا عمليا والمسلم الملتزم بأحكام الإسـلام وأخلاقـه وآدابه يحـارب الظلم والعـدوان ولا يحابي احدا على حساب دينه مهما بلغ شأنه وعمت سطوته .

لقد انتشرت دعوة الإمام الصادق في اطارهـا الخاص بعيـدة عن السياسـة والسياسيين ، في حين ان اكثر قـادة الثورة في مختلف المنـاطق كانـوا يدعـون لآل عـلي وللرضا من آل محمـد وحتى العباسيـين انفسهم كانـوا يتظاهـرون بذلـك ، فظن عامة الناس أن الأمـة مقبلة على عهـد جديـد ما دامت الـدعوة للرضـا من آل محمد وعلي واتجهت الأنظار إلى الإمام الصادق (ع) ولكنه كـان يعرف نـوايا العباسيين وأهـدافهم ، وليست ببعيدة عنـه مواقف أهـل الكوفـة مع آبـائه وهـو

يعلم أن العباسيين سيقفون منه نفس الموقف الذي وقفه معاوية من جده أمير المؤمنين وعمه الحسن ووقفه يزيد بن معاوية من الحسين بن علي ووقفه هشام بن عبد الملك من عمه زيد بن علي (ع) وشهوة الحكم والتسلط لا ترحم احداً ، لقد كان بنو العباس ودعاتهم يتباكون على الحسين ومن قتل معه في كربلاء وعلى زيد بن علي وغيره من العلويين ، ولما استتبت لهم الأمور واطمأنوا على مصير السلطة مثلوا اقبح الادوار التي مثلها اسلافهم مع العلويين بضراوة،لم يعرف التاريخ لها مثيلا .

لقد رفض الإمام حتى الحديث بشأن الخلافة ولم يفسح المجال لأحد أن يتحدث معه بذلك بالرغم من كثرة الوافدين عليه بهذا الخصوص وكان من بين الذين كانوا يعملون لمصلحة العلويين احد القادة ابو سلمة الخلال ، ولما احس ابو سلمة بنوايا العباسيين وعزمهم على الاستئثار بالسلطة كتب الى ثلاثة من العلويين الإمام الصادق وعبد الله المحض وعمرو الأشرف وأرسل الكتب مع بعض انصارهم وقال للرسول : اقصد أولا جعفر بن محمد الصادق فإن اجابك فلا تراجع غيره ومزق الكتابين ، وإن لم تجد منه جواباً فاذهب الى عبد الله المحض وسلمه الكتاب فإذا اجابك فلا تراجع غيره ، وإلا فاذهب الى عمرو الأشرف ، فذهب الرسول إلى الإمام جعفر بن محمد (ع) ودفع إليه كتاب ابي سلمة ، فقال الإمام (ع) : مالي ولأبي سلمة وهو شيعة لغيري ثم قال لخادمه : أدن مني السراج فأدناه منه فوضع الكتاب على النار حتى احترق بكامله والرسول ينظر إليه ، فقال له الإمام هذا جواب كتابه ، فمضى الرسول الى عبد الله المحض فدفع اليه الكتاب ، فقبله وقرأه وركب من ساعته إلى الإمام الصادق (ع) وقال له : هذا كتاب ابي سلمة يدعوني فيه إلى الخلافة وقد وصلني مع بعض شيعتنا من أهل خراسان ، فقال له الصادق (ع) : ومتى صار أهل خراسان شيعة لك ؟ أأنت وجهت اليها أبا مسلم ؟ وهل تعرف احداً من أهلها باسمه ، فكيف يكونون شيعتك وأنت لا تعرفهم ولا يعرفونك ، فرد عليه عبد الله بقوله : هذا الكلام منك لشيء ، فقال الصادق

(ع) : لقد علم الله اني اوجب النصح على نفسي لكل مسلم فكيف ادخره عنك ، فلا تمنّ نفسك بالخلافة فإن هذه الدولة ستتم لهؤلاء .

ودخل عليه سدير الصيرفي فقال : يا ابا عبد الله ما يسعك القعود ، فقال : ولِمَ يا سدير ، فقال : لكثرة مواليك وشيعتك وأنصارك ، فقال : يا سدير وكم عسى ان يكونوا ؟ قال : مائة الف ، فقال الإمام مستغربا : مائة الف ، قال : نعم ومائتي الف ، فقال له ، كما في بعض الروايات : لو كان عندي عدد اصحاب النبي (ص) في بدر لنهضت ولما بايع الهاشميون محمد بن عبد الله بن الحسن قال لهم الإمام ابو عبد الله الصادق (ع) : لا تفعلوا فإن الأمر لم يأت بعد وضرب بيده على ظهر أبي العباس السفاح ، ثم ضرب بيده على كتف عبد الله بن الحسن وقال : والله انها ما هي لك ولا الى ابنيك ولكنها لهم وان ولديك لمقتولان ، ثم نهض الصادق وتوكأ على يد عبد العزيز بن عمران الزهري وقال : أرأيت صاحب الرداء الاصفر (يعني المنصور الدوانيقي) قال الزهري : نعم يا ابن رسول الله قال انه سيقتله ، قلت : ايقتل محمدا ؟ قال : نعم ، فقلت في نفسي حسده ورب الكعبة ثم قال عبد العزيز : فوالله ما خرجت من الدنيا حتى رأيت المنصور قتلهما .

وجاء في رواية ثانية تصف مجلسا ضم الإمام وعبد الله بن الحسن والسفاح والمنصور جاء فيها ان الإمام الصادق قال لعبد الله : ان هذا الأمر والله ليس إليك ولا الى ابنيك وانما هو لهذا ولهذا وأشار إلى السفاح والمنصور ثم لولده من بعده لا يزال فيهم حتى يؤمروا الصبيان ويشاوروا النساء ، ومضى يقول كما يدعي الراوي : وان هذا وأشار الى المنصور يقتله على أحجار الزيت ثم يقتل اخاه بعده ، وقام الإمام مغضباً يجر رداءه فتبعه المنصور وقال : أتدري ما قلت يا ابا عبد الله ؟ قال أي والله أدريه وانه لكائن[1] .

---

(١) احجار الزيت مكان خارج المدينة قتل فيه محمد بن عبد الله بن الحسن سنة ١٤٥ .

وبجمل القول ان الإمام الصادق (ع) قد انصرف عن الخلافة والسياسة ولم يشترك بما رافق انهيار حكم الأمويين من تلك الأحداث التي لم تسلم منها بقعة من بقاع الدولة الإسلامية في شرق الأرض وغربها ، في حين ان الفئات المتصارعة التي برزت على المسرح سياسياً وعسكرياً يوم ذاك كانت تتمنى كل فئة منها ان ينحاز لجانبها لتتستر به في سبيل اهدافها ومصالحها ، ولكنه آثر اعتزال تلك الاجواء المشحونة بالاحداث مغتنما فرصة انصراف الحاكمين والطامعين الى معالجة مشاكلهم التي الهت البيتين الأموي والعباسي عنه وعن عامة العلويين الذين كانوا يتعرضون بين الحين والآخر للتنكيل والمطاردة وشتى صنوف التعذيب ، آثر اعتزال كل ذلك الى ما يعنيه من أمر الإسلام وشريعة الإسلام ، واستطاع ان يحقق خلال سنوات معدودات من المكاسب لخير الإسلام وشريعة الإسلام ما لم يتهيأ لغيره ان يحققه فيما مضى وما سيأتي من بعده .

وسواء صح ما رواه الرواة من أنه كان يعلم بما ستتمخض عنه تلك الانتفاضات او لم يصح فإن اعتزاله يدل على بعد نظره ورؤيته الصادقة لما وراء تلك الاحداث من النتائج التي كان صلحاء المسلمين وحتى عامتهم يرجون خلافها .

لقد اتجه بكل امكانياته الى الدعوة للدين ونشر تعاليمه وأحكامه والعمل بها ولم يترك بابا من أبواب العلم إلا ولج منه إليه وناظر الزنادقة والملحدين والمنحرفين في تفكيرهم واتجاهاتهم عن اصول الإسلام وكانت له مع هؤلاء وهؤلاء جولات موفقة ناجحة اعادت الكثير منهم الى مواقع الحق والصواب ، وظلت دروسه في مختلف المواضيع غنية بالعطاء لكل من جاء بعده ، ومرجعا للمفكرين والعلماء في كل ما يتعسر عليهم حله .



لمحات مما قيل فيه

لقد اجمع واصفوه بأنه لقب بالصادق لأنه عرف بصدق الحديث والقول والعمل حتى اصبح حديث الناس في عصره ، وقال فيه ابن الحجاج :

يا سيدا اروي احاديثه رواية المستبصر الحاذق
كأنني اروي حديث النبي محمد عن جعفر الصادق

واتصف مع ذلك بنبل المقصد وسمو الغاية والتجرد في طلب الحقيقة من كل هوى أو غرض من اغراض الدنيا ، لقد كان يطلب الحق للحق لا يبتغي عنه بديلا ولا تلتبس عليه الأمور ، اذا ورد عليه امر فيه شبهة نفذت بصيرته الى حقيقته وأزال عنه غواشي الشبهات ، وكأن النبي (ص) قد عناه بقوله : ان الله يحب ذا البصر النافذ عند ورود الشبهات ، ويحب ذا العقل الكامل عند حلول الشهوات .

وقال فيه مالك بن انس احد ائمة المذاهب : لقد كنت آتي جعفر بن محمد فكان كثير التبسم فإذا ذكر عنده النبي (ص) تغير لونه وقد اختلفت إليه زمانا فما كنت أراه إلا على احدى ثلاث خصال إما مصليا وإما صائماً وإما يقرأ القرآن وما رأيته يحدث عن رسول الله إلا وهو على طهارة ولا يتكلم فيما لا يعنيه ، وكان من العباد الزهاد الذين يخشون الله تعالى .

ومضى يقـول : مـا رأت عـين ولا سمعت أذن ولا خـطر عـلى قلب بشر افضل من جعفر بن محمد الصادق علما وعبادة وورعا . وقال فيه ابـو حنيفة : مـا رأيت افقـه من جعفر بن محمـد ، لقد قـال لي المنصور : ان النـاس قـد افتتنـوا بجعفر بن محمد فهيـىء له من المسائل الشداد لاسأله عنها ، فهيأت لـه أربعين مسألة وكان المنصور في الحيرة قد أعد مجلسا حشـد فيه الـوجوه والاعيـان وبعث إلي فـدخلت عليه وجعفـر بن محمد جـالس عن يمينـه ، فلما بصـرت بـه دخلتني من الهيبـة لـه مـا لم يـدخلني من المنصـور فسلمت عليـه وجلست فقـال لي المنصور: يا ابا حنيفة ألقِ عـلى أبي عبد الله مسـائلك فجعلت القي عليه مسـألة مسـألة وهـو يقول في جـوابها : أنتم تقـولون كـذا ، وأهل المـدينة يقـولون كـذا ونحن نقـول كذا فـربما خـالفنا وربمـا خالفهم وأحيـاناً يـوافقنـا أو يـوافقهم حتى أتيت على الأربعين مسألة ما أخل منها بمسألـة واحدة ، وكـان نتيجة المنـاظرة أن قـال ابو حنيفـة في ذلك الحشـد وبحضور المنصـور الذي كـان يترقب لأبي عبـد الله الصادق (ع) ولو وقفة قصيرة عنـد بعض المسائـل ، كانت النتيجـة ان قال ابـو حنيفة : أعلم النـاس اعلمهم باختـلاف الناس ، فـأحس المنصور بـالخيبـة وتبـددت آمالـه التي كان يـرجوهـا من وراء هذه المنـاظرة ، لقـد كان يـرجـو او يتمنى ان يتوقف الإمام الصـادق (ع) ولو في مسـألة من المسـائل الأربعـين التي اعدها له أبو حنيفة من بين المسائل الصعاب .

لقد كان المنصور يتمنى ذلك ليـظهر للنـاس ان جعفر بن محمـد كغيره من الفقهـاء لا كـما يـراه شيعتـه وأصحـابـه وأكـثر النـاس فـوق مستـوى الجميـع ، فـاستطاع الإمـام عليه السـلام ان يفرض نفسـه على أبي حنيفـة والمنصور وعـلى الناس اجمعين .

وكان أبو حنيفة قد تتلمذ على الإمام الصادق نحـواً من سنتين متصلتـين حينما فـر من حبس ابن ابي هبيـرة والتجأ الى الحجـاز فأقـام بها الى ان ظهـر ابـو العبـاس السفـاح وبهذه المنـاسبة كـان أبو حنيفـة يقول : لـولا السنتـان لهلك النعمـان ، والتقى به اكثر من مرة خلال سفراته الى الحجاز .

وقال فيه ابن ابي العوجا عندما قصد الإمام الصادق ليناظره وقد قال له الإمام : ما يمنعك من الكلام ، فقال له : اجلالا لك ومهابة منك ولا ينطق لساني بين يديك واني شاهدت العلماء وناظرت المتكلمين فما تداخلني من هيبة احد منهم مثلما تداخلني من هيبتك يا ابن رسول الله .

وكان المنصور مع انه من اثقل الناس عليه يقول : ان جعفر بن محمد من السابقين بالخيرات ومن الذين اصطفاهم الله من عباده وأورثهم الكتاب ، ويردد في مجالسه التي تضم خواص اصحابه : اعلموا انه ليس من أهل بيت نبوة الا وفيهم محدّث وان جعفر بن محمد محدّثنا اليوم .

ويدعي الرواة ان المنصور الدوانيقي قد قال هذه الكلمة في الإمام الصادق (ع) على اثر اكتشاف الإمام الصادق لمؤامرة كان المنصور قد وضعها ليتخذ منها مبررا للفتك به وببعض العلويين الذين كان يخشاهم على عرشه .

وجاء فيما رواه الرواة حولها ان المنصور قال لمحمد بن الأشعث : يا محمد ابغ لي رجلا له عقل يؤدي عني ، فقال له محمد اني اصبته لك هذا ابن المهاجر خالي ، قال : فأتني به ، فلما أتاه قال له ابو جعفر المنصور : يا ابن المهاجر خذ هذا المال وأت المدينة واقصد عبد الله بن الحسن وجعفر بن محمد وعين جماعة من العلويين غيرهما وامره ان يدفع اليهم المال ويقول لهم بأنه من شيعتهم في خراسان فاذا قبضوا المال فقل اني رسول وأحب أن يكون معي خطوطكم بقبضكم ما قبضتم ، فأخذ المال وذهب الى المدينة ثم رجع إلى أبي جعفر المنصور فقال له : ما وراءك ؟ قال : أتيت القوم وهذه خطوطهم بقبضهم خلا جعفر بن محمد فاني اتيته وهو يصلي في مسجد النبي (ص) فجلست خلفه وقلت ينصرف فاذكر له ما ذكرت لأصحابه فتعجل وانصرف فتبعته والتفت إلي وقال : يا هذا اتق الله ولا تغرِ أهل بيت محمد فإنهم قريبو العهد من دولة بني مروان وكلهم محتاج ، قلت له : وما ذاك اصلحك الله ؟ فأدنى رأسه مني وأخبرني بكل ما جرى بيني وبينك ، فقال المنصور : يا ابن

المهاجر اعلم أنـه ليس من أهل بيت نبـوة إلا وفيهم محدّث وان جعفـر بن محمد محدثنا اليوم .

ومع ان الإمام الصادق كان من أثقـل خلق الله على المنصـور وكان يخشـاه على ملكه اكـثر من أي انسان آخـر لأنه اينـما ذهب وحيثما حـل يجد النـاس على اختلاف فئاتهم وطبقـاتهم يتحدثـون عن جعفر بن محمـد ، ومع ذلـك فكان من حيث لا يريد ولا يحب يجد نفسه مضطراً لأن يصرح بمـا يعتقده فيـه ، فقد قـال لـه في بعض المناسبـات : لا نزال من بحـرك نغترف وإليـك نـزدلف تتبصر من العمى ونجلو بنـورك الطخيـا ، فنحن يا أبـا عبد الله نعـوم في سحاب قـدسك وطـامي بحرك . وقـال مرة لحـاجبـه الـربيـع : ان هؤلاء بني فـاطمـة لا يجهـل حقهم إلا جاهل لا حظ له في الشريعة .

وقـال نوح بن دراج : قلت لعبـد الرحمن بن أبي ليـلى اكنت تـاركـا قـولا قلتـه وقضاء قضيتـه لقول احـد ؟ قال لا الا لـرجل واحـد ، قلت : من هـو ؟ قال : جعفر بن محمد الصادق .

ودخـل عليه عمرو بن عبيد وطلب منـه ان يعدد لـه الكبـائـر وقـال لـه : احب ان اعـرفها من كتـاب الله او سنةً رسـولـه ، قـال لـه ذلـك بعـد ان كـان الصراع قد بلغ أقصى حدوده بين المعتـزلة والخـوارج والمرجئـة في مصير مـرتكب الكبيـرة فالخـوارج كانـوا يصفونـه بالكفـر بينها يقـول المعتزلـة انه في منـزلة بـين المنـزلتين ، والمـرجئة يصفـونه بـالايمان ويـدعون بـأن المعصية مهـما بلغ شأنها لا تسلبه صفة الإيمان .

فـأجابـه الإمـام (ع) إلى طلبـه وعـد منهـا عقـوق الـوالـدين لأن العـاق لوالديه جبار شقي ، والله سبحانه يقول :

﴿ وبراً بوالدتي ولم يجعلني جباراً شقياً ﴾ .

وقذف المحصنات ، لأن الله يقول :

﴿ ان الذين يرمون المحصنات الغافلات المؤمنات لعنوا في الدنيا والآخرة ولهم عذاب عظيم ﴾ .

والفرار من الزحف لأن الله يقول :

﴿ ومن يولهم يومئذ دبره إلا متحرفاً لقتال او متحيزا الى فئة فقد باء بغضب من الله ومأواه جهنم وبئس المصير ﴾ .

وقتل النفس لأن الله يقول :

﴿ ومن يقتل مؤمنا متعمدا فجزاؤه جهنم خالداً فيها وغضب الله عليه ولعنه وأعد له عذابا عظيماً ﴾ .

ونقض العهد وقطيعة الرحم ، لأن الله يقول :

﴿ الذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه ويقطعون ما أمر الله به أن يوصل ويفسدون في الأرض اولئك هم الخاسرون ﴾ .

ومضى الإمام (ع) في تعداد الكبائر مع بيان ادلتها من الكتاب والسنّة حتى أتى على آخرها وعمرو بن عبيد يستمع لبيانه بشوق ولهفة ، فلما انتهى الإمام (ع) قال عمرو بن عبيد : هلك من سلبكم تراثكم ونازعكم في الفضل والعلم .

وسأل رجل ابا حنيفة عن رجل وقف ماله للإمام فأي امام يستحق ذلك ؟ فقال : المستحق جعفر بن محمد الصادق لأنه هو امام الحق .

وقال فيه عبد الله بن المبارك :

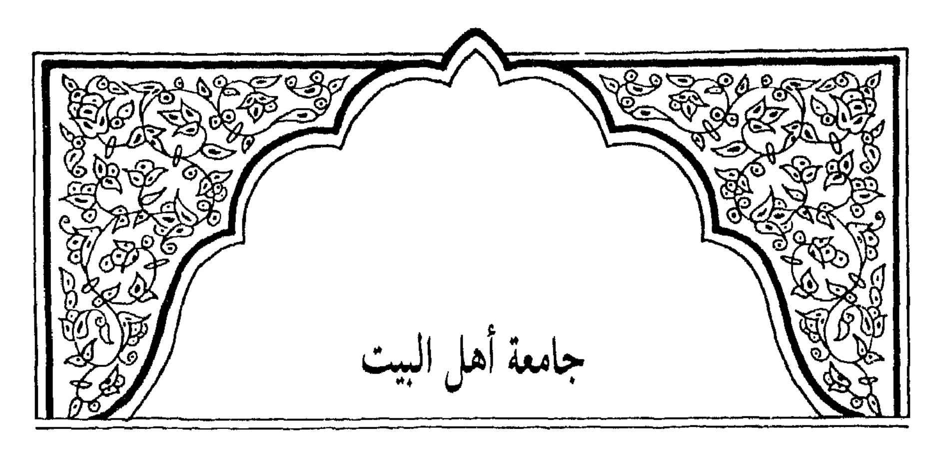
انت يا جعفر فوق المدح والمدح عناء
انما الأشراف ارض ولهم انت سماء
جاز حد المدح من قد ولدته الانبياء

وجاء في مناقب ابن شهراشوب ان زيد بن علي (ع) كان يقول : في

كل زمان رجل منا أهل البيت يحتج الله به على خلقه وحجة زماننا ابن اخي جعفر بن محمد لا يضل من تبعه ولا يهتدي من خالفه .

وقال الشهرستاني في الملل والنحل : كان ابو عبد الله الصادق ذا علم غزير في الدين وأدب كامل في الحكمة وزهد في الدنيا وورع تام عن الشهوات وقد اقام بالمدينة مدة يفيد الشيعة المنتمين إليه ما تعرض للخلافة قط ولا نازع فيها احدا ومن غرق في بحر المعرفة لم يطمح في شط ومن تعلى الى ذروة الحقيقة لم يخف من خط ومن أنس بالله استوحش من الناس وبرىء من الرجعة والبداء والتناسخ والغلو والتشبيه .

الى غير ذلك مما قيل فيه ومن اراد ان يستقصي جميع ما قيل فيه ممن عاصره وتأخر عن عصره يخرج بكتاب مستقل في هذا الموضوع بالذات .



جامعة أهل البيت

لقد عاش الإمام الصادق مع أبيه الباقر (ع) مؤسس جامعة أهل البيت نحواً من خمسة وثلاثين عاماً ادرك منها في مطلع شبابه بوادر الانحلال الذي كان يهدد دولة الأمويين بالانهيار ، وفي تلك الفترة وما تلاها من الفترات رافق تلك الحلقات العلمية التي كانت في مسجد المدينة وخارجه باشراف أبيه الباقر (ع) وتتألف كما تؤكد المصادر الموثوقة من مئات الطلاب والعلماء من مختلف البلاد الإسلامية . وهو الى جانب أبيه يلقنه من علوم الدين وأسرار الكون وغير ذلك مما ورثه عن آبائه عن النبي (ص) .

وظل إلى جانب أبيه الباقر الى آخر نفس من حياته ومدرسة الفقه والحديث والعلوم الاسلامية توالي نشاطها في مختلف المواضيع فيما يخدم مصلحة الإسلام إلى أن وافته المنية سنة ١١٤ هجرية فاستقل الصادق بالزعامة الدينية والمسلمون يتطلعون إليه من كل الجهات ، هذا والدولة الأموية تسير بخطا سريعة الى الفناء ، والانتفاضات الشعبية هنا وهناك تحقق الانتصار تلو الانتصار .

في هذا الظرف بالذات كانت امامة الصادق وزعامته الدينية بين عهد الأمويين وهم في دور الاحتضار ، وعهد العباسيين والدنيا تبتسم لهم وتضمهم

إليهـا ، وكلاهمـا في أمس الحاجـة الى سكوتـه ورضـاه فـالحـزب الحـاكم الـذي اصبـح على ابـواب الانهيار قـد احس بنتيجة مـا سلف منه مـع أهـل البيت لأن اكثر الثائرين كانوا يرددون مأساة كـربلاء واضـطهاد اهـل البيت وشيعتهم ، وما جـرى لزيـد بن علي وولـده يحيى بن زيد وغـير ذلـك من الجـرائم التي استغلهـا الثائرون ، واستـطاعوا ان يكيفـوا الجماهـير ابـواسـطتها لصـالحهم كما يـريدون ويستنفروها للثورة على اولئـك الحكام الـذين اذاقوا المسلمـين الوانـا وألوانـا من العسف والجور والتنكيل بالابرياء والصلحاء .

وحتى ان الذين كانوا يقودون الثورة ضد الامويين كـانوا يتستـرون بأمجـاد العلويين وآثارهم ويندّدون بأخصامهم وبما اقتـرفوه معهم خـلال حكمهم الـذي استمر قرابة ثمانـين عامـا أو تزيـد ما ذاق فيـه أهل البيت حـلاوة العيش ابدا ، فكان من الطبيعي والحـال هذه ان يـوفروا لـلإمام الصـادق (ع) في تلك الفترة كـل اسباب الهـدوء والاستقرار ، وان يتـابع هـو مسيـرة ابيـه البـاقـر (ع) من حيث انتهى لا سيما وان طلاب العلم والمحدثين والذين يريـدون ان يناظـروا في العقائد ويحملوا الأفكار التي تتعارض مع اصول الاسـلام قد انتشـروا في مختلـف المناطق وأصبحوا يتوافدون الى المـدينة من كـل الجهات حتى اجتمـع عنده قـرابة اربعـة آلاف طالب عـدا اولئـك الـذين كـانـوا يقصـدونـه للمنـاظـرة في مختلـف المواضيع .

ولعـل من جملة الأسباب التي تكمن وراء ذلـك التكتـل حـول الامـامـين الباقر والصادق (ع) هو ان الامويين وقفـوا من آثار اهـل البيت وفقههم موقفـا بلغ اقصى حـدود الشدة والصـرامة ، وبلغ الحـال ببعض الفقهاء اذا اضـطر ان يسند الحديث الى مصـدره ، فإن كـان عن علي (ع) يقـول : قال ابـو زينب ، فقد جاء في تاريخ حسن البصـري لأبي الفرج ابن الجـوزي انه كـان اذا اراد ان يحدث عن علي (ع) يقـول : قال ابـو زينب ويتحاشى ان يـذكره بـاسمه خـوفا من الأمويين وأعـوانهم ، ولما عـرف لدى الخـاصة انـه يعنيه بهـذه الكنية قـال له ابـان بن عياش : مـا هذا الـذي يقال عنـك انك قلتـه في علي بن أبي طـالب ،

قال يا ابن اخي احقن دمي من هؤلاء الجبابرة لولا ذلك لسالت بي اعشب .

وبعضهم كان يقول : قال الشيخ ويعني بذلك عليا (ع) ولا يجرؤ على ذكره باسمه .

وجاء عن أبي حنيفة انه قال عندما سأله احد الأمويين عن مسألة فقهية جاء عنه انه قال : فاسترجعت في نفسي لأني اقول فيها برأي علي (ع) وأدين الله به فكيف اصنع ، ثم عزمت ان اصدقه وأفتيه بالدين الذي ادين الله به ، ومضى يقول : إن بني امية كانوا لا يفتون بقول علي (ع) ولا يأخذون به وكان علي لا يذكر باسمه بين الفقهاء والعلامة بين المشايخ ان يقولوا قال الشيخ كما جاء ذلك في المجلد الأول من مناقب ابي حنيفة .

وقال الشعبي كما في عيون الاخبار لابن قتيبة : ماذا لقينا من آل أبي طالب ان أحببناهم قتلنا وإن أبغضناهم دخلنا النار .

وبلغ من حرص الأمويين على طمس آثار أهل البيت وفقههم أن رفعوا من شأن بعض الفقهاء وتركوا لهم امر الافتاء وبيان الأحكام كسليمان بن موسى الاشدق المتوفى سنة ١١٩ وعبد الله بن ذكوان المتوفى سنة ١٣٠ احد مواليهم و راوي احاديث أبي هريرة ، ونافع مولى ابن عمر ، وسليمان بن يسار الذي كان ملازماً لقصورهم وقد فرضوه على المدينة ومكحول مولى بني هذيل وأبي حازم سلمة بن دينار الأعرج مولى بني مخزوم ، وسليمان بن طرخان ، واسماعيل بن خالد البجلي وعكرمة مولى ابن عباس وابن شهاب الزهري وغير هؤلاء من علماء الموالي الذين قربوهم وفتحوا لهم صدورهم وخزائنهم ولم يسمحوا لأحد ان يحدث عن أهل البيت أو يسند لعلي ولغيره من ولده رأياً في الفقه أو في غيره من المواضيع الإسلامية ، مما سبب ضيقاً واحراجاً لكثير من الفقهاء الذين كانوا لا يرون لفقه علي وأبنائه بديلا .

ولعل بعض من عرفوا بفقهاء الرأي كانوا يفتون برأيه وينسبون الفتوى لأنفسهم بدون ان يذكروا لها سندا من مرويات الصحابة أو آرائهم ولا

يجرأون على اسنادها لعلي (ع) خوفاً من سياط الأمويين وسيوفهم المسلولة على الرقاب فعدوهم لذلك من فقهاء الرأي . ولما اتيح للإمامين الباقر والصادق (ع) ان يحدثا عنه وعن الرسول (ع) وينشرا فقهه وآثار الإسلام توافد العلماء وطلاب العلم عليهما في مدينة الرسول (ص) من كل جانب ومكان لا سيما وقد شهد عصرهما نهضة علمية شملت جميع اطراف الدولة وصراعا عقائدياً كانت وراءه ايد خفية تحاول تشويه أصول الإسلام وتحريفها بما يسيء إلى الإسلام ولا يخدم إلا اعداءه ، وكان الرابح الأكبر من ذلك الصراع الذي فرق المسلمين الى شيع وأحزاب اولئك الحكام الذين يهمهم ان ينصرف المسلمون عن ظلمهم وجورهم وطغيانهم إلى هذا اللون من الصراع مهما كانت النتائج .

ومهما كان الحال فلقد تتابعت الوفود من جميع المدن والقرى على جامعة أهل البيت ونشطت الحركة العلمية في عهد الإمام الصادق (ع) الى أبعد الحدود بعد ان زالت الحواجز التي كانت تحول بين الناس وبينهم ، وبلغ عدد المنتمين إليها أربعة آلاف كما احصاهم أبو العباس احمد بن عقدة المتوفى سنة ٢٣٠ في كتاب مستقل ، وأيده الشيخ نجم الدين في المعتبر ، وأدرك منهم الحسن بن علي الوشا وكان من أصحاب الرضا تسعمائة شيخ كانوا يجتمعون في مسجد الكوفة يحدثون عن جعفر بن محمد ويتدارسون فقهه وذلك بعد أكثر من عشرين عاماً مضت على وفاة الإمام الصادق . وإذا صح أن الحسن بن علي الوشا قد ادرك منهم بعد عشرين عاما او تزيد في مسجد الكوفة وحده هذا المقدار فليس بغريب اذا اجتمع عنده من سائر البلاد والاقطار اربعة آلاف طالب وأكثر من ذلك .

وقال المحقق في المعتبر : ان الذين برزوا من تلامذته ألفوا من أحاديثه وأجوبة مسائله أربعمائة كتاب عرفت بعد عصره بالاصول ، وقد اعتمدها المحمدون الثلاثة الكليني والصدوق والطوسي في كتبهم الأربعة الكافي ومن لا يحضره الفقيه والوافي والاستبصار .

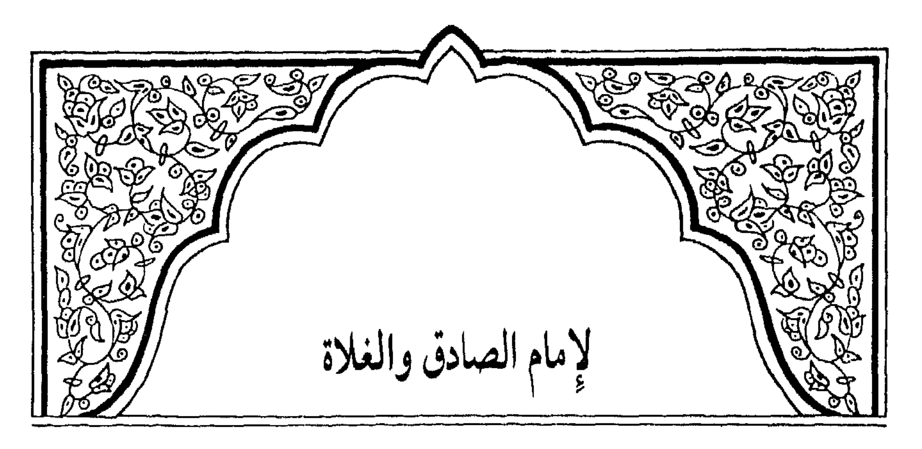
كما تنص المؤلفات الشيعية في أحوال الرجال أن أصحاب الامامين الباقر والصادق (ع) قد ألفوا في مختلف المواضيع اكثر من أربعة آلاف كتاب ، ولو افترضنا ان هذا العدد مبالغ فيه وليس ذلك ببعيد ، فمما لا شك فيه بأنهم تركوا بالاضافة إلى الأصول الأربعمائة مئات الكتب في الحديث والفقه وغيرهما من المواضيع الإسلامية كما يرشد إلى ذلك تأكيد الإمام الصادق (ع) بكتابة ما كان يلقيه عليهم خوفاً من النسيان والزيادة والنقصان ، لا سيما وان التدوين والتأليف قد بلغا اقصى حدودهما في ذلك العصر الذي كان فيه العلماء والمعنيون باحصاء الحوادث والآثار يتسابقون إلى التأليف والتدوين ، وظهرت فيه عشرات المؤلفات لغيرهم في الحديث والسير والتاريخ والتفسير وغير ذلك من المواضيع الإسلامية وغيرها . اما اين ذهبت تلك المؤلفات الشيعية فالتاريخ قد أهمل مصيرها كما أهمله المؤلفون في احوال الرجال وآثارهم ، وبلا شك فلقد بقي الكثير منها الى القرنين الرابع والخامس واعتمد عليها اصحاب الكتب الأربعة في مجاميعهم كما ذكرنا ، وقد اتلف اكثرها السلاجقة والتتر والايوبيون وغيرهم من الغزاة في جملة ما اتلفوه من مكتبة الوزير سابور ومكتبة الطوسي في بغداد ومكتبة القصر الفاطمي في القاهرة ، هذا بالإضافة الى ما تلف من مكتبة محمد بن عمير التي دفنها في التراب خوفاً من الرشيد ، وكان قد حبسه الرشيد وصادر جميع امواله ، ولما خرج من سجنه وجدها بالية وكانت تشتمل على مئات الكتب لأصحاب الإمامين الصادق والباقر (ع) .

ويظهر من سرائر محمد بن ادريس العجلي المتأخر عن الشيخ الطوسي انه كان يحتفظ ببعض تلك المؤلفات وانه في السرائر اخذ منها بلا واسطة حيث قال : فمن ذلك ما اورده موسى بن بكير الواسطي في كتابه عن حمران بن اعين الشيباني ، وبعد ان اورد جملة من الكتاب المذكور قال : ومن ذلك ما استطرفناه من كتاب معاوية بن عمار وقد اخذ منه بعض الأحاديث في احكام الحج والصلاة ، ثم قال : ومن ذلك ما استطرفناه من كتاب احمد بن محمد ابي نصر البزنطي ، كما اخذ من كتاب الأبان بن تغلب ، ومن كتاب لجميل بن

دراج ، وللسياري وللبزنطي ولحريز بن عبد الله السجستاني وللحسن بن محبوب السراد ، ولعبد الله بن بكير وغيرهم وعبارته تكاد تكون صريحة في أنه اخذ من تلك الكتب مباشرة .

ويظهر من الشهيد في الذكرى والكفعمي في مصباحه ان بعض تلك المؤلفات التي تركها اصحاب الأئمة (ع) كانت عندهما كما نص على ذلك الحر العاملي في الفائدة السادسة التي الحقها في المجلد الثالث من الوسائل الطبعة القديمة .

ومهما كان الحال فلست بصدد تحقيق هذه الأمور ولا استقصاء جميع ما قيل فيها وفي جامعة أهل البيت والعدد الذي كان ينتمي إليها وما انتجته في مختلف الميادين ، فإن استقصاء ذلك كله لا يكفيه مجلد واحد .



الإمام الصادق والغلاة

لعل من ابرز المشاكل التي واجهت جامعة أهل البيت مشكلة اولئك المندسين بين أصحابه بقصد التشويه والتخريب فوضعوا عشرات الألوف من الاحاديث بين الاحاديث التي رواها الثقات عنه ونسبوا إليه بعض الآراء التي لا تتفق مع أصول الإسلام ومبادئه وبالتالي اظهروا الغلو فيه وجعلوه فوق مستوى البشر وأعطوه جميع صفات الآلهة وأضافوا الى ذلك انهم وكلاؤه ورسله الى الناس ، وأكثر هؤلاء كانوا من الموالي والعناصر التي دخلت في الإسلام بقصد التخريب والتضليل وبعضهم كان ينفذ رغبات الحكام الذين اقلقهم وجود الإمام الصادق واتساع صيته وزعامته الدينية التي اكتسحت جميع الزعامات ، ولعل من اولئك وهب بن وهب المعروف بأبي البختري الذي فتح الحكام له صدورهم و ولوه القضاء لأنه كان يكذب على الإمام الصادق (ع) ويضع الاحاديث تلبية لرغباته ، وقد وقف الإمام (ع) امام تلك المشكلة موقفا حاسماً تلافياً لاخطارها فأعلن للملأ الإسلامي براءته من تلك الفئات المنحرفة وانحرافها عن الدين والإسلام ، فقال على ملأ من أصحابه :

والله ما الناصب لنا حربا بأشد علينا مؤونة من الناطق علينا بما نكره وبما لم نقله في أنفسنا .

وقال في مناسبة ثانية : ان الناس قد اولعوا بالكذب علينا ، وإني

أحدث احدهم بالحديث فلا يخرج من عندي حتى يتأوله على غير وجهه وذلك انهم كانوا لا يطلبون بأحاديثنا ما عند الله ، وانما يطلبون الدنيا وكل يحب أن يكون رأساً .

وقال له بعض اصحابه : يا ابن رسول الله قد بلغنا عنك انك قلت : اذا عرفتم فاعملوا ما شئتم ، فقال (ع) : اني قلت اذا عرفتم فاعملوا من الطاعات ما شئتم فإنه يقبل منكم .

وكان يقول : انا اهل بيت لا يزال الشيطان يدخل فينا من ليس منا ولا من أهل ديننا فاذا رفعه ونظر الناس إليه امره الشيطان فيكذب علينا .

وقد أوصى أصحابه بأن لا يقبلوا كل ما يرويه الرواة عنهم ووضع لهم قاعدة يرجعون إليها ليتأكدوا من صحة ما ينسب إليهم ، فقال : لا تقبلوا علينا إلا ما وافق القرآن والسنّة ، أو ما تجدون عليه شاهدا من احاديثنا المتقدمة .

وقال لأبي بصير : يا ابا محمد ابرأ ممن يرى اننا ارباب ، ومن زعم اننا انبياء ، فقال ابو بصير : برئت الى الله منهم ، ثم قال الإمام (ع) : من قال اننا انبياء فعليه لعنة الله .

وقد اشتهر من بين اولئك المخربين والمأجورين جماعة لم يقتصر خطرهم على احاديث أهل البيت وآثارهم بل حملوا الى جانب الكذب في الحديث ومحاولة افساده افكاراً تتنافى مع الإسلام وتشكل خطراً على التشيع لأهل البيت (ع) ومبادئه ولولا مواقف الإمام الصادق لأدت الى محق التشيع من اساسه .

لقد وقف لهم الإمام الصادق (ع) بالمرصاد وأعلن كفرهم والبراءة منهم وظل يلاحقهم ويفند مزاعمهم ويحذر المسلمين منهم ومن دسائسهم حتى قضى على افكارهم ومزاعمهم تقريباً وأظهر للناس واقعها قبل ان ترى النور وتتسرب الى العقول ، ومع ذلك فالمؤلفون القدامى والمحدثون قد عدوهم من الفرق الإسلامية على حساب الشيعة بالرغم من تصريحات ائمة الشيعة وعلماء

الشيعة منذ أقدم العصور بكفرهم وخروجهم عن الإسلام فضلا عن التشيع ، بالرغم من أن افكارهم لم يتبنّها غير المشعوذين والحاقدين والمشوشين على الإسلام والتشيع . ومن هؤلاء محمد بن مقلاص المعروف بأبي الخطاب الأسدي ، وكان من الموالي كما نص على ذلك المؤلفون في المذاهب والفرق ، وسماه الشهرستاني محمد بن زينب الأسدي الاجدع ، والمقريزي كناه بأبي ثور ، وقيل في اسمه وكنيته غير ذلك ونسبت إليه بعض الآراء الفاسدة بعد أن ظهر في الكوفة وأظهر التشيع واتصل بأصحاب الصادق ورواة احاديثه كنسبة الألوهية للإمام الصادق وأنه نبي مرسل من قبله ونحو ذلك كما يدعي المؤلفون في المذاهب والفرق الشيعية كالنوبختي ومن تأخر عنه ، ولما بلغت مقالته الإمام (ع) وقف موقفاً حازماً وحذر المسلمين منه وقال عيسى بن منصور : سمعت ابا عبد الله الصادق يقول : اللهم العن ابا الخطاب فانه خوفني قائماً وقاعداً وعلى فراشي اللهم اذقه حر الحديد .

وجاء في رواية عنبسة بن مصعب ان الإمام الصادق قال له : اي شيء سمعت من أبي الخطاب ؟ قال : سمعته يقول انك وضعت يدك على صدره وقلت له : عه ولا تنس وأنت تعلم الغيب وانك قلت : هو عيبة علمنا وموضع سرنا امين على احيائنا وأمواتنا ، فقام الإمام الصادق وقال : لا والله ما مس شيء من جسدي جسده الا يده ، وأما قوله اني اعلم الغيب ، فوالله الذي لا إله إلا هو ما اعلم الغيب ، ولا آجرني الله في أمواتي ولا بارك لي في احيائي إن كنت قلت له ذلك .

وقال المفضل بن يزيد قال لي ابو عبد الله الصادق (ع) وقد ذكر أصحاب أبي الخطاب والغلاة : يا مفضل لا تقاعدوهم ولا تواكلوهم ولا تصافحوهم ولا توارثوهم .

وجاء في رواية سدير الصيرفي أنه قال : قلت لأبي عبد الله ان قوماً يزعمون أنكم آلهة يتلون علينا بذلك قرآنا ، يا أيها الرسل كلوا من الطيبات واعملوا صالحاً اني بما تعملون عليم ، قال (ع) : يا سدير سمعي وبصري

وشعري وبشري ولحمي ودمي من هؤلاء براء بريء الله منهم ورسوله ، ما هؤلاء على ديني ودين آبائي والله لا يجمعني وإياهم يوم الا وهو عليهم ساخط الى غير ذلك مما جاء عن الإمام الصادق فيه ، ويدعي المؤلفون في الفرق انه فشل في نشر دعوته بعد الموقف الذي وقفه منها الإمام ابو عبد الله الصادق (ع) وأخيرا خرج بمن معه من المشعوذين والمضللين على السلطة الحاكمة في الكوفة فأرسل إليه عيسى بن موسى جماعة فقتلوه مع أصحابه ثم صلبهم ليكونوا عبرة لغيرهم .

ومنهم بزيع بن موسى الحائك وإليه تنسب الفرقة البزيعية كما يدعي المؤلفون في الفرق الإسلامية ، وكان من دعاة الالحاد والزندقة وقد ادعى النبوة وانه صعد إلى السماء ومسح الله على رأسه وان الحكمة تنبت في صدره وادعى بعض انصاره انه الإمام بعد أبي الخطاب الى غير ذلك مما نسب إليه ، وعدهم بعض المؤلفين في الفرق من فروع الخطابية وكلهم يجتمعون على تأليه الإمام جعفر الصادق (ع) وان كنت اشك في كثير مما نسب إليهم ، وفي الوقت ذاته لا اشك في انحرافهم بعد ان لعنهم الإمام الصادق وتبرأ منهم ، وقال كما روى الرواة عنه : لعن الله بزيعا والسري وبشار الأشعري وحمزة الزيدي وحائد النهدي . وقال : ان بنانا والسري وبزيعا لعنهم الله لقد تراءى لهم الشيطان وانا لا نخلو من كذاب يكذب علينا ، او عاجز الرأي ، كفانا مؤونة كل كذاب وأذاقهم حر الحديد ، وقد ارسل الامام (ع) برسائل الى عدد من الاقطار يحذرهم فيها من دسائسهم وأساليبهم التي استعملوها لتضليل الناس .

ومنهم بشار الشعيري وكان قد استوطن الكوفة وأظهر الغلو في علي (ع) وقال بالتناسخ والتعطيل واختار الكوفة لدعوته لكثرة من بها من الشيعة ، ولكن الصادق كان له بالمرصاد .

وجاء في رواية مرازم بن حكيم الازدي المدائني ان الامام الصادق (ع) قال له : يا مرازم ان اليهود قالوا ووحدوا الله ، وان النصارى قالوا ووحدوا

الله ، وان بشارا قال قولا عظيما فاذا قدمت الكوفة فأته وقل له يقول لك جعفر بن محمد : يا فاسق يا كافر يا مشرك انا بريء منك ، قال مرازم : فلما قدمت الكوفة ووضعت متاعي جئت اليه ودعوت الجارية وقلت لها قولي لابي اسماعيل هذا مرازم فخرج الي وبلغته رسالة الامام (ع) فقال : وقد ذكرني سيدي ؟ قلت : نعم ذكرك بهذا الذي قلت لك ، فقال : جزاك الله خيرا وجعل يدعو لي ويشكرني على هذه الرسالة .

وقال اسحاق بن عمار : قال ابو عبد الله الصادق (ع) لبشار الشعيري : اخرج عني لعنك الله لا والله لا يظلني واياك سقف ابدا ، فلما خرج قال ابو عبد الله : ويله ألا قال بما قالت اليهود ، الا قال بما قالت النصارى ، الا قال بما قالت المجوس او بما قالت الصابئة ؟ والله ما صغر الله تصغير هذا الفاجر احد من الناس ، انه شيطان وابن شيطان خرج من البحر ليغوي اصحابي فاحذروه وليبلغ الشاهد الغائب ، فاني عبد الله وابن عبد الله ضمتني الاصلاب والارحام واني لميت ومبعوث ثم مسؤول ، والله لأسألن عما قال في هذا الكذاب وادعاه ، ما له غمه الله فلقد افزعني وأقلقني عن رقادي .

وقد وقف الامام الصادق (ع) من السري وحمزة الزيدي وحائد النهدي والمغيرة بن سعيد نفس الموقف الذي وقفه من الخطابية وبزيع الحائك وبشار الشعيري وحذر المسلمين منهم ومن دسائسهم ومقالاتهم ولعنهم في مجالسه العامة والخاصة وبما ان هؤلاء قد اتخذوا الكوفة مقرا لهم فكانت رسل الإمام الصادق ورسائله تتوالى على أهلها بين الحين والآخر يحذرهم فيها من الوقوع في شباكهم ويتبرأ منهم ومن اقوالهم لكل من يأتيه من أهل الكوفة وجوارها .

ولعل المغيرة بن سعيد كان اقدرهم على الدجل والتضليل والشعبذة ، فقد جاء في مقالات الإسلاميين للاشعري انه كان يزعم بأن عنده الاسم

الاعظم يحيي به الموتى ويصنع المخاريق عن طريق السحر والشعبذة بين عوام الناس وبسطائهم .

وقال الطبري في تاريخه : انه كان يخرج الى المقبرة فيتكلم ويرى مثل الجراد على المقبرة ، وكان مع ذلك يكثر من الكذب على الإمامين الباقر والصادق .

وجاء في رواية محمد بن عيسى بن عبيد ان بعض اصحابنا سأل يونس بن عبد الرحمن وأنا حاضر وقال له : يا ابا محمد ما أشدك في الحديث وأشد افكارك لما يرويه اصحابنا فما الذي يحملك على رد الاحاديث ؟ فقال يونس : حدثني هشام بن الحكم أنه سمع ابا عبد الله الصادق يقول : لا تقبلوا علينا حديثا الا ما وافق القرآن والسنّة وتجدون معه شاهدا من احاديثنا المتقدمة ، فان المغيرة بن سعيد دس في كتب اصحاب ابي احاديث لم يحدث بها ، فاتقوا الله ولا تقبلوا علينا ما خالف قول ربنا وسنّة نبينا ، وفي رواية ثانيةً قال الإمام الصادق : ان أصحاب المغيرة المتسترين بأصحاب أبي كانوا يأخذون كتب أصحاب أبي ويدفعونها إلى المغيرة فيدس فيها الكفر والزندقة والإلحاد ويسندها إلى أبي ، ثم يدفعها إلى أصحابه ويأمرهم أن يبثوها في الشيعة فكل ما كان في كتب أبي من الغلو فذاك مما دسه المغيرة بن سعيد في كتبهم ومؤلفاتهم .

وقال الصادق (ع) في معرض حديثه عن المغيرة بن سعيد وأمثاله ممن وضعوا مئات الأحاديث ونسبوها إليه وإلى أبيه (ع) ووضعوهما في مستوى الآلهة ، قال في معرض التحذير منهم : لعن الله المغيرة بن سعيد ولعن يهودية كان يختلف إليها يتعلم منها السحر والشعبذة والمخاريق ، ان المغيرة كذب على أبي فسلبه الله الإيمان ، وان قوماً كذبوا علي ما لهم أذاقهم الله حر الحديد ، فوالله ما نحن إلا عبيد خلقنا الله واصطفانا ما نقدر على ضر ولا نفع ، ان رحمنا فبرحمته وإن عذبنا فبذنوبنا ، فوالله ما لنا على الله من حجة و لا معنا

منه براءة وانا لميتون ومقبورون ومنشورون وموقوفون ومسؤولون ، مالهم لعنهم الله فقد آذوا الله وآذوا رسول الله في قبره وأمير المؤمنين وفاطمة والحسن والحسين ، وها انذا بين اظهركم أبيت على فراشي خائفاً وجلاً ، ومضى يقول : اني امرؤ ولدني رسول الله ، وما معي براءة من الله ان اطعته رحمني ، وان عصيته عذبني عذاباً شديداً .

وكان يدعي المغيرة بأنه يحيي الموتى كما يزعم المؤلفون في الفرق والمذاهب الاسلامية ، وجاء في رواية أبي بكر بن عياش أن خالد بن عبد الله القسري لما قبض عليه وعلى أتباعه قتل منهم رجلاً وقال للمغيرة : أحيه ان كنت صادقاً فيما تدعي ، فقال : اني لا احيي الموتى ، ثم قتله وأحرقه بالنار .

وجاء في رجال الكشي ان ابا منصور العجلي كان من المشعوذين ودعاة الالحاد والزندقة وقد سكن الكوفة وجعل يبث فيها دعوته ويتظاهر بالولاء لأهل البيت واتخذ من ذلك وسيلة لنجاحها ولما بلغ الإمام الباقر (ع) خبره تبرأ منه ولعنه وأرسل اصحابه في الكوفة يحذرهم منه وممن هو على شاكلته واستمر أبو منصور في محاولاته الهادفة الى الكفر والالحاد الى عهد الإمام الصادق (ع) فأعلن للناس براءته منه وأمرهم بالابتعاد عنه ولعنه على ملأ من أهل الكوفة وسماه رسول ابليس ، وأخيرا قتله يوسف بن عمر وصلبه ليكون عبرة لغيره ، وانتهى بقتله دور اولئك المشعوذين من دعاة الكفر والتفرقة واستطاع الإمام الصادق (ع) بما بذله من جهد لاحباط محاولاتهم وفشل اساليبهم ان يخنق دعوتهم في مهدها قبل ان يستفحل خطرها ويتركهم حديثاً سيئاً للأجيال يصبون عليهم اللعنات الى يوم الدين .

وقد أخطأ خطأ لا مبرر له كل من ادعى ان دعوتهم تركت أثراً في صفوف الشيعة ودان بها جماعة منهم و أصبح لكل واحد منهم أتباع يشكلون فرقة بذاتها كما يذهب إلى ذلك النوبختي والشهرستاني ومن أخذ عنهما من

المتأخرين وبخاصة أولئك الذين استغلوها لتشويه تعاليم أهل البيت .

وقبل ان اختم حديثي عن هؤلاء المشعوذين الذين ارادوا ان يعترضوا الدعوة التي قام بها الإمامان الباقر والصادق (ع) بوضع تلك المبادىء الهدامة في طريقها لا بد لي من التنبيه على ما وقع فيه محمد جابر عبد العال من الخطأ في كتابه حركات الشيعة المتطرفين حيث عدّ هو وغيره من غلاة المتعصبين على أهل البيت هؤلاء المنحرفين من فرق الشيعة ، وأضاف إلى ذلك محمد جابر في كتابه المذكور أن جابر الجعفي قد تزعم حركتهم وأنزله أصحاب المغيرة منزلة المغيرة نفسه على حد تعبيره ، في حين أن أئمة الشيعة وعلماء الشيعة في جميع مراحل تاريخهم لم يرد عنهم ما يشير إلى أن جابر الجعفي قد شذ في رأيه بالائمة وجعلهم في صفوف الآلهة ويرون هؤلاء ومن يقول بمقالتهم اسوأ حالا من المشركين والجاحدين لجميع الأنبياء ورسالاتهم وقد ذكرنا بعض ما جاء عن الإمامين الباقر والصادق (ع) في هؤلاء وأمثالهم ، كما وان ما نسبه لجابر الجعفي لا نصيب له من الصحة ولا تؤيده المصادر الموثوقة ، ولا ذنب لجابر الجعفي عند هؤلاء الا انه قد اشتهر بكثرة الرواية عن أهل البيت ، على أن محدثي السنّة لم يتفقوا على ادانته ، فقد جاء في تهذيب التهذيب لابن حجر ان ابن مهدي قال فيه : ما رأيت في الحديث أورع من جابر ، وقال فيه ابن علية عن شعبة : جابر صدوق في الحديث وقال فيه يحيى بن أبي بكير عن شعبة : اذا قال جابر حدثنا وسمعت فهو من أوثق الناس وقال فيه وكيع : مهما شككتم فلا تشكوا أن جابرا ثقة ، وقال ابن عبد الحكم : سمعت الشافعي يقول : قال سفيان الثوري لشعبة : لئن تكلمت في جابر لأتكلمن فيك إلى غير ذلك مما يشير إلى أنه لم يكن من أولئك المشعوذين والمضللين .

وقد ضعفه جماعة منهم و اتهموه بالكذب والتخليط ، ومن ابرز اسباب التضعيف والتكذيب عند علماء السنّة ومحدثيهم التشيع لأهل البيت ورواية آثارهم وفضائلهم كما يبدو ذلك للمتتبع في كتبهم التي بحثوا فيها احوال الرواة ، ونحن اذ ندفع عنه تهمة المضي على طريق أولئك المشعوذين لا ندعي

بـأنه من الـطبقة الاولى بـين أصحاب الائمـة ورواة احاديثهم وان مـرويـاتـه لا تقبـل الطعن والتجـريح ، وفي الـوقت ذاته نؤكـد براءتـه مما الصقـه به الاسـتـاذ محمد جابر وغيره ، ونصر على ان اولئك المشعوذين الذين اندسوا بين اصحاب الامـامين البـاقر والصـادق كالعجـلي ، والسـري ، والمغيـرة بن سعيـد ، وبشـار الشعيري والخطابي وغيـرهم ان صح مـا نسب إليهم فهـم أسوأ حـالا من اليهود والنصـارى وقد كفـرهم الإمام الصـادق ولعنهم وتبـرأ منهم وقضى عـلى كـل مـا كانوا يخـططون له من هـدم وتخريب لأصول الإسـلام ومبادئـه ، وكل مـا تركـه هؤلاء هـو انهم خلال وجـودهم بين أصحـاب الأئمـة وضعـوا آلاف الاحـاديث وأدخلوهـا بين المـرويات عن الامـامين البـاقر والصـادق ، وأسنـدوا بعضهـا الى ثقات أصحابهـما وتناقلهـا الرواة بـدون تمحيص فاختلط الصحيـح بغيره ، وقـد وضـع الأئمة (ع) بعض الأصـول والقواعـد لتمييز الصحيـح من غيره وأمـروا بـالرجـوع إليها تحـاشيـاً من الأخـذ بغـير الصحيـح كـما ضـاعف علماء الشيعـة جهـودهم في البحث والتـدقيق في الـروايـة متنـا وسنـداً وصنفـوا الحـديث إلى الأصناف الأربعة للاحتفاظ بالواقع حسب الامكان .

وبجمل القول ان جامعة أهل البيت التي اسسها الإمام الباقـر واستقل بهـا ولـده الصادق (ع) من بعـده أكثر من ثـلاثـين عـامـا وقصـدهـا العشـرات من العلماء وطـلاب العلم من كل مكـان كان لهـا اطيب الأثـر في تـاريـخ التشـريـع الإسـلامي واليهـا يشـير امـام المـذهب الحنفي بقـولـه : لـولا السنتـان لهلك النعمـان ، كما انتمى إليهـا ولازمها الإمـام الثاني من أئمـة المذاهب مـالـك بن أنس لمـدة من الزمن كـما تؤكد ذلـك المصـادر التي تعـرضت لتـاريخـه ، ولم يكن نشـاطها مقصـوراً على دراسـة الفقه الإسـلامي وأدلة التشـريـع بعـد أن انـطلق الفكـر الاسلامي الى مـا وراء هذه المـواضيع ودخـل المسلمون مـع غيـرهـم من الأمم في صراع جديـد كانت الأصـول الإسلاميـة مسرحـاً له ، ونتـج عن ذلك الصـراع بعض التجاوزات والانحـرافات عن الاصـول الإسـلاميـة التي اقـرهـا القـرآن وأيدتهـا السنّة وتعـددت فيها الآراء كـما تعددت في الفـروع واحتج كـل

فريق لمذهبه بظواهر القرآن وبمقالات نسبوها إلى الرسول زوراً وبهتاناً ، ونتج عن هذا الصراع الفكري حول هذه المواضيع جدال عنيف وخصومات انتهت الى تعدد الفرق والمذاهب، وانتشارها في أرجاء الإسلام انتشاراً واسعاً كان له اسوأ الأثر على المسلمين في ماضيهم ومستقبلهم ولا يزالون يعانون من آثارها حتى اليوم .

وقد وقف أهل البيت (ع) في وجه اولئك الغزاة وما حملوه من افكار وآراء ومعتقدات وشجعوا اصحابهم وتلامذتهم على الجدل والمناظرة وأمدوهم بالحجج والبراهين وأساليب الدفاع ، وجاء عن الإمام الصادق (ع) أنه قال لعبد الرحمن بن الحجاج البجلي : ناظر أهل الآراء والبدع فإني أحب أن يروا في شيعتي مثلك .

وقال له حمزة الطيار : بلغني أنك تكره الخصومة مع الناس ومناظراتهم ، فقال : اما كلام مثلك من اذا طار أحسن أن يقع وإذا وقع أحسن ان يطير فلا اكره مناظرته للناس .

وبلغ من عنايتهم بهذه الناحية أنهم كانوا يعقدون مجالس للمناظرة فيما بينهم للتدريب على مناظرة الخصوم والزنادقة ، فقد روى الكشي أن جماعة من اصحاب الصادق منهم جميل بن دراج وعبد الرحمن بن الحجاج وجماعة غيرهما يبلغون نحواً من خمسة عشر رجلا او يزيدون اقترحوا على هشام بن الحكم أن يناظر هشام بن سالم في التوحيد وصفات الله سبحانه وكلاهما من البارزين بين أصحاب الإمام الصادق (ع) في الفقه والكلام والفلسفة وغيرهما من العلوم ، فعقدوا مجلساً لهذه الغاية ودار بينهما الجدل والحوار على جميع الافتراضات التي يمكن ان تكون موضع جدل وحوار بينهم وبين أخصامهم من الزنادقة والمنحرفين .

كما روى أبو عمر الكشي في رجاله ان رجلا من أهل الشام استأذن على أبي عبد الله الصادق (ع) وعنده جماعة من أصحابه ، فقال له : بلغني أنك

عالم بكل ما تسأل عنه فصرت إليك لاناظرك ، وكان في مجلس الإمام الصادق حمران بن أعين ، وأبان بن تغلب ومؤمن الطاق وهشام بن الحكم وغيرهم من أصحابه ، فناظروه في بعض المواضيع حتى انتهى الأمر بالشامي ان وقف حائراً لا يدري ما يقول وتراجع عن آرائه ولازم هشام بن الحكم زمنا طويلا ليأخذ عنه ما يريد .

وكما ناظر الأئمة وأصحابهم أهل البدع والزنادقة والمنحرفين عن التشيع وجادلوهم بالحجة والمنطق ودافعوا عن العقيدة وأصول الإسلام ونزهوهما مما ألصقه بها المغالون والمشعوذون ، فقد كتبوا في الرد على تلك الفئات كما جاء في رواية ابن النديم والنجاشي والكشي فألف هشام بن الحكم كتابا رد فيه على الزنادقة والملحدين ، وكتبا اخرى في الإمامة والجبر والقدر وفي الرد على الثنوية وأرسطاطاليس وغيره من فلاسفة اليونان والهنود الى جانب ما ألفه في الفقه وأصوله على مذهب أهل البيت (ع) .

كما ألف زرارة بن أعين كتبا في الاستطاعة والجبر وغيرهما من المواضيع ، وألف محمد بن عمير وكان من تلامذة الإمامين موسى بن جعفر وأبي الحسن الرضا (ع) ولعله أدرك أبا جعفر الجواد في المبدأ والتوحيد والإمامة ، وألف يعقوب بن اسحاق السكيت كتاباً في المنطق ، وكتاباً في الالفاظ والاضداد ، وكتابا في الألفاظ المشتركة بين معان متعددة ، وكان قد أوكل إليه المتوكل تعليم أولاده ، فسأله يوماً : أيهما أحب إليك ابناي هذان المعتز والمؤيد ، أم الحسن والحسين ؟ فأجابه : والله ان قنبراً خادم الحسن والحسين أحب إلي منك ومن ولديك ، فأمر المتوكل غلمانه أن يقتلعوا لسانه من قفاه فمات من ساعته .

وألف أبان بن عثمان الأحمر كتاباً في المبدأ والمبعث ، وألف محمد بن النعمان البجلي المعروف بمؤمن الطاق في الإمامة والمعرفة واثبات الوصية والأوامر والنواهي وكتاباً في المناظرات جمع فيه مناظراته مع أبي حنيفة

وأصحابه ، وكان شديد الخصومة معه وقوياً في حجته ، و لما توفي الإمام الصادق قال له أبو حنيفة مازحاً : ان امامك قد مات ، فرد عليه بقوله : ولكن امامك من المنظرين الى يوم الوقت المعلوم . إلى غير ذلك من مئات المؤلفات التي تركها تلامذة الأئمة وأصحابهم في مختلف المواضيع كما أشرنا إلى هذه الناحية خلال حديثنا عن جامعة أهل البيت وما قدمته من الخدمات لمصلحة الإسلام .



الإمام الصادق مع المنصور وأعوانه

لقد كان المنصور على صلة وثيقة بالإمام الصادق (ع) في عهد الأمويين وكان يجلس إليه ويستمع إلى حديثه كما يبدو ذلك من بعض المرويات فقد جاء عنه أنه استدعاه بعد أن زال عهد الأمويين وانتقلت السلطة إليه ، واستدعى ولده المهدي ، وقال له : يا ابا عبد الله حديث كنت حدثتنيه في صلة الرحم اعده علي ليسمعه المهدي ، قال الإمام (ع) : حدثني أبي عن أبيه عن جده عن علي (ع) ان رسول الله (ص) قال : ان الرجل ليصل رحمه وقد بقي من عمره ثلاث سنين فيصيرها الله عز وجل ثلاثين سنة ، ويقطعها وقد بقي من عمره ثلاثون سنة فيصيرها الله ثلاث سنين ، ثم تلا قوله تعالى : ﴿ **يمحو الله ما يشاء ويثبت وعنده أم الكتاب** ﴾ .

فقال المنصور : هذا حسن يا ابا عبد الله وليس إياه اردت ، فقال أبو عبد الله : حدثني أبي عن أبيه عن جده عن علي (ع) أن رسول الله (ص) قال : صلة الرحم تعمر الديار وتزيد في الاعمار وان كان اهلها غير أخيار .

فقال المنصور : وهذا حسن ولكني اردت غيره ، فقال ابو عبد الله الصادق (ع) : حدثني أبي عن أبيه عن جده عن علي (ع) أن رسول الله (ص) كان يقول : صلة الرحم تهون الحساب ، فقال المنصور : هذا هو

الذي اردت .

من هذه الرواية وغيرها يظهر أن المنصور كان على صلة بالإمام ويستمع إلى احاديثه ولم يكن لديه ما يوجب قطيعته وجفاءه ، وبعد أن أصبحت الدنيا طوع ارادته وانقرض عهد اخصامه الأمويين لم يعد يخشى غير العلويين الذين كان يطالب بحقهم بالأمس ويدعو الناس لمقاومة الأمويين على حسابهم ، وبعد أن استتب له الأمر أصبح لا يخشى سواهم وتصور أن وجود الإمام جعفر بن محمد يشكل خطراً على عرشه وعلى اسرته بكاملها فحاول اكثر من مرة ان يفتك به ولكن مشيئة الله كانت تحول بينه وبين ما يريد .

وجاء في بعض المرويات عن الربيع حاجب المنصور أنه قال : لما استقرت الخلافة لأبي جعفر المنصور واستتبت له الأمور قال لي : يا ربيع ابعث إلى جعفر بن محمد وائتني به ، فذهبت إليه وقلت : يا ابا عبد الله اجب امير المؤمنين ، فقام معي فلما دنونا من الباب جعل الإمام الصادق يحرك شفتيه ويتكلم بكلام لم افهمه ، ثم دخل على المنصور وسلم عليه فلم يرد السلام ورفع رأسه إلى الإمام وقال : يا جعفر أنت الذي تؤلب على الناس وتحرضهم على الثورة ، فأنكر عليه الامام وتنصل من القيام بأي عمل ضده ، فسكن غضبه وقال : اجلس يا ابا عبد الله ودعا بمسك وجعل يدهن الإمام بيده والمسك يقطر من بين انامله ، ثم اعتذر إليه وقال : انصرف يا ابا عبد الله ان شئت وأمرني ان اضاعف له الجائزة ، ومضى الربيع يقول : فخرجت مع أبي عبد الله وقلت له : شهدت ما لم تشهد يا ابن رسول الله وسمعت ما لم تسمع وقد دخلت عليه وهو حاقد عليك ورأيتك تحرك شفتيك عند دخولك عليه فما اسرع ما تغير موقفه منك ، فقال الإمام (ع) : حدثني أبي عن أبيه عن جده أن النبي (ص) كان اذا حزبه امر دعا بدعاء الفرج فيكشف الله ما به من هم وسوء وأنا حينما استدعاني علمت بأنه يريد بي السوء وقد كفاني الله شره ببركة هذا الدعاء .

وحدث الربيع مرة ثانية ان المنصور ارسل إلى الإمام الصادق (ع) من يأتيه به لشيء بلغه عنه ، فلما دنا الصادق من باب المنصور خرج إليه الحاجب وقال : اعيذك بالله من سطوة هذا الجبار يا ابا عبد الله فاني رأيت ضرره عليك شديداً ، فقال الإمام : علي من الله واقية تعينني عليه ان شاء الله ، استأذن لي عليه ، فلما اذن له ودخل الإمام ، قال له المنصور : يا جعفر قد علمت ان رسول الله (ص) قال لأبيك علي بن أبي طالب لولا ان تقول فيك طوائف من امتي ما قالت النصارى في المسيح لقلت فيك قولا لا تمر بملأ من الناس الا وأخذوا التراب من تحت قدميك ، وقال علي : يهلك في اثنان ولا ذنب لي محب غال ومبغض مفرط ، وانما قال ذلك اعتذارا لأنه لا يرضى بما يقوله فيه المحب والعدو ، وأنت تعلم ما يقال فيك ، وقد زعم اوغاد الحجاز ورعاع الناس انه حبر الدهر وحجة المعبود وترجمانه وعيبة علمه ، فقل فإن أول من قال الحق جدك وأول من صدقه عليه أبوك ، وأنت حري ان تقتفي آثارهما وتسلك سبيلهما .

فقال الإمام الصادق (ع) : انا فرع من تلك الزيتونة ، فقال المنصور : لقد احالني على بحر لا يدرك طرفه ولا يبلغ عمقه ، هذا هو الشجى المعترض في حلوق الخلفاء الذي لا يجوز نفيه ولا يحل قتله ، ولولا ما يجمعني واياه من شجرة طاب اصلها وبسق فرعها وعذب ثمرها لكان مني إليه ما لا تحمد عقباه لما يبلغني عنه من شدة عيبه لنا وسوء القول فينا ، فأنكر عليه الإمام ذلك بأسلوب يوحي بالاعتذار .

ثم التفت إليه المنصور وقال : لقد صفحت عنك يا ابا عبد الله لصدقك فحدثني بحديث انتفع به ويكون لي زاجراً من الموبقات .

فقال الإمام (ع) : عليك بالحلم فإنه ركن العلم ، واملك نفسك عند أسباب القدرة فانك ان تفعل ما تقدر عليه كنت كمن شفى غيظاً وتداوى حقداً ويحب أن يذكر بالصولة ، واعلم بأنك ان عاقبت مستحقاً لم يكن غاية

ـا توصف بـه إلا العدل ، والحـال التي تـوجب الشكـر أفضـل من الحـال التي توجب الصبر ، فقال المنصور : لقد وعظت فأحسنت وقلت فأوجزت .

وجاء في تذكـرة الخواص لابن الجـوزي ان المنصور وفـد على المـدينة سنـة ١٤٤ في طـريقـه لأداء فـريضـة الحـج فقـال للفضــل بن الـربيــع : ابعث إلى جعفـر بن محمـد من يــأتيني بـه متعبـاً قتلني الله ان لم اقتله ، قـال الفضــل : فتغافلت عن ذلك طمعا في أن ينسى المنصور وتهـدأ نفسه فـأعاد عـلي طلبه ثـانياً وثالثاً ، فلم أر بـداً من أن أستدعيـه ، فأرسلت إليـه ، فلما حضر قلت له : يـا ابـا عبد الله لقـد أرسل إليـك لأمر عـظيم وما أظنـك بناج منـه ، فقـال الإمـام (ع) : لا حـول ولا قوة إلا بـالله العلي العـظيم ، ثم دخل عـلى المنصور وسلم عليـه فلم يرد السـلام وقال لـه : لقد اتخـذك أهـل العـراق إمـامـاً يجبـون لـك الامـوال من الزكـاة وغيرهـا وتلحـد في سلطاني وتبغيـه الغـوائـل قتلني الله إن لم أقتلك ، فقـال الإمام (ع) : يـا أمير المؤمنـين ان سليمان النبي أعـطي فشكـر وان أيوب ابتلي فصبر وإن يوسف بن يعقوب ظلم فغفر فاقتد بأيهم شئت .

لم يجد الإمام (ع) بداً من مقابلتـه وهو بتلك الحـالة من الحقـد والغضب عليـه إلا بهذا الإسلوب الهـادىء اللين الذي هـو من أبلغ ما يمكن أن يكـون في مثل هذه الحالات .

لقـد اراد الإمام (ع) ان يضـع حداً لغضبـه فقال لـه ما مضمـونـه : ان الله اذا انعـم عـلى عباده استحق شكـرهـم كـما شكـره سليمـان عـلى نعمـه وأنت محاط بنعم الله من جميع جوانبك ، والتنكيـل بالابـرياء عـلى الظنـة والتهمة كفـر وجحود لنعم الله ، واذا كنت تراني بلاء عليك فلو صبـرت على هـذا البلاء كـما صبر أيوب على أسوأ انـواع البلاء تنـال اجر الصـابرين ، وإذا كنت تـراني ظالمـاً لك فلو اقتديت بيوسف وعفوت كـما عفا عمن ظلمـه كان ذلـك اقرب للتقـوى والله يحب المحسنين .

وكـان لجواب الإمـام أثر في نفس المنصـور وأطرق بـرأسه قليـلا ثم رفعـه

واتجه الى الإمام بغير الوجه الذي قابله فيه من قبل فأدناه إليه ومسح على لحيته الكريمة بالغالية واعتذر منه ، ثم قال للفضل بن الربيع كما جاء في الرواية : هيىء لأبي عبد الله جائزة حسنة وودعه إلى خارج قصره فعاد الإمام إلى بيته تحرسه عناية الله سبحانه من أولئك الجبابرة الذين كان وجود الإمام ثقيلاً عليهم كما كان وجود آبائه ثقيلاً على طغاة الأمويين لا لشيء إلا لأن أهل البيت كانوا يجسدون الحق والخير والعدالة والإحسان في جميع أعمالهم وأولئك يجسدون الباطل والظلم والطغيان في سلوكهم وتصرفاتهم .

ومرة اخرى ارسل اليه محمد بن الربيع وأمره أن يأتي به على الحالة التي يجده عليها ، قال محمد بن الربيع : لقد دخلت عليه الدار فوجدته يصلي ولما فرغ من صلاته قلت له : اجب أمير المؤمنين ، فقال : دعني ألبس ثيابي ، فقلت : ليس إلى تركك من سبيل لأني مأمور أن أحملك على الحالة التي تكون عليها ، فجئت به على حالته وأدخلته على المنصور وهو حاقد عليه فلما نظر إليه قال : يا جعفر اما تدع حسدك وبغيك على أهل هذا البيت من بني العباس ، وما يزيدك ذلك إلا شدة الحسد ولست ببالغ ما تقدره ، فقال الإمام (ع) : والله يا امير المؤمنين ما فعلت شيئاً من هذا ، ولقد كنت في ولاية بني امية وأنت تعلم بأنهم أعدى الخلق لنا ولكم وأنهم لا حق لهم في هذا الأمر ، فوالله ما بغيت عليهم ولا بلغهم عني سوء ، فكيف اصنع هذا وأنت ابن عمي وأمس الخلق بي رحماً ، فأطرق المنصور ساعة ثم رفع وسادة كانت الى جنبه وأخرج من تحتها اضبارة كتب ورمى بها إليه ، وقال : هذه كتبك إلى أهل خراسان تدعوهم الى نقض بيعتي وأن يبايعوك دوني ، فقال الإمام (ع) : والله ما فعلت ، ولقد بلغت ما قد اضعفني عن ذلك لو اردته ، ثم اطرق المنصور وضرب يده الى السيف فسل منه مقدار شبر ، ثم رده وقال : يا جعفر أما تستحي مع هذه الشيبة وهذا السن ان تنطق بالباطل وتشق عصا المسلمين أتريد أن تريق الدماء وتثير الفتنة بين الرعية ، ومضى يخاطبه بهذا الأسلوب المشحون بالحقد والبغضاء والإمام (ع) يقول : والله ما

فعلت ولا هذه كتبي ولا خطبي ولا خاتمي وما زال يحلف له ويتبرأ مما نسب إليه حتى سكن المنصور وقال : اظنك صادقاً كما روى ذلك المجلسي في البحار .

ويدعي الرواة انه استدعاه نحواً من ثماني مرات وهو حاقد عليه يريد قتله ثم يتراجع بعد الاجتماع به ويجد نفسه من حيث لا يريد مضطراً لاكرامه وتعظيمه ، وان كنت اشك في اكثر ما يرويه بعض الرواة حول تلك المواقف المزعومة ، ذلك لأن المنصور يعلم بأن الصادق كان منصرفاً عن الخلافة وعن الثورة على نظام حكمه ولم يكن على وفاق مع بني اعمامه الذين كانوا يخرجون بين الحين والآخر وقد اخبرهم بفشل جميع محاولاتهم الرامية إلى الاستيلاء على السلطة وانتزاعها من ايدي العباسيين ، ولعلمه بما وصل إليه من آبائه وأجداده قد أخبر بقيام دولة بني العباس واستتباب الأمر لهم وقد تلقى المنصور نفسه منه هذا النبأ بارتياح وغبطة كما ذكرنا من قبل وكان المنصور يجله ويعظمه ولا يرى لأحد فضلا عليه ولا أظنه قد حاول قتله أو فكر بذلك لعلمه بأن عملاً من هذا النوع يكلفه ما لا يطيق .

هذا بالاضافة إلى أن تلك المرويات تصور الإمام الصادق في موقف الذليل الذي يستجدي عفو المنصور ورضاه مع أن أكثر الروايات تنص على أنه لم يهادن أحداً على حساب دينه وكان ينقض عليه وعلى غيره من الظلمة كالصاعقة احيانا .

فقد جاء في رواية ابي نعيم في حلية الأولياء ان المنصور استدعى الإمام الصادق يوما وأجلسه إلى جانبه يحادثه بكل اجلال واحترام ، فوقع الذباب على وجه المنصور ولم يزل يقع على وجهه وانفه حتى ضجر منه المنصور ، فقال : لِمَ خلق الله الذباب يا ابا عبد الله ، فقال الصادق : ليذل به انف الجبابرة ، فوجم المنصور وتغير لونه ولم يتكلم معه بما يسيء إليه كلمة واحدة .

كما يروي الرواة انه استدعاه اليه يعاتبه على قطيعته له وكان قد زار

المدينة ولم يدخل عليه الإمام الصادق فيمن زاره من الوجوه والأشراف ، فقال له : لِمَ لم تغشنَا كما يغشانا الناس ، فأجابه الإمام (ع) ليس لنا من أمر الدنيا ما نخافك عليه ، ولا عندك من أمر الآخرة ما نرجوه منك ، ولا أنت في نعمة نهنئك بها ولا في نقمة فنعزيك . فقال له المنصور : تصحبنا لتنصحنا ، فرد عليه الإمام بقوله : ان من يريد الدنيا لا ينصحك ومن يريد الآخرة لا يصحبك . وما أكثر مواقفه التي كان يندد فيها بالحكام والجبابرة ويصفهم بأقبح الصفات ويحذرهم من سخط الله وعقابه والتمادي في الظلم والطغيان .

كما ان مواقفه مع ولاة المنصور كانت تتسم بالشدة عندما تدعو الحاجة لذلك فقد جاء في بعض المرويات أن أحد ولاة المنصور في المدينة خطب يوم الجمعة بحضور الإمام ونال من أمير المؤمنين (ع) فقام الإمام بعد أن فرغ الوالي من خطابه وقال بعد أن حمد الله وصلى على رسوله : اما ما قلت من خير فنحن أهله وما قلت من سوء فأنت وصاحبك أولى به ، ثم التفت الى الناس وقال : الا أنبئكم بأخف الناس ميزانا وأبينهم خسرانا يوم القيامة ، ألا وان من اخف الناس ميزانا وأسوئهم حالا من باع آخرته بدنيا غيره وهو هذا الفاسق ، فسكت الوالي وخرج من المسجد مذموماً مدحوراً .

ولما كان داود بن علي والياً على المدينة بالغ في ايذاء العلويين وتتبع انصارهم وطلب من المعلى بن خنيس ان يخبره بحالهم فامتنع المعلى فهدده بالقتل وأصر على امتناعه فأمر داود بن علي السيرافي قائد شرطته بقتله ، ولما بلغ الإمام الصادق ما جرى على المعلى تأسف عليه واشتد به الغضب ومشى بنفسه الى مقر الوالي ولم يكن ذلك من عادته فقال له : لقد قتلت مولاي وأخذت مالي ، أما علمت أن الرجل ينام على الثكل ولا ينام على الضيم ودار بين الإمام والوالي جدال عنيف حول هذا الأمر كان الوالي يحاول أن يتنصل من مسؤولية ما جرى ويحملها السيرافي ، وترك لأولياء الدم ان يقتصوا من القاتل ، ولما أخذ ليقتل صرخ بأعلى صوته : يأمرونني بقتل الناس فأقتلهم لهم ، ثم يتهربون من مسؤولية ذلك ويأمرون بقتلي ، وفي رواية ثانية ان

الإمام ذهب الى القاتل وقتله بيده .

وتنص بعض المرويات انه بعد ان قتل السيرافي دعا على داود بن علي وقال في دعائه كما جاء في رواية الكافي : اللهم اني أسألك بنورك الذي لا يطفى وبعزائمك التي لا تخفى وبعزك الذي لا ينقضي وبنعمتك التي لا تحصى وبسلطانك الذي كففت به فرعون عن موسى اكفني داود بن علي الساعة الساعة انك قريب سميع الدعاء ، فما استتم دعاءه حتى سمعت الصيحة من دار داود بن علي .

ومجمل القول ان الإمام الصادق (ع) واجه في ايام المنصور من المحن والشدائد ما لم يواجهه في العهد الأموي ، وكان وجوده ثقيلا عليه لأنه اينما ذهب وحيثما حل يراه حديث الجماهير ، ويرى العلماء وطلاب العلم يتزاحمون من كل حدب وصوب على بابه في مدينة الرسول وهو يزودهم بتعاليمه ويلقي عليهم من دروسه وارشاداته وكانت الدعوة إلى الحق ومناصرة العدل ومساندة المظلوم واجتناب الظلمة الذين تسلطوا على الأمة واستبدوا بمقدراتها وكرامتها ، واستهتروا بالقيم والأخلاق كانت هذه النواحي تحتل المكانة الأولى في تعاليمه وارشاداته .

وكان مع ذلك يقول :

ان الإمامة لا تصلح الا لرجل فيه ثلاث خصال : ورع يحجزه عن المحارم وحلم يملك به غضبه وحسن الخلافة على من ولي حتى يكون بهم كالوالد الرحيم .

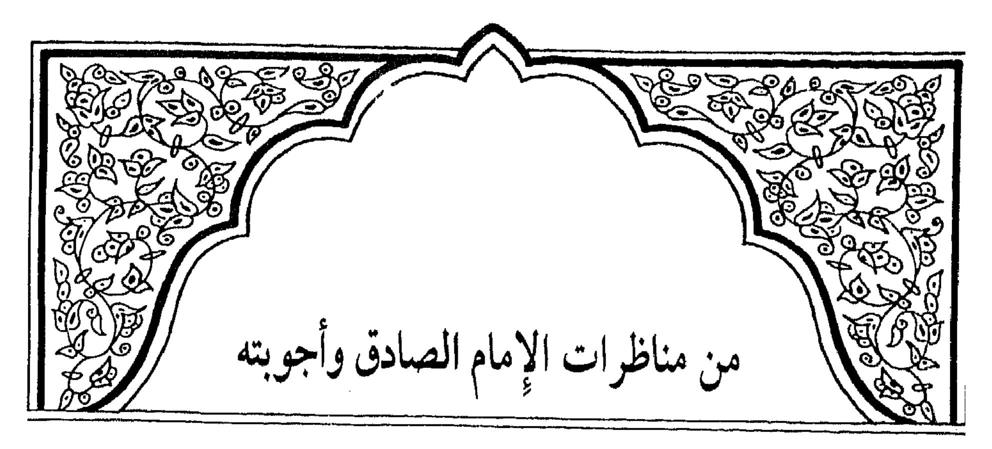
هذا والمنصور يسمع ويرى كل ذلك ، ولكنه كان يقدر ان التحرش بالإمام الصادق والفتك به ستكون له من المضاعفات التي لا يمكن حصر نتائجها وأخطارها ، ولولا ذلك لمثل معه نفس الدور الذي مثله مع العلويين من أسرته ، وكان قد ملأ بهم المعتقلات والسجون المظلمة وسلط عليهم اعوانه يسومونهم سوء العذاب ، حتى اذا مات احدهم في سجنه من التعذيب

تركوه الى جانب الأحياء ينظرون إليه ويتململون من رائحته ، وبلغ بهم الحال انهم كانوا لا يعرفون اوقات الصلاة الا بتلاوة اجزاء من القرآن يوزعونها على الليل والنهار ، وكانت نهاية امرهم ان امر المنصور بهدم السجن عليهم فمات من بقي منهم تحت الركام .

وقد روى جميع المؤرخين حديث الخزانة التي اوصى بها للمهدي ودفع مفتاحها الى ريطة زوجة المهدي وأوصاها أن لا تدفعها لغيره عندما تتأكد من موته ، وكانت ريطة تظن بأن محتوياتها من المجوهرات والنفائس والأموال .

وحدث الطبري في تاريخه ان المنصور لما عزم على الحج دعا ريطة بنت أبي العباس زوجة المهدي ، وكان زوجها غائباً عندما عزم المنصور على السفر الى الحجاز ، وأوصاها بما اراد وعهد إليها ثم دفع لها مفاتيح الخزائن وأخذ عليها العهود والمواثيق ان لا تفتح الخزائن ولا تطلع عليها غير المهدي كما اكد عليها ان لا تطلع هي عليها الا بعد ان تتأكد من موته ، فاذا تأكدت تجتمع مع المهدي ويفتحانها معا ، ولما رجع المهدي الى مدينة السلام دفعت إليه المفاتيح وأخبرته بما اوصاها به المنصور ، فلما انتهى إليه نبأ وفاته وتولى الخلافة فتح الخزائن بحضور زوجته فوجد فيها جماعة من قتلى الطالبيين وفي آذانهم رقاع فيها انسابهم وفيهم اطفال ورجال شباب وشيوخ وهم عدد كبير ، فلما رأى ذلك ارتاع وتغير وأمر ان تحفر لهم حفيرة كبيرة فحفروا لهم ودفنوهم بها .

وأظن أن المنصور بوصيته الصامتة هذه الى خليفته المهدي اراد ان يقول له : اذا اردت الملك فاحذر آل علي وعاملهم بمثل ذلك ، ولعله احتفظ بتلك الجثث الزواكي وأوصى بتسليمها إليه ليشجعه على اختيار اسلوب العنف والقسوة في سياسته .



من مناظرات الإمام الصادق وأجوبته

لقد ناظر الإمام الصادق فريقا من العلماء والمتكلمين ، كما ناظر الزنادقة والملحدين والمعتزلة والمجسمة والقدرية والخوارج وغيرهم من الفرق بأسلوب هادىء رصين مدعوم بالحجج والبراهين التي لم تدع لهم مخرجا ، ولا بد لنا ونحن نتحدث عن بعض الجوانب من سيرته أن نتعرض لبعض الأمثلة من مناظراته .

فمن ذلك ما جاء في بعض المرويات من أن ابن ابي العوجا وابن طالوت وابن المقفع وبعض الزنادقة قد اجتمعوا في الموسم بالمسجد الحرام ، والإمام الصادق (ع) فيه يوم ذاك وقد اجتمع عليه الناس يفتيهم ويجيب على مسائلهم بالحجج والبراهين ، وأحياناً يفسر بعض الآيات ، فقال القوم لابن ابي العوجا : هل لك في تغليط هذا الجالس وسؤاله عما يفضحه عند هؤلاء المحيطين به فقد ترى فتنة الناس به .

فقال لهم ابن ابي العوجا : نعم ، ثم تقدم نحوه وشق الجماهير المحتشدة من حوله حتى وقف عليه فقال : يا ابا عبد الله افتأذن لي بالسؤال ؟ فقال له الإمام الصادق : سل ان شئت ، فقال له ابن ابي العوجا : الى كم تدوسون هذا البيدر وتلوذون بهذا الحجر وتعبدون هذا البيت المرفوع بالطوب

والمدر ، وتهرولون حوله هرولة البعير اذا نفر ؟ من فكر في هذا وقدر علم انه فعل غير حكيم ولا ذي نظر ، فقل فإنك رأس هذا الأمر وسنامه وأبوك أساسه ونظامه . فقال له الإمام الصادق (ع) : ان من أضله الله وأعمى قلبه استوخم الحق ولم يستعذبه وصار الشيطان وليه وربه يورده مناهل الهلكة ولا يصدره ، وهذا بيت استعبد الله به خلقه ليختبر طاعتهم في اتيانه على تعظيمه وزيارته ، وجعله قبلة للمصلين له فهو شعبة من رضوانه وطريق يؤدي الى غفرانه ، منصوب على استواء الكمال ومجمع العظمة والجلال ، خلقه الله قبل دحو الأرض ، فأحق من أطيع فيما أمر والانتهاء عما زجر هو الله المنشىء للأرواح والصور .

فقال له ابن ابي العوجا : ذكرت يا ابا عبد الله فأحلت على غائب .

فقال له الإمام الصادق (ع) : كيف يكون يا ويلك غائباً من هو مع خلقه شاهد وهو أقرب إليهم من حبل الوريد يسمع كلامهم ويعلم اسرارهم ، لا يخلو منه مكان ولا يشغل به مكان ، ولا يكون الى مكان اقرب منه الى مكان ، تشهد بذلك آثاره وتدل عليه افعاله ، والذي بعث بالآيات المحكمة والبراهين الواضحة محمد بن عبد الله الذي جاءنا بهذه العبادة فإن شككت في شيء من أمره فاسأل عنه أوضحه لك .

فسكت ابن ابي العوجا ولم يدر ما يقول وانصرف من بين يديه وقال لأصحابه : سألتكم ان تلتمسوا لي خمرة فألقيتموني على جمرة ، فقالوا له : اسكت فوالله لقد فضحتنا بحيرتك وانقطاعك ، وما رأينا احقر منك اليوم في مجلسه ، فقال ألي تقولون هذا ؟ انه ابن من حلق رؤوس من ترون وأومأ بيده إلى أهل الموسم .

وجاء في احتجاج الطبرسي عن هشام بن الحكم أنه قال : اجتمع ابن أبي العوجا وأبو شاكر الديصاني وعبد الملك البصري وابن المقفع في بيت الله الحرام يستهزئون بالحاج ويطعنون بالقرآن فقال ابن ابي العوجا : تعالوا ننقض

كل واحد منـا ربع القـرآن وميعادنـا من قابـل في هذا الموضع نجتمـع فيه وقـد نقضنـا القرآن كله ، فـإن في نقض القرآن إبـطالاً لنبوة محمـد وفي ابطال نبـوتـه ابـطال الإسلام واثبـات ما نحن فيـه ، فاتفقـوا على ذلـك وافترقـوا فلما كان من قابل اجتمعوا عند بيت الله الحرام ، فقال ابن ابي العـوجا : فـما زلت افكر منـذ افترقنا في هذه الآية : فلما استيأسوا منـه خلصوا نجيـا فما قـدرت أن أضـم إليها في فصاحتها وجميـع معانيها شيئاً ، ولقـد شغلتني عن التفكير في غيـرها . وقـال عبد الملك البصري : وأنا منذ فارقتكم أفكر في هذه الآية :

﴿ **يا ايها الناس ضرب مثل فاستمعـوا له ان الـذين يدعـون من دون الله لن يخلقـوا ذبابـاً ولو اجتمعـوا له وان يسلبهم الـذباب شيئـاً لا يستنقـذوه منه ضعف الطالب والمطلوب** ﴾ ولم أقدر على الاتيان بمثلها .

وقـال ابو شـاكر الـديصاني : وأنـا منذ فـارقتكم أفكر في الآيـة : ﴿**لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا** ﴾ ولم أقدر على الاتيان بمثلها .

وقال ابن المقفع : يا قوم ان هذا القرآن ليس من جنس كلام البشر وأنا منذ فارقتكم أفكر في الآية .

﴿**وقيل يا ارض ابلعي مـاءك و يا سـماء أقلعي وغيض المـاء وقضي الأمر واستوت على الجودي وقيل بعداً للقوم الظالمين**﴾ ، فلم أبلغ غـاية المعـرفة بهـا ولم أقـدر على الاتيـان بمثلهـا ، وأضـاف هشـام بن الحكم الى ذلـك : فبينـما هم في ذلـك إذ مـر بهم جعفـر بن محمـد الصـادق (ع) فقـال : لئن اجتمعت الانس والجن عـلى أن يأتـوا بمثل هـذا القرآن لا يـأتـون بمثله ولـو كـان بعضهم لبعض ظهيـرا ، فنظر القـوم بعضهم إلى بعض وقالـوا : لئن كان لـلإسلام حقيقـة لمـا انتهى امـر وصية محمـد الا الى جعفـر بن محمـد ، والله مـا رأينـاه الا هبنـاه واقشعرت جلودنا لهيبته .

وجاء في رواية يـونس بن يعقوب أنـه قال : كنت عنـد أبي عبد الله (ع) فـورد عليـه رجـل من أهـل الشـام ، فقـال لـه اني رجـل صـاحب فقـه وكـلام

وفـرائض وقد جئت لمناظرة اصحـابك ، فقـال له الإمـام (ع) : كلامـك هذا من كـلام رسـول الله أو من عنـدك ، فقـال من كـلام رسـول الله بعضـه ومن عندي بعضه ، فقال له الإمـام (ع) : فأنت اذن شـريك رسـول الله ؟ فقال : لا ، قال : سمعت الوحي من الله تعـالى ، قال : لا ، قـال : فتجب طاعتـك كما تجب طاعة رسول الله ، قال : لا .

ومضى يـونس بن يعقـوب يقـول : لقـد التفت الي ابـو عبـد الله الصـادق (ع) وقـال : هذا خصم نفسـه قبل أن يتكلم ، ثم قـال : يـا يـونس لـو كنت تحسن الكـلام كلمتـه ، قـال يـونس : فيـا لهـا من حســرة ، ثم قـال : لقــد سمعتـك يـا ابـا عبـد الله تنهى عن الكـلام وتقـول : ويـل لاصحـاب الكـلام يقولون هـذا ينقاد وهـذا لا ينقاد ، وهـذا ينساق وهـذا لا ينساق ، وهـذا نعقله وهذا لا نعقله ، فقال الإمـام (ع) : انما قلت ويـل لقوم تـركوا قـولي بالكـلام وذهبـوا الى مـا يـريـدون ، قم فـاخـرج إلى البـاب فمن تـرى من المتكلمـين فـأدخله ، قـال يـونس بن يعقـوب : فخـرجت فـوجـدت حمـران بن اعـين ، ومحمـد بن نعمان الأحـول ، وهشـام بن سـالم ، وقيس المـاصر وكـان قـد تعلم الكـلام من علي بن الحسـين فأدخلتهم ، فلما استقـر بنا المجلس وكنـا في خيمـة لأبي عبد الله في طرف جبل على طريق الحرم وذلك قبل الحـج بأيـام فأخـرج ابو عبـد الله رأسه من الخيمـة فإذا هـو ببعير يخب قـال هشام ورب الكعبـة ، وكنـا ظننا ان هشامـاً رجل من ولـد عقيل ، وكـان شديـد المحبة لأبي عبـد الله (ع) فإذا هو هشـام بن الحكم وهو أول مـا اختطت لحيتـه وليس فينا إلا من هـو أكبر منه سناً ، فوسع لـه ابو عبـد الله وقال : نـاصرنـا بقلبه ولسـانه ويـده ، ثم قال لحمران كلم الشامي فكلمـه حمران وظهـر عليه ، ثم التفت الى محمـد بن نعمان الأحول وقال كلمه فكلمه وظهر عليه على حد تعبـير الراوي وأمـر بقية أصحـابه أن يكلمـوه ويجادلـو ه والإمام الصـادق يبتسم لحـوارهم مـع الشـامي ، ثم قـال للشامي كلم هذا الغلام ان شئت يعني بذلـك هشامـاً ، فقال الشـامي لهشام : يـا غـلام سلني في امـامـة هـذا وأشـار إلى الصـادق (ع) فغضب هشـام بن

الحكم وقال له : يا هذا اخبرني أربك انظر لخلقه أم الخلق لانفسهم ، فقال الشامي بل الله سبحانه انظر للخلق منهم لأنفسهم ، فقال هشام : ماذا فعل بنظره لهم في دينهم ؟ قال : كلفهم وأقام لهم حجة ودليلا على ما كلفهم به وأزاح في ذلك عللهم ، فقال له هشام بن الحكم ، فما هذا الدليل الذي نصبه لهم ، قال : هو رسول الله وبعده الكتاب والسنّة ، ورد عليه هشام بقوله : فهل نفعنا الكتاب والسنّة فيما اختلفنا فيه ورفعا عنا الاختلاف ولِمَ اختلفنا نحن وأنت وقد جئتنا من الشام تناظرنا وتزعم ان الرأي طريق الدين وأنت تقر أن الرأي لا يجمع المختلفين على القول الواحد ، فسكت ، وقال له الإمام (ع) : مالك لا تتكلم ؟ فقال : ان قلت لم نختلف فقد كابرت ، وان قلت ان الكتاب والسنّة يرفعان طريق الاختلاف فقد اخطأت ، لأنها يحتملان الوجوه الكثيرة ، ولكن لي عليه مثل سؤاله ، فقال له الإمام : سله فستجده ملياً ، وكرر عليه الشامي نفس الأسئلة التي وجهها اليه هشام فأجابه عليها وانتهى إلى أن النبي (ص) كان الحجة في ابتداء الأمر وبعده عترته والإمام الصادق هو الحجة يوم ذاك ، وهنا سأل الشامي عن الدليل المقنع فأحال هشام بن الحكم الجواب على الإمام (ع) فقال الصادق (ع) : أنا اكفيك المسألة أيها الرجل وأخبرك عن سفرك ومسيرُك وتاريخ خروجك من الشام وما جرى لك في طريقك ، لقد خرجت يوم كذا وكان طريقك على كذا ، وجعل الإمام (ع) يصف له رحلته وصفاً دقيقاً ،كانه كان يرافقه فيها ، فاعترف الشامي بإمامته وخرج مقتنعاً بمذهب أهل البيت (ع) ويدعي الراوي ان الإمام (ع) أبدى بعض الملاحظات على أسلوب أصحابه في الجدل وقال لهشام : مثلك من يكلم الناس .

وجاء في بعض المرويات ان الإمام الصادق (ع) قال لأبي حنيفة في بعض مجالسه معه : بم تفتي أهل العراق يا ابا حنيفة ؟ قال : بكتاب الله ، قال : وانك لعالم بالكتاب ناسخه ومنسوخه ومحكمه ومتشابهه ؟ قال : نعم ، قال : فاخبرني عن قول الله تعالى : ﴿ وقدرنا فيها السير سيروا فيها ليالي

وأياما آمنين ﴾ ، أي موضع هذا ، قال : هو ما بين مكة والمدينة ، فالتفت الإمام الصادق لجلسائه وقال : نشدتكم بالله هل تسيرون بين مكة والمدينة وتأمنون على دمائكم وأموالكم ؟ فقالوا لا : فقال : يا ابا حنيفة ان الله لا يقول الا حقا ، اخبرني عن قول الله تعالى : ﴿ومن دخله كان آمنا﴾ أي موضع هو؟ قال ذلك بيت الله الحرام ، فالتفت ابو عبد الله الصادق إلى جلسائه وقال : نشدتكم بالله هل تعلمون أن عبد الله بن الزبير وسعيد بن جبير دخلاه ولم يأمنا القتل ؟ فقالوا : اللهم نعم ، فقال ابو حنيفة : ليس لي علم بالكتاب إنما أنا صاحب قياس ، فقال الإمام : فانظر في قياسك ان كنت مقيساً ، أيما أعظم عند الله القتل او الزنا ؟ قال : القتل اعظم ، قال : فكيف رضي في القتل بشاهدين ولم يرض في الزنا الا بأربعة شهود ، وأيهما أفضل الصلاة أم الصيام ، قال : بل الصلاة افضل ، قال : فيجب على قياسك ان تقضي الحائض ما فاتها من الصلاة حال حيضها دون الصيام ، في حين ان الله قد أوجب عليها قضاء الصوم دون الصلاة ، ثم قال له : البول أقذر أم المني ؟ قال البول اقذر ، فقال (ع) : يجب على قياسك أن يغتسل الانسان من البول دون المني ، فقال : انما أنا صاحب رأي ، قال : فما ترى في رجل كان له عبد فتزوج وزوج عبده في ليلة واحدة فدخلا بزوجتيهما في ليلة واحدة ايضاً ، ثم سافرا وتركا زوجتيهما في بيت واحد وولدتا غلامين فسقط البيت عليهم فقتل المرأتين وبقي الغلامان أيهما في رأيك المالك وأيهما المملوك وأيهما الوارث وأيهما الموروث ؟ فقال : إنما انا صاحب حدود ، قال : فما ترى في رجل اعمى فقأ عين صحيح ، وأقطع قطع يد رجل كيف يقام عليهما الحد ، فقال : انما أنا رجل عالم ببعث الأنبياء ، قال : فاخبرني عن قوله تعالى لموسى وهرون حين بعثهما إلى فرعون ﴿لعله يتذكر أو يخشى﴾ أليست لعل للشك؟ قال : نعم ، قال : فهل هي من الله شك؟ قال : لا أعلم ، فقال الإمام (ع) : تزعم بأنك تفتي بكتاب الله ولست ممن ورثه ، وتزعم أنك صاحب قياس وأول من قاس ابليس ، وتزعم انك صاحب رأي وكان

الرأي من رسول الله صواباً ومن غيره خطأ ، لأن الله يقول: ﴿**فاحكم بينهم بما أراك الله**﴾ولم يقل ذلك لغيره ، وتزعم بأنك صاحب حدود ومن انزلت عليه أولى بعلمها منك وتزعم أنك عالم بمباعث الأنبياء وخاتم الأنبياء أعلم بمباعثهم منك ، ولولا ان يقال ان ابا حنيفة دخل على ابن رسول الله ولم يسأله ما سألتك عن شيء ، فقال ابو حنيفة : لا أتكلم بالرأي والقياس بعد هذا اليوم ، فقال الإمام (ع) : كلا ان حب الرياسة غير تاركك كما لم يترك من كان قبلك .

وجاء في رواية عبد المؤمن الانصاري انه قال : قلت لأبي عبد الله الصادق (ع) : ان قوماً رووا ان رسول الله (ص) قال : اختلاف امتي رحمة فقال صدقوا ، قلت : اذا كان اختلافهم رحمة فاجتماعهم عذاب ، قال : ليس حيث تذهب وذهبوا ، إنما أراد رسول الله (ص) قوله تعالى : ﴿ **فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم اذا رجعوا إليهم لعلهم يحذرون** ﴾ لقد أمرهم بأن ينفروا الى رسول الله ويختلفوا اليه ويتعلموا ثم يرجعوا إلى قومهم فيعلموهم ، فقد اراد رسول الله اختلافهم في البلدان لتعليم الناس لا اختلافهم في الدين .

وجرى جدال واسع في عصره حول الخلافة بين المعتزلة من جهة وبين غيرهم ممن كانوا يسايرون الأمويين او يخافون بطشهم من جهة اخرى وعندما قتل الوليد بن يزيد ووقع الخلاف في الشام فيمن يتولاها من بعده فتحرك المعتزلة وانحازوا إلى جانب محمد بن عبد الله بن الحسن فاجتمع جماعة منهم فيهم عمرو بن عبيد وواصل بن عطاء وحفص بن سالم ، وقصدوا الإمام الصادق (ع) ليشرحوا له وجهة نظرهم من هذا الأمر وتكلم عنهم عمرو بن عبيد فقال : لقد قتل أهل الشام خليفتهم وضرب الله بعضهم ببعض وتشتت امرهم فنظرنا فلم نجد لها سوى محمد بن عبد الله بن الحسن (النفس الزكية) وكان يلقب بذلك فأردنا أن نجتمع معه ونبايعه ثم نظهر امرنا معه وندعو الناس اليه فمن بايعه كنا معه وكان معنا ومن اعتزلنا كففنا عنه ، ومن

وقف في طريقنا جاهدناه ونصبنا له لنرده الى الحق وأهله ، وقد احببنا ان نعرض امرنا عليك فانه لا غناء لنا عن مثلك لفضلك وكثرة شيعتك .

وبالرغم من أن مرشح المعتزلة لها من أهل البيت وأفضل ممن تقدم لها من الأمويين في دينه وعلمه الا ان ذلك لم يمنع الإمام الصادق (ع) من أن ينتقد الأسلوب الذي اعتمدوه في اختيار محمد بن عبد الله بن الحسن لها ، فالتفت إلى الحضور وقال : اكلمكم على مثل ما قال عمرو بن عبيد ، فقالوا : نعم يا ابن رسول الله ، فحمد الله وأثنى عليه وصلى على النبي ثم قال : انا نسخط اذا عصي الله فاذا اطيع الله رضينا ، أخبرني يا عمرو لو ان الامة قلدتك أمرها وملكته بغير قتال وقيل لك ولِّها من شئت من المسلمين من تولي ؟ قال : كنت اجعلها شورى بين المسلمين ، قال : بين كلهم ؟ قال : نعم ، قال بين فقهائهم وخيارهم من قريش وغيرهم والعرب وغيرهم ، فقال له الإمام (ع) : اتتولى ابا بكر وعمر ام تتبرأ منهما ؟ فقال : اتولاهما ، فرد عليه الإمام بقوله : فإن كنت تتبرأ منهما فإنه يجوز لك الخلاف عليهما وان كنت تتولاهما فقد خالفتهما فقد بايع عمر بن الخطاب ابا بكر ولم يشاور أحداً ، ثم ردها أبو بكر عليه ولم يشاور احداً ، ثم جعلها عمر بن الخطاب بين ستة وأخرج منها الأنصار وغيرهم من قريش ، ثم اوصى الناس بشيء لا اظنك ترضاه انت ولا اصحابك ، قال : وما صنع ؟ قال : امر صهيباً ان يصلي بالناس ثلاثة ايام وان يتشاور اولئك الستة ليس فيهم أحد سواهم إلا ابن عمر وليس له من الأمر شيء وأوصى من بحضرته من المهاجرين والانصار ان مضت ثلاثة أيام ولم يفرغوا ويبايعوا ان تضرب اعناق الستة جميعا ، وان اجتمع اربعة قبل ان تمضي الأيام الثلاثة وخالف اثنان ان تضرب اعناق الاثنين ، افترضون بهذا فيما تجعلونه من الشورى بين المسلمين ؟ قالوا : لا .

وبعد ان وجه اليهم الإمام بعض الأسئلة التي لا بد لمن يتولى امور المسلمين ان يكون محيطاً بها وعجزوا عن جوابه كما جاء في رواية الطبرسي في الاحتجاج ختم حواره معهم بقوله : حدثني ابي وكان خير أهل الأرض

وأعلمهم بكتاب الله وسنّة رسوله ان رسول الله قال : من ضـرب الناس بسيفـه ودعاهم إلى نفسه وفي المسلمين من هو أعلم منه فهو ضال متكلف .

وقـال سليمان بن مهـران : سألت أبـا عبد الله الصـادق (ع) عن قـول الله عز وجل ﴿ والأرض جميعا قبضته ﴾ .

فقـال (ع) يعني ملكه لا يملكهـا معـه أحـد ، والقبض من الله تعـالى في مـوضع اخـر يؤدي معنى المنع ، والبسط بمعنى الاعـطاء والتـوسـع ، وإلى ذلـك تشـير الآيـة : ﴿ والله يقبض ويبسط وإليـه تـرجعـون ﴾ ، كـما وأن اخـذه يعني قبوله ومن ذلك قوله : ﴿ يأخذ الصدقات ﴾ .

قـال سليمان بن مهـران : فقلت له قـوله﴿والسماوات مطويات بيمينه﴾، فقال : اليمين هي اليد واليد هي القدرة والقوة ، أي مطويات بقدرته وقوته .

وسـأله هشـام بن الحكم عن الدليـل على وحـدانيـة الله ، فقـال (ع) : اتصال التدبير وتمام الصنع .

وقـال له ابـو شاكـر الديصـاني : ما الـدليل عـلى أن لك صـانعاً ؟ فقـال (ع) : وجدت نفسي لا تخلو من احدى جهتـين : اما ان اكـون صنعتها أنـا أو صنعهـا غيري ، فـان كنت صنعتهـا فـلا اخلو من أحـد معنيـين ، اما أن أكون صنعتها وكانت مـوجودة فقـد استغنيت عن صنعها ، وإن كـانت معدومـة وانك لتعلم ان المعـدوم لا يحدث شيئاً ، فقد ثبت القـول الثالث ان لي صـانعـا وهـو رب العالمين ، فسكت الديصاني ولم يدر ما يجيب .

وقـال (ع) في جواب من سـأله عن معنى قـوله تعـالى : ﴿ الـرحمن عـلى العـرش استوى ﴾ ، فقـال استوى من كـل شيء : فليس شيء أقـرب إليـه من شيء لم يبعـد منه بعيـد ولم يقـرب منـه قـريب ، ثم قـال : من زعم أن الله عـز وجل من شيء أو في شيء أو على شيء فقد كفر .

فقـال له السـائل : فسر لي ذلـك يا ابن رسـول الله ، فقـال (ع) : من

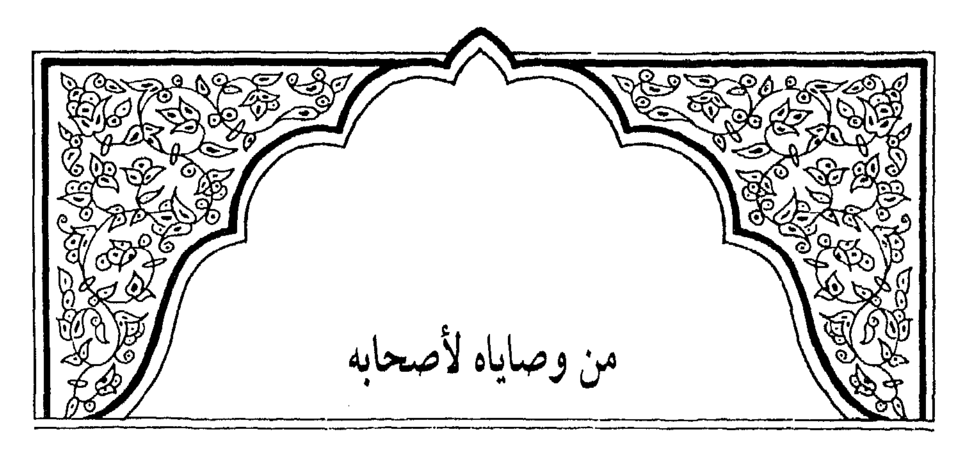
زعم ان الله من شيء فقد جعله محدثا ، ومن زعم أنه في شيء فقد جعله محصوراً ومن زعم أنه على شيء فقد جعله محمولاً .

وسئل (ع) عن شبهة المجسمة ، فقال : ان الجسم محدود متناه والصورة محدودة متناهية ، فإذا احتمل الحد احتمل الزيادة والنقصان ، واذا احتمل الزيادة والنقصان كان مخلوقاً .

وسأله سليمان بن مهران الأعمش ، فقال : هل يجوز أن نقول ان الله في مكان ، فقال : سبحان الله وتعالى عن ذلك انه لو كان في مكان لكان محدثاً لأن الكائن في مكان محتاج الى المكان والاحتياج من صفات المحدث لا من صفات القديم .

وكان الجعد بن درهم قد جعل في قارورة ترابا وماء فاستحال دودا وهوام ، فقال الجعد : أنا خلقت هذا لأني تسببت فيه ، ولما بلغت مقالته الإمام الصادق (ع) قال : ليقل كم هي ، وكم الذكران والاناث فيها ، وكم وزن كل واحدة منها ، وليأمر الذي سعى إلى هذا الوجه أن يرجع لغيره ان كان وهو خلقها .

والحديث عن مناظراته وأجوبته في مختلف المواضيع طويل ومتشعب ، ونكتفي منه بهذه النماذج التي تضع بين يدي القراء صوراً عن هذا الجانب من سيرته ، ومنه استمد التوفيق لابراز ما بقي من جوانبها .



من وصاياه لأصحابه

واعلموا بأنه لن يؤمن عبد من عبيده حتى يرضى عن الله فيما صنع إليه وصنع به مما أحب وكره .

وعليكم بحب المساكين فإن من حقرهم وتكبر عليهم فقد زل عن دين الله وقد قال ابونا رسول الله : لقد أمرني ربي بحب المساكين ، واعلموا أنه من حقر أحداً من المسلمين ألقى الله عليه المقت حتى يمقته الناس ، والله له أشد مقتاً فاتقوا الله في اخوانكم المساكين ، فإن لهم عليكم حقاً أن تحبوهم فإن الله أمر نبيه بحبهم ، ومن لم يحب من أمر الله بحبه فقد عصى الله ورسوله ومن مات على ذلك مات من الغارمين .

واياكم والعظمة والكبر ، فإن الكبر رداء الله فمن نازع الله رداءه قصمه الله وأذله يوم القيامة ، وإياكم أن يبغي بعضكم على بعض ، فإن من بغى جر الله بغيه على نفسه ، وإياكم أن يحسد بعضكم بعضاً فإن الكفر أصله الحسد .

وليعن بعضكم بعضاً ، فإن أبانا رسول الله (ص) كان يقول : ان معونة المسلم خير وأعظم أجراً من صيام شهر واعتكافه في المسجد الحرام .

وإياكم واعسار أحد من اخوانكم المسلمين (ص) فإن أبانا رسول الله

(ص) كان يقول : ليس لمسلم أن يعسر مسلماً ومن أنظر معسراً أظله الله يوم القيامة بظله يوم لا ظل إلا ظله واعلموا أنه ليس بين الله وبين أحد من خلقه لا ملك مقرب ولا نبي مرسل ولا من دون ذلك إلا طاعتهم له .

وكان عنوان البصري من أصحاب مالك بن أنس وأخيراً اتصل بالإمام الصادق ، ومما جاء في وصية الإمام له : اذا اردت العلم فاطلب أولاً في نفسك حقيقة العبودية ، فقال له عنوان البصري : وما حقيقة العبودية يا ابا عبد الله ؟ فقال : ثلاثة اشياء ان لا يرى العبد لنفسه فيما خوله الله ملكاً لأن العبيد لا يكون لهم ملك ويرون المال مال الله يضعونه حيث أمر الله ، وإذا لم ير العبد لنفسه فيما خوله الله ملكاً هان عليه الانفاق فيما أمر الله . وأن لا يدبر لنفسه تدبيراً ، واذا فوض تدبير نفسه الى مدبره هانت عليه مصائب الدنيا ، وان يشتغل فيما أمر الله به ونهى عنه ، وإذا اشتغل بما أمره به ونهاه عنه لا يتفرغ إلى المراء والمباهاة مع الناس ، فإذا اكرم الله العبد بهذه الثلاث هانت عليه الدنيا فلا يطلبها تفاخراً وتكاثراً ، ولا يطلب عند الناس عزا وعلوا .

وقال له : اوصني يا ابن رسول الله ، فقال : اوصيك بتسعة أشياء فانها وصيتي لمن يريد الطريق الى الله ، والله اسأل ان يوفقك لاستعمالها ، ثلاثة منها في رياضة النفس وثلاثة منها في الحلم وثلاثة منها في العلم فاحفظها واياك والتهاون بها .

اما اللواتي في الرياضة فإياك أن تأكل ما لا تشتهيه فإنه يورث الحمق والبله ، ولا تأكل الا عند الجوع ، فاذا اكلت فكل حلالا وسم الله تعالى واذكر حديث النبي (ص) : ما ملأ آدمي وعاء اشد شراً من بطنه ، فإن كان ولا بد فثلث لطعامه وثلث لشرابه وثلث لنفسه . وأما اللواتي في الحلم فمن قال لك : ان قلت واحدة سمعت عشرا ، فقل له ان قلت عشرا لم تسمع واحدة ، ومن شتمك فقل له : ان كنت صادقاً فيما تقوله فاسأل الله المغفرة ، وإن كنت كاذباً فاسأل الله ان يغفر لك ، ومن وعدك بالخيانة فعده

بالنصيحة والوفاء . وأما اللواتي في العلم ، فاسأل العلماء ما جهلت وإياك أن تسألهم تعنتا وتجربة ، وإياك أن تعدل بذلك شيئاً وخذ بالاحتياط في جميع امورك ما تجد إليه سبيلا ، واهرب من الفتيا فرارك من الاسد ولا تجعل رقبتك للناس جسراً .

وجاء في وصيته لعمرو بن سعيد أنه قال : قلت لأبي عبد الله الصادق (ع) : لا اكاد القاك الا في السنين فاوصني بشيء آخذ به ، قال (ع) : اوصيك بتقوى الله وصدق الحديث والورع والاجتهاد ، واعلم أنه لا ينفع اجتهاد لا ورع معه ، وإياك أن تطمح نفسك إلى من فوقك ، وكفى بما قال الله تعالى : فلا تعجبك اموالهم ولا أولادهم . وقال عز وجل لرسوله : ولا تمدن عينيك الى ما متعنا به ازواجاً منهم زهرة الحياة الدنيا .

فإن خفت شيئاً من ذلك فاذكر عيش رسول الله (ص) فقد كان قوته الشعير وحلواه التمر ووقوده السعف اذا وجده .

واذا اصبت بمصيبة فاذكر مصابك برسول الله فان الخلق لم يصابوا بمثله ابداً .

وجاء في وصيته لحمران بن أعين ، يا حمران انظر الى من هو دونك ولا تنظر إلى من هو فوقك في المقدرة فإن ذلك اقنع لك بما قسم الله وأحرى ان تستوجب الزيادة من ربك ، واعلم أن العمل الدائم القليل مع اليقين أفضل عند الله من العمل الكثير على غير يقين .

واعلم بأنه لا ورع انفع من تجنب المحارم والكف عن أذى المؤمنين واغتيابهم ولا عيش اهنأ من حسن الخلق ، ولا مال أنفع من القنوع باليسير المجزىء ولا جهل اضر من العجب .

وكان يقول لأصحابه : إذا صليتم الصبح وانصرفتم فبكروا في طلب الرزق واطلبوا الحلال فإن الله سيرزقكم ويعينكم عليه .

وحـدث زيد الشحـام عنـه انـه قـال : اقـرأ من تـرى انـه يـطيعني منكم السـلام وأوصيكم بتقـوى الله عـز وجـل والـورع في دينكم والاجتهـاد وصـدق الحـديث واداء الامانـة وطول السجـود وحسن الجوار فبهـذا جاءنـا رسول الله ، وأدوا الأمـانة لمن ائتمنكم عليهـا برا وفـاجراً فـان رسول الله (ص) كـان يأمر بـأداء الخيط والمخيط ، صلوا عشائـركم واشهدوا جنـائـزهم وعـودوا مـرضـاهم وأدوا حقـوقهم ، فـان الـرجـل منكم اذا ورع في دينـه وصـدق الحـــديث وأدى الامانة وحسن خلقـه مع النـاس وقيل هـذا جعفري يسـرني ذلك ويـدخل عـلي منه السرور ، ومن كان غير ذلك دخل علي بلاؤه وعاره .

وقـال لبعض اصحابـه : لا تستصغـرن حلوى وفضـل طعـام تصـرفـه في بـطون خاليـة ليسكن بهـا غضب الله تعـالى ، واعلم أني سمعت من أبي يحـدث عن آبـائه عن أمـير المؤمنين أنـه سمع النبي (ص) يقـول يومـا : مـا آمن بـالله واليـوم الآخر من بـات شبعان وجـاره جائـع ، فقلنـا هلكنـا يـا رسـول الله ، فقال : ولو من فضل تمركم ورزقكم وخرقكم تطفئون بها غضب الرب .

يا عبد الله اياك ان تخيف مؤمنا فـإن أبي محمدا حـدثني عن أبيه عن جـده عـلي بن أبي طالب (ع) أنـه كان يقـول : من نظر إلى مؤمن ليخيفـه بها اخـافه يوم لا ظل الا ظله و حشره في صورة الذر .

وقـال لحفص بن غياث : ان قـدرتم أن لا تعرفـوا فافعلوا ومـا عليك إذا لم يثن الناس عليك ، ولا يضرك ان تكون مذمومـاً عند النـاس اذا كنت محموداً عند الله ، وان قدرت أن لا تخـرج من بيتك فـافعل ، فـإن عليك في خـروجك ان لا تغتاب ولا تكذب ولا تحسد ولا ترائي ولا تتصنع ولا تداهن .
وقـال له سفيـان الثـوري : أوصني يـا ابن رسـول الله ، فقـال : يـا سفيـان إذا جاءك ما تحب فـاكثر من الحمـد لله واذا جاءك مـا تكره فـاكثر من لا حـول ولا قوة إلا بالله ، وإذا استبـطأت الرزق فـاكثر من الاستغفـار ، يا سفيـان لا مروءة لكـذوب ولا اخ لملول ولا راحة لحسـود ولا سؤدد لسيء الخلق ، فقال : يـا ابن

رسول الله زدني : قال : يا سفيان ثق بالله تكن مؤمناً وارض بما قسم الله لك تكن غنياً واحسن مجاورة من جاورك تكن مسلماً ، ولا تصحب الفاجر فيعلمك من فجوره وشاور في امرك الذين يخشون الله .

فقال : زدني يا ابن رسول الله ، فقال : يا سفيان .

من اراد عزاً بلا عشيرة وغنى بلا مال وهيبة بلا سلطان فلينتقل من ذل معصية الله إلى عز طاعته ، واذا أنعم الله عليك بنعمة وأحببت بقاءها ودوامها فاكثر من الحمد والشكر عليها فإن الله عز وجل قال: **﴿لئن اكرتم لأزيدنكم﴾** واذا استبطأت الرزق فاكثر من الاستغفار فإن الله يقول في كتابه :

﴿ استغفروا ربكم انه كان غفارا يرسل السماء عليكم مدراراً ويمددكم بأموال وبنين ويجعل لكم جنات ويجعل لكم انهاراً ﴾ .

وجاء في وصيته إلى عبد الله بن جندب : يا ابن جندب يهلك المتكل على عمله ولا ينجو المجترىء على الذنوب الواثق برحمة الله ، قال عبد الله بن جندب : فمن ينجو يا ابن رسول الله ؟ قال : الذين هم بين الخوف والرجاء كأن قلوبهم في مخلب طائر شوقاً إلى الثواب وخوفاً من العقاب . ويل للساهين عن الصلاة النائمين في الخلوات المستهزئين بالله في الفترات اولئك الذين لا خلاق لهم في الآخرة ولا يكلمهم الله يوم القيامة ولهم عذاب أليم .

يا ابن جندب أحب في الله وابغض في الله ولا تكن بطرا في الغنى ولا جزعا في الفقر ولا تكن فظاً غليظاً يكره الناس قربك ، ولا واهياً يحقرك من عرفك ، ولا تسخر بمن هو دونك ولا تنازع الأمر اهله ولا تطع السفهاء ، وصل من قطعك وأعط من حرمك وأحسن إلى من أساء إليك وسلم على من سبك وأنصف من خاصمك واعف عمن ظلمك كما تحب أن يعفى عنك . يا ابن جندب لا تتصدقن على أعين الناس ليزكوك ، فانك ان فعلت ذلك فقد استوفيت اجرك ، ولكن اذا اعطيت بيمينك فلا تطلع عليها شمالك ، فإن الذي تتصدق له سراً يجزيك علانية .

الى غير ذلك من وصاياه ونصائحه لأصحابه التي تمثل الخلق الإسلامي الذي امتاز به أهل البيت (ع) والذي كان الإمام (ع) يحاول من خلال وصاياه وارشاداته لأصحابه وغيرهم ان يجسدوا الإسلام بما فيه من مثل وأخلاق وآداب وتشريع في افعالهم قبل أقوالهم ليكونوا من دعاته الصامتين .

وجاء في حلية الأولياء عن بعض الرواة انه قال : دخلت على الإمام جعفر بن محمد وموسى ولده بين يديه وهو يوصيه فكان مما حفظت منه ان قال : يا بني اقبل وصيتي واحفظ مقالتي فانك ان حفظتها تعش سعيداً وتمت حميداً ، يا بني من رضي بما قسم الله استغنى ومن مد عينه إلى ما في يد غيره مات فقيراً ، ومن لم يرض بما قسم الله اتهم الله في قضائه ، ومن استصغر زلة نفسه استعظم زلة غيره ، ومن استصغر زلة غيره استعظم زلة نفسه ، يا بني من كشف حجاب غيره انكشفت عورات بيته ، ومن سل سيف البغي قتل فيه ، ومن حفر لأخيه بئرا سقط بها ، ومن دخل مداخل السوء اتهم ، يا بني اياك ان تزري بالرجال فيزرى بك ، وقل الحق لك او عليك ، وكن لكتاب الله تالياً وللسلام فاشياً وبالمعروف آمراً وعن المنكر ناهياً ولمن قطعك واصلا ، ولمن سألك معطياً ، واياك والتعرض لعيوب الناس فالمتعرض لعيوب الناس بمنزلة الهدف ، واذا طلبت الجود فعليك بمعادنه فإن للجود معادن وللمعادن أصولا وللاصول فروعا وللفروع ثمرا .

يا بني اذا زرت فزر الاخيار ولا تزر الفجار فانهم صخرة لا ينفجر ماؤها وشجرة لا يخضر ورقها وأرض لا يظهر عشبها ، وجاء عن علي بن موسى الرضا (ع) أنه قال : ان أبي ما ترك هذه الوصية إلى أن مات .

وقال (ع) كما جاء في رواية الكليني في الكافي : الحكرة في الخصب أربعون يوما وفي الشدة والبلاء ثلاثة أيام ، فما زاد على الأربعين يوما في الخصب فصاحبه ملعون ، وما زاد على ثلاثة ايام في العسر فصاحبه ملعون .

وكان يقول لخادمه في اوقات حاجة الناس : اشتر لنا شعيرا واخلط به

طعامنا فاني اكره ان نأكل جيدا ويأكل الناس ردياً .

وروى عنه ابو جعفر الفزاري أنه دعا مولى له يقال له مصادف فأعطاه الف دينار ليتاجر بها وقال له : تجهز حتى تخرج الى مصر فإن عيالي قد كثروا ، قال : فتجهز بمتاع وخرج مع التجار الى مصر فاستقبلتهم قافلة من التجار خارجة من مصر فسألوهم عن المتاع الذي معهم ما حاله في المدينة وكان متاع العامة فأخبروهم أنه ليس في مصر منه شيء فتحالفوا وتعاقدوا على أن لا ينقصوا متاعه من ربح الدينار ديناراً ، فباعوا تجارتهم بهذا الربح ورجعوا إلى المدينة ، فدخل مصادف على الإمام الصادق (ع) ومعه كيسان في كل واحد منهما ألف دينار ، وقال له : جعلت فداك ، هذا رأس المال وهذا الآخر ربحها ، فقال له الإمام : ان هذا الربح كثير كيف صنعت في المتاع الذي اشتريته حتى ربحت هذا الربح ؟ فحدثه بحاجة البلاد الى المتاع وكيف تحالف مع التجار ان لا يبيعوا ما معهم الا بربح الدينار ديناراً ، فقال : سبحان الله تتحالفون على قوم مسلمين الا تبيعوا الا بربح الدينار ديناراً ؟ ثم أخذ رأس المال ، وقال : هذا مالنا ، ورد عليه الربح ، ثم قال : يا مصادف ، مجادلة السيوف أهون من طلب الحلال .



من كلماته القصار وحكمه

لـو اراد الكاتب ان يستوعب تاريخ الإمـام الصـادق وسيـرتـه من جميـع جوانبها لا يخرج من كل جانب من جوانبها بأقل من مجلد مستقل وبما أن ذلك يكلفني من الـوقت ما لا املك ومن الجهـد والتتبع مـا لا اطيق وعملا بـالحكمة المـأثورة مـا لا يدرك كله لا يتـرك كله فقـد اقتصـرت عـلى بعض النمـاذج منهـا وسأقدم في هذا الفصل امثلة من كلماته وحكمه في مختلف المواضيع .

فقـد جاء عنـه أنه قـال : أفضل الملوك من اعـطي ثلاث خصـال الـرأفـة والجـود والعدل وعليهم أن لا يفـرطـوا في ثـلاث في حفظ الثغـور وتفقـد المـظالم واختيـار الصالحـين لأعمـالهم . وقـال : ثـلاثـة لا يعـوز فيهـا المرء : مشـاورة نـاصـح ، ومـداراة حـاسـد والتحبب إلى النـاس . وقـال : احـذر من النـاس ثـلاثة : الخـائن والـظلوم والنمـام ، لأن من خـان لـك خـانـك ومن ظلم لـك سيظلمك ، ومن نم اليك سينم عليك .

وثلاثة من تمسك بها نـال من الدنيـا بغيته من اعتصم بـالله ورضي بقضاء الله وأحسن الظن بالله ، وقال اعبد الناس من اقام الفـرائض وأزهد النـاس من ترك الحرام .

كـل ذي صناعـة مضطر إلى ثـلاث خلال يجتلب بهـا الكسب : ان يكون

حاذقاً في عمله مؤدياً للامانة فيه مستميلاً لمن استعمله .

اذا لم تجتمع القرابة على ثلاثة أشياء تعرضوا لدخول الوهن عليهم وشماتة الأعداء بهم ، وهي ترك الحسد فيما بينهم لئلا يتحزبوا فيتشتت امرهم ، والتواصل ليكون ذلك حادياً لهم على الألفة ، والتعاون لتشملهم العزة .

وقال له رجل : اني أحب الدنيا ، فقال له الإمام : تصنع بها ماذا ؟ قال : اتزوج منها وأحج وأنفق على عيالي وأنيل اخواني ، فقال الإمام : ليس هذا من الدنيا بل هو من الآخرة .

ثلاثة لا يصيبون الا خيراً : اولو الصمت وتاركو الشر ، والمكثرون من ذكر الله ورأس الحزم التواضع .

فقال له بعضهم وما التواضع يا ابا عبد الله ؟ قال : ان ترضى من المجلس بدون شرفك وان تسلم على من لقيت ، وان تترك المراء وان كنت محقا .

وقال للمفضل بن عمر : اوصيك بست خصال تبلغهن شيعتي : اداء الامانة الى من ائتمنك ، وان ترضي لاخيك ما ترضى لنفسك ، واعلم ان للأمور اواخر فاحذر العواقب ، وان للأمور بغتات فكن على حذر ، واياك ومرتقى جبل اذا كان المنحدر وعرا ، ولا تعدنّ أخاك ما ليس في يدك وفاؤه .

وكان رجل يلازم الإمام (ع) ويتردد عليه فانقطع عنه ، ولما سأل عنه قال له بعض من في مجلسه : انه نبطي منتقصاً له ، فقال (ع) : أصل الرجل عقله وحسبه دينه وكرمه تقواه والناس في آدم مستوون .

وفي بعض الروايات ان عبد العزيز القزاز كان يذهب إلى تأليه أهل البيت فدخل على الإمام الصادق (ع) فقال له : يا عبد العزيز ضع لي ماء أتوضأ به ، قال عبد العزيز : ففعلت ، فلما دخل قلت في نفسي : هذا الذي

قلت فيه ما قلت ، فلما خرج قال : يـا عبد العـزيز ، لا تحمـل على البنـاء فوق ما يطيق انا عبيد مخلوقون ، وقال (ع) : اتقوا الظلم فإن دعوة المظلوم تصعد إلى السـماء ، ومن لم يهتم بـأمـور المسلمـين فليس بمسلم ، وكـان رسـول الله يقـول : من أصبح لا يهتم بـأمور المسلمـين فليس منهم ومن سمع رجـلا ينادي يا للمسلمين ولم يجبه فليس بمسلم .

وقال :

المؤمن من طاب مكسبه وحسنت خليقته وصلحت سريـرته وانفق الفضـل من مـالـه وأمسـك الفضـل من كـلامـه وكفى النـاس شـره وأنصف النـاس من نفسه .

ايـاكم والخصومـة فإنها تشغـل القلب وتورث النفـاق ومن زرع العـداوة حصد ما بذر ، ومن لم يملك غضبه لم يملك عقله .

من كـافأ السفيـه بالسفـه فقد رضي بمـا اوتي اليه حيث احتـذى مثـالـه ، ومن عـذر ظالمـاً بظلمـه سلط الله عليه من يظلمـه فـإن دعـا لم يستجب لـه ولم يؤجـره الله على ظـلامتـه ، ومن كف يـده عن النـاس فـإنما يكف يـدا واحـدة ويكفون عنه ايدي كثيرة .

الفقهاء امناء الرسل فاذا رأيتم الفقهاء قد ركبوا الى السـلاطين فـاتهموهـم على دينكم .

وقـال (ع) : ثلاثـة تكدر العيش السلطان الجـائـر وجـار السـوء والمـرأة البذيئة ، وثلاثة لا يصلح العالم بدونها إلامن والعدل والخصب .

وثلاثة يجب على كل انسان ان يتجنبها : مقـارنة الأشـرار ومحادثـة النساء ومجالسة أهل البدع .

ومن رزق ثـلاثاً نـال الغنى الأكبر القنـاعة بمـا أعطي واليـأس مما في أيـدي الناس وترك الفضول .

وقال لبعض اصحابه : لا تشاور الاحمق ولا تستعن بكذاب ولا تثق بمودة الملوك ، فان الكذاب يقرب لك البعيد ويبعد لك القريب ، والاحمق يجهد لك نفسه ولا يبلغ ما تريد ، والملك اوثق ما كنت به يخذلك وأوصل ما كنت له يقطعك ، ولا يستغن أهل كل بلد عن ثلاثة : فقيه عالم ورع وأمير خيّر مطاع وطبيب بصير ثقة ، فان عدموا ذلك كانوا همجا رعاعا .

وقال (ع) : اذا كان الزمان زمان جور وأهله اهل غدر فالطمأنينة إلى كل أحد عجز ، واذا اردت أن تعلم صحة ما عند أخيك فأغضبه فإن ثبت لك على المودة فهو أخوك وإلا فلا .

وقال (ع) : خف الله كأنك تراه وان كنت لا تراه فإنه يراك ، وان كنت ترى أنه لا يراك فقد كفرت ، وإن كنت تعلم أنه يراك ثم برزت بالمعصية فقد جعلته من أهون الناظرين إليك .

ثلاثة هم أقرب الخلق الى الله يوم القيامة : رجل لم تدعه قدرته في حال غضبه أن يحيف على من هو دونه ومن هو تحت يديه ، ورجل مشى بين اثنين فلم يمل مع احدهما على الآخر ، ورجل قال الحق فيما له وعليه . وثلاثة تجب لهم الرحمة : غني افتقر وعزيز قوم ذل وعالم تلاعب به الجهال ، وإذا اراد الله برعية خيراً جعل لهم سلطانا رحيماً ووزيراً عادلا .

وكان يقول : والله ما ذئبان ضاريان في غنم غاب عنها رعاتها بأشد فتكاً فيها من حب الجاه والمال في دين المسلم ، ويقول : ليس لك أن تأتمن الخائن وقد جربته ، وليس لك ان تتهم من ائتمنت ، وليس للملول صديق ، ولا لحسود غنى وأحب اخواني من أهدى إلي عيوبي ، وإن من أوثق عرى الايمان أن تحب في الله وتبغض في الله وتعطي في الله وتمنع في الله ، ولا تظنن بكلمة خرجت من أخيك سوءاً وأنت تجد لها في الخير محملا .

وقال لبعض شيعته : ما بال اخيك يشكوك ، فقال : يشكوني ان استقصيت عليه حقي ، فجلس مغضباً ثم قال : كأنك اذا استقصيت عليه

حقك لم تسيء إليه أرأيتك ما حكى الله عن قـوم يخافـون سوء الحسـاب اخافـوا ان يجور الله عليهم لا ولكنهم خافـوا الاستقصاء فسمـاه الله سوء الحسـاب فمن استقصى على أخيه فقد اساء اليه . إلى غير ذلـك من وصايـاه وحكمه التي كـان يلقيها على أصحابه وغيرهم لينتزع من نفـوسهم بذور الشر ويـطبعهم على الخـير والحق والثورة على الظلم والظالمين .



اولاد الإمام الصادق ووفاته

تخلف الإمام الصادق بعشرة أولاد سبعة ذكور وثلاث بنات ، وقيل ان أولاده أحد عشر سبعة ذكور وأربع بنات حسب الترتيب التالي : الإمام موسى بن جعفر ومحمد المعروف بالديباج لحسنه وجماله واسحاق وهو والديباج من أم واحدة وعلي وكان علي قد خرج على العباسيين في مكة في عهد المأمون وقد ظفر به وعفا عنه وحمله إلى خراسان فأقام عنده إلى أن مات سنة ثلاث ومائتين وحمل المأمون سريره على عاتقه فقيل له : يا أمير المؤمنين لو صليت عليه ورجعت فإنك قد تعبت ، فقال : هذه رحم قطعت منذ مائتي سنة ووصلناها اليوم .

وجاء في رواية الواقدي أنه كان قد بايعه أهل الحجاز وتهامة واستفحل امره فأسره المعتصم في بعض المعارك وأرسله إلى المأمون فأحسن إليه ، وكان متعبداً يصوم يوما ويفطر يوما ، وما خرج قط في ثوب وعاد وهو عليه .

ومن اولاد الإمام اسماعيل الاعرج وهو الذي تنسب الفرقة الاسماعيلية بجميع فروعها إليه وقد توفي في حياة أبيه كما تنص على ذلك اكثر الروايات ، وعبد الله والعباس وأم فروة وأسماء وفاطمة الصغرى وقيل ان ام فروة اسمها اسماء وتكنى بأم فروة ، وفاطمة الكبرى ، ونص المفيد على أن اسماعيل وعبد الله وأم فروة أمهم فاطمة بنت الحسين بن علي بن الحسين بن علي بن أبي

طالب (ع) وموسى الإمام ومحمد الديباج واسحاق ثلاثتهم لأم واحدة اسمها حميدة البربرية ، والباقون من أولاده لأمهات شتى وأكبر اولاده عبد الله وبه كان يكنى وهو المعروف بالافطح لعيب في رجله واليه ينسب من قال بامامته بعد أبيه من أصحاب الإمام الصادق .

وقبيل وفاته نص على امامة ولده موسى بن جعفر وأرشد اصحابه إليه كما تواترت بذلك النصوص الصحيحة ، وكانت وفاته في شوال من سنة ١٤٨ وقيل في النصف من شهر رجب عن ثمانية وستين عاماً وقيل اكثر من ذلك .

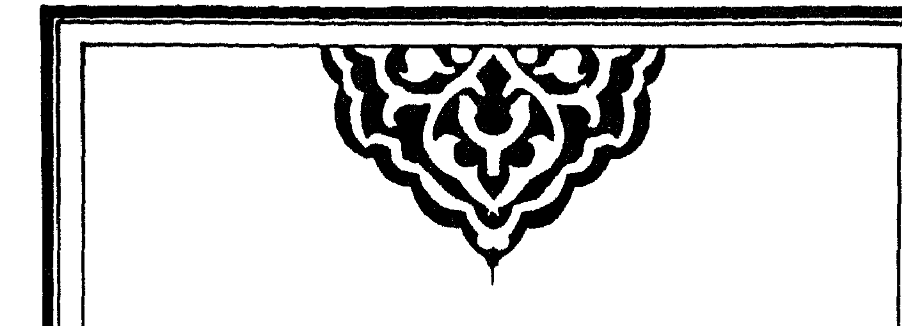
وجاء في رواية الكليني عن أبي أيوب الجوزي أنه قال : بعث الي ابو جعفر المنصور في جوف الليل فدخلت عليه وهو جالس على كرسي وبين يديه شمعة وفي يده كتاب ، فلما سلمت رمى الي الكتاب وهو يبكي وقال : هذا كتاب محمد بن سليمان والي المدينة يخبرني ان جعفر بن محمد قد مات فإنا لله وانا إليه راجعون واين مثل جعفر ، ثم قال : اكتب فكتبت صدر الكتاب وقال لي : اكتب ان كان اوصى الى رجل بعينه فقدمه واضرب عنقه ، فرجع الجواب من والي المدينة انه اوصى إلى خمسة : أبي جعفر المنصور ومحمد بن سليمان وعبد الله وموسى ابني جعفر وحميدة ، فقال المنصور : ليس الى قتل هؤلاء من سبيل .

وجاء في مروج الذهب انه توفي لعشر سنين خلت من خلافة المنصور سنة ١٤٨ ودفن بالبقيع مع أبيه وجده وجدته فاطمة وعمه الحسن وعلى قبورهم رخامة كتب عليها كما حكى ذلك المسعودي في مروجه وابن الجوزي في تذكرته :

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله مبيد الامم ومحيي الرمم هذا قبر فاطمة بنت رسول الله (ص) سيدة نساء العالمين وقبر الحسن بن علي ، وعلي بن الحسين بن علي بن أبي طالب ، ومحمد بن علي بن الحسين ، وجعفر بن محمد (ع) .

وقال أبو هريرة العجلي حينما حمل المشيعون جنازته :

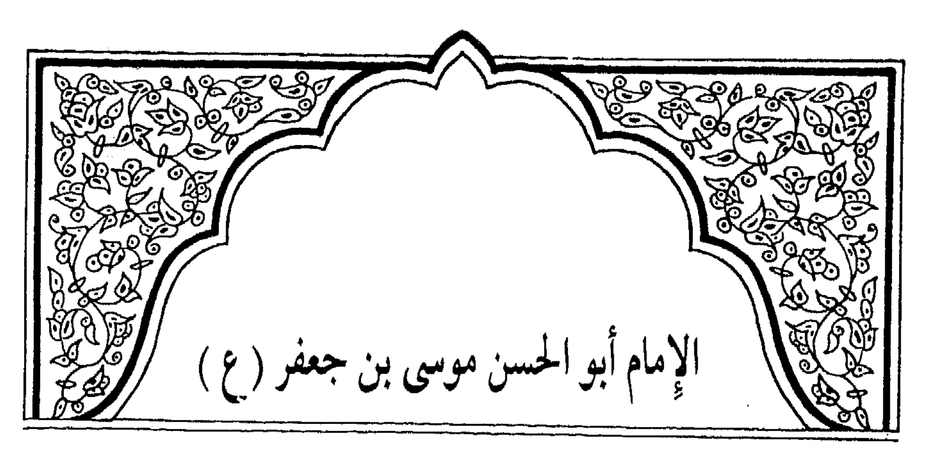
اقـول وقـد راحـوا بـه يحـملونـه　　علـى كـاهـل من حـامليـه وعـاتق
أتـدرون مـاذا تحملون الى الـثـرى　　ثبيـرا ثـوى من رأس عليـاء شـاهق
غـداة حثـا الحـاثـون فـوق ضـريحـه　　تـرابـا وأولى كـان فـوق المفـارق



الإمام السابع

موسى بن جعفر الكاظم "عليهما السلام"





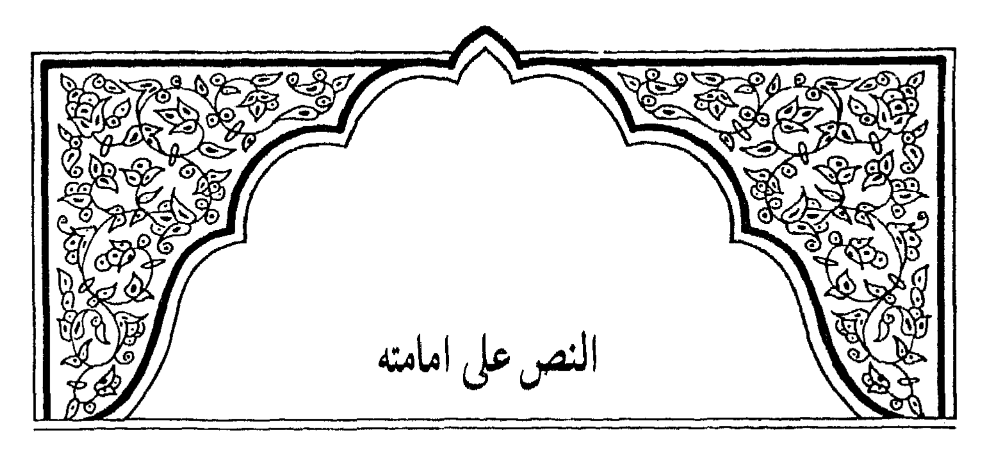
الإمام أبو الحسن موسى بن جعفر (ع)

لم يكن الإمام ابو الحسن موسى بن جعفر أكبر اولاد الإمام الصادق ولعله كان ثالث اولاده أو رابعهم وأكبرهم عبد الله الافطح وبه كان يكنى ، وتشير اكثر الروايات الى ان الإمام موسى بن جعفر الصادق ولد في الابواء وهو مكان يقع بين مكة والمدينة وفيه قبر آمنة بنت وهب أم النبي (ص) في السابع من صفر سنة ١٢٨ ، وأولم الصادق (ع) بعد ولادته فأطعم الناس ثلاثاً كما جاء في رواية البرقي في المحاسن ، من أم اندلسية وقيل بربرية يقال لها حميدة كانت على درجة عالية من الصلاح والتقوى ، وبقي مع ابيه نحوا من عشرين عاماً ادرك فيها عهد الأمويين وهو في دور الاحتضار يلفظ أنفاسه الاخيرة ، وهو يوم ذاك في سن الطفولة ، وشاهد وهو في هذا السن وبعده وفود العلماء وطلاب العلم من جميع الاقطار تغص بهم المدينة وقد ازدحموا على أبيه شبابا وشيوخا وهم ما بين مستمع يأخذ منه العلم والحديث ، وبين من يناظره في التوحيد والتشبيه والقدر والامامة وغير ذلك من المواضيع التي شاعت في ذلك العصر وتشعبت فيها الآراء ، ومضت العشرون عاما وهو إلى جانب أبيه الصادق (ع) يلقنه من فنون العلم وطرائف الحكمة ما يؤهله الى الإمامة العامة التي تنتظره في الغد القريب حتى أصبح وهو في مطلع شبابه مصدر اعجاب العلماء وتقديرهم ، وحكما مفضلا في حل اكثر المشاكل تعقيدا وتشعباً .

ولعل فيما رواه الرواة عن الحوار الذي جرى بينه وبين امام المذهب الحنفي ابي حنيفة وشهادة أبي حنيفة له بعد نهاية الحوار وهو يوم ذاك لم يتخط سن الصبا ما يشير إلى ذلك ، وحسبما اظن ان ابا حنيفة وهو جالس ينتظر الاذن بالدخول على الصادق . لقد خرج عليه الإمام موسى بن جعفر وهو يوم ذاك في سن الصبا فأراد أن يستحكيه او يداعبه فافتتح الحديث معه بالسؤال الأول ، وحينما رأى العمق والشمول في جوابه تغيرت نظرته إليه فوجه اليه السؤال الثاني وكان من اعقد المسائل ، والصراع فيه يوم ذاك على أشده بين الفقهاء والمتكلمين وغيرهم ، وقد روى الرواة هذا الحوار بينهما على النحو التالي :

فقد جاء في تحف العقول للحسن بن علي بن شعبة وغيرها ان ابا حنيفة قال : حججت في أيام ابي عبد الله الصادق (ع) فلما اتيت المدينة دخلت داره وجلست في الدهليز انتظر اذنه اذ خرج صبي فقلت : اين يحدث الغريب اذا اراد ذلك ؟ فنظر إلي ثم قال : يتوارى خلف الجدار ويتوقى اعين الجار وشطوط الانهار ومساقط الثمار وأقنية الدور والطرق النافذة والمساجد ولا يستقبل القبلة ولا يستدبرها ويرفع ثوبه ويضع بعد ذلك حيث شاء ، ومضى ابو حنيفة يقول : فلما سمعت منه ذلك نبل في عيني وعظم في قلبي ؛ فقلت له : جعلت فداك ممن المعصية ؟ فنظر إلي وقال : اجلس حتى اخبرك ، فجلست مصغياً إليه ، فقال : ان المعصية لا بد ان تكون اما من العبد أو من ربه او منهما جميعا ، فإن كانت من الله فهو اعدل وأنصف من أن يظلم عبده ويأخذه بما لم يفعله ، واما ان تكون منه ومن العبد وهو اقوى الشريكين ، والقوي اولى بانصاف عبده الضعيف والعفو عنه وان كانت من العبد وحده وهو كذلك فعليه وقع الأمر واليه توجه النهي فإن عفا عنه فبكرمه وجوده ، وان عاقبه فبذنبه وجريرته ، وأضاف إلى ذلك الراوي ان ابا حنيفة قال : فاستغنيت بما سمعت من الغلام وانصرفت بدون أن القى ابا عبد الله الصادق وقلت ذرية بعضها من بعض والله سميع عليم .

ومهما كان الحال فقبل أن يتخطى الإمام سن الصبا تمخضت الاحداث والمعارك الضارية التي استمرت اعواماً بين الأمويين وأخصامهم الذين كانوا ينادون باسم العلويين ويرددون على مسامع الناس جرائمهم مع اهل البيت تمخضت تلك المعارك التي شملت جميع المناطق عن عهد جديد رحب به المسلمون وظنوا أنهم سيجدون في ظله حريتهم وكرامتهم وحقوقهم المغتصبة منذ عشرات السنين . ولم تمض سوى سنوات معدودات على العهد الجديد كان قادته يراقبون فلول اخصامهم ويمهدون لاستتباب الامن واذا بهم يمثلون أقبح الادوار التي كان يمثلها قادة العهد البائد في سلوكهم وسيرتهم وبخاصة مع العلويين وشيعتهم وحاول المنصور اكثر من مرة ان يفتك بالإمام الصادق (ع) ولكن الله سبحانه كان يصرفه عنه كما اشرنا الى ذلك خلال حديثنا عن سيرته في الفصول السابقة . لقد بقي الإمام موسى بن جعفر مع أبيه عشرين عاماً منها خمس سنوات تقريباً من عهد الأمويين وأربع سنوات ونصف السنة في عهد عبد الله بن محمد بن علي الملقب بالسفاح وتسع سنوات وأشهر في ملك المنصور الدوانيقي حيث كانت وفاة الإمام جعفر بن محمد الصادق (ع) وعاش بعد أبيه خمسة وثلاثين عاماً مدة امامته قضى منها مع المنصور بعد أبيه نحواً من عشر سنوات ، ومع ولده محمد الملقب بالمهدي عشر سنين ، ومع ولده موسى الهادي سنة واحدة ، ومع أخيه هارون الرشيد نحواً من خمسة عشر عاماً وبنهايتها كانت وفاته مسموماً في حبسه بواسطة السندي بن شاهك أمير السجن خلال شهر رجب من سنة ١٨٣ كما هو المشهور بين الرواة .



النص على امامته

بـالإضافـة إلى النصوص التي اشتهـرت بين الـرواة عن النبي في خلفـائـه الاثني عشر ، والتي سمتهم في بعضهـا بـأسمـائهم وفي البعض الآخـر اقتـرنت بـالمواصفـات التي لا تنطبق عـلى غيرهم ، وقـد ذكرنـا بعض تلك النصوص في الفصل الأول من هذا الكتاب وبالإضـافة إلى هـذه النصوص فـإن كل إمـام من الأئمة الاثني عشر قد نص على خليفته وأرجع خواص اصحابه إليه .

وقد جاء في الارشاد للمفيد أن من الـذين رووا عن أبي عبد الله الصـادق (ع) صريح النص على امامة ولده موسى من شيوخ اصحابه وخـاصته وبـطانته وثقـاته من الفقهـاء الصالحـين المفضل بن عمـر ومعاذ بن كثـير وعبد الـرحمن بن الحجـاج والفيض بن المختـار ويعقـوب السـراج وسليمـان بن خـالـد وصفـوان الجمـال وغيرهـم من الأصحـاب ، كما روي ذلـك عن أخويه اسحـاق وعلي ابنـا جعفر (ع) وكانا من الفضل والورع على مـا لا يختلف فيه اثنـان على حـد تعبير المفيد في ارشاده .

ومضى يقول : فقد روى مـوسى الصيقل عن المفضـل بن عمر انـه قال : كنت عند أبي عبد الله الصـادق (ع) فدخـل أبو ابـراهيم وهو غـلام ، فقال لي أبو عبد الله : استوص به وضع أمره عند من تثق بهم من اصحابك .

وجـاء في روايـة شبيب عن معـاذ بن كثـير أنـه قـال : قلت لأبي عبـد الله اسأل الله الذي رزق ابـاك منك هـذه المنزلـة ان يرزقـك من عقبك قبـل الممات مثلهـا ، قال : قـد فعل الله ذلـك ، قلت : من هو جعلت فـداك ؟ فأشـار إلى العبد الصالح وهو راقد وقال : هذا الراقد ، وهو يومئذ غلام .

وقال له عبـد الرحمن بن الحجـاج وكان قـد دخل عليـه وهو يـدعو وولـده مـوسى إلى جـانبـه يؤمن عـلى دعـائـه ، فقـال لـه : جعلت فـداك قـد عـرفت انقـطاعي اليك وخـدمتي لك فمن ولي الأمـر بعدك ؟ قـال : يا عبـد الرحمن ان مـوسى قد لبس الـدرع واستـوت عليـه ، فقلت لـه : لا احتـاج بعـد هـذا الى شيء .

وجاء في رواية ابن حازم انه قـال للإمـام الصادق : اذا حـدث عليك مـا لا بد منه فلمن الأمـر من بعدك ، فقـال له ابـو عبد الله : اذا كـان ذلك فهـذا صاحبكم ، وضرب بيده على منكب أبي الحسن الايمن .

وروى محمـــد بن الـوليـــد عن عـلي بن جعفــر أنـــه قـــال : سمعت ابي جعفر بن محمد الصادق يقول لجمـاعة من أصحـابه وخـاصته : استـوصوا بـابني موسى خيراً فانه افضل ولدي ومن اخلف من بعدي وهو القائم مقامي والحجة على كافة خلقه بعدي .

الى غـير ذلك من الـروايات الكثيـرة التي نص بهـا الإمـام الصـادق عـلى امامته من بعده وأكثرها بهذا الاسلوب الذي يبدو منه وكان الإمـام يتحاشى فيـه الصراحة احياناً خوفاً عليه من السلطات الحاكمة التي كانت تراقبه أشـد المراقبـة في السنـين الأخيرة من حيـاته كـما تؤكد ذلـك مـواقف المنصـور معـه واهتمـامـه بمعرفة وصيه عندما بلغه نبـأ وفاتـه ، وقد كتب إلى الـوالي على المـدينة محمـد بن سليمـان فور وصـول النبأ إليـه ان كان اوصى إلى رجـل بعينه فقـدمـه واضـرب عنقـه ، فرجـع الجواب من الـوالي ، أنه أوصى الى خمسـة : أبي جعفـر المنصـور ومحمـد بن سليمان وولـديه عبـد الله وموسى وزوجتـه حميدة ، فقـال : اذا كـان

ذلك فليس الى قتل هؤلاء من سبيل كما جاء في رواية الكليني عن أبي ايوب الجوزي ، ويبدو من وصية الإمام الصادق (ع) لهؤلاء الخمسة أنه كان يقدر حراجة الموقف ويخاف على خليفته من اولئك الطغاة فصاغ وصيته على هذا النحو وأخبر ثقات اصحابه بخليفته الشرعي وأوصاهم بالتكتم حتى عن عامة الشيعة ريثما يتهيأ الجو المناسب .

واستقبل الإمام (ع) خلافته في هذا الجو المحفوف بالمخاطر هو وخلص شيعته وعيون المنصور تراقبهم وتحصي عليهم انفاسهم والباقون من الشيعة حيارى لا يدرون لمن يرجعون ، ولعل رجوع من رجع منهم الى عبد الله الافطح وإلى اسماعيل كان السبب المباشر له هو عدم اعلان الإمام الصادق عن خليفته الشرعي لعامة الشيعة وتكتم الإمام موسى بن جعفر (ع) إلا عن عدد محدود من خاصة اصحابه خوفاً من المنصور وولاته كما تشير إلى ذلك رواية هشام بن سالم، وقد جاء فيها انه قال : كنا في المدينة بعد وفاة ابي عبد الله (ع) : أنا ومحمد بن النعمان صاحب الطاق والناس مجتمعون على عبد الله بن جعفر على أنه صاحب الأمر بعد أبيه ، فدخلنا عليه والناس عنده فسألناه عن الزكاة في كم تجب ، فقال : في مائتي درهم خمسة دراهم ، فقلنا له : ففي مائة ، قال درهمان ونصف ، قلنا : والله ما تقول المرجئة هذا ، فقال : والله ما أدري ما تقول المرجئة .

ومضى يقول : فخرجنا من مجلسه ضلالا لا ندري إلى أين نتوجه وإلى من نقصد ، فبينما نحن كذلك واذ برجل شيخ لا أعرفه يومي إلي بيده فخفت أن يكون عيناً من عيون ابي جعفر المنصور ، وقد كان له بالمدينة جواسيس يتحرون له من يجتمع الناس عليه بعد جعفر بن محمد (ع) ليأخذه ويضرب عنقه فخفت أن يكون منهم ، وقلت للأحول : تنح فاني خائف على نفسي وعليك وهو لا يريد سواي ، فتنحى الاحول عني بعيداً وتبعت الشيخ لظني بأني لا أقدر على التخلص منه ، فما زلت اسير معه وفي ظني أني اسير إلى الموت حتى ورد بي على باب ابي الحسن موسى (ع) ثم تركني ومضى فاذا

خادم بالباب فقال لي : ادخل رحمك الله فدخلت فإذا ابو الحسن عليه السلام فقال لي ابتداء منه الي لا الى المرجئة ولا الى القدرية ولا الى المعتزلة ولا الى الزيدية ، فقلت له : جعلت فداك مضى ابوك ، فقال : نعم ، قلت : مضى موتاً ، قال : نعم ، فقلت له : جعلت فداك فمن لنا من بعده ، قال : هداك الله الى ما تريد ، قلت : جعلت فداك ان عبد الله اخاك يزعم أنه الإمام بعد أبيه ، فقال : ان اخي عبد الله يريد ان لا يعبد الله ، قلت : جعلت فداك فمن بعد أبيك ، فقال : ان شاء الله ان يهديك هداك ، قلت : جعلت فداك فأنت هو ، قال : لا اقول ذلك .

فقلت في نفسي لم أصب طريق المسألة ، قلت له : عليك إمام ، قال : لا ، فدخلني منه شيء لا يعلمه الا الله اعظاماً وهيبة ، ثم قلت له : جعلت فداك ، اسألك كما كنت أسأل اباك ، قال : تخير ولا تذع فإن اذعت فهو الذبح ، فسألته : فإذا هو بحر لا ينزف . ثم قلت له : إن شيعة ابيك ضلال فألقي اليهم هذا الأمر وأدعوهم إليك فقد اخذت علي الكتمان ، قال : من أنست منهم رشداً فألق اليه وخذ عليه الكتمان فإن اذاع فهو الذبح وأشار بيده الى حلقه .

ولما خرجت من عنده لقيت ابا جعفر الأحول فقال لي : ما وراءك ؟ قلت : الهدى وحدثته بما جرى معي ، ثم التقينا زرارة وأبا بصير فدخلا عليه وسمعا كلامه وسألاه وقطعا عليه ، وكل من دخل عليه قطع بإمامته الا طائفة عمار الساباطي ، ولم يبق إلى جانب عبد الله الافطح إلا القليل من الناس ، وأخذ أمر الإمام ينتشر ويتسع حتى اهتدى إليه اكثر الشيعة ورجعوا إليه في مشاكلهم وأمور دينهم بالرغم من الرقابة الشديدة التي وضعها المنصور ومحاولاته لتشتيت امر الشيعة وارجاعهم الى أخويه عبد الله واسماعيل ، مع العلم بأن اسماعيل قد مات في حياة أبيه وقد شيعه بحضور الوالي محمد بن سليمان ، وكان كما جاء في بعض الروايات كلما سار المشيعون بالنعش خطوات يتقدم الإمام الصادق ويكشف وجهه للناس ، ومع ذلك فقد

قـال بعض الشيعة بـامامتـه ورحـب المنصور وأنصـاره بهذه الفكـرة وأشاعـوا بأن الوالي على البصـرة كتب إليهم يخبرهـم بـوجوده فيهـا وانه مـر على مـريض مزمن فدعا له وبرىء من مرضه .



لمحات عن كرمه وحلمه وصفاته

لقد اتفق واصفوه بأنه كان أعبد اهل زمانه وأزهدهم في الدنيا وأفقههم وأسخاهم كفا وأكرمهم نفساً ، وكان يصلي نوافل الليل اذا دخل ثلثه الأخير ويستمر في الصلاة الى طلوع الفجر ، فإذا جاء وقت صلاة الصبح صلاها ثم يشرع في الدعاء والبكاء من خشية الله حتى تخضل لحيته بالدموع ويغشى عليه من خشية الله ، وإذا قرأ القرآن يجتمع عليه الناس لحسن صوته ويبكون احياناً لخشوعه وبكائه ، ولقبه الناس بالعبد الصالح ، وأصبح يعرف بهذا اللقب اكثر مما يعرف باسمه وكنيته .

وجاء في كتاب مطالب السؤال : أنه كان يلقب بالصالح والصابر والامين والكاظم ، ويعرف بالعبد الصالح ، وسمي الكاظم ، لأنه كظم الغيظ وصبر على ما احيط به من البلاء ، وفي رواية ابن الجوزي في تذكرته انه سمي الكاظم ، لأنه كان اذا بلغه عن احد سوء بعث اليه بمال يغنيه .

وقد جاء في وصفه عن شقيق البلخي كما في رواية ابن الجوزي انه قال : خرجت حاجا سنة تسع وأربعين ومائة فنزلت القادسية واذا بشاب حسن الوجه شديد السمرة عليه ثوب صوف مشتمل بشملة وفي رجليه نعلان فجلس منفردا عن الناس ، فقلت في نفسي : هذا الفتى من الصوفية يريد أن

يكـون كلاً عـلى الناس ، والله لامضـين إليه وأوبخنـه ، فدنـوت منـه فلما رآني مقبلا ، قال : يا شقيق اجتنبوا كثيراً من الظن ان بعض الظن اثم ، فقلت في نفسي هذا عبد صالح قد نطق بما في خاطري لألحقنه واسـأله ان يجـالسني فغاب عن عيني فلما نزلنا واقصة اذا به يصـلي وأعضاؤه تضـطرب ودموعـه تنحدر عـلى خديه ، فقلت في نفسي امضي إليه واعتذر منـه ، فأوجـز في صلاتـه وقال : يـا شقيق واني لغفـار لمن تاب وآمن وعمـل صالحـا ثم اهتـدى ، فقلت : هـذا من الابدال قد تكلم عن سري مرتين ، فلما نزلنا زيالا اذا بـه قائم عـلى البئر وبيـده ركـوة يريـد ان يستقي الماء فسقـطت الركـوة في البئر ، فـرفع طـرفه إلى السـماء وقال :

أنـت ربي اذا ظـمئـت إلى المـاء وقـوتي اذا اردت الـطعـامـا

فوالله لقد رأيت البئر قد ارتفع ماؤها فأخذ الركـوة وملأهـا وتوضـأ وصلى اربـع ركعـات ثم مـال الى كثيب رمـل هنـاك فجعـل يقبض بيـده ويـطرحـه في الـركوة ويشـرب ، فقلت اطعمني من فضـل مـا رزقـك الله ومـا انعم عليـك ، فقال : يا شقيق لم تزل نعم الله علينا ظاهرة وبـاطنة فـأحسن ظنك بـربك ، ثم ناولني الركوة فشربت منها فاذا سـويق وسكر مـا شربت والله الـذ منه ولا اطيب ريحـا فشبعت ورويت وأقمت ايامـا لا اشتهي الـطعـام ولا الشـراب ، ثم لم أره حتى دخلت مكة فرأيته ليلة الى جانب قبة الشراب نصف الليـل يصلي بخشـوع وأنـين وبكـاء فلم يـزل كـذلـك حتى ذهب الليـل فلما طلع الفجـر جلس في مصـلاه يسبح فلما انتهى قـام الى صلاة الفجـر وطـاف بـالبيت سبعـا وخـرج ، فتبعته لأعرف اين يذهب ، فاذا له حاشية وأموال وغلمـان وهو عـلى خلاف مـا رأيته في الطريق ودار به الناس يسلمـون عليه ويتبـركون بـه ، فقلت لبعضهم : من هـذا ؟ فقال : هـو موسى بن جعفـر بن محمد بن عـلي بن الحسـين بن عـلي ابن أبي طالب (ع) .

والحـديث المـذكـور من حيث وصفـه لعبـادة الإمـام وانقـطاعـه الى الله

سبحانه موافق لما اجمع عليه واصفوه من المحدثين وغيرهم فلا يضره ضعف سنده ولا ميول راويه البلخي الى التصوف ، ولا اشتماله على تلك الكرامة لأن الروايات الشيعية والسنية تنسب له ولغيره من ائمة أهل البيت ما هو اعظم منها وليس بكثير على من استجاب لله وأطاعه أن يستجيب الله لطلبه ودعائه وأن يكون في عونه على ان التصديق والايمان بهذه الكرامات ليس من ضرورات التشيع لأهل البيت ، كما أجمع واصفوه على أنه كان اعبد اهل زمانه فقد اجمعوا على أنه كان واسع العطاء يعطي القريب والبعيد لا تنقص صراره عن ثلاثمائة دينار ، وقد قال أهل زمانه : عجباً لمن جاءته صرار موسى بن جعفر وشكا الفقر .

وجاء في تاريخ بغداد للخطيب انه كان سخيا كريماً يصر ثلاثمائة دينار وأربعمائة دينار ويخرج بها ليلا يوزعها على بيوت المحتاجين وكان يضرب المثل بصراره .

وروى البغدادي في تاريخه عن محمد بن عبد الله البكري أنه قال : قدمت المدينة اطلب بها ديناً فأعياني فقلت لو ذهبت الى أبي الحسن موسى بن جعفر وشكوت اليه ذلك ، فأتيته في ضيعته فابتدأني بالسؤال عن حاجتي وذكرت له قصتي فدخل إلى بيته وخرج منه مسرعاً ، وقال لغلامه : اذهب ، فلما ذهب الغلام مد يده ودفع لي صرة فيها ثلاثمائة دينار فركبت دابتي وانصرفت .

كما روى الخطيب البغدادي في تاريخه ايضاً عن عيسى بن محمد بن مغيث القرظي انه قال : زرعت بطيخاً وقثاء وقرعا في موضع بالجوانية على بئر يقال لها ام عظام فلما قرب الخير واستوى الزرع بغتني الجراد فأتى على الزرع كله وكنت غرمت على الزرع وفي ثمن جملين مائة وعشرين ديناراً فبينما انا جالس اذ طلع علي موسى بن جعفر (ع) فسلم وقال : كيف حالك ، فقلت : اصبحت كالصريم بغتني الجراد فأكل زرعي ، قال : وكم غرمت عليه؟ قلت : مائة

وعشـرين ديناراً مـع ثمن الجملين ، فقال (ع) يـا عرفـة زن لأبي المغيث مـائـة وخمسين ديناراً فنربحك ثلاثين دينـاراً والجملين ، فقلت : يا مبـارك ادخل وادع لي بـهـا فدخـل ودعا بها ، وحدثني عن رسـول الله (ص) انه قـال : تمسكـوا ببقايا المصائب ، ثم علقت عليه الجملين وسقيته فجعل الله فيها البركة .

وأضـاف الى ذلـك البغـدادي في روايـة اخـرى بسنـده الى ادريس بن أبي رافع عن محمد بن موسى أنه قال : خرجت مع أبي الى ضياعـه بسايـة فأصبحنـا في غداة باردة وقـد وفدنـا منها وأصبحنـا على عـين من عيون سـاية فخـرج إلينا من تلك الضياع عبد زنجي فصيـح مستزنر بخرقـة على رأسـه قدر فخـار يفور فـوقف على الغلمـان وقال : أين سيـدكم ؟ فقالـوا : هو ذاك ، فقـال أبو من ؟ قـالوا لـه : ابـو الحسن ، فـوقف عليـه وقـال : يـا سيـدي يـا ابـا الحسن هـذه عصيدة اهديتها إليك ، فقال له : ضعهـا عند الغلمـان ، فأكلوا منهـا ثم ذهب ورجـع وعلى رأسـه حزمـة حطب ، فقـال له : يـا سيدي هـذا حطب اهـديتـه اليك ، قال : ضعـه عند الغلمـان وهب لنا نـاراً ، فذهب وجـاء بالنـار وكتب ابو الحسن اسمه واسم مولاه ودفعه إلي وقـال : يا بني احتفظ بهـذه الرقعـة حتى اسألك عنها ، فوردنا إلى ضياعـه وأقام بهـا ما طـاب له ، ثم قـال : امضوا بنـا إلى زيـارة البيت فخرجنـا حتى وردنا مكـة ، فلما قضى ابـو الحسن عمـرتـه دعـا صاعدا وقال : اذهب واطلب لي هذا الرجل فإذا علمت بموضعه فأعلمني حتى أمشي إليـه فإني اكـره ان ادعوه والحـاجـة لي ، قـال : صـاعـد ، فـذهبت حتى وقفت على الرجل ، فلما رآني عرفني وكنت اعـرفه وكـان يتشيع فسلم علي وقال : ابو الحسن قدم ؟ قلت : لا ، قـال : فأي شيء اقـدمك ؟ قلت : حـوائج ، وقد كان علم مكانه بساية فتبعني وجعلت أتقصى منه ويلحقني ، فلما رأيت أني لا اتفلت منـه مضيت الى مولاي ومضى معي حتى أتيتـه فقال لي : الم اقـل لـك لا تعلمـه ، فقلت : جعلت فـداك لم اعلمـه ، ثم قـال لـه الإمـام (ع) : اتبيعني غـلامك فـلان ؟ فقال لـه : جعلت فداك الغـلام والضيعة وجميـع مـا املك اقدمه لك ، فقال : اما الضيعة فلا أحب أن أسلبكها ، وقد حدثني أبي

عن جدي ان بائع الضيعة ممحوق ومشتريها مرزوق ، وأصر الرجل على تقديمها لـه وأخيراً اشترى منه الضيعة والغلام بألف دينار ، ثم اعتق العبد ووهب له الضيعة .

وجاء في مقاتل الطالبيين بسنده عن يحيى بن الحسن أنه قال : كان موسى بن جعفر اذا بلغه عن الرجل ما يكره بعث إليه بصرة دنانير وكانت صراره ما بين الثلاثمائة الى المائتين ، ويضرب بها المثل .

ويروي الرواة عنه ان رجلا من ولد عمر بن الخطاب كان بالمدينة يؤذيه ويشتم علياً (ع) فقال لـه بعض حاشيته : دعنا نقتله فنهاهم عن ذلك اشد النهي وزجرهم اشد الزجر ، وسأل عن العمري في بعض الأيام فقيل لـه : انه يزرع بناحية من نواحي المدينة ، فركب اليه في مزرعته فوجده فيها فدخل المزرعة بحماره ، فصاح بـه العمري : لا تطأ زرعنا فاستمر في طريقه حتى انتهى إليه فنزل وجلس عنده وجعل يضاحكه ، ثم قال لـه : كم غرمت في زرعك هذا ؟ قال : مائة دينار ، قال : فكم ترجو ان تصيب منه ؟ قال : انا لا نعلم الغيب ، فقال له الإمام : انما قلت لـك كم ترجو ان يجيئك منه ، قال : ارجو ان يجيئني مائتا دينار فأعطاه ثلاثمائة دينار ، وقال : هذا زرعك على حاله ، فقام العمري وقبل رأسه وانصرف فذهب الإمام الى المسجد فوجد العمري جالساً فلما نظر إليه قال : الله أعلم حيث يجعل رسالته ، فوثب اصحابه وقالوا له : ما قصتك لقد كنت تقول خلاف هذا فخاصمهم وشاتمهم وجعل يدعو لأبي الحسن موسى بن جعفر (ع) كلما دخل وخرج ، وقال ابو الحسن لحاشيته الذين ارادوا قتل العمري : ايما كان خيراً ما اردتم او ما اردت ان اصلح امره بهذا المقدار .

إلى غير ذلك من المرويات الكثيرة التي تعرضت لما كان يتمتع به من خلق رفيع وسخاء وصبر على الشدائد وزهد في الدنيا ومغرياتها .

لقد كانت حياة أئمة الشيعة (ع) للعلم والدين وخدمة الإنسانية

يستـرخصون كـل شيء في سبيل ذلـك غير ان الـظروف القـاسيـة التي تجـرعـوا مرارتها في جميع الادوار والمراحل التي مروا بهـا كانت تحـول بينهم وبين اهـدافهم في اكـثر الاحيان ، ولم يـذوقوا طعم الـراحة الا في فتـرات معـدودات استغلوهـا لخير الإسلام ونشر تعاليمه وأحكامه كما يشهد بذلك تاريخهم الطويل .

لقد مضى عهد وأقبـل آخر عـلى حساب العلويـين كما ذكـرنا في الفصـول السـابقة وكـانت بينهما حـروب وأحداث أحس فيهـا الإمامـان البـاقـر والصـادق بالانفراج واجتمع اليهما النـاس من هنا وهنـاك فكانت تلك الجـامعة التي انضم إليهـا أربعـة آلاف من العلماء وطـلاب العلم ، ومـا أن اطمـأن حكـام الـدولـة الجديدة عـلى مصيرهم حتى وقف خليفتهم الثـاني المنصور الـدوانيقي لها مـوقف الخصم العنيـد وحاول اكـثر من مرة ان يفتـك بـزعيمهـا الإمـام الصـادق (ع) ولكن ارادة الله سبحانه كانت تحول بينه وبين ذلك .

وبالرغم من رقابة المنصور على الإمـام الصادق (ع) ومـدرسته والتضييق عليه وعلى أصحابه فلقد تابـع رسالتـه حتى النفس الاخير من حيـاته ، ولما بلغه نبـأ وفاتـه طلب من واليه عـلى المـدينـة أن يقتـل خليفتـه ان كـان أوصى لأحـد بعينه ، ولما اخبره الوالي بـوصيته لخمسـة احدهم المنصـور جعل يتحـرى خليفته الشرعي ويعمل على تشتيت امر الشيعـة بكل مـا لديـه من الوسـائل كـما ذكرنـا من قبل فاحتجب الإمام حتى عن اصحابه وشيعته ولم يعـد بامكـانهم ان يتصلوا به الا متسترين في جوف الليل وفي ظروف خاصة .

في هـذا الجو المحفـوف بالمكـاره كـان أبـو الحسن مـوسى بن جعفـر (ع) يتـابع رسـالة آبـائـه في نشر العلم والحـديث والاخـلاق والـدفـاع عن الإسـلام وأحواله وروى عنه أصحابه آلاف الاحاديث في مختلف المواضيع .

ومع أن حياته بعد أبيه كانت تخضـع للرقابـة الشديـدة وفي ظل السجـون والمعتقـلات . فقـد روى عنـه المحـدثـون في مختلف أبـواب الفقـه وغيـره من المواضيع الاسلامية اكثر مما رووه عن غيـره ممن جاء بعـده من أئمة أهـل البيت

(ع) ولعل مرد ذلك إلى أنه قد ادرك شطراً من حياة أبيه وأخذ منه ما لم يتيسر لأحد غيره وأصبح معروفاً بين اصحابه وطلاب مدرسته فرجعوا إليه بعد وفاة أبيه ، عندما كانت الظروف تسمح لهم بذلك ولو في ظلام الليل .

وقد اشتهر من بين اصحابه ستة بالصدق والامانة وأجمع الرواة على تصديقهم فيما يروونه عن الأئمة (ع) ، واشتهر بين المحدثين ثمانية عشر رجلا من أصحاب الأئمة الثلاثة الباقر والصادق وموسى بن جعفر وهم أصحاب الاجماع ستة من أصحاب أبي جعفر ، وستة من أصحاب أبي عبد الله الصادق ، وستة من اصحاب أبي الحسن موسى بن جعفر ، وهم يونس بن عبد الرحمن ، وصفوان بن يحيى بياع السابري ، ومحمد بن عمير ، وعبد الله بن المغيرة ، والحسن بن محبوب السراد ، وأحمد بن محمد بن أبي نصر البزنطي .

وجاء في ترجمة يونس بن عبد الرحمن انه اخذ من الإمام موسى بن جعفر وكان من خلص اصحابه وصفوتهم وأدرك شطراً من حياة الإمام الرضا (ع) وقال فيه : يونس بن عبد الرحمن في زمانه كسلمان الفارسي في زمانه .

وقال الشيخ الطوسي في كتابه الفهرست : ان له ثلاثين كتاباً في مختلف المواضيع ، وكان كما جاء في ترجمته يزور في كل يوم اربعين رجلاً من اخوانه المؤمنين ثم يرجع إلى بيته لا يترك التأليف الا للصلاة والطعام وقضاء الحاجة وله مؤلفات في علم الكلام وآراء تدل على سعة علمه وقوة تفكيره كما نص على ذلك الكشي والمرزا محمد في اتقان المقال والقمي في الكنى والالقاب . كما جاء في ترجمة محمد بن ابي عمير انه كان من اصحاب الامامين موسى بن جعفر وولده الرضا (ع) وقد اخذ عنهما الحديث والفقه وألف فيهما اخذه عنهما في الفقه وغيره .

وروى عنه احمد بن محمد بن عيسى القمي كتب عن مائة رجل من اصحاب الصادق (ع) وقال عنه الجاحظ : انه كان أوثق الناس عند الخاصة

والعامة وأعبدهم وأوحد أهل زمانه في الأشياء كلها .

وجاء في رواية الفضل بن شاذان أنه قال : دخلت العراق فرأيت رجلا يعاتب صاحبه ويقول له : انت رجل عليك دين ولك عيال وتحتاج ان تكتسب لأجلهم ولا آمن عليك ان تذهب عيناك لطول سجودك ، فرد عليه بقوله : لقد اكثرت علي ويحك لو ذهبت عينا احد من السجود لذهبت عين ابن ابي عمير فلقد كان أطول الناس سجوداً .

وحبسه الرشيد لأنه كان وثيق الصلة بالامامين الكاظم والرضا (ع) وقد امتنع أن يخبره عن أصحاب الإمام وخواصه وهو بهم عارف وخبير ، وبقي حبسه مدة من الزمن ، ولما ضاق به أمره دفع الى امير الحبس السندي ابن شاهك مائة وعشرين ألف درهم فأخرجه من السجن وكان كما جاء في ترجمته خاف ان تصادر اجهزة الرشيد كتبه التي ألفها من أحاديث الأئمة فدفنها في التراب في زاوية من داره ، ولما خرج من الحبس وجدها بالية ، فأصبح بعد ذلك يعتمد احيانا فيما يحدث به على ذاكرته بدون ذكر السند ، وقد أخذ الفقهاء بمراسيله واعتمدوا عليها لعلمهم بوثاقته وسبب الارسال في مروياته ، وشاع عن جماعة من المحدثين أن مراسيل ابن عمير كمسانيد غيره من الثقات .

ومن الستة اصحاب الاجماع صفوان بن يحيى بياع السابري ، وكان من تلامذة الامام أبي الحسن موسى بن جعفر (ع) ولازم بعد وفاته الامامين الرضا والجواد ، وروى كما في ترجمته عن أربعين من تلامذة الإمام الصادق وألف من آثار الأئمة اكثر من ثلاثين كتاباً كما نص على ذلك الكشي والطوسي وابن النديم وغيرهم من المؤلفين في احوال الرواة .

ومنهم عبد الله بن المغيرة البجلي ، وقد أكد المؤلفون في أحوال الرواة وثاقته وأضافوا الى ذلك أنه ممن أجمع الاصحاب على صحة مروياته عن الإمام أبي الحسن الأول موسى بن جعفر وغيره وترك مجموعة من المؤلفات في مختلف المواضيع .

ومن الستة اصحاب الاجماع احمد بن محمد بن عمرو المعروف بالبزنطي والحسن بن محبوب السراد وهما من ثقات أصحاب الامامين موسى بن جعفر وولده الرضا (ع) وقد أدركا محمد الجواد ورويا عنه في الفقه وغيره ، ونص المؤلفون في أحوال الرواة على أن الأصحاب قد أجمعوا على الأخذ بمروياتهما . هؤلاء الستة وستة من أصحاب الباقر وستة من أصحاب أبي عبد الله جعفر بن محمد الصادق قد أجمع المحدثون على تصديقهم والاخذ بمروياتهم ، وهذا ما تعنيه تسميتهم بأصحاب الاجماع .

وقد اشتهر من بين تلامذة الإمام الكاظم (ع) جماعة غير هؤلاء الستة ، ولكنهم لم يبلغوا مرتبة هؤلاء على ما يبدو من المؤلفات في احوال الرجال ، منهم صفوان بن مهران الجمال وقد روى عن الإمام الصادق ولازم بعده الإمام موسى بن جعفر وأخذ عنه الفقه والحديث وألف فيهما كما نسب إليه ذلك الكشي والطوسي وابن النديم وغيرهم .

وقال له الإمام الكاظم : يا صفوان كل شيء منك حسن جميل ما خلا شيئاً واحداً ، فقال : جعلت فداك أي شيء هو؟ قال : اكراك جمالك لهارون الرشيد ، فقال : والله ما اكريته أشراً ولا بطراً ولا لصيد أو لهو ، ولكني أكريته لطريق مكة ولا اتولاها بنفسي ، وإنما ابعث معها غلماني ، فقال لي : يا صفوان ألست تحب بقاءهم إلى أن يخرج كراك منهم ؟ قلت : نعم يا ابن رسول الله ، قال : فمن احب بقاءهم فهو منهم ، ومن كان منهم فقد ورد النار .

وروى معمر بن خلاد ان ابا الحسن موسى قال : والله ما ذئبان ضاريان في غنم غاب عنها رعاتها بأضر في دين المسلم من حب الرياسة ولكن صفوان لا يحب الرياسة .

ومنهم عبد الرحمن البجلي الكوفي وكان قد روى عن الإمامين الصادق وولده ابي الحسن موسى وقد بشره الإمام موسى بن جعفر بالجنة كما روى

الكشي في رجاله وكان واسع الافق قوي الحجة ومحيطا بعلوم عصره ، وقال له الإمام (ع) : كلم أهل المدينة فاني أحب ان يرى الناس في رجال الشيعة مثلك .

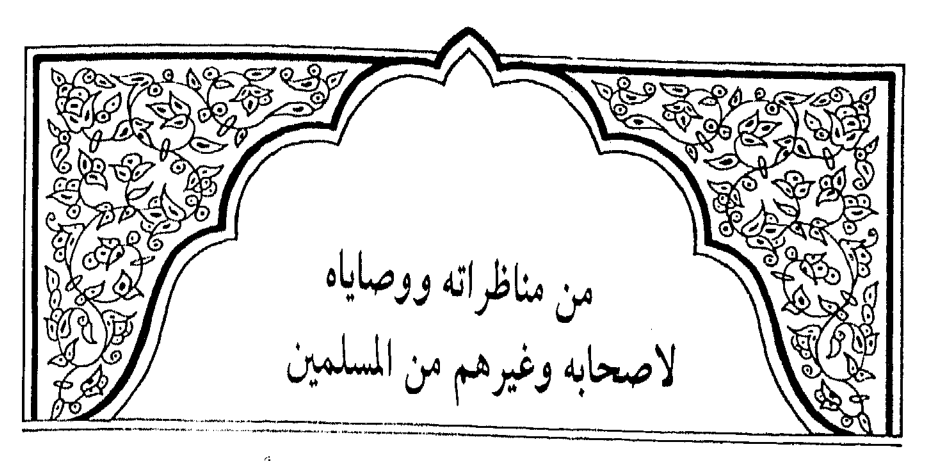
ومنهم اسحاق بن عمار الكوفي الصيرفي ، وكان من شيوخ تلامذة الامامين الصادق والكاظم ومن الذين جمعوا احاديثهما في مختلف المواضيع ، وقد وثقه العلامة في خلاصته وغيره ممن كتبوا في احوال الرواة وقالوا : بأنه ممن ساهم في تأليف الكتب المعروفة بالاصول الاربعمائة ، وأضافوا الى ذلك أن الإمام الصادق (ع) قال له : يا اسحاق خف الله كأنك تراه وان شككت في أنه يراك فقد كفرت ، وان تيقنت انه يراك ثم برزت له في المعصية فقد جعلته من أهون الناظرين اليك .

ومن الذين اخذوا عن الإمام موسى بن جعفر اسماعيل بن موسى ، فلقد أخذ عن ابيه وعن أصحاب جده الإمام الصادق ، وكان قد هاجر الى مصر وأقام فيها وألف في الفقه كتباً كثيرة مما اخذه من أبيه وتلقاه من المرويات عن اجداده كما نص على ذلك الطوسي في الفهرست والنجاشي في رجاله .

وممن رحلوا الى مصر من اولاد الائمة ورواة احاديثهم اسحاق بن جعفر الصادق (ع) المعروف باسحاق المؤتمن ، وهو والإمام موسى بن جعفر ومحمد وفاطمة الكبرى من حميدة البربرية ، وكان كما يصفه المؤلفون في احوال الرواة من أهل الفضل والاجتهاد والورع والصلاح يروي الحديث عن أبيه وأخيه وروى عنه الكثير من الناس وقد روى النص على امامة اخيه موسى بن جعفر ولم يتردد في امامته ، وكان ابن كاسب يعقوب بن حميد المدني اذا حدث عن اسحاق يقول : حدثني الثقة الرضا اسحاق بن جعفر ، كما كان سفيان بن عيينة استاذ الشافعي يصفه بذلك . وقد تزوج من السيدة نفيسة بنت الحسن الأنور بن زيد بن الحسن السبط (ع) صاحبة المقام المعروف في مصر والكرامات المشهورة بين المصريين الى يومنا هذا ، وكانت بالاضافة الى ذلك

من الـراويات لأحاديث النبي والأئمـة (ع) ، ولمـا دخـل الشـافعي الى مصر سمع منها وأخـذ عنها كـما جاء في روايـة ابن خلكان . وعـد المؤلفون في احـوال الـرواة من ثقات اصحـابـه الحسن بن عـلي بن خصـال وداود الـرقي وعـلي بن جعفر الصادق وعبد السلام بن صالح الحصروي واسماعيـل بن مهران ومـوسى بن بكير الواسطي وغيرهم ممن لا يسعنا احصاؤهم .

وجـاء عن أحمد بن حنبـل انه كـان اذا روى عنه يقـول : حـدثني مـوسى ابن جعفـر عن ابيـه جعفـر عن ابيـه محمـد عن ابيه عـلي بن الحسـين عن ابيـه الحسـين عن علي بن ابي طـالب عن رسول الله ، ثم يعقب عـلى ذلك بقـولـه : ان هذا السند لو قرىء على مجنون لأفاق ببركته .



من مناظراته ووصاياه لاصحابه وغيرهم من المسلمين

فقد جاء عن يعقوب بن جعفر الجعفري ان قوماً زعموا ان الله تبارك وتعالى ينزل إلى السماء الدنيا ، فقال ابو ابراهيم موسى بن جعفر : ان الله لا ينزل ولا يحتاج ان ينزل ، لم يبعد منه بعيد ، ولم يقرب منه قريب ، ويحتاج إليه كل شيء ، وهو ذو الطول لا إله إلا هو العزيز الحكيم ، أما قول الواصفين له بأنه ينزل تبارك وتعالى عن ذلك علوا كبيراً ، فانما يقول ذلك من ينسبه الى نقص أو زيادة وكل متحرك يحتاج إلى من يحركه او يتحرك به فمن ظن بالله الظنون فقد هلك فاحذروا في صفاته من ان تقفوا له على حد تحدونه بنقص او زيادة أو تحريك أو تحرك او زوال او استنزال ، او نهوض او قعود فان الله سبحانه عز وجل عن صفة الواصفين ونعت الناعتين وتوهم المتوهمين .

وعنه أيضاً انه سأله رجل يقال له عبد الغفار عن قوله تعالى :﴿**ثم دنا فتدلى فكان قاب قوسين أو أدنى**﴾وقال : أرى ههنا خروجاً من حجب وتدلياً الى الأرض ، وأرى محمدا رأى ربه بقلبه ونسب الى بصره فكيف هذا ؟ فقال ابو ابراهيم : دنا فتدلى فانه لم يزل عن موضع ولم يتدل ببدن ، فقال عبد الغفار : اصفه بما وصف به نفسه حيث قال : دنا فتدلى ، فلم يتدل عن مجلسه الا وقد زال عنه ولولا ذلك لَمْ يصف بذلك نفسه ، فقال ابو

ابـراهيم : ان هذه لغـة في قـريش اذا اراد رجـل منهم ان يقـول قـد سمعت ، يقول قد تدليت وانما التدلي هو الفهم .

وروى داود بن قبيصة عن الإمام الرضـــا (ع) أنـه قال : سـأل رجل أبي : هـل منع الله عـما امر بـه ، وهـل نهى عـما اراد ، وهـل اعـان عـلى مـا لم يـرد ؟ فقال : امـا قولـك هل منـع عما امـر به فـلا يجوز ذلـك عليه ، ولـو جاز ذلك لكان قد منع ابليس عن السجـود لآدم ، ولو منعـه لعذره ولم يلعنـه ، وأما قولك هل نهى عما اراد ، فـلا يجوز ذلـك ، ولو جـاز ذلك لكـان حيث نهى آدم عن اكل الشجرة اراد منـه اكلها ، ولـو اراد منه اكلهـا ، لما نـادى عليه صبيـان الكتـاتيب ، وعصى آدم ربه فغـوى ، والله تعـالى لا يجـوز عليـه ان يـأمـر بشيء ويريد غيره .

وأما قولك : هل أعان على ما لم يرد ، فلا يجوز ذلـك عليه ، وتعـالى الله عن أن يعـين على قتـل الأنبياء وتكفيـرهم وقتل الحسـين بن عـلي والفضـلاء من ولده ، وكيـف يعين على ما لم يرد وقد اعـد جهنم لمخالفيـه ولعنهم على تكذيبهم لـطاعته وارتكـابهم لمخالفتـه ، ولو جـاز ان يعين عـلى ما لم يـرد ، لكـان اعـان فـرعون عـلى كفره وادعـائه أنـه رب العالمين ، أفترى أنـه اراد من فـرعـون ان يدعي الربوبية ؟ ومضى الإمام يقول : يستتـاب قائـل هذا القـول فان تـاب من كذبه على الله والا ضربت عنقه .

وروى الـــرواة عن الحسن بن عـلي بن محمـــد العسكـري (ع) انــا ابـا الحسن مــوسى بن جعفـر (ع) قــال : ان الله خلق الخلق فعلم مـا هم اليــه صائرون فأمرهم ونهاهم ، فما أمر به من شيء فقد جعـل لهم السبيل الى الاخـذ بــه ومــا نهاهــم عـنــه مـن شيء فـقــد جـعـــل لهـم الـسـبيـــل الى تــركــه ولا يكـونون آخـذين ولا تاركـين الا باذنـه ، وما جبـر الله احداً من خلقـه عـلى معصيته بل اختبرهم بالبلوى ، كما قال : ﴿ليبلوكم أيكم أحسن عملاً﴾ .

ومن وصيته لبعض ولده كـما جاء في تحف العقـول انه قـال : يا بني ايـاك

ان يـراك الله في معصية نهاك عنهـا واياك ان يفقـدك عنـد طـاعـة امـرك بهـا ولا تخرجن نفسك من التقصير في عبادة الله وطـاعته فـإن الله لا يعبد حق عبـادته ، وايـاك والمزاح فـإنه يـذهب بنور ايمـانك ويستخف مـروءتك ، وايـاك والضجـر والكسل فانهما يمنعان حظك من الدنيا والآخرة .

وجاء في وصيته لهشـام بن الحكم : يا هشـام لو كـان في يدك جـوزة وقال النـاس في يدك لؤلؤة مـا كان ينفعـك وأنت تعلم انها جوزة ، ولـو كان في يـدك لؤلؤة وقال الناس انها جوزة ما ضرك وأنت تعلم انها لؤلؤة ؟

يـا هشام مـا من عبد الا وملك آخـذ بناصيتـه فلا يتـواضع الا رفعـه الله ولا يتعـاظم إلا وضعـه الله ، ان كـان لا يغنيـك مـا يكفيـك فليس شيء من الـدنيا يغنيـك . ان العاقـل لا يحدث من يخـاف تكـذيبـه ولا يسـأل من يخـاف منعه ، ولا يعد بما لا يقدر عليه ولا يرجو ما يعنف برجائه ، ولا يتقدم على ما يخاف العجز منـه ، الغضب مفتاح الشر وأكمـل المؤمنين ايمـاناً أحسنهم خلقـاً ، وان خـالطت النـاس فان استـطعت ان لا تخالط احـدا منهم الا من كانت يـدك العليا عليه فافعل .

يـا هشام عليـك بالـرفق فان الـرفق يمن والخرق شؤم ، وان الـرفق والبـر وحسن الخلق يعمـر الـديـار ويـزيـد في الـرزق ، ان قـول الله : ﴿ **هـل جـزاء الاحسان الا الاحسان** ﴾ يجري في المؤمن والكافر والبر والفـاجر ، من صنـع اليـك المعروف فعليـك ان تكافئـه ، وليست المكافـأة ان تصنـع كـما صنـع حتى يكون لك الفضل ، فان صنعت كما صنع فان الفضل له بالابتداء .

يـا هشام ليس حقـا من لم يحـاسب نفسـه في كـل يـوم فـان عمـل حسنـاً استزاد منه وان عمل سيئاً استغفر الله منه وتـاب اليه ، وإياك ومخـالطة النـاس والانس بهم الا ان تجـد منهم عاقـلاً ومأمـونـاً فـأنس بـه واهـرب من سـائـرهـم كهربك من السباع الضارية ، وعليك باليأس مما في ايدي النـاس وأمت الطمـع من المخلوقـين فان الـطمع مفتـاح الذل واختـلاس العقـل واختـلاف المـروءات

وتدنيس العرض وجاهد نفسك لتردها عن هواها فانه واجب عليك كجهاد عدوك ، من أكرمه الله بثلاث فقد لطف به : عقل يكفيه مؤونة هواه ، وعلم يكفيه مؤونة جهله ، وغنى يكفيه مخافة الفقر .



من حكمه وكلماته القصار

اياك ان تمنع في طاعة الله فتنفق مثليه في معصية الله ، المؤمن مثل كفتي ميزان كلما زيد في ايمانه زيد في بلائه ، ليس حسن الجوار كف الاذى ولكن حسن الجوار الصبر على الاذى ، لا تحدثوا انفسكم بفقر ولا بطول عمر فان من حدث نفسه بالفقر يبخل ومن حدثها بطول العمر يحرص ، اجعلوا لانفسكم حظا من الدنيا باعطائها ما تشتهي من الحلال وما لا يثلم المروءة وما لا سرف فيه واستعينوا بذلك على امور الدين فليس منا من ترك دنياه لدينه او ترك دينه لدنياه . وفضل الفقيه على العابد كفضل الشمس على الكواكب ، وقال لعلي بن يقطين : كفارة عمل السلطان الاحسان الى الاخوان ، وكلما احدث الناس من الذنوب ما لم يكونوا يعملون احدث الله لهم من البلاء ما لم يكونوا يعدون .

وقال (ع) : ينادي مناد يوم القيامة الا من كان له على الله أجر فليقم فلا يقوم إلا من عفا وأصلح فأجره على الله ، وقال: السخي الحسن الخلق في كنف الله لا يتخلى الله عنه حتى يدخله الجنة ، وما زال أبي يوصيني بالسخاء وحسن الخلق حتى مضى .



الإمام مع حكام عصره

لقد ادرك الإمام موسى بن جعفر (ع) من حياة ابيه عشرين عاما ، شاهد في الشطر الاخير منها موقف اولئك الحكام الذين كانوا يتباكون بالامس على ما حل ببني عمومتهم آل علي (ع) من ظلم واضطهاد وقتل وتشريد ، شاهد موقفهم مع ابيه الذي كان منصرفاً عن الخلافة والسياسة الى الدفاع عن الإسلام ونشر تعاليمه ، ومع العلويين الذين لم يطيقوا الصبر على الظلم والطغيان فكانوا يخرجون بين الحين والآخر فراراً بدمائهم ودفاعا عن المعذبين والمستضعفين وتجرع مرارة تلك الاحداث القاسية التي قضت على الكثيرين منهم ، ورأى أباه وهو يتعرض لتحديات المنصور وتهديده له بالقتل تارة والحبس اخرى وقد سخر اجهزته لمراقبته في جميع حالاته ، حتى اضطره لأن يتستر بالنص عليه حتى عن عامة الشيعة ولم يرشد إليه الا فئة من خلص اصحابه وأوصاهم بالتكتم والحذر من عيون المنصور وزبانيته المنتشرين هنا وهناك . لقد استقبل امامته التي استمرت خمسة وثلاثين عاما في هذا الجو المشحون بالحقد والكراهية لاهل البيت ، فلزم جانب الحذر واعتصم بالكتمان الا عن الخاصة الذين يقدرون حراجة الموقف ويعرفون كيف يدعون اليه كما تشير الى ذلك رواية هشام بن سالم التي ذكرناها في الفصول السابقة .

ويبدو من المرويات التي تعرضت لتاريخه ، انه بقي طيلة حياته يتقي شر

العباسيين ولا يسمح حتى لشيعته وتلامذته من الاتصال به بالشكل الذي اعتادوه في عهد أبيه ، وحتى ان رواة أحاديثه قلما كانوا يروون عنه باسمه الصريح ، بل بكنيته تارة فيقول الراوي : سمعت ابا ابراهيم ، او ابا الحسن ، وبألقابه اخرى ، كالعبد الصالح والعالم والسيد ونحو ذلك ، وأحياناً بما يشير اليه فيقول : حدثني الرجل وسمعت الرجل وكتبت اليه ونحو ذلك مما يدل على ان الحكام الذين عاصرهم كانوا يراقبونه بدقة ويحصون عليه وعلى اصحابه انفاسهم ، وكان هو بدوره يؤكد على اصحابه وخاصته ان يستعملوا التقية حتى في امور دينهم وعباداتهم كي لا يتعرضوا للخطر والانتقام من حكام زمانه .

فقد جاء في رواية عبد الله بن ادريس عن ابن سنان انه قال : حمل الرشيد في بعض الأيام على علي بن يقطين ثيابا اكرمه بها ، وكان علي بن يقطين من خيرة اصحاب ابي الحسن موسى بن جعفر وأجلائهم ويتولى مركزا كبيرا في دولتهم بأمر الامام وهم لا يعرفون مذهبه وميوله ، وكان اذا اهدى اليه الرشيد هدية من ثياب وغيرها قدمها الى الامام (ع) ، ومن جملة الثياب التي اهداها اليه الرشيد دراعة خز سوداء من لباس الملوك مطرزة بالذهب ، فأنفذ ابن يقطين جل تلك الثياب الى الإمام (ع) ومن جملتها الدراعة ومبلغ من المال ، فلما وصل ذلك الى الإمام (ع) قبل المال ورد الدراعة على يد الرسول لعلي بن يقطين ، وكتب اليه : احتفظ بها ولا تخرجها من يدك فسيكون لك بها شأن يحتاج إليها معه ، فارتاب بردها عليه ولم يدر السبب في ذلك .

وبعد أيام تغير على غلام له كان يتولى خدمته ويعرف ميوله الى أبي الحسن وما كان يحمله إليه من الأموال والهدايا فسعى به الغلام الى الرشيد وأخبره بأنه يقول بامامته ويحمل اليه خمس ماله في كل سنة وقد أرسل اليه فيما ارسله الدراعة التي اكرمته بها ، فاستشاط الرشيد غضبا وقال : لأكشفن هذا الأمر فان صح عليه ذلك ازهقت نفسه ، واستدعاه اليه في الحال ، فلما مثل

بين يديه قال له : ما فعلت بالدراعة التي كسوتك بها ؟ فقال : يا امير المؤمنين هي عندي في سفط مختوم فيه طيب قد احتفظت بها وكلما اصبحت فتحت السفط ونظرت اليها تبركاً بها وقبلتها ثم رددتها الى موضعها ، فقال له الرشيد : عليك ان تحضرها الساعة ، فاستدعى بعض خدمه وقال له : امض الى البيت الفلاني في داري وخذ مفتاحه من خازني وافتحه ، ثم افتح الصندوق وجئني بالسفط الذي فيه بختمي فلم يلبث الغلام ان جاء بالسفط مختوماً فوضعه بين يدي الرشيد ففتحه ووجد الدراعة فيه بحالها مدفونة بالطيب فسكن غضب الرشيد وقال له : ردها الى مكانها ، وانصرف راشدا فلن اصدق عليك بعد اليوم ساعياً وأمر بضرب الساعي الف سوط فمات تحت السياط .

وجاء في رواية ثانية عن محمد بن الفضل انه قال : اختلفت الرواية بين اصحابنا في مسح الرجلين أهو من الاصابع الى الكعبين ، أم من الكعبين الى الاصابع ، فكتب علي بن يقطين الى الإمام (ع) يستفتيه في ذلك فرجع الجواب من الإمام يأمره فيه بغسل الرجلين في الوضوء بدلا من مسحهما ، فتعجب من ذلك لأنه خلاف ما يعهده من مذهب أهل البيت ولكنه التزم بما أمره به في وضوئه وبعد ذلك بأيام وشى احد اخصامه به الى الرشيد وقال له : انه رافضي يخالفك في المذهب ويقول بإمامة موسى بن جعفر ،فقال لبعض خاصته : لقد كثر القول في علي بن يقطين وميله الى الرفض ولست ارى في خدمته تقصيرا وقد امتحنته مراراً فلم اقف منه على شيء ، فقيل له : ان الرافضة تخالف الجماعة في الوضوء فتخففه ولا ترى غسل الرجلين فامتحنه من حيث لا يعلم بالوقوف على وضوئه ، فاستحسن الرشيد هذا الرأي وتركه مدة ثم كلفه بعمل معه في داره ، وكان اذا اشتغل في الدار يخلو الى حجرة فيه لوضوئه وصلاته ، فلما دخل وقت الصلاة ووقف الرشيد يترصده كيف يتوضأ بحيث لا يراه احد فتمضمض ثلاثا واستنشق ثلاثا وغسل وجهه وخلل شعر لحيته ثم غسل يديه الى المرفقين ومسح رأسه وأذنيه وغسل رجليه

ثلاثاً كما امره الإمـام (ع) في كتابـه اليه ، هـذا والرشيـد ينظر إليـه ، فلما رآه قد فعل ذلك لم يملك نفسه حتى اشـرف عليه ونـاداه : كذب يـا علي بن يقـطين من زعم انك من الرافضة . وبعد ذلك كتب اليه الامـام يأمـره بأن يعـود الى ما كان عليه في وضوئه وأن يمسح مقدم رأسـه وظاهـر قدميـه الى الكعبين كـما عليه مذهب أهل البيت (ع) .

الى غير ذلك من المـرويات الكثيـرة التي تؤكد أن الإمـام موسى بن جعفـر (ع) بعد أبيه كان تحت رقابة الحكام هو وأصحابه وقد اتخذ كافـة الاحتياطـات حتى لا يتعـرض هو وشيعتـه للقتل او الحبس أو التشريد ومـع ذلك فقـد تعرض العشـرات من شيعتـه وأصحـابـه للقتـل والتشـريـد وكـانت نهايتـه عـلى أيـدي الجـلادين من جلاوزتهم بعـد أن بقي في سجونهم اكـثر من احد عشر عـاما كـما سنتعرض لذلك في ختام هذا الفصل من فصول حياته .

ويبـدو من تتبع المـراحل التي مـر بها انـه في السنوات العشر التي قضـاهـا بعـد وفاة ابيـه الإمـام الصـادق (ع) في عهـد المنصـور الـدوانيقي لم يلتق فيهـا بـالمنصور ولا استـدعاه الى بغـداد كما كـان يستدعي ابـاه ويتهدده بـالقتل ، ولا تعرض في عهده للحبس كما تعرض في عهد ولده محمـد المهدي وحفيـده هارون الرشيد ، في حين انه كان اخبث منهما نفساً كما تؤكـد سيرتـه مع الإمـام الصادق والعلويـين ، ولـما تلقى نبـأ وفـاة الصـادق (ع) كتب إلى عـامله عـلى المـدينـة محمـد بن سليمان يـأمره بقتـل من اوصى إليه ، وأصيب بـالخيبـة حينـما كتب لـه الـوالي بأنـه اوصى الى خمسة احـدهم المنصور ، فقـال : ليس الى قتـل هؤلاء من سبيل كما ذكرنا .

ومن أكثر الأمور دلالة على سوء سريـرته وحقـده على البيت العلوي وكـل من يتصل به بالولاء حديث الخزانة التي سلم مفاتيحهـا الى ريطة زوجـة المهدي وأوصاها بأن لا تفتحها الا بعـد وفاتـه وبحضور خليفتـه ، وفي الخزينـة اكثر من مـائة قتيـل من العلويين والى جـانب كل قتيـل رقعـة بـاسمـه ونسبـه ، ولم تكن

تعلم بـذلـك لا هي ولا زوجهـا ولا أحـد من النـاس ، وظنت وهـو يـوصيهـا ويؤكد عليها بالكتمان وعـدم فتحها إلا بعـد وفاتـه ، ظنت ان فيها من الأمـوال والمجوهرات والتحف ما لا يمكن تقديره بثمن معين .

ولم أجد تفسيرا لـلاحتفاظ بتلك الجثث الـزواكي وتسليمها الى خليفتـه في السـاعات الاوائـل من استيـلائـه عـلى السلطة ، الا انـه اراد ان يشجعـه عـلى اختيار اسلوب العنف والقسوة على العلويين وكل من يشكل بنـظرهم خطرا عـلى عروشهـم ووجودهم .

ولعل من ابرز الاسبـاب التي قضت على المنصـور باتخـاذ هذا المـوقف منه ان الإمـام ابا ابـراهيم (ع) كان يقـدر تلك الظروف القـاسية التي كـانت تحيط به فاعتصم في بيتـه وانكمش حتى عن شيعته وأصحـابه ولم يـظهر الا للخـواص منهم في ضمن حدود معينة ، وكانوا كـما ذكرنـا من قبل اذا اطمـأنوا الى شخص وأدخلوه عليه يوصيـه بالكتمـان الشديـد ويحذره من عـواقب الاعلان عنـه ، مما يـوحي بأن المنصـور في تلك الفترة كـان يتحراه بكـل وسائله ومن الجـائـز ان لا يهتدي إليه وان لا يعـرف بمكانـه في تلك السهولـة ، وحتى لو عـرفه وأيقن بـأنه الخليفـة الشرعي لأبيـه ، فما دام معتـزلا الناس ومنقـطعا عنهم فـلا يضره ذلـك ولا يراه خطرا عـلى عرشـه ، لا سيما وان الكثـير ممن كانـوا حول أبيـه قد رجـع بعضهم إلى اخيـه الافـطح عبـد الله ، وبعضهـم الى اخيـه اسمـاعيـل وحصـل ارتبـاك بين الشيعـة في تلك الفترة مـزق وحدتهم وفـرق جماعتهم وفتـح المنصور لتلك الفـرق والجماعـات التائهـة صدره وقلبـه ، وثمة ظـاهرة اخـرى بـدت في سيـاسة المنصـور يوم ذاك ، فقـد اتجه الى العلماء المعـاصرين لـلامامـين الصادق والكـاظم (ع) فمدهم بـالمال ورفـع من شأنهم وتـظاهـر بتكـريمهم وحـاول ان يفرضهم على الناس ليصرف الانظار عن العلويين وفقههم وآثـارهـم، وقال يـوماً لبعض جلسـائه : لقـد بلغت من لذة الـدنيـا الحـد الاقصى ولم يبق في نفسي الا ان اجلس انا والعلماء في مجلس واحد .

لقد كان يقربهم ويدنيهم ويغدق عليهم الهبات والاموال ليحدثوا بعدله وفضله وشرعية خلافته وأنه وآله ورثة الرسول والاقربون إليه ، ووجد من العلماء من يتجاوب معه ويكيل له ولاسرته المدح والثناء كمالك بن انس وأمثاله ، وفي مقابل ذلك حاول ان يفرض موطأ مالك على الناس بالسيف وجعل له السلطة في الحجاز على الولاة وجميع موظفي الدولة فازدحم الناس على بابه وتهيبه الولاة والحكام وحينما وفد الشافعي عليه تشفع بالوالي لكي يسهل له أمر الدخول عليه ، فقال له الوالي : ان امشي من المدينة الى مكة حافياً راجلاً اهون علي من المشي الى باب مالك ، ولست ارى الذل حتى اقف عل باب داره كما جاء في المجلد الثالث من الامام الصادق والمذاهب الأربعة عن معجم الادباء .

هذه الظاهرة من المنصور لم تكن للعلم ولا للدين بلا شك في ذلك ، بل كانت منه تحسبا من ظهور الخليفة الشرعي للإمام الصادق الذي كان يتحراه منذ اللحظات الاولى لوفاة ابيه ، وهو لا يشك بأنه اذا ظهر للناس سيكون حديثهم في كل مكان وسيلتف حوله العلماء وطلاب العلم وتلامذة ابيه من جميع الاقطار ، وهذا ما لا يطيقه المنصور لاحد من العلويين ما دام يرى فيه خطرا على ملكه وزعامة بيته ، ومن غير المعقول في ميازين السياسيين وعشاق الحكم ، وهم يظنون بأن ذلك يشكل خطرا على عروشهم ان يتغاضوا عنه ، ولا يضعوا في طريقه كل هذه الصعاب والعقبات . ومجمل القول ان الإمام موسى بن جعفر (ع) كان منكمشاً في السنين الاولى من امامته حتى عن شيعته وأصحابه وقد حاربه المنصور بهذه الاساليب مكتفيا بها عن حبسه والتنكيل به ، وحينما اشتهر امره ، ورجع اليه اكثر المنحرفين عنه والتف حوله العلماء والرواة وأصبح حديث العدو والصديق في عهد المهدي العباسي استدعاه الى بغداد اكثر من مرة بقصد التنكيل به ولكن ارادة الله كانت تحول بينه وبين ما يريد .

وجاء في تذكرة الخواص لابن الجوزي : ان اهل السير قالوا : لقد كان

مقام موسى بن جعفر بالمدينة فاستدعاه المهدي الى بغداد وحبسه بها ثم رده الى المدينة لطيف رآه ، ومضى يقول : روى الخطيب في تاريخ بغداد عن الفضل بن الربيع عن أبيه أنه قال : لما حبس المهدي موسى بن جعفر رأى في بعض الليالي علي بن أبي طالب في نومه فقال له : يا محمد فهل عسيتم ان توليتم ان تفسدوا في الأرض وتقطعوا ارحامكم ، قال الربيع : فأرسل الي المهدي ليلا فراعني ذلك مجيئه واذا هو يقرأ الآية وكان احسن الناس صوتا ، فقال لي : علي بموسى بن جعفر ، فلما جئته به قام اليه وعانقه وأجلسه الى جانبه وقال : يا ابا الحسن رأيت الساعة أمير المؤمنين وهو يقرأ علي هذه الآية افتؤمنني ان لا تخرج علي ولا على احد من ولدي ، فقال : والله ما فعلت ذلك ابدا ولا هو من شيمتي ، فقال : صدقت ، ثم قال : يا ربيع اعطه ثلاثة آلاف دينار ورده الى اهله ، قال الربيع : فأحكمت امره ليلا فما اصبح الا وهو في الطريق الى المدينة مخافة العوائق .

ومما يدل على ان المهدي العباسي قد استدعى الإمام (ع) الى بغداد اكثر من مرة رواية الكليني في الكافي عن احمد بن محمد وعلي بن ابراهيم بسندهما الى ابي خالد الزبالي انه قال : لما اقدم بأبي الحسن موسى بن جعفر على المهدي القدمة الاولى نزل زبالة وكنت احدثه فرآني مغموما فقال لي : يا ابا خالد مالي اراك مغموماً ؟ فقلت : وكيف لا اغم وأنت تحمل الى هذا الطاغية ولا ادري ما يحدث فيك ، فقال : ليس علي بأس اذا كان شهر كذا ويوم كذا فوافني في اول الميل ، فما كان لي هم الا احصاء الشهور والايام حتى كان ذلك اليوم فوافيت الميل فما زلت عنده حتى كادت الشمس ان تغيب ووسوس الشيطان في صدري وتخوفت ان اشك فيما قال فبينا أنا كذلك اذ نظرت الى سواد قد أقبل من ناحية العراق فاستقبلتهم فإذا ابو الحسن (ع) امام القطار على بغلة ، فقال : يا ابا خالد ، قلت : لبيك يا ابن رسول الله ، فقال : لا تشكن ود الشيطان انك شككت ، فقلت : الحمد لله الذي خلصك منهم ، فقال : ان لي عودة إليهم لا اتخلص منها .

وجـاء في بعض المـرويـات ان المهـدي العبـاسي قـد عـرض عـلى الإمـام موسى بن جعفر ان يرد عليه فدكاً فرفض قبولها ، ولما ألـح عليه المهـدي قال لا أقبلهـا الا بحدودهـا ، قال : ومـا حدودهـا ؟ قال : الحـد الأول عدن ، فتغـير وجهه ، والحد الثـاني سمرقنـد فاربـد وجهه ، والحـد الثالث افـريقية ، فقال له المهدي : والحد الرابع ، قال : سيف البحر ما يلي الخـزر وارمينية ، فقـال له : لم يبق شيء ، فتحول الى مجلسي ، فـرد عليه الإمـام بقولـه : لقد اعلمتـك بأني ان حددتها لم تردها .

وفي روايـة الزمخشـري في ربيع الأبـرار ان هذا الحـوار كـان بـين هـارون الـرشيد وبـين الإمـام مـوسى بن جعفر ولا منـافاة في ذلـك لجواز ان يتكـرر مع الاثنين .

وبقي الإمـام الكـاظم طيلة حكم المهـدي وولـده الهـادي تحت الـرقـابـة الشديدة وقد استدعاه محمد المهدي الى بغداد اكثر من مرة وهو حاقـد عليه وقـد حبسـه وأطلقه من سجنـه لرؤيـا رآها كـما ذكرنـا ، ولم اجد فيـما بـين يـدي من المراجع مـا يشير الى ان ولـده موسى الهـادي قد اسـاء الى الامام أو استـدعاه الى بغـداد مع أنـه كان معـروفاً بـالشدة والقسـوة ، ولعل المـدة القصيـرة التي حكم فيها لم تسمح له بممارسة اسلوب جده وأبيه ولو طـال به العهـد لسـار عـلى دربهما ولم ينحرف عنها لحظة ابدا .

اما السنين التي قضاها الإمـام (ع) في عهد الـرشيد فكـانت اسوأ مـا مر عليه في حياته فلقد سخـر اجهزتـه لمراقبتـه واستدعـاه الى بغداد أكـثر من مرة في مطلع خلافته وهو حاقد عليه وكان يضعه في سجنه ثم يأمر بـإخراجـه بعد مـدة من الزمن ، وأحيانا كان يتظاهر بإكرامه وتعظيمه دجلاً ونفاقاً .

فقـد جـاء في المجلد الثـاني من مـروج الـذهب للمسعـودي عن عبـد الله ابن مالك الخزاعي وكان عـلى دار الرشيـد وشرطتـه على حـد تعبير المسعـودي ، جاء عنه انه قال : اتاني رسول الـرشيد في وقت مـا جاءني فيـه قط فأفـزعني من

موضعي ومنعني من تغيير ثيابي فراعني ذلك ، فلما صرت الى الدار سبقني الخادم فعرف الرشيد خبري فأذن لي بالدخول فدخلت ووجدته قاعدا على فراشه فسلمت عليه فسكت ساعة فطار عقلي وتضاعف جزعي ، ثم قال لي : يا عبد الله أتدري لِمَ طلبتك في هذا الوقت ، قلت : لا والله يا امير المؤمنين ، قال : اني رأيت الساعة في منامي كأن حبشياً قد اتاني ومعه حربة فقال ان لم تخل عن موسى بن جعفر الساعة والا نحرتك بهذه الحربة ، فاذهب وخل عنه ، فقلت : يا أمير المؤمنين اطلق موسى بن جعفر وكررت ذلك عليه ثلاثا ، قال : نعم امض الساعة حتى تطلقه واعطه ثلاثين الف درهم ، وقل له : ان احببت المقام فلك عندي ما تحب وان احببت المضي الى المدينة فالامر في ذلك اليك ، قال عبد الله بن مالك : فمضيت الى الحبس لأخرجه فلما رآني وثب الي قائما وظن اني قد امرت فيه بمكروه فقلت : لا تخف قد أمرني أمير المؤمنين باطلاقك وان ادفع اليك ثلاثين الف درهم وهو يقول لك : ان احببت المقام قبلنا فلك ما تحب وان احببت الانصراف فالامر في ذلك مطلق اليك وأعطيته الثلاثين الف درهم وخليت سبيله ، وقلت له : لقد رأيت من امرك عجباً ، قال : فاني اخبرك : بينما انا نائم اذ اتاني النبي (ص) فقال موسى حبست مظلوماً ، فقل هذه الكلمات فانك لا تبيت هذه الليلة في الحبس ، فقلت له بأبي وأمي ما أقول ، فقال : قل يا سامع كل صوت ويا سابق الفوت ويا كاسي العظام لحماً وناشرها بعد الموت اسألك بأسمائك الحسنى وباسمك العظيم الأعظم الأكبر المخزون المكنون الذي لم يطلع عليه احد من المخلوقين ، يا حليماً ذا الاناة لا يقوى على اناته احد يا ذا المعروف الذي لا ينقطع ابدا ولا يحصى عددا فرج عني ، فكان ما ترى .

ويبدو من بعض الروايات انه حبسه اكثر من مرة وكان يطلقه ويعتذر منه ويرده الى المدينة معززاً مكرماً .

واحياناً كان يستدعيه الرشيد لبغداد او يقصده الإمام (ع) عندما يذهب الى المدينة في طريقه الى مكة فيجله ويفضله على جميع الناس ، فقد

روى الصدوق عن الإمام موسى بن جعفر (ع) انه قال : لما ادخلت على الرشيد قال لي : لِمَ جوزتم للعامة والخاصة ان ينسبوكم الى رسول الله (ص) وأنتم بنو علي وانما ينسب المرء الى ابيه والنبي (ص) جدكم من قبل امكم ؟ فقلت له : يا امير المؤمنين لو ان النبي نشر وخطب اليك كريمتك أكنت تجيبه ؟ فقال : سبحان الله ولم لا اجيبه ، فقلت : لكنه لا يخطب الي ولا ازوجه ، فقال : ولِمَ يا ابا الحسن ؟ فقلت : لأنه ولدني ولم يلدك ، فقال : احسنت يا موسى ، ثم قال : كيف قلتم انا ذرية النبي والنبي (ص) لم يعقب وإنما العقب للذكر لا للانثى وأنتم من ولد ابنته ، فسألته بالقرابة وبحق القبر ومن فيه الا ما اعفاني من الجواب فقال : لا بد وان تخبرني بحجتكم يا ولد علي وأنت يا موسى يعسوبهم وإمام زمانهم كما انهي الي ولست اعفيك حتى تأتيني بحجة من كتاب الله فقرأ عليه الإمام الآية :

﴿ ومن ذريته داود وسليمان وأيوب ويوسف وموسى وهارون وكذلك نجزي المحسنين وزكريا ويحيى وعيسى ﴾ ، وهنا سأله الإمام (ع) : من ابو عيسى يا امير المؤمنين ؟ فقال : ليس لعيسى أب ، فقال الإمام انما الحقناه بذراري الانبياء عن طريق امه مريم ، ونحن الحقنا بذرية النبي من قبل امنا فاطمة (ع) ، ومضى الامام يقول : وان شئت ازيدك يا امير المؤمنين ، فقال : نعم ، فقرأ عليه آية المباهلة ، **﴿فمن حاجك فيه من بعدما جاءك من العلم فقل تعالوا ندع ابناءنا وأبناءكم ونساءنا ونساءكم وأنفسنا وأنفسكم ثم نبتهل فنجعل لعنة الله على الكاذبين ﴾** ، وأضاف الى ذلك أنه لم يدع احد ان النبي ادخل تحت الكساء عند مباهلة النصارى غير علي وفاطمة والحسن والحسين فكان تأويل قوله عز وجل ابناؤنا الحسن والحسين ونساؤنا فاطمة وأنفسنا علي ابن أبي طالب ، فقال له الرشيد : لقد اصبت وأحسنت يا ابا الحسن .

ويروي الرواة عن المأمون أنه قال لجماعة من أصحابه : اتدرون من علمني التشيع ؟ فقال القوم جميعا : لا والله ما نعلم ذلك ، قال علمنيه الرشيد ، قيل له : وكيف ذلك والرشيد كان يقتل أهل هذا البيت ؟ قال :

كـان يقتلهم على الملك لأن الملك عقيم ، لقـد حججت معه سنـة فلما صـار الى المدينة تقدم الى حجابه وقال : لا يـدخلن علي رجـل من أهل المـدينة ومكـة من أبنـاء المهاجـرين والانصار وبني هـاشم وسائـر بـطون قـريش الا نسب نفسـه ، فكان الرجل اذا اراد ان يدخـل عليه يقـول : انا فـلان بن فلان حتى ينتهي الى جـده من هاشم او قـريش وغيرهـا فيدخـل ويصله الرشيـد بخمسـة آلاف ومـا دونها الى مايتي دينار على قدر شرفه وهجـرة آبائـه ، فبينما انـا ذات يوم واقف اذ دخـل الفضل بن الـربيع فقـال : يا امـير المؤمنـين عـلى البـاب رجـل زعـم انـه مـوسى بن جعفـر بن محمـد بن عـلي بن الحسـين بن عـلي بن أبي طـالب (ع) فأقبل علينـا ونحن قيام عـلى رأسه والامـين والمؤتمن وسائـر القواد وقـال احفظوا على انفسكم ، ثم قال لآذنـه ائذن لـه ولا ينزل الا عـلى بساطي ، فـانا كـذلك اذ دخل شيخ قـد انهكته العبـادة كأنـه شن بال قـد كلم السجود وجهـه وانفه ، فلما رأى الـرشيد رمى بنفسـه عن حمار كـان يركبـه فصاح الـرشيد : لا والله الا عـلى بساطي فمنعـه الحجاب من التـرجـل ، ونـظرنـا إليـه بـأجمعنـا بـالاجـلال والاعـظام ، فما زال يسـير على حمـاره حتى سـار الى البسـاط والحجّـاب والقـواد محدقون به فنزل وقام اليه الرشيد واستقبله الى آخـر البساط وقبـل وجهه ورأسـه وأخذ بيده حتى جـره في صدر المجلس وأجلسـه معه وجعـل يحدثـه ويقبل عليـه ويسأله عن احواله ، ولما قام الرشيد لقيامه وودعـه ، ثم أقبل عـلي وعلى الامـين والمؤتمن ، وقـال : يا عبـد الله ويا محمـد ويا ابـراهيم سيـروا بين يـدي عمكم وسيدكم وخذوا بركابه وسووا عليه ثيابه .

وفي رواية ثانية ان المأمـون استغرب من أبيـه هذا الصنيـع وسألـه بعد ان انفـرد به عن سبب هـذا التقديـر والاجـلال ، فقـال لـه : يـا بني انـه صـاحب الحق ، فقـال لـه المـأمـون : اذا كنت تعلم ذلـك فـرد عليـه حقـه ، فقـال انـه الملك : والله لـو نازعتني فيـه لاخذت الـذي فيه عينـاك الى غير ذلـك مما يـرويه الـرواة عن مـواقفـه معـه التي يبـدو في بعضهـا في منتهى القسـوة والشـدة وفي بعضهـا الآخر في منتهى الـرفق واللين والتسامـح ، وليس ذلك ببعيـد عليـه ولا

بغريب عن اسلوبه في حياته مع الناس ، فلقد كان يتكيف مع الظروف والمناسبات ويستدعي الوعاظ والعلماء ليذكروه بالله وهو يبكي حتى ليظن من يراه ان نفسه ستذهب خوفاً ووجلا ، ويصلي اكثر من مائة ركعة في اليوم كما جاء ذلك في المجلد الأول من عصر المأمون ، فاذا جاء وقت الشراب والندمان والجواري تراه انسانا آخر من اسوأ الناس حالا واذا علم ان شخصا لا يقره على ظلمه ، او ظن بأن انساناً يشكل خطرا على مجده وعرشه يعود سفاحاً يتلذذ بإراقة الدماء والتعذيب كما تتلذذ الوحوش الضارية بفريستها .

ومهما كان الحال فبالرغم من الحصار الذي ضربه الرشيد على الإمام موسى بن جعفر ، فلقد اتسعت شهرته في الحجاز والعراق وجميع المناطق وقصده العلماء وطلاب العلم ورجع الى القول بإمامته اولئك الذين انحرفوا عنه بالامس والتف حوله الشيعة يجبون اليه خمس اموالهم وزكاتها ولم يكن ليخفى على الرشيد شيء من ذلك ، وبالاضافة الى ذلك فقد شحنه الوشاة والحاقدون بالخوف على عرشه ودولته ووفد عليه اقرب الناس الى موسى بن جعفر محمد بن اسماعيل ليقول له : خليفتان في عصر واحد عمي موسى بن جعفر بالحجاز ، والرشيد في بغداد ، وتتراكم الصور المخيفة منه في نفس الرشيد حتى تبلغ ذروتها وحينما وقف على قبر النبي وحوله ملأ من الناس وقال : السلام عليك يا ابن العم ، وكان الامام موجودا الى جانب القبر فقال على الفور : السلام عليك يا ابتاه ، قال ذلك ليفسد عليه غايته ، لان الرشيد كان من قصده ان يستعلي على الناس بقرابته للرسول ويوهمهم بأن ارثه قد تحدر اليه من جده العباس عم النبي (ص) فاغتاظ الرشيد من ذلك وصمم على التخلص منه كما يدعي الرواة .

وجاء في رواية الكليني عن موسى بن القاسم البجلي عن علي بن جعفر انه قال : جاءني محمد بن اسماعيل وقد اعتمرنا عمرة رجب ونحن بمكة فقال : يا عم اني اريد بغداد وقد احببت ان اودع عمي ابا الحسن وأحببت ان تذهب معي اليه فخرجت معه نحو أخي وهو في داره التي بالحوية وذلك

بعد المغرب بقليل فضربت الباب فأجابني اخي فقال : من هذا ؟ فقلت : علي ، فقال : هوذا اخرج ، وكان بطيء الوضوء فقلت : العجل ، فخرج عليه ازار ممشق عقد عقده في عنقه حتى قعد تحت عتبة الباب فقال علي بن جعفر : قد جئتك في أمر ان تره صوابا فالله وفق له وان كان غير ذلك فما اكثر ما نخطىء ، قال : وما هو؟ قلت : هذا ابن أخيك يريد ان يودعك ويخرج الى بغداد ، فقال لي ادعه ، فدعوته وكان متنحياً فدنا منه وقبل رأسه وقال : جعلت فداك ، أوصني ، فقال : اوصيك ان تتقي الله في دمي ، فقال مجيبا له : من ارادك بسوء فعل الله به وجعل يدعو على من يريده بسوء ، ثم عاد وقبل رأسه وقال : يا عم اوصني فقال : اوصيك ان تتقي الله بدمي ، فقال : من ارادك بسوء فعل الله به وفعل ، ثم عاد وقبل رأسه وقال : اوصني ، فقال : اوصيك ان تتقي الله في دمي ، ثم تنحى عنه ومضيت معه ، فقال لي اخي . مكانك فوقفت مكاني ودخل منزله ، ثم دعاني فدخلت اليه فتناول صرة فيها مائة دينار وقال : اعطها لابن اخيك يستعين بها على سفره ، قال علي بن اسماعيل : فأخذتها ، ثم ناولني مائة اخرى وقال لي : اعطه اياها ، وناولني صرة ثالثة وقال : اعطه اياها ، فقلت : جعلت فداك اذا كنت تخاف منه مثل الذي ذكرت ، فلم تعينه على نفسك ، فقال : اذا وصلته وقطعني قطع الله اجله ، ثم تناول مخدة أدم فيها ثلاثة آلاف درهم وقال : اعطه هذه ايضا ، قال علي بن جعفر : فخرجت اليه وأعطيته المائة الأولى ففرح بها ودعا لعمه ، ثم اعطيته الثانية والثالثة ففرح بها حتى ظننت انه سيرجع ولا يخرج لبغداد ، ثم اعطيته الدراهم فمضى على وجهه حتى دخل على هارون فسلم عليه بالخلافة وقال : ما ظننت ان في الأرض خليفتين حتى رأيت عمي موسى بن جعفر يسلم عليه بالخلافة ، فأرسل اليه هارون مائة الف درهم فرماه الله بالذبحة فما نظر منها الى درهم ولا مسه .

وروى الكشي حديث وشاية محمد بن اسماعيل على عمه بما يقرب من هذه الرواية .

وفي بعض الروايات ان الواشي هو علي بن اسماعيل ، وقد اتصل بيحيى بن خالد البرمكي فاتفق واياه على الوشاية بالإمام (ع) ثم ادخله على الرشيد فأكرمه وأجلسه الى جانبه ، وجعل يسأله عن عمه الإمام موسى بن جعفر ، فقال له خليفتان في عصر واحد عمي موسى بن جعفر في الحجاز وأنت يا أمير المؤمنين بالعراق ، وقد تركت الناس يسلمون عليه بالخلافة ، وأضاف الى ذلك يحيى بن خالد البرمكي ، ان الأموال تجبى اليه من المشرق والمغرب وقد اشترى ضيعة بثلاثين الف دينار وسماها اليسيرة وقال له بائعها وقد احضر له المال : لا آخذ هذا النقد ولا اقبل الا نقدا معينا سماه له فاسترجع منه النقد الذي دفعه له وأعطاه ثلاثين الف دينار من النقد الذي سماه له ، فدفع الرشيد الى علي بن اسماعيل لقاء وشايته على عمه مايتي الف دينار فمات قبل ان تصل ليده ، وكان الإمام قد قال لاخيه علي بن جعفر بعد ان عاتبه على صلته له ، قال له : اذا وصلته وقطعني قطع الله اجله كما ذكرنا .



وفاة الإمام موسى بن جعفر

لقد اتسعت شهرة الإمام الكاظم (ع) وأصبح حديث القريب والبعيد وكانت الاخماس تجبى اليه بنحو لم يعهد له نظير من قبل ، وبعد ان شحن الوشاة الرشيد عليه بما فيهم محمد بن اسماعيل او علي بن اسماعيل ويحيى بن خالد كما ذكرنا صمم الرشيد على اعتقال الامام والتخلص منه ، فذهب الى المدينة في طريقه الى مكة سنة ١٧٠ كما جاء في رواية ابن الجوزي في تذكرته بعد ان مضت ست سنوات او سبع سنوات من ملكه كان ينقله فيها من حبس الى حبس ، ولما دخل المدينة استقبله اهلها ورحبوا بقدومه وكان الإمام مع المستقبلين كما تشير الى ذلك بعض المرويات ، ومضى الإمام بعد ذلك الى المسجد كعادته ، وخلال تلك الليلة ذهب الرشيد لزيارة قبر النبي (ص) وقال كما جاء في رواية المفيد : اني اعتذر إليك يا رسول الله من شيء اريد ان افعله ، اني أريد أن أحبس موسى بن جعفر فلقد بلغني أنه يدعو الناس لنفسه يريد بذلك تشتيت امتك وسفك دمائها ، ثم رجع وأمر جلاوزته فأخذوه من المسجد وأدخلوه عليه فاستدعى قبتين جعله في احداهما على بغل وجعل القبة الاخرى على بغل آخر ، وأخرج البغلين من داره وعليهما القبتان مستورتان ومع كل واحدة منهما جماعة من جنده على خيولهم ، وأمرهم ان يتجهوا بالبغلة التي عليها الإمام إلى البصرة ، ويتجهوا بالبغلة الثانية الى الكوفة ، وأمر الذين

كانوا مع الإمام ان يسلموه الى عيسى بن جعفر بن المنصور ، وكان على البصرة يوم ذاك فسلموه إليه فوضعه في حبسه وبقي عنده سنة كاملة وكتب اليه الرشيد بقتله ، فاستدعى عيسى بن جعفر جماعة من خواصه وثقاته واستشارهم فيما كتب إليه الرشيد فأشاروا عليه بالتوقف عن ذلك والاستعفاء منه ، فكتب عيسى بن جعفر الى الرشيد كتاباً يقول فيه : لقد طال أمر موسى بن جعفر ومقامه في حبسي وقد اختبرت حاله ووضعت عليه العيون خلال هذه المدة فما وجدته يفتر عن العبادة ووضعت من يسمع منه ما يقول في دعائه ، فما دعا عليك ولا علي ولا ذكرنا بسوء ، بل كان يدعو لنفسه بالمغفرة والرحمة ، فان انفذت الي من يتسلمه مني والا خليت سبيله فاني متحرج من حبسه .

وجاء في بعض الروايات ان بعض عيون عيسى بن جعفر رفع إليه أنه سمعه يقول في دعائه : اللهم اني كنت أسألك ان تفرغني لعبادتك وقد فعلت ذلك ، ومضى الراوي يقول : فلما وصل الكتاب الى الرشيد وجه من تسلمه من عيسى بن جعفر وجره الى بغداد فسلمه الى الفضل بن الربيع وبقي عنده مدة طويلة .

وأضاف الى ذلك المفيد في ارشاده انه اراد من الفضل بن الربيع ان ينفذ فيه أمره فأبى عليه ، فكتب إليه يأمره بتسليمه الى الفضل بن يحيى ، فتسلمه منه ووضعه في حجرة من داره وكلف من يراقبه ، وكان مشغولا بالعبادة يحيي الليل كله بالصلاة وقراءة القرآن والدعاء ويصوم اكثر الايام ولا يصرف وجهه عن المحراب ، فوسع عليه الفضل وأكرمه ، فاتصل ذلك بالرشيد وهو بالرقة فكتب اليه ينكر عليه توسعته عليه وأمره بقتله فامتنع من ذلك ، فاغتاظ الرشيد ودعا مسرور الخادم وقال : اخرج في هذا الوقت الى بغداد وادخل من فورك على موسى بن جعفر فان وجدته في دعة ورفاهية فأوصل هذا الكتاب الى العباس بن محمد وأمره بامتثال ما فيه وسلم اليه كتاباً آخر الى السندي بن شاهك يأمره فيه بطاعة العباس ، فمضى مسرور الى

بغداد ونزل دار الفضل بن يحيى ولا يدري احد ما يريد ، ثم دخل على الإمام موسى بن جعفر فوجده كما بلغ الرشيد ، فمضى من فوره الى العباس ابن محمد والسندي بن شاهك وأوصل اليهما الكتابين فلم يلبث ان خرج الرسول يركض الى الفضل بن يحيى فركب معه وخرج مدهوشاً حتى دخل على العباس بن محمد فدعا العباس بسياط وعقابين وأمر بالفضل فجرد وضربه السندي بين يديه مائة سوط وخرج متغير اللون وجعل يسلم على الناس يميناً وشمالاً ، وكتب مسرور بالخبر الى الرشيد ، فأمر بتسليم موسى بن جعفر الى السندي بن شاهك وجلس الرشيد مجلساً حافلاً ، وقال : ايها الناس ان الفضل بن يحيى قد عصاني وخالف امري ورأيت ان العنه فالعنوه فلعنه الناس من كل ناحية حتى ارتج البيت والدار وبلغ والده يحيى بن خالد الخبر فركب الى الرشيد ودخل من غير الباب الذي يدخل منه الناس وجاءه من خلفه وهو لا يشعر به ، ثم قال له : التفت يا امير المؤمنين الي ، فاصغى إليه فزعا ، فقال له : ان الفضل حدث وأنا اكفيك ما تريد ، فانطلق وجهه وسر بذلك وأقبل على الناس وقال : ان الفضل كان قد عصاني في أمر فلعنته وقد تاب وأناب الى طاعتي فتولوه ، فقالوا : نحن اولياء من واليت وأعداء من عاديت وقد توليناه .

ثم خرج يحيى بن خالد البرمكي الى بغداد فماج الناس وأرجفوا بكل شيء وأظهروا انه جاء لتعديل السواد والنظر في أمر العمال وتشاغل بذلك أياما ، ثم دعا السندي بن شاهك فأمر فيه بأمره فامتثله ، وكان الذي قام به السندي ان دس اليه السم في طعام قدمه اليه فأكل منه ، وجرى مفعول السم في بدنه فلم يمهله سوى ثلاثة ايام ، ولما توفي ادخل عليه السندي جماعة من فقهاء بغداد وأعيانها ، وقال لهم : انظروا اليه هل ترون به اثرا لضربة سيف او لطعنة رمح ؟ فقالوا : لم نجد به شيئاً من ذلك ، وطلب منهم ان يشهدوا بموته حتف انفه فأجابوه لذلك .

ثم أخرج جثمانه الشريف ووضعه على الجسر ببغداد ونودي عليه :

هذا موسى بن جعفر قد مات فانظروا ، فجعل المارة ينظرون اليه فلا يجدون به اثرا يوحي بقتله .

وفي رواية ثانية ان يحيى بن خالد امر من ينادي عليه : هذا موسى بن جعفر الذي تزعم الرّافضة انه لا يموت فانظروا اليه ، ثم حملوه ودفنوه في مقابر قريش عند باب التين وكان مقبرة لبني هاشم وأشراف الناس .

وجاء في تاريخ بغداد للخطيب : ان موسى بن جعفر بعث من الحبس برسالة الى الرشيد يقول فيها : لن ينقضي عني يوم من البلاء حتى ينقضي عنك معه يوم من الرخاء ونمضي معا الى يوم ليس له انقضاء لا يخسر فيه الا المبطلون .

وقال اليعقوبي في تاريخه : قيل للإمام موسى بن جعفر بعد ان مكث مدة طويلة في سجون الرشيد المظلمة : لو كتبت الى فلان ليكلم الرشيد فيك ، فقال : حدثني ابي عن آبائه ان الله اوصى الى داود انه ما اعتصم عبد من عبادي بأحد من خلقي دوني الا قطعت عنه اسباب السماء واسخت الأرض من تحته ، وكانت وفاته سنة ١٨٣ وقيل سنة ١٨٦ عن خمس وخمسين سنة وقيل غير ذلك ، وبقي في حبس الرشيد مدة تتراوح بين سبع سنوات وعشر سنوات ، وترك من الأولاد سبعة وثلاثين ما بين ذكر وانثى وكان افضلهم وأجلهم قدرا واعظمهم شأنا علي بن موسى (ع) الإمام الثامن من ائمة اهل البيت عليهم السلام .



الإمام الثامن

علي بن موسى الرضا "عليهما السلام"





الإمام الثامن من أئمة اهل البيت

ابو الحسن علي الرضا بن موسى بن جعفر الصادق بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن ابي طالب ثامن أئمة أهل البيت (ع) ولد في المدينة وقبض في طوس في بلاد ايران .

وقد وقع الاختلاف بين المحدثين في تحديد السنة التي ولد فيها ، بل وفي تحديد الشهر ايضا ، كما وقع الاختلاف في تحديد السنة التي قبض فيها ، واختلفت الروايات والاقوال في ذلك اختلافا لم يحصل لغيره من الأئمة الكرام وسنشير الى بعض الأقوال من غير ان نحاول البحث وترجيح اي منها لعدم وجود فائدة تستدعي البحث والتنقيب عن القول الاصح منها .

قيل ان ولادته كانت يوم الجمعة او الخميس في الحادي عشر من ذي الحجة او من ذي القعدة او من ربيع الأول سنة ١٤٨ او سنة ١٥٣ وقيل غير ذلك .

اما وفاته فكانت يوم الجمعة أو الاثنين في السابع عشر من صفر او التاسع والعشرين منه ، وقيل في الحادي والعشرين من شهر رمضان وفي الثامن عشر من جمادى الأولى ، وفي الثالث والعشرين من ذي القعدة سنة ٢٠٣ أو سنة ٢٠٦ وقيل سنة ٢٠٢ ، ورجح الصدوق في كتابه عيون اخبار

الرضا ان وفاته كانت في شهر رمضان لتسع بقين منه سنة ٢٠٣ عن ثمانية وأربعين عاما و٤٧ و ٥٠ و ٥١ و ٥٧ حسب الاختلاف في تاريخ وفاته وولادته .

وقد ولد من ام تسمى الخيزران ، وقيل انها امة نوبية تدعى اروى وتلقب بالشقراء ، وقيل انها تدعى نجمة وتكنى بأم البنين ، وقيل ان اسمها تكتم ، واستدل القائل بذلك بما جاء في مدح الإمام (ع) على لسان بعض الشعراء :

الا ان خير الناس نفسا ووالدا ورهطا وأجدادا على المعظم
اتتنا به للعلم والحلم ثامنا اماما يؤدي حجة الله تكتم

وكما اختلفوا في تاريخ ولادته ووفاته وسنه اختلفوا في عدد اولاده فقيل انه ترك خمسة ذكور وبنتا واحدة ، وقيل اربعة ذكور ، ورجح المفيد انه لم يتخلف بغير الإمام محمد الجواد ، كما قيل انه تخلف باثنين هما محمد الجواد وموسى ، واعتمد القائل بذلك على رواية قرب الاسناد عن البزنطي انه قال له : اني اسألك منذ سنتين عن الخليفة بعدك وأنت تقول ابني ، ولم يكن لك ولد واليوم قد وهب الله لك ولدين فأيهما هو فأشار الى ولده الجواد (ع) .

وكان يكنى بأبي الحسن وورد على لسان بعض الرواة ابو الحسن الثاني ، وقيل انه كان يكنى بأبي بكر كما جاء في مقاتل الطالبيين للاصفهاني ، واعتمد في ذلك على رواية عيسى بن مهران عن أبي الصلت الهروي انه قال : سألني المأمون يوما عن مسألة فقلت قال فيها ابو بكر كذا وكذا ، فقال : من أبو بكر ؟ أبو بكرنا أو أبو بكر العامة ، فقلت أبو بكرنا ، قال عيسى بن مهران : قلت لأبي الصلت من أبو بكركم ؟ فقال : علي بن موسى الرضا كان يكنى بذلك .

ومهما كان الحال فلقد بقي الإمام الرضا (ع) مع ابيه نحوا من ثلاثين

عاما او تزيد شاهد فيها ضروب المحن والبلايا التي احاطت بأبيه الامام موسى ابن جعفر الذي كان وجوده رغم وقوفه موقف المسالم للحكم بعيدا عن مواطن المجابهة معه يثير قلق الحكام ويقض مضاجعهم ، فلقد كان المنصور يتحراه ويراقب جميع تحركاته وتصرفاته حتى اضطره الى ان يحتجب عن شيعته وخلص اصحابه ، وبعث اليه المهدي الخليفة الثالث من خلفاء بني العباس يستدعيه لبغداد وألقاه في سجنه لمدة من الزمن ولم يخرجه من السجن الا بعد أن رأى في نومه علياً (ع.) يتهدده ويقرأ عليه الآية : ﴿ **فهل عسيتم ان توليتم ان تفسدوا في الأرض وتقطعوا ارحامكم** ﴾ ، ومع ذلك فقد اخذ عليه العهود والمواثيق على ان لا يخرج عليه ولا يتحرك في ثورة تستهدف احدا من حكام دولتهم ، وبوفاة المهدي والهادي الذي لم تطل أيامه ارتقى الرشيد سدة الخلافة وبدأت بخلافته بوادر المأساة التي حلت بالبيت العلوي الذي كان يتزعمه الإمام موسى بن جعفر (ع) وكان له منها القسط الاوفر ، فقد اعتقله وضيق عليه في ظلمات سجونه المرعبة مدة احد عشر عاماً كان ينقله فيها من حبس الى حبس والمشرفون على ادارة سجونه يتهربون من قتله حتى اعيته الحيلة في امره ، ولم يجد من يستجيب لطلبه فيه غير السندي بن شاهك بمساعدة وزيره يحيى بن خالد البرمكي فأمره بأن يدس اليه السم في الطعام ليتخلص منه وتم له ما اراد ، هذا والامام الرضا (ع) يشاهد بألم ومرارة تلك الاحداث القاسية التي التهمت الكثيرين من أهل بيته وبني عمومته ومأساة ابيه من بدايتها وحتى نهايتها دون ان يملك القدرة على التخفيف من حدتها وكان المصير نفسه من اولئك الطغاة ينتظره ان هو تحرك بأي حركة ضدهم ، بل وحتى لو لم يتحرك ، لأن الخصومة بين البيتين كانت خصومة مبادىء لا تقف عند حدود الاشخاص .

خصومة بين فئتين فئة تمثل الإسلام بكل أبعاده وأهدافه وفئة تمثل العنصرية والاستغلال والنزعة القبلية التي برزت بكل مظاهرها في عهد أسلافهم الامويين ، ولم تختلف عما كان يحارب من أجله ابو سفيان وأبو جهل

وأمية بن صفوان وغيرهم من جبابرة قريش وطغاتها الاشداء ، ولكن بلون آخر وأسلوب جديد من اساليب ذلك العصر وباسم الاسلام . فليس بغريب اذن اذا كان الإمام الرضا (ع) ينتظر من حكام عصره ملوك بني العباس نفس المصير الذي انتهى اليه والده حتى ولو عاش بعيدا عن الناس وعن السياسة وشؤونها ، لأن والده الإمام الكاظم بالرغم من أنه بقي في غياهب سجونهم ومعتقلاتهم قرابة احد عشر عاما ، وبالتالي اخرجوه من الدنيا شهيدا ، في حين انه لم يخرج عن الطاعة ولا فكر في السلطة في يوم من الأيام .

وبالفعل لقد لقي الإمام الرضا (ع) من حكام عصره خلال الاعوام العشرين التي عاشها بعد استشهاد ابيه ضروباً من المحن والآلام من نوع آخر ، وكان يعاني من وقعها ومرارتها ، وبالتالي لقي نفس المصير الذي لقيه والده من قبله كماترجح ذلك الاحداث والقرائن التي رافقت تاريخ وفاته وسنتعرض لهذه الناحية عند الحديث عن وفاته وأسبابها .

ولعل موقف الحكام المتصلب منه ومن غيره من أئمة اهل البيت (ع) بالاضافة الى ما بين المبادىء التي كان يمثلها كل منهما من بعد شاسع ، لعل ذلك الموقف مصدره بالاضافة الى ما ذكرنا هو ايمان جانب كبير من المسلمين بإمامتهم وأحقيتهم بمنصب الخلافة والاصرار على ان المتقمصين لها قد اغتصبوها من أصحابها الشرعيين وتجاوزوا في ذلك حدود ما فرضه الله عليهم لعباده الى ابعد الحدود والتف حولهم مع ذلك قادة الفكر وتصاغروا امام تفوقهم العلمي في شتى المجالات مما ادى الى افتتان العامة بهم والتقرب إليهم واعتبارهم البديل الافضل الذي يحق لهم ممارسة الحكم وتحمل اعبائه ومسؤولياته ، والى جانب ذلك كانت الوشايات المغرضة التي كانت تستهدف القضاء عليهم من قبل خصومهم الحاقدين وبعض بني عمومتهم الاقربين مما كان يقابل بالارتياح والقبول من الحاكمين ويجدون فيه منفسا لما يعتمل في صدورهم من أحقاد ومبررا لما يرتكبونه من تنكيل ومضايقات . لذلك كله

فقد اعتبرهم الحاكمون من اخطر العناصر التي تهدد دولتهم وتنذر بتقويضها وزوالها ، ووقفوا منهم ذلك الموقف الذي لم يحدث التاريخ بأسوأ منه .



لمحات عن خصائصه وصفاته

لا بد وأن يكون الإمام بنظر الإمامية اعلم الناس وأعرفهم بما تحتاج إليه الأمة سواء في ذلك ما يتعلق بأمور الدين او غيره من ضرورات الحياة ، وان يكون بالاضافة الى ذلك اعبدهم وأزهدهم وأكملهم في اخلاقه وشيمه وجميع صفاته ، والمتتبع لتاريخ الأئمة الاثني عشر لا بد وان ينتهي الى هذه النتيجة وقد عرضنا بعض الجوانب من صفات الأئمة السبعة وخصائصهم ، وسنتابع الحديث عن بقية الأئمة (ع) .

وقد روى لنا التاريخ الكثير من مواقفه العلمية ومناظراته التي كان يخرج منها منتصرا على خصومه ، كما روى الكثير من مختلف العلوم التي كان يمد بها رواد العلم ورجالات الفكر .

وجاء عن الإمام موسى بن جعفر (ع) انه كان يقول لبنيه : هذا اخوكم علي بن موسى عالم آل محمد فاسألوه عن دينكم واحفظوا ما يقول لكم ، فإني سمعت أبي جعفر بن محمد اكثر من مرة يقول : ان عالم آل محمد لفي صلبك ، وليتني ادركته فانه سمي امير المؤمنين علي بن ابي طالب .

وروى الرواة عن ابراهيم بن العباس الصولي انه قال : ما رأيت الرضا سئل عن شيء إلا علمه ولا رأيت أعلم منه بما كان في الزمان إلى وقته وعصره ، وكان المأمون يمتحنه بالسؤال عن كل شيء فيجيب عنه وكان جوابه

كله انتزاعات من القرآن المجيد .

وقال رجاء بن أبي الضحاك : وكان قد بعثه المأمون لإشخاص الرضا ، والله ما رأيت رجلا كان اتقى لله منه ولا أكثر ذكرا له في جميع اوقاته ، ولا اشد خوفاً لله عز وجل ، ومضى يقول : وكان لا ينزل بلدا الا قصده الناس يستفتونه في معالم دينهم فيجيبهم ويحدثهم الكثير عن ابيه عن آبائه عن علي عن رسول الله (ص) ، فلما وردت على المأمون سألني عن حاله في طريقه فأخبرته بما شاهدته منه في ليله ونهاره وظعنه واقامته ، فقال : بلى يا ابن ابي الضحاك هذا خير أهل الأرض وأعلمهم وأعبدهم .

وقال ابن الجوزي في تذكرته والحاكم في تاريخ نيسابور : لقد اخذ العلم والحديث عن أبيه ، وكان يجلس في مسجد رسول الله (ص) فيفتي الناس وهو ابن نيف وعشرين سنة .

وقال المأمون لمن ثقل عليهم اختياره ولياً لعهده من بني العباس كما جاء في البحار عن الحاكم الحافظ النيسابوري ، قال : وأما ما ذكرتم من استبصار المأمون في البيعة لأبي الحسن الرضا (ع) فما بايعت له الا مستبصرا في امره عالماً بأنه لم يبق احد على ظهرها ابين فضلا ولا اظهر عفة ولا اورع زهدا في الدنيا ولا اطلق نفسا ، ولا ارضى للخاصة والعامة ، ولا اشد في ذات الله منه .

وجاء عن أبي الصلت الهروي انه قال : ما رأيت أعلم من علي بن موسى الرضا ولا رآه عالم الا شهد له بمثل شهادتي ، ولقد جمع المأمون في مجالس له عددا من علماء الاديان وفقهاء الشريعة والمتكلمين فغلبهم عن آخرهم حتى ما بقي احد منهم الا اقر له بالفضل وأقر على نفسه بالقصور على حد تعبير الراوي .

وجاء عنه ايضا انه قال : لقد سمعت علي بن موسى الرضا يقول : كنت اجلس بالروضة والعلماء في المدينة متوافرون فإذا اعيت الواحد منهم

مسألة اشاروا الي بأجمعهم وبعثوا الي بالمسائل فأجيب عنها .

وفي المجلد الـرابـع من منـاقب آل ابي طـالـب ، قـال محمـد بن عيسى اليقـطيني : لما اختلف النـاس في أمـر أبي الحسن الـرضـا جمعت من مسـائله مما سئـل عنه وأجـاب عليه ثمـانية عشر الف مسـألـة ، وأضـاف الى ذلـك : وقـد روى عنـه جماعـة من المصنفين منهم ابـو بكر الخـطيب في تـاريخـه ، والثعلبي في تفسيـره ، والسمعـاني في رسـالتـه ، وابن المعـتز في كتـابـه وغيـرهم عشـرات الاحاديث في شتى المواضيع .

وجـاء في عيون اخبـار الرضـا بعد حـوار جرى لـلإمام الـرضا (ع) مـع المـأمون ، قـال علي بن الجهم : فقـام المأمـون الى الصلاة وأخـذ بيـد محمـد بن جعفـر ، وكان قـد حضر الحوار ، فقـال له : كيف رأيت ابن اخيـك ، فقال : عـالم ، ولم نـره يختلف الى احـد من أهـل العلم ، فقـال لـه المـأمـون : ان ابن اخيـك هذا من أهـل بيت النبي (ص) الذين قـال فيهم : الا ان ابرار عتـرتي وأطائب ارومتي احلم النـاس صغـارا وأعلمهم كبـارا ، لا تعلمـوهم فـانهم أعلم منكم ولا يخرجونكم من باب هدى ، ولا يدخلونكم من باب ضلالة .

وامتاز الإمام الـرضا (ع) مـع ذلك بخلق رائـع ساعـده على ان يجتـذب بحبه العامة والخاصة استمده من روح الـرسالـة التي كان من حفـظتها والامنـاء عليها والوارثين لها .

فقـد جاء في عيـون اخبار الـرضا (ع) عن ابـراهيم بن العباس الصـولي انه قال : مـا رأيت ابا الحسن الـرضا جفـا احدا بكـلامه قط ، ومـا رأيته قـطع على احد كلامه حتى يفرغ منه ، وما رد احدا عن حـاجة يقـدر عليها ، ومـا مد رجليـه أمام جليس له قط ، ولا اتكأ بـين يدي جليس لـه قط ، ولا شتم احدا من مواليه ومماليكه قط ، ولا رأيتـه تفل قط ولا تقهقـه في ضحكه ، بـل ضحكه التبسم ، وكان اذا خلا ونصبت مـائدتـه اجلس معه عليهـا مماليكـه حتى البواب والسائس ، ومن زعم أنه رأى مثله في فضله فلا تصدقوه .

ونـزل به ضيف وكـان جالسـاً عنده يحـدثه في بعض الليـل فتغير السـراج فمد الرجل يده ليصلحـه فزبـره ابو الحسن ثم بـادره بنفسه فـأصلحه وقـال : انا اقوم لا نستخدم اضيافنا .

وقـال له رجـل : والله مـا على وجه الأرض اشـرف من آبائـك ، فقـال : التقوى شرفتهم . وقـال له آخـر : انت والله خير النـاس ، فقال لـه : لا تحلف يـا هـذا خـير مني من كـان اطـوع لله وأتقى لـه والله مـا نسخت هـذه الآيـة : ﴿ **وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا ان اكرمكم عند الله اتقاكم** ﴾ .

وقـال له ابـو الصلت : يـا ابن رسـول الله مـا شيء يحكيـه النـاس عنكم قـال : وما هـو ؟ قلت : يقولـون انكم تـدعـون ان النـاس لكم عبيـد ، فقـال (ع) : اللهم فـاطر السمـاوات والأرض عالم الغيب والشهـادة انت تشهد بـأني لم اقـل ذلك قط ولا سمعت احـداً من آبائي قـاله وأنت العـالم بما لنـا من المظالم عنـد هذه الأمـة وان هذه منهـا ، ثم اقبل عـلي وقال : يـا عبد السـلام اذا كان الناس كلهم عبيدنا على ما يقولون فعلى من نبيعهم .

ثم قـال : يـا عبـد السـلام أمنكـر أنت لمـا اوجب الله عـز وجـل لنـا من الولاية كما ينكره غيرك؟ قلت : معاذ الله بل انا مقر بولايتكم .

لقـد انكر عـلى السـائـل ذلـك الاتهـام الـذي اراد اعـداؤهم من خـلالـه التشنيـع عليهم وعـده من جملة المـظالم التي ارتكبتهـا الأمـة بحقهم ، لأن نسبـة ذلك لهم يعني انهم يخالفـون سنن الإسلام ونصـوص القرآن التي لا تـرى فضلا لأحد على احد الا بالتقوى .

﴿ **يـا ايها النـاس انا خلقنـاكم من ذكر وانثى وجعلنـاكم شعوبـا وقبائـل لتعارفـوا ان اكرمكم عند الله اتقاكم** ﴾ ، وأكد الإمام (ع) بـأن الله قد جعـل لهم حق الولاية على الناس والطاعة لا غير وذلك لمصلحة الناس والسير بهم في الطريق الصحيح الـذي يضمن لهم الكرامـة في الدارين ومـا عدا ذلـك فالكـل

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

بنظر الإمام الذي يجسد الإسلام بالقول والفعل ولا ينفصل عنه ، عبيد لله يجمعهم اب واحد وأم واحدة ورب واحد .

وروى عبد الله بن الصلت عن رجل رافق الإمام الرضا في طريقه الى خراسان انه قال : كنت مع الإمام الرضا في سفره الى خراسان فدعا يوماً بمائدة له فجمع عليها مواليه من السودان وغيرهم وجلس عليها معهم . فقلت : جعلت فداك لو جعلت لهؤلاء مائدة ، فقال : ان الرب تبارك وتعالى واحد والأب واحد والام واحدة والجزاء بالاعمال .

وقال ابراهيم بن العباس الصولي كما جاء في عيون الاخبار : سمعت علي بن موسى الرضا يقول : حلفت بالعتق ولا احلف بالعتق الا اعتقت رقبة واعتقت بعدها جميع ما املك ، ان كان يرى انه خير من هذا وأومأ الى عبد اسود من غلمانه بقرابتي من رسول الله (ص) الا ان يكون لي عمل صالح فأكون افضل منه بعملي لا غير ، وقد تواترت الاحاديث عنه وعن آبائه وأبنائه بهذا المعنى .

وتنص المرويات ان الإمام موسى بن جعفر (ع) قد اوصى الى ولده الإمام الرضا وجعل له الولاية من بعده ، ولم يجعل لابنائه الآخرين شيئاً وكتب بذلك كتاباً وختمه ولعن من يفضه بعد ان اشهد عليه جملة من أهل بيته وأصحابه ، وقد نازعه اخوته في وصية ابيه اليه وظنوا ان في الكتاب الذي كتبه ما لا حباه به دونهم .

وجاء في الكافي بسنده الى يزيد بن سليط انه قال : كان ابو عمران الطلحي قاضي المدينة فلما مضى موسى بن جعفر جاء اخوة الإمام الرضا وقدموه إلى القاضي ، وقال العباس بن موسى للقاضي : اصلحك الله وأمتع بك ان في اسفل هذا الكتاب كنزا وجوهرا وهو يريد ان يحتجبه ويأخذه دوننا ولم يدع ابونا شيئاً الا الجأه اليه وتركنا عالة ، ولولا اني اكف نفسي لاخبرتك على رؤوس الملأ .

ووثب اليه ابراهيم بن محمد وكان من شهود الوصية فقال له : اذاً والله تخبر بما لا نقبله منك ولا نصدقك عليه ثم تكون عندنا ملوما مدحوراً نعرفك بالكذب صغيراً وكبيراً ، وكان ابوك اعرف بك لو كان فيك خير ، وما كان ليأمنك على تمرتين .

ووثب اليه اسحاق بن جعفر فأخذ بتلابيبه وقال له : انك لسفيه ضعيف احمق .

وعندما انتهى الحديث الى هذا الحد قال القاضي ابو عمران لعلي الرضا (ع) : قم يا ابا الحسن حسبي ما لعنني ابوك اليوم ، وقد وسع ولا والله ما احد اعرف بالولد من والده ولا كان أبوك بمستخف في عقله وضعيف في رأيه .

وقال العباس بن موسى بن جعفر (ع) للقاضي : اصلحك الله فض الخاتم واقرأ ما تحته ، فقال ابو عمران : لا افضه حسبي ما لعنني ابوك اليوم ، فتقدم العباس وفضه وهو يظن ان في اسفله كنزا وجوهرا واذا ليس فيه الا ولاية علي الرضا وادخالهم فيها احبوا او كرهوا واخراجهم من صدقاته .

والتفت الرضا (ع) الى اخيه العباس بعد هذا الموقف السيء الذي وقفه منه وقال : يا اخي انا اعلم انه انما حملكم على هذا الموقف الغرائم والديون التي عليكم ، ثم قال لغلامه : يا سعيد عين لي ما عليهم واقض عنهم واقبض زكاة حقوقهم وخذ لهم البراءة وتوجه اليهم ، وقال : والله لا ادع مواساتكم وبركم ما مشيت على وجه الأرض فقولوا ما شئتم .

ومع ما في هذا الموقف من الخلق الكريم والعاطفة النبيلة فلم يغير من موقف اخيه شيئاً بل رد عليه بقوله : انك لم تعطنا الا من فضول اموالنا ومالنا عندك اكثر مما تعطيناه .

وتابع الإمام (ع) حديثه بالاسلوب الذي ينسجم مع واقعه ورسالته، فقال: قولوا ما شئتم فالعرض عرضكم فان تحسنوا فذاك لكم عند الله وان تسيئوا فان الله غفور رحيم، والله انكم تعرفون بأنه ما لي ولد ولا وارث غيركم فلئن حبست شيئاً مما تظنون او ادخرته فإنما هو لكم ومرجعه اليكم، والله ما ملكت منذ مضى ابوك رضي الله عنه شيئاً الا وقد سيبته حيث رأيتم.

وتكلم العباس بعد ذلك بكلام ان دل على شيء فانما يدل على حقده وحسده لاخيه وتجنيه على أبيه الإمام موسى بن جعفر (ع) بما الصقه به، ومع ذلك فقد بقي الإمام ملتزماً بالموقف الحليم الهادىء انطلاقاً من أصالة الخير والمحبة والعفو وغير ذلك من الصفات الكريمة التي عرف بها هو وآباؤه وأبناؤه عندما كانوا يواجهون النكبات والتحديات من الآخرين.

فقال: لا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم، اللهم ان كنت تعلم اني احب صلاحهم واني بار بهم واصل لهم رفيق عليهم اعنى بأمورهم ليلا ونهارا فاجزني به خيراً، وان كنت على غير ذلك فاجزني ما انا اهله ان كان شرا فشرا وان كان خيرا فخيرا، اللهم اصلحهم واصلح بهم واخسأ عنا وعنهم شر الشيطان وأعنهم على طاعتك ووفقهم لرشدك يا ارحم الراحمين.

وكما كان (ع) ينطلق في حلمه وعفوه وعطفه على المساكين والمعذبين من اصالة الخير التي انطوت عليها نفسه كان ينطلق منها ومن احساسه بأن العطاء ليس معروفاً فقط يسديه الانسان لسائله وللمعوزين بل هو بالاضافة الى ذلك شكر للمعروف الذي حباه الله به لأن صاحب النعمة بنظره في خطر محدق به حتى يخرج من الحقوق التي هي لله فيما أنعم به عليه.

فلقد جاء عنه في حديث له مع بعض اصحابه انه قال: ان صاحب النعمة على خطر ما دامت حقوق الله فيها والله انه لتكون علي النعم من الله عز وجل فما ازال على وجل حتى اخرج من الحقوق التي تجب علي فيها.

فقال له الراوي : جعلت فداك انت في قدرك تخاف هذا ، قال : نعم وأحمد ربي على ما من به علي .

وقال اليسع بن حمزة : كنت انا في مجلس الرضا (ع) احدثه وقد اجتمع عليه خلق كثير يسألونه عن الحلال والحرام اذ دخل عليه رجل طوال آدم فقال له : السلام عليك يا ابن رسول الله رجل من محبيك ومحبي آبائك وأجدادك مصدري من الحج وقد افتقدت نفقتي وما معي ما ابلغ به مرحلة فإن رأيت ان تنهضني الى بلدي ولله علي نعمة اذا بلغت بلدي تصدقت بالذي توليني عنك فلست موضع صدقة ، فقال له الإمام الرضا (ع): اجلس رحمك الله ، وأقبل على الناس يحدثهم حتى تفرقوا وبقي هو وسليمان الجعفري وخيثمة وأنا ، فقال : أتأذنون لي بالدخول ؟ فقال له سليمان الجعفري : قدم الله امرك ، فقام ودخل حجرة في داره وبقي فيها ساعة ثم خرج ورد الباب وأخرج يده من أعلى الباب وقال اين الخراساني ؟ فقال : ها انا ذا يا ابن رسول الله ، فقال له : خذ هذه المايتي دينار واستعن بها على مؤونتك ونفقتك وتبرك بها ولا تصدق بها عني واخرج فلا اراك ولا تراني وستر وجهه عنه .

فقال له سليمان الجعفري : جعلت فداك لقد اجزلت ورحمت فلماذا سترت وجهك ؟ فقال : مخافة ان ارى ذل السؤال في وجهه لقضائي حاجته ، اما سمعت حديث رسول الله (ص) : المستتر بالحسنة حسنته تعدل سبعين حجة ، والمذيع بالسيئة مخذول والمستتر بها مغفور له ، ثم استشهد الإمام بقول القائل :

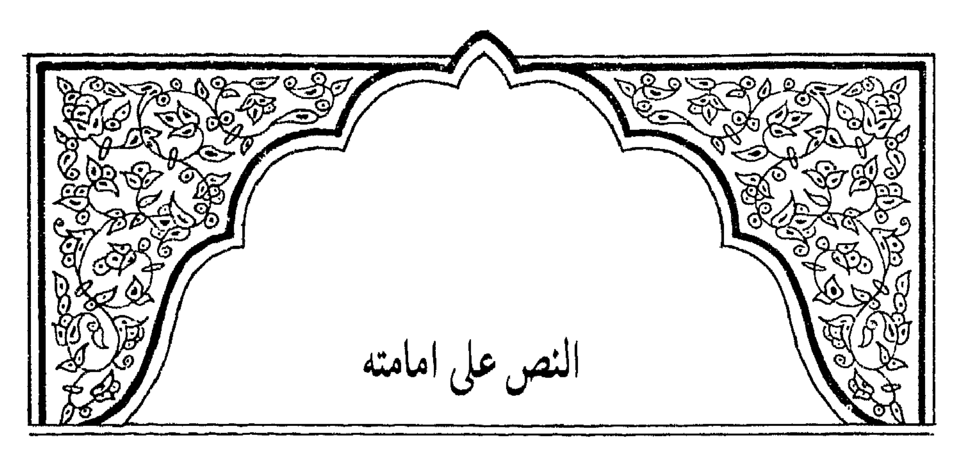
متى آته يوما لأطلب حاجة رجعت الى اهلي ووجهي بمائه

وجاء عنه انه فرق بخراسان في يوم عرفة كل ماله ، فقال له الفضل ابن سهل : ان هذا لمغرم ، فقال (ع) : بل هو المغنم ، لا تعدن مغرما ما ابتعت به اجرا وكرما .

وروى الـرواة عن يعقوب بن اسحق النـوبختي انه قـال : مر رجـل بـأبي الحسن علي بن موسى (ع) فقال له : اعطني على قـدر مروءتـك ، فقال الإمـام (ع) : لا يسعني ذلـك ، فقال : عـلى قدر مـروءتي ، فقال عـلى ذلـك فنعم ، ثم أمر غلامه ان يدفع له مائتي دينار فدفعها له وانصرف الرجل .

وحدث معمر بن خلاد عن عطفـه على الفقـراء ورعايتـه لهم فقال : كـان ابو الحسن الرضـا (ع) اذا اراد ان يأكـل يأمـر بالمـائدة ، ويعمـد الى أطيب ما فيها من الطعام فيطعمه للفقراء والمسـاكين ، ثم يتلو الآيـة ، فلا اقتحم العقبـة او اطعـام في يـوم ذي مسغبـة ، ثم يقـول : علم الله عـز وجـل ان ليس كـل انسان يقدر على عتق الرقبة فجعل لهم السبيل الى الجنة بإطعام الطعام .

وجـاء في عيون اخبـار الرضـا عن البزنـطي انه قـال : قـرأت كتـاب ابي الحسن الـرضا الى ولـده ابي جعفر الجـواد (ع) وفيـه : يـا ابـا جعفـر بلغني ان الموالي اذا ركبت اخرجوك من الباب الصغـير من بخل بهم لئـلا ينال منـك احد خيرا فاسألك بحقي عليك لا يكن مدخلك ومخـرجك الا من البـاب الكبير واذا ركبت فليكن معـك ذهب وفضة ، ثم لا يسـألك احـد الا اعطيتـه ومن سألـك من عمومتك ان تبره فلا تعطه اقل من خمسـين دينارا والكثـير اليك ومن سـألك من عماتك فلا تعطهـا أقل من خمسة وعشـرين دينارا والكثـير اليك ، اني اريـد ان يرفعك الله ، فأنفق ولا تخش من ذي العرش افتقارا .



النص على امامته

بالإضافة الى النصوص العامة على الاثني عشر من النبي والوصي (ع) فلقد كان كل امام يعين خليفته وينص عليه بحضور خاصته حتى لا يدعيها احد من بعده .

وقد نص الإمام موسى بن جعفر على ولده علي بن ابي الحسن الرضا (ع) من بين اولاده العشرين كما جاء فيما رواه الكليني في الكافي عن الحسين بن نعيم الصحاف انه قال : كنت انا وهشام بن الحكم وعلي بن يقطين ببغداد ، فقال علي بن يقطين : كنت عند العبد الصالح جالساً فدخل عليه ابنه علي الرضا ، فقال : يا علي بن يقطين هذا علي سيد ولدي ، اما اني قد نحلته كنيتي ، فضرب هشام بن الحكم براحته جبهته ، ثم قال : ويحك كيف قلت ، فقال ابن يقطين : سمعت والله منه كما قلت ، فقال له هشام بن الحكم : لقد اخبرك ان الامر له من بعده .

وروي عن معاوية بن حكيم بسنده الى ابي الحسن موسى انه قال : ان ابني علياً اكبر ولدي وأبرهم عندي وأحبهم الي وهو ينظر معي في الجفر ولم ينظر فيه الا نبي او وصي نبي .

وروى في الكافي عن داود الرقي انه قال : قلت لأبي ابراهيم (ع) :

جعلت فداك اني قد كبر سني فخذ بيدي من النار ، فأشار الى ولده ابي الحسن الرضا وقال : هذا صاحبكم من بعدي .

وروي ايضا عن محمد بن عمير عن اسحاق بن عمار انه قال : قلت لأبي الحسن الأول (ع) الا تدلني الى من آخذ عنه ديني ؟ فقال : هذا ابني علي ان ابي اخذ بيدي فأدخلني الى قبر رسول الله (ص) وقال : يا بني ان الله عز وجل يقول : اني جاعل في الأرض خليفة وان الله اذا قال قولا وفى به .

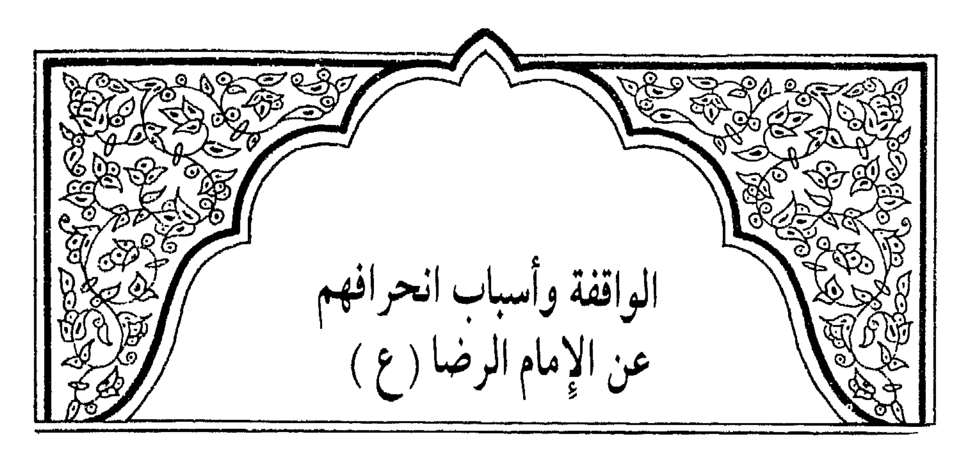
وفي رواية ثانية رواها الكليني عن داود الرقي انه قال : قلت لأبي الحسن موسى (ع) : اني قد كبرت سني ودق عظمي واني سألت اباك (ع) فأخبرني عنك فاخبرني من بعدك فقال هذا ابو الحسن الرضا .

وروي ايضاً عن النصر بن قابوس انه قال : قلت لأبي ابراهيم (ع) أني سألت اباك من الذي يكون من بعدك فاخبرني انك انت هو ، فلما توفي ابو عبد الله ذهب الناس يميناً وشمالاً وقلت فيك انا وأصحابي ، فأخبرني من الذي يكون بعدك من ولدك ، فقال : ابني فلان .

وجاء في رواية داود بن سليمان انه قال : قلت لأبي ابراهيم اني اخاف ان يحدث عليك حدث ولا القاك فاخبرني عن الإمام بعدك فقال ابني هذا وأشار إلى أبي الحسن الرضا (ع) .

وروي عن محمد بن سنان انه قال : دخلت على أبي الحسن موسى (ع) من قبل ان يقدم العراق بسنة وعلي ابنه جالس بين يديه فنظر إلي وقال : يا محمد اما انه سيكون في هذه السنة حركة فلا تجزع لذلك ، فقلت : وما يكون جعلت فداك فقد اقلقني ما ذكرت ، فقال : اصير إلى الطاغية ، أما انه لا يبدأني منه سوء ومن الذي يكون بعده ، قال قلت وما يكون جعلت فداك ؟ قال : يضل الله الظالمين ويفعل الله ما يشاء ، ثم قال : من ظلم ابني هذا حقه وأشار الى ولده علي الرضا (ع) كان كمن ظلم

علي بن ابي طالب حقه وجحده امامته بعد رسول الله (ص) ، قلت : والله لئن مد الله لي في العمر لأسلمن له حقه ولأقرنَّ بإمامته ، قال : صدقت يا محمد يمد الله في عمرك وتسلم إليه حقه وتقر بإمامته وامامة من يكون من بعده ، قلت : ومن ذاك ؟ قال : ابنه محمد . الى غير ذلك من الروايات الكثيرة التي رواها الثقات من خواص اصحاب الإمام الكاظم حول هذا الموضوع .



الواقفة وأسباب انحرافهم عن الإمام الرضا (ع)

لقد مني الإمام الرضا (ع) بعد وفاة أبيه بأكثر من محنة قاسية كان يقاسي منها ويتجرع مرارتها ، فهو من جهة كان يعاني من تحديات الحكام وأجهزتهم ، ومن جهة ثانية فقد شهد في مطلع امامته ذلك الانقسام بين اصحاب ابيه الذي حقق للحاكمين اطماعهم ورغباتهم التي كانوا يعملون من اجلها ، لأنهم يرون ان التفاف الشيعة حول امامهم الشرعي يشكل خطراً على عروشهم التي قامت على الظلم والطغيان وجماجم الصلحاء والابرياء .

وتؤكد اكثر المصادر ان الذين وقفوا عند الإمام موسى بن جعفر ولم يرجعوا الى الإمام الرضا (ع) كانوا من أعيان اصحابه ، وقد انكروا وفاته ، وادعوا بأنه القائم من آل محمد ، وقد غاب عن قومه كما غاب موسى بن عمران من بعده وتشعبت آراؤهم بعد ذلك حول غيبته وحياته ، وعدهم النوبختي في كتابه فرق الشيعة اكثر من فرقة ، فقال : وأنكر بعضهم قتله وقالوا : مات ورفعه اليه الله وسيرده عند قيامه ، وقال بعضهم : لا يزال حيا ، ومضى يقول : ان فرقة منهم قالت : لا ندري أحي هو أم ميت ، لأنا روينا فيه اخباراً كثيرةً على أنه القائم المهدي ، وأضافوا إلى ذلك انه قد ورد علينا من خبر وفاة ابيه وجده والماضين من آبائه ما لا يجوز رده وانكاره ، وقال النبوختي : ان من بين فرقهم فرقة يقال لها البشيرية ، تدعي ان موسى بن

جعفر لم يمت ولم يحبس ، وانه حي غـائب وهو المهـدي المنتظر ، وقـد استخلف عـلى الامة في غيبتـه محمد بن بشـير وجعله وصيه وأعـطاه خاتمـه وعلمه جميـع ما تحتاج اليه رعيتـه ، وزعم هؤلاء ان علي بن مـوسى وجميع من ادعى الامـامة من بعده ليست طيبة ولادتهم ونفوهم من انسابهم وكفروهم في دعواهم الإمـامة كـما كفروا من قال بـإمامتهم واستحلّوا دمـاءهم وأموالهم عـلى حد زعم النـوبختي ، ونسب لهـذه الفرقـة من الـواقفـة انكـار بعض الضـرورات الإسـلاميـة والقـول بـالتناسـخ وان الإمام واحـد وتعدد الأئمـة من حيث ان هذا الـواحد ينتقـل من بدن الى بدن على حد تعبيره .

بهذا التصوير البشع يصور المؤلفون في الفرق الاسلاميـة الذين وقفـوا على الامام السابع موسى بن جعفر (ع) .

ويـدعي النوبختي انـه قـد غلب عليهم اسم الكـلاب المـطورة ، وكـان سبب ذلك ان يونس بن عبد الرحمن وعـلي بن اسماعيـل الميثمي ناظـرا بعضهم في الإمـام بعد ابي الحسن مـوسى بن جعفر ، ولمـا اشتد الصـراع بينهم قـال لهم علي بن اسماعيل : ما انتم الا كلاب ممطورة .

ولعل جميع من كتب في فرق الشيعة بعـد النوبختي قـد اعتمد عـلى كتابـه حـول هـذا المـوضـوع لأنـه اول من كتب في الفـرق حسبـما اعلم ، ولم يعتمـد التحقيق وتحري الحقائق فيما كتبه عن فرق الشيعة كـما يبدو ذلـك من كتابـه فرق الشيعـة ، وبالـرغم من ان النـوبختيين يـدعـون التشيـع لأهـل البيت الا انهم كانوا من العناصر الفارسية المواليـة للحكام ، والنوبختي نفسه مؤلف كتاب فـرق الشيعـة كـان من المقـربـين اليهم ، والحكـام كـانـوا يبـذلـون الأمـوال الـطائلة ويشترون الضمائر للتشويش عـلى الشيعة وتشـويه معـالم التشيع بكـل ما لـديهم من الوسائل .

ولا اريـد من ذلـك ان انفي وجـود هـذه الفـرقـة ولا ان اهيء الاجـواء للتشكيك في وجودها فلقد وقف جماعة عـلى الإمام مـوسى بن جعفر ولم يـرجعوا

لخليفته الشرعي الإمام الرضا لاسباب لعل من ابرزها كما يدعي المؤلفون في احوال الرجال طمعهم فيما كان بأيديهم من الاخماس التي كانوا يجبونها للإمام الكاظم (ع) ، وانما الذي اشك فيه هو تعدد فرقهم ومذاهبهم كما يدعيه النوبختي ومن جاء بعده من المؤلفين في الفرق والمذاهب .

ومهما كان الحال ففكرة الوقف مهما كانت اسبابها ودوافعها كانت الامنية الغالية لحكام ذلك العصر لانهم كانوا يتخوفون من اجتماعهم الى امام واحد والتفافهم حوله ، وقد اجتهد المنصور قبل ذلك لارجاع الشيعة إلى اسماعيل بن جعفر وعبد الله الافطح كما ذكرنا فرجعت فئة منهم لهذا وفئة لذاك وقد ذكرنا خلال حديثنا عن وصية الإمام الصادق ورسالة المنصور لعامله في المدينة التي يأمره فيها بقتل وصي الإمام وكيف احتاط الإمام لذلك فأوصى الى اربعة أحدهم المنصور الدوانيقي ، كما ذكرنا ما كان يستعمله الإمام موسى بن جعفر من الحيطة والحذر حتى لا ينكشف امره للمنصور بتلك السرعة مما ادى الى تخبط اصحابه في بداية الامر ورجوع بعضهم الى الافطح وغيره وحتى انكشف الواقع ورجعوا الى الإمام الشرعي .



اقطاب الواقفة ودوافعهم

لقد روى الرواة ان اول من اظهر فكرة الوقف على الإمام موسى بن جعفر وعمل على انتشارها جماعة من اعيان اصحابه المقربين إليه وكان قد عهد اليهم بجباية الاخماس من شيعته ، وقد اجتمع لديهم مبلغ كبير من المال خلال الشطر الاخير من حياته وهو في غياهب السجون ، فلما قتل في سجنه وطالبهم الإمام الرضا (ع) بما عندهم من الأموال غررت بهم الدنيا وأنكروا موته وادعى بعضهم رجوعه من غيبته كما رجع موسى بن عمران ونحو ذلك مما كانوا يتعللون به ، وكان من ابرزهم علي بن أبي حمزة البطائني ، وله عنده ثلاثون الف دينار ، وزياد بن مروان القندي وعنده سبعون الف دينار ، وعثمان بن عيسى الرواسي وعنده ثلاثون الف دينار وست جوار ، وأحمد بن أبي بشر السراج وعنده عشرة آلاف دينار .

وجاء في رواية احمد بن حماد ان عثمان بن عيسى كان في مصر وعنده للإمام مال كثير وست جوار ، فبعث اليه ابو الحسن الرضا فيهن وفي المال ، فكتب اليه ان اباك لم يمت ، فرد عليه الإمام بكتاب جاء فيه : لقد جاءتنا الاخبار بموته واقتسمنا ميراثه بعد ان تأكدنا من ذلك .

فكتب اليه عثمان الرواسي : ان لم يكن ابوك قد مات فليس لك من ذلك شيء ، وان كان قد مات كما تدعي فلم يأمرني بدفع شيء إليك وقد اعتقت الجواري وتزوجن .

اما علي بن حمزة البطائني وزياد بن القندي ، فقد انكرا وجود أي مال للإمام عندهما ولكن حوارهما مع يونس بن عبد الرحمن ومحاولتهما اغراءه بمبلغ كبير من المال لكي يتبنى موقفهما يؤكد اغتصابهما للمبالغ الضخمة التي كانت بحوزتهما .

فقد روى محمد بن عبد العزيز الكشي في رجاله بسنده الى احمد بن الفضل ان يونس بن عبد الرحمن قال : مات ابو الحسن موسى بن جعفر (ع) وليس من قوامه احد الا وعنده المال الكثير وذلك سبب وقوفهم وجحودهم موته ، وكان عند زياد القندي سبعون الف دينار ، وعند علي بن ابي حمزة ثلاثون الف دينار ، ومضى يقول : فلما رأيت ذلك وتبين لي الحق وعرفت من أمر أبي الحسن الرضا (ع) ما علمت ، تكلمت في ذلك ودعوت الناس اليه ، فبعثا الي وقالا لا تدع الى هذا الأمر ، فإن كنت تريد المال فنحن نغنيك ، وضمنا لي عشرة آلاف دينار على أن اكف وأترك هذا الأمر ، فقلت لهما : انا روينا عن الصادقين انهم قالوا : اذا ظهرت البدع فعلى العالم ان يظهر علمه ، فإن لم يفعل سلب الله عنه نور الايمان وما كنت ادع الجهاد وأمر الله على كل حال ، فناصباني وأظهرا لي العداوة .

وقد اعترف احمد بن أبي بشر السراج احد اقطاب الواقفة بأن الذي دعاه لعدم الرجوع الى أبي الحسن الرضا الأموال التي كانت عنده للإمام الكاظم (ع) ، فقد جاء في الغيبة للطوسي ان الحسين بن فضال قال : كنت ارى عند علي بن الحسين بن فضال شيخا من أهل بغداد وكان يهازل عمي ويمازحه فقال له يوما : ليس في الدنيا شر منكم يا معشر الشيعة ، فقال له عمي : ولِمَ لعنك الله ، قال : اني متزوج من بنت احمد بن أبي بشر السراج ، فقال لي لما

حضـرته الـوفاة : انـه كـان عنـدي عشـرة آلاف دينـار وديعـة لموسى بن جعفـر فدفعت ابنه عنهـا بعد مـوته وشهـدت انه لم يمت ، فـالله الله خلصوني من النـار وسلموها لأبي الحسن الرضا ، فوالله ما اخرجنا حبـة منها ولقـد تركنـاه يصلى في نار جهنم .

ولابن السراج هذا وابن المكاري الحسين بن ابي سعيـد وعلي بن ابي حمـزة البـطائني حوار مـع الإمام الـرضا (ع) حـول امامتـه بعـد ابيه رواه الكشي في رجاله عن محمد بن مسعود بسنده الى منصور بن العبـاس البغدادي انـه قـال : حـدثنا اسمـاعيل بن سهـل قال حـدثني بعض اصحابنـا وسألني ان أكتم اسمـه قال : كنت عند الـرضا (ع) فـدخل عليـه علي بن أبي حمـزة وابن السراج وابن المكاري فقال له ابن ابي حمزة : ما فعل ابـوك ؟ قال : مضى مـوتا ، فقـال له : الى من عهـد من بعده ؟ فقـال : عهـد الي ، فقـال لـه : فـأنت امـام مفتـرض الـطاعـة من الله ، قـال : نعم ، قـال ابن الســراج وابن المكـاري : قـد والله امكنـك من نفســه ، قـال : ويلك وبم امكنتـه اتـريـد ان آتي بغـداد وأقـول لهـارون : انا امـام مفترض الـطاعة ؟ والله مـا ذلك عـلي وانمـا قلت ذلـك لكم عنـدمـا بلغني من اختـلاف كلمتكم وتشتت امـركم لئـلا يصـير ســركم في يـد عدوكم .

فقال له ابن ابي حمزة : لقد اظهرت شيئاً مـا كان يـظهره احـد من آبائـك ولا يتكلم به ، قال : بـلى لقد تكلم خـير آبائي رسـول الله (ص) لما امـره الله تعالى ان ينذر عشيـرته الاقـربين ، فلقـد جمع من أهـل بيته أربعـين رجلا وقـال لهم : انـا رسول الله إليكم ، فكـان اشدهم تكـذيباً لـه وتأليباً عليـه عمـه ابـو لهب ، فقـال لهم النبي (ص) : ان خـدشني خـدش فلست بنبي ، فهـذا اول ما ابدع لكم من آيـات النبوة ، وأنـا أقول : ان خـدشني هارون خـدشا فلست بامام فهذا ما ابدع لكم من آية الامامة .

ثم قـال له عـلي بن ابي حمزة : انـا روينا عن آبـائـك ان الإمـــام لا يـلي

امره الا امام مثله ، فقال له ابو الحسن الرضا : اخبرني عن الحسين بن علي (ع) كان إماما ام لا ؟ فقال : لقد كان إماما ، فقال له الرضا : فمن ولي امره ؟ قال ولده علي بن الحسين قال : لقد كان علي بن الحسين أسيراً في يد عبيد الله بن زياد في الكوفة فخرج وهم لا يعلمون الى كربلاء حتى ولي امر ابيه ورجع ، فقال له ابو الحسن الرضا : ان الذي امكن علي بن الحسين (ع) ان يأتي كربلاء فيلي امر أبيه يمكن صاحب هذا الأمر ان يأتي بغداد ليلي امر ابيه وهو ليس في حبس ولا اسر .

وقد ناظرهم الإمام الرضا اكثر من مرة بعد ان تفشت فكرة الوقف في اوساط الشيعة ورجع منهم عدد كبير عنها ، وأصر عليها جماعة كالبطائني والقندي وابن السراج وغيرهم ، وقد لعنهم الإمام ووصفهم بالالحاد والزندقة .

فقد روى عنه سليمان الجعفري انه قال في جواب من سأله عنهم : ملعونين اينما ثقفوا اخذوا وقتلوا تقتيلا سنّة الله في الذين خلوا من قبل ولن تجد لسنّة الله تحويلا .

وفي رواية ثانية عنه انه قال ليوسف بن يعقوب : لا تعطهم من الزكاة فانهم كفار مشركون وانهم يعيشون حيارى ويموتون زنادقة .

وكتب في جواب من سأله عنهم كما جاء في بعض الروايات : الواقف معاند للحق ومقيم على سيئة ان مات عليها كانت جهنم مأواه وبئس المصير .

وقال في رواية اخرى ؛ ان الواقفة والنصاب بمنزلة واحدة ليسوا من المسلمين ولا من المؤمنين كما في رواية يحيى بن المبارك الى غير ذلك من الروايات الكثيرة التي رواها ابو عمر الكشي في رجاله وغيره من المؤلفين في احوال الرواة والرجال .

ويدعي الكشي في رجاله ان جماعة من الشيعة رجعوا بعد ابي الحسن

موسى بن جعفر إلى ولده احمد بن موسى واختلفوا اليه مدة من الزمن وكانوا قد ايقنوا بوفاة والده موسى بن جعفر . ومن هؤلاء إبراهيم واسماعيل ابنا ابي سمال او السماك ، ولما خرج ابن طباطبا ضد الحكم العباسي وأرسل الرشيد اليه جيشا بقيادة ابي السرايا خرج معه احمد بن الإمام موسى بن جعفر لحرب ابن طباطبا فقال له جماعة ان هذا الرجل قد خرج مع ابي السرايا فما تقولان ؟ فأنكرا عليه ذلك ورجعا عنه وقالا ان ابا الحسن موسى لا يزال حيا ووقفا عند القول بامامته الى غير ذلك مما يشير الى ان المنحرفين عن ابي الحسن الرضا كانوا بين من اغرتهم الدنيا واستبد بهم الطمع فتظاهروا بانكار موت ابيه طمعا بما كان بأيديهم من الأموال التي كانت بحوزتهم لأبي الحسن موسى بن جعفر عليهما السلام .

ومن هؤلاء ابن السراج والبطائني ، والقندي ، وابن عيسى الرواسي وغيرهم من وكلائه والقيمين على امواله .

ومنهم المندسون بين اصحاب الأئمة (ع) بوحي من الحكام ولغير ذلك من الاسباب كمحمد بن بشير وأمثاله من المشعوذين والمخربين ، وفريق ممن انحرفوا عنه كانوا محدودي التفكير والمعرفة فأخذوا ببعض المرويات التي لم تكن ظاهرة المحتوى ظهورا يرفع الشك والالتباس كالحسن بن قياما الصيرفي ، وزرعة بن محمد الحضرمي وامثالهما ممن كانوا يتعللون ببعض المرويات المكذوبة ، وبتلك التي لم تكن ظاهرة في المراد ظهوراً يرفع الحيرة والالتباس ، وهؤلاء كانوا أقل خطرا وضررا من النوعين السابقين ، وأمكن ارجاع اكثرهم الى الإمام الشرعي بعد الحوار الذي كان يجري بينهم وبين الإمام تارة وبينهم وبين بعض اصحابه اخرى .

وروى الكشي بالنسبة لهذا النوع من الواقفة عن الفضل بن شاذان بسنده الى الحسن الصيرفي انه قال : حججت سنة ثلاث وتسعين ومائة وسألت أبا الحسن الرضا (ع) فقلت له جعلت فداك ما فعل ابوك ؟ قال :

مضى كما مضى آباؤه قلت : فكيف أصنع بحديث حدثني به يعقوب بن شعيب عن أبي بصير ان ابا عبد الله الصادق (ع) قال : ان جاءكم من يخبركم ان ابني هذا مات وكفن وقبر ونفضوا ايديهم من ترا ب قبره فلا تصدقوه ، فقال : كذب ابو بصير ، ليس هكذا حدثه انما قال : ان جاءكم عن صاحب هذا الأمر انه مات وكفن وقبر ونفضوا ايديهم من تراب قبره فلا تصدقوه ، ويعني الإمام بصاحب هذا الأمر الإمام الثاني عشر .

كما روى ابو عمر الكشي ايضا عن محمد بن يونس بن الحسن الواسطي عن الحسن بن قياما الصيرفي انه قال : سألت ابا الحسن الرضا عن ابيه فقال مضى كما مضى آباؤه فقلت : فكيف اصنع بحديث حدثني به زرعة بن محمد الحضرمي عن سماعة بن مهران ان ابا عبد الله الصادق قال : ان ابني هذا وأشار الى ولده موسى فيه شبه لخمسة انبياء يحسد كما حسد يوسف ويغيب كما غاب يونس وعد ثلاثة غير هذه ، فقال : كذب زرعة بن محمد ليس هكذا حدث سماعة بن مهران ، انما قال : صاحب هذا الأمر يعني القائم فيه شبه من خمسة انبياء ولم يقل ابني هذا .

ومهما كان الحال فلا يهمنا استقصاء البحث عن الواقفة واتجاهاتهم والاسباب التي دفعتهم لذلك وقد عرضنا هذه اللمحات عنهم من حيث صلتها المباشرة بحياته التي ظلت تصطدم بالاحداث حتى آخر مراحلها وبسببها كانت نهاية حياته في حبس الرشيد ببغداد .



موقف الحكام من الإمام الرضا (ع)

لقد بقي الإمام الرضا بعد ابيه عشرين عاما او تزيد منها عشر سنوات في عهد هارون الرشيد ، لأن وفاة ابيه كانت سنة ١٨٣ ، وتوفي الرشيد سنة ١٩٣ كما جاء في تاريخ اليعقوبي وغيره ، وكان يتجرع خلالها مرارة الاحداث التي استقبلت امامته ويتعرض بين الحين والآخر الى تحركات بعض انصار الحاكمين والدائرين في فلكهم الذين كانوا يصورون لهم خطره على ملكهم وخلافتهم ظنا منهم ان ذلك سيمنحهم عطف الحكام ويعزز مراكزهم .

فقد جاء في رواية موسى بن مهران عن جعفر بن يحيى انه قال : سمعت عيسى بن جعفر يقول لهارون الرشيد حين توجه من الرقة الى مكة : اذكر يمينك التي حلفت بها في آل ابي طالب فانك حلفت ان ادعى احد الامامة بعد موسى بن جعفر ان تضرب عنقه صبرا ، وهذا علي ابنه يدعي هذا الأمر ويقال له ما يقال في ابيه ، فنظر اليه الرشيد مغضبا وقال : ما تريد أتريد أن أقتلهم جميعاً ؟

قال موسى بن مهران : فلما سمعت ذلك من جعفر بن يحيى صرت إليه وأخبرته بمقالة الرشيد فقال (ع) : مالي ولهم والله لا يقدرون مني على شيء .

وكان من أشد الناس تحريضا على الإمـام الرضـا البرامكـة الذين نسجـوا خيوط المؤامرة البشعـة على ابيـه مستغلين حقد ابن اخيـه وحسده لـه ، فقال لـه يحيى بن خالد وهو يحاول ان يدفعه عليه ليلحقه بـأبيه : هـذا علي بن مـوسى قد قعـد مكان أبيـه وادعى الامـر لنفسـه ، فقـال : أومـا يكفينـا مـا صنعنـا بـأبيه بالامس ، أتريد ان نقتلهم جميعا ؟

هـذه الكلمات من الـرشيد ان دلت عـلى شيء فإنها تـدل عـلى انـه كـان يحس باثم ما ارتكبه مع الإمـام الكاظم وربمـا كان يعيش في صـراع مع نفسـه ، التي لم تعـد قادرة عـلى ان تستوعب اثـماً جديـداً بقتل ولـده ، ولكن المحـاولات الكثيرة التي كانت تقوم بها حاشيته استطاعت اخيـراً ان تدفعـه لمحاولـة الانتقام منـه ، وكانت ارادة الله تحـول بينه وبـين ما يـريد . فقـد جـاء عن أبي الصلت الهروي انه قال : كان ابو الحسن الرضا ذات يوم جـالساً في بيتـه اذ دخل عليـه رسول هارون الرشيد ، فقـال له : اجب امـير المؤمنين ، فقـام وقال لي : يـا ابا الصلت ان الـرشيد لا يـدعوني في هـذا الوقت الا لـداهية ، فـوالله لا يمكنه ان يعمـل بي شيئاً اكـرهه لكلمـات وقعت الي من جـدي رسـول الله (ص) ، ثم خـرج وخرجت معـه حتى دخل عـلى هارون ، فلما نـظر اليـه الـرضـا قـرأ تلك الكلمـات ، فلما وقف بين يـديه نـظر اليه وقـال : يا ابـا الحسن قد امـرنا لـك بمـائة الف درهم واكتب لنـا حوائـج اهلك ، ارجع إلى أهلك ان احببت ، فلما قـام الإمام ليـرجع قـال الرشيـد : اردت امراً وأراد الله خـلافه ومـا اراد الله الا الخير .

ويبـدو ان جماعـة من أصحاب الإمـام الذين عـاشوا مـرارة الالم من جراء ما قاساه ابوه الكاظم (ع) من الظلم والبلاء من هارون الرشيد كـانوا يتـرقبون له نفس المصير ويحاولون ابعاده عن مواطن الخطر ، فطلبوا منه اكثر من مرة ان يتستر في دعوتـه ويحتاط لنفسـه ولشيعته من اولئـك الطغـاة الذين لا يـرقبون الله سبحانه في شيء من امورهم وتصرفاتهم ، ولكن الإمام الـرضا كـان يبدو وكـأنه تلقى عن آبائه ما سيكون من امـره وان الرشيـد على ضـلاله وطغيـانه لن يصـل

اليه بسوء ، فلم يعبأ بتلك المحاولات ولم يغير من سلوكه ونهجه واظهار الدعوة الى الله .

فقد روى ابو عمر الكشي والكليني في الكافي عن صفوان بن يحيى انه قال : لما مضى ابو الحسن موسى (ع) وقام من بعده ولده الرضا وأظهر الدعوة لنفسه خفنا عليه من ذلك وقلنا له : انك اظهرت امراً عظيماً وانا نخاف عليك من هذا الطاغية ، فقال (ع) يجهد جهده فلا سبيل له علي .

وجاء في روضة الكافي عن محمد بن سنان انه قال : قلت لأبي الحسن الرضا في ايام هارون : انك قد شهرت نفسك بهذا الأمر وجلست مجلس ابيك وسيف هارون الرشيد يقطر الدم .

فقال جرأني على ذلك ما قال رسول الله (ص) لاصحابه : ان اخذ ابو جهل من رأسي شعرة واحدة فاشهدوا بأني لست بنبي ، وأنا اقول لكم ان اخذ هارون من رأسي شعرة فأنا لست بإمام .

ودخل عليه جماعة من الواقفة وبعد حوار جرى بينه وبينهم قال له علي بن ابي حمزة : اما تخاف هؤلاء على نفسك ، فقال : لو خفت عليها كنت عليها معينا ، ان رسول الله (ص) اتاه ابو لهب فتهدده فقال له رسول الله : ان خدشت من قبلك خدشة فأنا كذاب ، فكانت أول آية نزع بها رسول الله (ص) وهي اول آية انزع بها لكم ان خدشت خدشا من قبل هارون فأنا كذاب .

فقال له الحسين بن مهران وكان من الواقفة : قد اتانا ما نطلب ان اظهرت هذا القول ، قال الإمام (ع) : اتريد مني ان اذهب الى هارون وأقول له انا الإمام وأنت لست بشيء ما هكذا صنع رسول الله في أول امره ، انما قال ذلك لأهله ومواليه ومن يثق به دون الناس . وظل انصار الرشيد وبخاصة البرامكة الحاقدين على العلويين يشحنونه على الإمام الرضا وكان يستجيب لطلبهم احيانا فيرسل في طلبه ليقتله وكان الله له ولاعوانه بالمرصاد

فكف شره عنه وانتقم لـه ولأبيه (ع) من البرامكة على يد الرشيد نفسه في حين انهم كانوا العقل المدبر لسياسته ومن أقرب اعوانه اليه .

ويروي الرواة كما جاء في تاريخ ابن الاثير حادثة من الحوادث التي وقعت في عصر الرشيد كان من ذيولها ان تعرض بيت الإمام الرضا للاساءة والسلب .

فقد خرج محمد بن جعفر بالمدينة وأعلن الثورة والتمرد على الحكم الجائر فأرسل اليه الرشيد جيشاً بقيادة الجلودي احد اعوانه وأمره بضرب عنقه ان ظفر به ، ولم يقف عند هذا الحد ، بل أوعز اليه ان يهاجم دور آل ابي طالب ويسلب ما على نسائهم من ثياب وحلل ولا يدع على واحدة منهن ثوبا يسترها ، وبعد أن ظفر الجلودي بمحمد بن جعفر والثائرين معه هاجم دور الطالبيين ونفذ اوامر الرشيد بها ، ولما انتهى الى دار الإمام الرضا (ع) بخيله وجنده وقف الإمام على باب داره وجعل نساءه في بيت واحد وحاول ان يمنعهم من دخوله ، فقال له الجلودي : لا بد وأن ادخل البيت وأتولى بنفسي سلبهن كما امرني الرشيد ، فقال له الرضا (ع) : انا اسلبهن لك ولا اترك عليهن شيئاً الا جئتك به ، وظل يمانعه ويحلف له بأنه سيأخذ جميع ما عليهن من حلي وحلل وملابس حتى سكن ووافق على طلب الإمام (ع) .

فدخل ابو الحسن الرضا على نسائه ولم يدع عليهن شيئاً حتى اقراطهن وخلاخيلهن وملابسهن الا اخذه منهن وأضاف اليه جميع ما في الدار من قليل وكثير وسلمه الى الجلودي .

ولم يحدث التاريخ بغير هذه النتف من مواقف الرشيد مع الإمام الرضا (ع) . واما في عهد خليفته الامين الذي تسلم السلطة في السنة التي هلك فيها الرشيد سنة ١٩٣ بحكم كونه ولياً للعهد بمقتضى توزيع الادوار بين اولاده الثلاثة فجعلها الى محمد الامين من بعده ومن بعده لولده عبد الله المأمون ، وبعدهما لولده القاسم كما وزع المناطق بينهم كما جاء في تاريخ ابن

الاثير ، فجعل للامين ولاية العراق والشام الى آخر المغرب وللمأمون من همدان إلى آخر المشرق بما في ذلك خراسان وجهاتها ، ولولده القاسم بعد ان بايع له بولاية العهد بعد اخيه المأمون الجزيرة والثغور والعواصم ، وترك للمأمون الخيار في بقائه ولياً لعهده وخلعه .

وبقي محمد الامين بعد ابيه هارون خمس سنوات وأشهر ، وفي المحرم من سنة ١٩٨ بعد ان قتل الامين بنتيجة المعارك التي دارت رحاها بين انصاره وأنصار اخيه المأمون بعد أن قتل انتقلت السلطة الى المأمون واجتمع عليه المسلمون في جميع اطراف الدولة ، وكان محمد الامين بعد ان انتقلت الخلافة اليه غدر بأخيه المأمون وخلعه من ولاية العهد وجعلها لولده موسى من بعده ، باشارة الفضل بن الربيع عليه بذلك لأنه كان يحقد على المأمون ، وقد خاف على مركزه في الدولة ان ينتزعه منه المأمون ان افضت الخلافة له كما جاء ذلك عن المجلد الخامس من ابن الاثير .

ومهما كان الحال ففي الفترة التي حكم فيها الامين لم نجد في كتب التاريخ ما يشير الى اي موقف يدل على انه حاول الفتك بالامام الرضا او الاساءة اليه ، ولعل مرد ذلك الى انصرافه للملذات والشهوات بالاضافة الى الخلافات التي آلت الى انقسام خطير بين افراد الاسرة الحاكمة وكان من نتائجها اقصاؤه لأخيه المأمون من ولاية العهد مما زاد من حدة الصراع بين الفريقين واضطراب الاوضاع في جميع انحاء الدولة .

على ان ما كان يتمتع به المأمون من محبة الجماهير وثقتهم وقوة شخصيته قد دفع بالامين وأعوانه ان يقصروا جهودهم على تجنيد جميع اجهزتهم لمراقبته ، وقطع الطريق عن اي تحرك ضدهم ، وأصبح خطر غيرهم ممن لا يرتضي حكمهم ودولتهم ضئيلا اذا ما قيس بنظرهم بالخطر الداخلي الجاثم على صدورهم ، ومن الجائز ان يكون لذلك كله دخل في انصراف الامين وجهاز حكمه عن مراقبة الإمام الرضا (ع) وملاحقته كما كان يفعل اسلافه

مع غيره من الأئمة (ع) ، مما قيض له فترة هـادئة من الـزمن انصرف فيهـا الى اداء رسالته ونشر مبادىء الاسلام في ذلك الجو الذي كان مشحونا بالصراعات العقائدية والخلافات المذهبية كما سنشير الى ذلك خلال البحوث الآتية .



الإمام الرضا والمأمون

لقد ختم الإمام الرضا (ع) حياته في عصر المأمون وبقي بعد ان انتقلت الخلافة اليه فترة تتراوح بين الخمس سنوات والثماني سنوات على ابعد التقادير، ولعل تلك الفترة من حياته التي قضاها في عهد الامين قبل انتقال الخلافة الى المأمون كانت من اهدأ فترات حياته بعد ابيه وأغناها بالآثار التي تركها في مختلف الميادين.

اما السنون التي قضاها في عهد المأمون فمع انه كان يتظاهر بالتشيع والعطف على العلويين ويتنكر لاساليب العنف والانتقام التي برزت في عهد اسلافه، مع انه تبنى هذا الموقف الذي يبدو عليه الاعتدال وتقرب من العلويين واستدعى الامام الرضا اليه وتظاهر بالولاء لعلي وآل علي (ع) وجعله ولياً لعهده، فلقد كان الإمام (ع) يرى هذه الفترة من حياته اسوأ ما مر عليه منذ وفاة أبيه (ع) وأدرك ما يكمن وراء تظاهر المأمون بولائه واستدعائه له الى خراسان من اخطار على حياته، كما تشير الى ذلك رواية الصدوق في كتابه عيون اخبار الرضا، عن السجستاني انه قال: لما ورد البريد بإشخاص الرضا عليه السلام الى خراسان كنت انا بالمدينة فدخل المسجد ليودع رسول الله (ص)، فكان يقف على القبر مودعا باكيا ويخرج ثم يرجع اليه فعل ذلك مرارا ويعلو منه البكاء والنحيب فتقدمت اليه وسلمت

عليه وهنأته فرد علي السلام وقال : ذرني فإني اخرج من جوار جدي رسول الله (ص) وأموت في غربة .

وخلال اقامته في خراسان كان يتلوى من الألم ويتمنى لنفسه الموت ليتخلص من حياة تحيط بها المكاره ويستغل وجوده فيها لاغراض الحاكمين ومصالحهم ، فقد روى ياسر الخادم كما جاء في عيون الاخبار ان الرضا (ع) كان اذا رجع يوم الجمعة من الجامع يقول : اللهم ان كان فرجي مما انا فيه بالموت فعجله لي الساعة ولم يزل مغموما مكروبا حتى قبض .

ولا بد لي قبل الحديث عن هذا الجانب من جوانب سيرة الإمام الرضا (ع) من الاشارة الى الدوافع التي قضت على المأمون ان يستدعي اليه الامام ويضطره الى القبول بولاية عهده. لقد ذكرنا ان الرشيد جعل ولاية العهد من بعده لولده الامين ، ومن بعده للمأمون ، ولولده القاسم بعد المأمون ، ووزع عليهم البلاد أيضاً ، فأعطى الامين ولاية العراق والشام الى المغرب وأعطى المأمون من همدان الى ما وراء ايران من المناطق الخاضعة لحكم الإسلام ، وجعل للقاسم ما بقي من اطراف الدولة ، وقد ظهرت بوادر الخلاف بين الاخوين قبل موت ابيهما ، ويعزو بعض المؤرخين ذلك الى ان اعطاء الرشيد ولده المأمون تلك الصلاحيات الواسعة في خراسان وجهاتها واخذه له البيعة من القادة والزعماء في تلك المناطق بالاضافة الى ما خوله اياه من الأموال وغيرها ، هذا التصرف من الرشيد قد اعتبره الامين من أبيه سابقا لأوانه ، باعتباره ولي العهد الاول الذي يجب ان تناط به امثال هذه التصرفات وجميع شؤون الدولة .

وتعمقت شقة الخلاف بين الاخوين بايحاء من بعض الأجهزة التي كانت تحيط بالامين وحرضته اخيرا على نقض ما ابرمه الرشيد وأعلن الامين في بغداد اسقاط اخيه المأمون وتعيين ولده موسى مكانه ولياً لعهده وكتب بذلك إلى جميع اطراف الدولة .

وكان لهذا التخطيط الغادر آثاره السيئة في نفس المأمون فجهز جيشاً قوياً لاحتلال بغداد عاصمة العباسيين ، وجهز الامين من طرفه جيشاً للاستيلاء على المناطق التي كانت بيد اخيه ، واصطدم الجيشان في اكثر من موقع ودارت بينهما المعارك الطاحنة فانتصر فيها المأمون على اخيه وخضعت له البلاد بكامل حدودها ، واتخذ من مرو قاعدة للخلافة الاسلامية بدلا من بغداد بعد ان رجح له ذلك قادته وحاشيته وفاء للبلد الذي نصره وانتصر له في احلك ساعات المحنة .

وكان عليه بعد مقتل اخيه واستقلاله بالحكم جريا على العادة التي اتبعها اسلافه ان يعهد بولاية العهد لاحد من بعده ويختار من يراه صالحا لذلك ، وقد اختار لها الإمام الرضا (ع) لاسباب تعود لصالحه كما تؤيد ذلك الظروف والملابسات التي كانت تحيط به يوم ذاك .

وجاء في رواية الصدوق بسنده الى جماعة انهم قالوا : لما انقضى امر المخلوع واستوى امر المأمون كتب الى الإمام الرضا يستدعيه ويستقدمه الى خراسان فاعتل عليه الرضا (ع) بعلل كثيرة ، فما زال المأمون يكاتبه ويسأله حتى علم انه لن يكف عنه فخرج من المدينة ولولده محمد الجواد من العمر سبع سنوات .

وجاء في تاريخ الطبري وهو يتحدث عن حوادث سنة ٢٠٠ للهجرة ان المأمون وجه في تلك السنة الى المدينة رجاء بن ابي الضحاك عم الفضل بن سهل وفرناس الخادم لإشخاص علي بن موسى الرضا ، ومحمد بن جعفر ، وكان محمد بن جعفر قد خرج على المأمون بمكة ولقب بأمير المؤمنين ، ولكن الجلودي قد استطاع التغلب عليه وخرج به الى العراق وسلمه الى الحسن بن سهل ، فأرسله الحسن بن سهل الى المأمون مع رجاء بن أبي الضحاك الذي اخذ معه الإمام الرضا (ع) .

وتنص رواية الصدوق في عيون اخبار الرضا على ان رجاء بن ابي

الضحاك كان يقول: بعثني المأمون الى المدينة لاشخاص علي الرضا وأمرني ان آخذ به على طريق البصرة والاهواز وفارس ولا آخذ به عن طريق قم .

ورواية الكليني تنص على انه امرهم ان لا يسلكوا به طريق الجبل وقم . وان يأخذوا طريق البصرة والاهواز وفارس .

وقد قيل ان السبب في استدعاء المأمون للإمام الرضا (ع) الى خراسان وإلحاحه عليه بقبول ولاية العهد حتى اضطره الى قبولها ، هو ان الرشيد كان قد بايع لابنه محمد الامين ومن بعده المأمون ، وبعدهما لولده القاسم وكتب بذلك صحيفة وأودعها في الكعبة وقسم البلاد ومواردها بينهما كما ذكرنا ، ولما نقض الامين عهد ابيه وخلع اخاه من ولاية العهد وجعلها لولده موسى وقعت الحرب بينهما ، نذر المأمون ان مكنه الله من الامين ان يجعل الخلافة في أفضل آل ابي طالب ، ولما انتهت المعارك بينهما وتم له الاستيلاء على بغداد وجميع انحاء الدولة استدعى الامام الرضا الى خراسان ليفي بنذره كما رجح ذلك الصدوق في كتابه عيون اخبار الرضا ، فروى عن الريان بن الصلت ان الناس قد اكثروا القول في بيعة الرضا ، ونسبوها الى الفضل بن سهل ، ومضى الريان بن الصلت يقول : فأرسل الي المأمون وقال : بلغني ان الناس يقولون : ان بيعة الرضا كانت من تدابير الفضل بن سهل ، قلت نعم لقد شاع بين الناس ذلك ، قال : ويحك يا ريان أيجسر احد ان يجيء الى خليفة قد استقامت له الرعية وانتظمت له البلاد ويقول له : ارفع يدك عن الخلافة وسلمها لغيرك ، قلت : لا والله ، ثم قال المأمون : اني سأخبرك عن سبب ذلك ، لما كتب الي اخي محمد الامين يأمرني بالقدوم عليه وأبيت ان انفذ طلبه عقد لعلي بن موسى بن ماهان وأمره ان يقيدني بقيد ويجعل الجامعة في عنقي ، وأرسلت هرثمة بن اعين الى سجستان وكرمان فانهزم ، وخرج صاحب السرير وغلب على كور خراسان من ناحيته وورد علي ذلك كله في اسبوع ولم يكن لي قوة بذلك ولا مال اتقوى به ، ورأيت من قوادي ورجالي الفشل والجبن ، فأردت ان ألحق بملك كابل ، فقلت في نفسي رجل كافر

يغـريه محمـد الامين بـالاموال فيـدفعني اليه ، فلم اجـد وجها من ان اتـوب الى الله من ذنوبي وأستعين به على هذه الامور وأستجـير به سبحـانه ، فـأمرت ببيت فكنس وصببت علي الماء ولبست ثوبين طـاهرين ابيضـين وصليت اربع ركعـات ودعـوت الله واستجرت به وعـاهدتـه عهدا وثيقـا بنية صـادقـة ان افضى الله الي بهذا الامر وكفاني عادية الامين ان اضـع الامر في مـوضعه الـذي وضعه الله عـز وجـل ، فلم يزل امـري بعد هـذا العهد يقـوى ويشتد حتى كـان من أمـر اخي محمد ما كان ، فأحببت ان افي بما عاهدت الله عليه ولم ار احدا أحق بهذا الأمر من أبي الحسن الرضا فوضعتها فيه فلم يقبلها الا على ما قد علمت .

وقيـل انما بـايعـه لأنـه لم يـر في الهـاشميـين من هـو افضـل منـه ، ومضى اليـافعي في مـرآة الجنـان يقـول : ان المـأمـون احصى اولاد العبـاس بن عبـد المطلب الرجـال والنساء وهـو بمدينـة مرو من بـلاد خراسـان فبلغ عددهم ثـلاثة وثـلاثين الفـا بين كبـير وصغير ، واستـدعى ابا الحسن عـلي بن مـوسى فـأنـزلـه احسن منزل وجمع خواصه وأخبـرهم انه نـظر في ولد العبـاس وأولاد علي بن أبي طـالب (ع) فلم يجد احـدا افضل وأحق بـالخلافـة من علي الـرضا فبـايعه من بعده .

وقيـل ان السبب في ذلك هـو ان الفضـل بن سهـل كـان مستـولياً عليـه فأراد ان يحول الخـلافة من اسـرة الى اسرة كـما فعل ابـو مسلم الخراسـاني حيث حـولها من الامـويين الى الهـاشميين في حـديث يرويـه الصـدوق في العيـون عن الحسين بن احمد السلامي في كتابه اخبار خراسان .

وجاء في الكتاب المذكور ان الفضل بن سهل ذا الـرياستـين وزير المـأمون ومـدبر امـوره كان مجـوسياً فـأسلم على يـدي يحيـى بن خالـد البرمكي وصحبـه وقيـل انه اسلم والـده سهل عـلى يدي المهـدي العباسي ، وقـد اختار يحيـى بن خالد الفضـل بن سهل لخـدمة المـأمون وضمـه إليه فتغلب عليـه واستبد بـالأمر دونه وانما لقب بذي الريـاستين لانـه تقلد الوزارة وريـاسة الجنـد ومضى الراوي يقول :

فقـال الفضل حـين استخلف المـأمـون واستتبت لـه الأمـور يـومـا لبعض جلسائه : اين يقع فعلي فيما اتيته من فعل ابي مسلم الخراسـاني فيها اتـاه ، فقال لـه : إن ابـا مسلم حولهـا من قبيلة الى قبيلة وأنت حولتهـا من أخ الى أخ وبـين الحـالين مـا تعلمه ، فقـال الفضل : وأنـا احولهـا من قبيلة الى قبيلة ، ثم اشـار على المأمـون ان يجعل عـلي بن موسى الـرضا وليـا لعهده وحسن ذلـك له فبـايعه المأمون بولاية العهد وأسقط بيعة أخيه المؤتمن ، فلما بلغ خبره العبـاسيين ببغـداد سـاءهم ذلك فبـايعوا ابـراهيم بن المهـدي بـالخـلافـة ، فلما بلغ المـأمـون خبر ابـراهيم ادرك خطأ الفضـل بن سهـل فخـرج من مـرو منصـرفـا الى العـراق واحتال على الفضل فقتله وسم علي بن موسى .

وقيل ان الذي دفع المأمون على استدعاء الـرضا الى خـراسان وجعله وليـاً لعهـده هو تشيعـه لأهل البيت الـذي ظهر منـه في اكثر مـواقفـه كتفضيله امـير المؤمنين على سائر الصحابة وقوله بأحقيته بـالخلافـة وتبنيه لأكـثر آراء اهل البيت (ع) في اصـول الإسـلام ، ومن ذلـك القـول بخلق القـرآن الـذي وقف فيـه موقف المتصلب مع المحدثين والفقهاء .

وقوله بجواز نكاح المتعة ورده القاسي عـلى الخليفة الثـاني الذي حـرم هذا النوع من النكاح ومحاولته الجادة بشتم معاوية وجعله سنة جـارية وتهـديده لكـل من يـذكره بخـير بالاضـافة الى عـطفه عـلى العلويين وعفـوه عن الثـائـرين عـلى حكمه ، ورده فدكاً عليهم ، وشعوره فيـما يروى عنـه بالاثم بمـا اقترفـه اسلافـه معهم كـما يشهد بـذلك قـوله لبني هـاشم : ويحكم ان بني اميـة انمـا قتلوا منهم من سـل سيفا ، وانـا معشر بني العباس قتلنـاهم جملا فلتسـألن اعظم الهـاشمية بـأي ذنب قتلت ، ولتسـألن نفـوس القيت في دجلة والفـرات ونفـوس دفنت ببغداد والكوفة أحياء .

وقـد ذكرنـا خلال حـديثنا عن سيـرة الإمـام أبي الحسن مـوسى بن جعفـر رواية سفيان بن نزار التي جاء فيهـا ان المأمـون كان يقـول : لقد علمني التشيـع ابي هارون الرشيد ووصفه لدخول الإمام الكاظم عـلى الرشيـد وحفاوتـه البالغـة

بـه واكـرامـه لـه بشكـل لم يسبق من الـرشيـد ان اكـرم احـدا بمثله ، وجـاء في الرواية انه لما انصرف الإمام وخـلا المجلس قال المـأمون لأبيـه : يا أمـير المؤمنين من هـذا الـرجـل الـذي عـظمتـه وأجللتـه وقمت من مجلسـك إليـه فـاستقبلتـه وأقعدته في صدر المجلس وجلست بين يديه وأمـرتنا بـأخذ الـركاب لـه ؟ قال : هـذا إمام النـاس وحجة الله عـلى خلقه وخليفتـه على عبـاده ، فقلت : يا امـير المؤمنـين أليست هذه الصفـات كلها لـك وفيك ؟ فقـال : انا إمـام الجماعـة في الـظاهر بـالغلبة والقهـر وموسى بن جعفـر امـام حق ، والله يـا بني انـه لأحـق بمقـام رسول الله مني ومن الخلق اجمعـين ، فقال لـه المـأمـون : إذا كنت تعـرف ذلك فتنح عن الملك وسلمـه لاصحابـه ، فقال : يـا بني ان الملك عقيم ، والله لـو نازعتني فيـه لاخذت الـذي فيه عينـاك ، الى غـير ذلـك ممـا يـروى عنـه من مظاهر التشيع والولاء لعلي وبنيه .

واذا صـح مـا يـروى عنـه من التشيـع كـما هـو ليس ببعيـد فتشيعـه عـلى تقـديره لا يصلح ان يكـون سبباً لمحـاولاته الـرامية الى تنـازلـه عن الخـلافـة او جعله وليـاً لعهـده . ولم يكن في تشيعـه المـزعـوم قـد بلغ اقصى حـدود المثـاليـة والزهد في الـدنيا ليتنـازل عن امبراطـورية واسعـة متراميـة الاطراف لاصحـابها الشـرعيـين وينقلهـا من بيت الى بيت وهـو يعلم مـا سيتـرتب عـلى ذلـك من المضـاعفات الخـطيرة التي لا يقـوى هو وغيـره على تحملهـا ، وبالامس القـريب قتل اخاه وعشرات الالوف من اجلهـا ، وزعـم انه سمـع اباه يقـول : ان الملك عقيم والله لـو نازعتني فيـه لاخذت الـذي فيه عينـاك ، وانطلق من هـذا المبـدأ لقتل اخيه من أجلها .

ومجمل القول ان تشيعه المزعـوم لو كـان حقيقة واقعـة لا يصلح ان يكون سبباً لالحـاحـه على الإمـام بقبول الخـلافة او لاشـراكه معـه في الحكم عن طريق ولاية العهد .

كما وان ما ذكره الصدوق من ان الدافع له كان هـو الوفـاء بنذره خـلال

الازمة التي كانت بينه وبين اخيه ان اظفره الله به ان يجعل الخلافة في افضل آل ابي طالب كما نفى هو في رواية الريان بن الصلت ما جرى من تدابير الفضل بن سهل ، بل كان وفاء لنذره ولم يكن الدافع عليه احدا من الناس ، هذا القول في منتهى البعد والغرابة ايضا لأن المأمون لم يكن ذلك المتحرز لدينه الى حد يتنازل عن الخلافة لاخصامهم لنذر ألزم نفسه به اذا نجح في معركته على اخيه ، وهل يهتم بالنذر من يضحي بعشرات الالوف من الابرياء لأجل الحكم والملك ولو شهرا واحداً ، وظل طيلة حياته يردد كلمة ابيه ، الملك عقيم ، والله لو نازعتني فيه لأخذت الذي فيه عيناك ، وحديثه مع الريان بن الصلت وغيره ان صح فانما هو لتضليل الشيعة وعامة الناس بسلامة قصده فيما صنعه من اكراه الإمام (ع) على القبول بولاية العهد .

ومثله في الغرابة ما جاء في علل الشرائع وملخصه ان المأمون اراد من ولاية العهد للإمام الرضا (ع) ان يكشف واقعهم للناس لأنهم يتظاهرون بالزهد في الدنيا وينددون بالحكام لعدم تمكنهم منها فأراد ان يدخله في الحكم ليكشف حقيقتهم لاولئك الذين كانوا يجلونهم ويقدسونهم .

وسبب الغرابة فيه ان المأمون اعرف بواقع الأئمة من غيره وأبصر بحقيقتهم ، وهو يعلم ان ذلك لن يؤثر على مكانتهم في نفوس الناس لأن تولي السلطة لا يتنافى مع الزهد في الدنيا اذا كان لإحقاق الحق وإنصاف المظلومين وبناء مجتمع سليم يستمد قوته واصالته وأنظمته من تعاليم الاسلام وآدابه وتشريعاته ، وقد تولاها امير المؤمنين علي (ع) فكان في حال خلافته ازهد منه في الدنيا قبل وصوله اليها ، لأن خيرات البلاد كانت كلها في تصرفه ومع ذلك لم يشبع من خبز الشعير ، وكان يقول : أأقنع من نفسي ان يقال امير المؤمنين ولا اشاركهم في خشونة العيش وخشونة المطعم .

هذا بالاضافة الى ان الإمام الرضا كان كارها لكل ما جرى وقد اكره عليه اكراها بلغ حدود التهديد بالقتل وعرف الناس منه ذلك كما جاء في اكثر

المرويات التي وصفت المراحل التي مر بها .

لقد كان كارها لعلمه بأن المأمون لم يكن جادا في كل ما كان يتظاهر به من الحب والولاء والعطف على العلويين ، بل كان يتستر بذلك ليحصل على مكاسب يستفيد منها هو وأسرته وتوفر له الامن والاستقرار كما يبدو ذلك من ملاحظة الظروف التي كانت تحيط بدولته الى تلك الفترة من تاريخها .

ومن غير المعقول ان يكون مخلصاً في إلحاحه على الإمام بقبول الخلافة او بولاية العهد ومع ذلك يتنكر الإمام لطلبه ويتهرب ، لأن الخلافة من الحقوق التي جعلها الله له ولغيره من ائمة أهل البيت (ع) لإحقاق الحق ونشر العدل ومكافحة البدع التي طغت في ذلك العصر وقبله على القيم والاخلاق وجميع معالم الإسلام ، وكل من تقلدها قبله وبعده كان من الغاصبين بنظر الأئمة من اهل البيت والمعتدين على اقدس ما انزله الله بعد الرسالات .



الدافع السياسي لولاية العهد

لقد كان المأمون يتمتع بشخصية لعلها من أقوى الشخصيات العلمية والادارية التي وصلت الى الحكم من بني العباس ، وكان اخوه الامين منافسه الأول في الحكم لا يملك شيئاً من المؤهلات ، ومع ان الرشيد يعرف عنهما ذلك فقد قدمه على المأمون لا لسبب الا لأنه الولد المدلل لسيدة القصر المفضلة زبيدة بنت جعفر بن المنصور الدوانيقي ، وبدأت بوادر الخلاف بين الأخوين والرشيد لا يزال حيا ، وظلت الاجواء تتأزم والامور تتعقد بينهما حتى انفجر الموقف وانتهى الصراع الدامي الذي ذهب ضحيته عشرات الالوف بقتل الامين وانتقال السلطة بكاملها الى المأمون كما ذكرنا .

وأحس المأمون بعد ذلك بالتذمر في اوساط بغداد وبنقمة عارمة من اكثر العباسيين الذين ناصروا الامين عليه ، وكان العلويون يخرجون على الحكام بين الحين والآخر وشيعة الكوفة يرحبون بكل ثائر ، كما كان الشيعة في كل مكان ينكرون على العباسيين سوء صنيعهم مع العلويين ويباركون جميع الانتفاضات المعادية لهم وبخاصة شيعة خراسان الذين كان لهم الفضل الاكبر في ارساء حكم المأمون وانتصاره على اخيه ، وفي السنة التي استولى فيها المأمون على السلطة كانت الاخطار تهدد دولته ، من جميع الجهات ، فقد خرج السري بن منصور الشيباني المعروف بأبي السرايا في الكوفة وجهاتها يقود

الدعوة لمحمد بن ابراهيم بن اسماعيل بن الحسن بن الحسن بن علي (ع) وبايعه عامة الناس ووثب بالمدينة محمد بن سليمان بن داود بن الحسن ، وبالبصرة علي بن محمد بن جعفر بن علي بن الحسين وزيد بن موسى بن جعفر الملقب بزيد الغار وغلبا عليها وعلى جهاتها واشتد امرهما ، كما ظهر في اليمن ابراهيم بن موسى ، وفي المدينة الحسن بن الحسين بن علي بن الحسين المعروف بالافطس ودعا الى ابن طباطبا فلما مات ابن طباطبا دعا الى نفسه ، وسار منها إلى مكة في الموسم وعلى الحاج داود بن عيسى الهاشمي فخرج من مكة هارباً من الافطس فصلى الحسن بن الحسين بالناس وحج بهم ذلك العام ويدعي بعض المؤرخين انه جرد البيت مما عليه من الكسوة ، واشتعلت الثورات في اكثر انحاء الدولة ومع كل ثائر عشرات الألوف يناصرونه على اولئك الجبابرة الذين اقاموا عروشهم على جماجم الابرياء الصلحاء وسخروا لها جميع موارد الدولة وخيرات البلاد .

وجاء في مقاتل الطالبيين بعد معارك ابي السرايا داعية العلويين وغيره ونظروا في الدواوين فوجدوا ان القتلى في تلك المعارك تزيد على مائتي الف رجل . وسواء صح هذا الرقم أم لم يصح فلا شك في ان دولة المأمون كانت مهددة بالاخطار من جميع الجهات وان حركات التمرد كلها كانت بقيادة العلويين .

لقد ادرك المأمون في تلك الفترة التي افتتح بها خلافته حراجة الموقف وأخطاره فلم يجد وسيلة اجدى وأنفع من تظاهره للرأي العام الشيعي والعلوي برغبته في التنازل عن الخلافة الى الإمام الرضا وهو يعلم ان الامام سيرفض ذلك رفضا قاطعا وكان الأمر كذلك وأخيراً اكرهه على ولاية عهده والاقامة معه في بلد واحد وتظاهر دجلا ونفاقا بالولاء له ولآبائه وأمر ولاته في المقاطعات بالدعوة للرضا على المنابر وفي جميع المناسبات وكل ما يهمه من هذا التضليل ان يتلافى مشكلة الصدام مع العلويين الذين كانوا يهددون الدولة العباسية بانتفاضاتهم وتمردهم هنا وهناك بين الحين والآخر ، وان يطمئن على

موقف الشيعة من خلافته في تلك الفترة من تاريخ حكمه التي هو فيها احوج ما يكون اليهم ، ولم يعد في الساحة سوى المؤيدين لاخيه من العباسيين وانصارهم ، وهؤلاء لا يشكلون عليه خطرا ما دامت بقية القوى التي كانت تستنزف القسم الأكبر من قوة الدولة الى جانبه .

وبالفعل فلقد نجح المأمون في هذا التدبير فلم يحدث التاريخ بأن أحداً من العلويين خرج على المأمون او تحرك ضده خلال السنتين اللتين عاشهما الإمام (ع) بعد ولاية العهد مراعاة لجانب الإمام ، كما وان عامة الشيعة كانوا يعتبرون الإمام شريكاً في الحكم وقد حقق لهم المأمون ما عجزت ثورة ابي مسلم الخراساني التي كانت باسم العلويين وسائر الانتفاضات التي حصلت بعدها .

ومما يؤيد ان المأمون كان يضمر السوء للإمام (ع) ويحاول بمواقفه هذه ان يجعل من الإمام واجهة يتستر بها لاهدافه ومصالحه ما جاء في بعض الروايات التي تنص انه وضع عليه رقابة تحصي عليه انفاسه ، فقد روى الريان بن الصلت ان هشام بن ابراهيم الراشدي كان من اخص الناس بالرضا ، فلما حمل الإمام الى خراسان اتصل هشام بن ابراهيم بذي الرياستين وأدناه اليه لينقل اليه والى المأمون اخبار الرضا ، وقد حظي عندهما حتى اصبح لا يخفي عليهما شيئاً من اخباره ، ثم ولاه المأمون حجابة الرضا فضيق عليه ومنع عنه حتى بعض مواليه وخاصته ولم يتكلم الإمام في داره بشيء الا وكان يبلغه لهما .

كما يشير الى ان المأمون لم يكن جادا في عهده للإمام الرضا ما جاء في جوابه لبني العباس الذي قال فيه كما في رواية البحار : اما ما كنت اردته من البيعة لعلي بن موسى الرضا فما كان ذلك مني الا ان اكون الحاقن لدمائكم والذائد عنكم باستدامة المودة بيننا وبينهم وان تزعموا اني اردت ان يؤول إليهم عاقبة ومنفعة ، فاني في تدبيركم والنظر لكم ولعقبكم وأبنائكم من

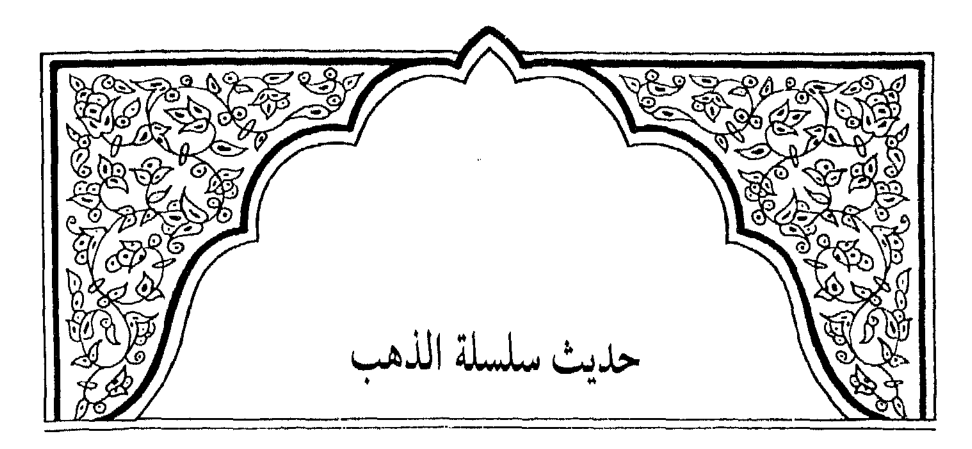
بعدكم وأنتم ساهمون لاهون في غمرة تعمهون لا تعلمون ما يراد بكم .

فالمدلول الضمني لكلامه هذا انه لم يكن يريد ان ينقل الخلافة من بيت الى بيت كما يتصورون ، بل اراد ان يطوق ما كان منتظرا في ذلك الظرف من المضاعفات التي قد تسبب له ولخلافتهم الكثير من المتاعب وتعرضها لأسوأ الاحتمالات .

ومهما كانت الدوافع على هذا الأمر فلم يجد الإمام بدا من الاستجابة لطلبه بعد ان هدده بالقتل كما جاء في رواية علل الشرائع ومقاتل الطالبيين ، وجاء فيها انه قال له : انك تتلقاني ابدا بما اكرهه وقد امنت سطوتي ، فبالله اقسم لئن قبلت ولاية العهد والا اجبرتك على ذلك فان فعلت والا ضربت عنقك .

ويروي الصدوق في عيون اخبار الرضا ان الإمام (ع) في طريقه الى خراسان مر على نيسابور ونزل بمحلة يقال لها القزويني او القزيني ، وفيها حمام عرف فيما بعد بحمام الرضا ، وكانت هناك عين قد قل ماؤها فأقام عليها من اخرج ماءها حتى توفر ، واتخذ من خارج الدرب حوضا ينزل اليه بالمراقي الى هذه العين على حد تعبير السيد الأمين في الاعيان .

ومضى السيد الأمين في الجزء الرابع من الاعيان يقول : ان الإمام الرضا (ع) قد اغتسل في الحوض وصلى على ظهره ، والناس يتناوبون ذلك الحوض ويغتسلون فيه ويشربون منه التماسا للبركة ويصلون على ظهره ويدعون الله عز وجل في حوائجهم وهي العين المعروفة بعين كهلان يقصدها الناس الى يومنا هذا .



حديث سلسلة الذهب

لقد جاء في الأعيان عن الفصول المهمة لابن الصباغ المالكي انه قال : حدث السعيد امام الدنيا وعماد الدين محمد بن ابي سعيد بن عبد الكريم الوازن عن كتاب تاريخ نيسابور ان علي بن موسى الرضا (ع) لما دخل نيسابور في السفرة التي خص بها بفضيلة الشهادة كان في قبة مستورة على بغلة شهباء وقد شق نيسابور فعرض له الامامان الحافظان للاحاديث النبوية والمثابران على السنّة المحمدية ابو زرعة الرازي ومحمد بن اسلم الطوسي ومعهما خلق لا يحصون من طلبة العلم والحديث والدراية ، فقالا : ايها السيد الجليل ابن السادة الأئمة بحق آبائك الاطهرين وأسلافك الاكرمين الا ما أريتنا وجهك الميمون المبارك ورويت لنا حديثا عن آبائك عن جدك محمد (ص) نذكرك به ، فاستوقف البغلة وأمر غلمانه بكشف المظلة عن القبة وأقر عيون الخلائق برؤية طلعته المباركة فكانت له ذؤابتان على عاتقه والناس كلهم قيام على اختلاف طبقاتهم ينظرون اليه وهم ما بين صارخ وباك ومتمرغ بالتراب ومقبل لحافر البغلة ، فصاح العلماء والفقهاء ومعاشر الناس : اسمعوا وعوا وانصتوا لسماع ما ينفعكم ولا تؤذونا بكثرة صراخكم وبكائكم ، فقال الإمام الرضا : حدثني ابي موسى الكاظم عن أبيه جعفر الصادق عن أبيه محمد الباقر عن أبيه علي زين العابدين عن أبيه الحسين شهيد كربلاء عن أبيه علي بن أبي

طالب أنه قال : حدثني حبيبي وقرة عيني رسول الله (ص) عن جبرائيل انه قال : سمعت رب العزة سبحانه يقول : كلمة لا إله إلا الله حصني ومن قالها دخل حصني ومن دخل حصني امن عذابي ، ثم ارخى الستر على القبة وسار فعدوا اهل المحابر الذين كانوا يكتبون فزادوا على عشرين الفا .

والحديث على ما يبدو من الاحاديث المتفق عليها بين المحدثين وقد ذكره بهذا الاسناد كل من وصف رحلة الإمام الى خراسان ، وقال ابو نعيم في حلية الأولياء ، بعد ان روى الحديث المذكور : هذا حديث ثابت مشهور بهذا الاسناد من رواية الطاهرين عن آبائهم الطيبين ، ومضى يقول : وكان بعض سلفنا من المحدثين اذا روى هذا الاسناد يقول : لو قرىء هذا الاسناد على مجنون لأفاق .

وتحرك الامام من نيسابور ليتابع رحلته الى مرو حيث المأمون يستعد لاستقباله والحفاوة به ، ولما دخلها انزله منزلا كريما محاطا بكل مظاهر التقدير والاحترام وتابع الحديث معه عن التنازل عن الخلافة او تعيينه وليا لعهده وأخيراً وبعد ان تهدده بالقتل كما ذكرنا وافق الإمام على ولاية العهد بشروطه التي يبدو منها انه وقف موقفاً سلبياً من الحكم ومن جميع المسؤوليات التي تتعلق به وبأجهزته .

فقد جاء في المجلد الأول من علل الشرائع انه قال للمأمون ، عندما رأى نفسه مضطرا لموافقته على ولاية العهد : وأنا أقبل ذلك على ان لا اولي احدا ولا اعزل احدا ولا انقض رسماً ولا سنةً وأكون في الأمر من بعيد مشيراً ، فرضي منه بذلك .

وفي رواية اخرى عن عيون الاخبار عن معمر بن خلاد ان المأمون قال لأبي الحسن الرضا : يا ابا الحسن انظر بعض من تثق به توليه هذه البلدان التي قد فسدت علينا ، فقال له الإمام الرضا كما جاء في الرواية : تفي لي وأفي لك ، انما دخلت فيما دخلت على ان لا آمر ولا انهى ولا اعزل ولا أولي

ولا اسير حتى يقدمني الله قبلك فوالله ان الخلافة شيء ما حدثت به نفسي ، ولقد كنت بالمدينة اتردد في طرقها على دابتي وان اهلها وغيرهم يسألوني الحوائج فأقضيها لهم فيصيرون لي كالاعمام وان كتبي نافذة في الامصار وما زدتني من نعمة هي علي من ربي .

وتمت البيعة للإمام بولاية العهد بحضور الوزراء والقادة والاعيان وحشد كبير من الناس فوزع عليهم المأمون الاموال والهدايا ومدحه الشعراء بعشرات القصائد وممن مدحه ابو نواس الشاعر ، ومن مدائحه فيه :

قيل لي انت أشعر الناس طرا ... في فنون من الكلام النبيه
لك من جوهر الكلام بديع ... يثمر الدر في يدي مجتنيه
فعلام تركت مدح ابن موسى ... والخصال التي تجمعن فيه
قلت لا استطيع مدح امام ... كان جبريل خادما لأبيه

فأجازه المأمون على هذه الأبيات بمثل ما اجاز به غيره وفضّله عليهم ورآه يوما وهو خارج من داره فأنشد يقول :

اذا بصرتك العين من بعد غاية ... وعارض فيك الشك اثبتك القلب
ولو ان قوما يمموك لقاءهم ... نسيمك حتى يستدل به الركب

وله فيه كما جاء في اخبار الرضا :

مطهرون نقيات ثيابهم ... تجري الصلاة عليهم اينما ذكروا
من لم يكن علويا حين تنسبه ... فماله في قديم الدهر مفتخر
فالله لما بدا خلقاً واتقنه ... صفاكم واصطفاكم أيها البشر
وانتم الملأ الاعلى وعندكم ... علم الكتاب وما جاءت به السور

وقد يشك البعض في نسبة هذا الشعر الى ابي نؤاس المشهور بالمجون

والخلاعة لان وفاته كانت سنة ١٩٥ أي قبل أن يصبح الرضا وليا لعهد المأمون بخمس سنوات او اكثر ، ولكن من الجائز ان يكون قد قالها قبل هذه المناسبة .

ولقد تزاحم الشعراء على مديحه على اثر ذلك وهم ما بين من مدحه بدافع الولاء والابتهاج بتلك المناسبة وبين من نظم فيه الشعر تزلفاً للمأمون وطمعا في بره ونائله ، ويروي الرواة ان دعبل الخزاعي شاعر اهل البيت (ع) مدحه بقصيدة تبلغ نحوا من ثمانين بيتا كما رواها الاربلي في كشف الغمة .

وجاء في رواية ابي الصلت الهروي انه قال : دخل دعبل الخزاعي على الإمام الرضا (ع) بمرو فقال له : يا ابن رسول الله اني قد قلت فيكم قصيدة وآليت على نفسي الا انشدها احدا قبلك ، فقال له الرضا (ع) هاتها يا دعبل ، فأنشده اياها وفيها استعراض للوقائع التي مرت على أهل البيت من حين وفاة النبي (ص) مرورا بأحداث السقيفة ، وموقف المسلمين من الخلافة وما جرى على أهل البيت خلال العهدين الاموي والعباسي والخصائص التي حباهم الله بها وقد ظهر على الإمام التأثر عندما قال دعبل :

اری فيئهم في غيرهم متقسما   وأيديهم من فيئهم صفرات

ويدعي الراوي ان الإمام (ع) جعل يردد البيت ويبكي ويقول : صدقت يا دعبل .

وعندما قال :

اذا وتروا مدوا الى واتريهم   أكفاً عن الاوتار منقبضات

جعل الإمام يقلب كفيه ويقول : اجل انها والله منقبضات .

ولما وصل الى قوله :

قبور بكوفان وأخرى بطيبة ... وأخرى بفخ نالها صلواتي
وقبر ببغداد لنفس زكية ... تضمنها الرحمن في الغرفات

فقال له الامام الرضا كما يدعي الراوي : أفلا الحق لك بهذا الموضع بيتين لهما تمام قصيدتك ، قال : بلى يا ابن رسول الله ،! فقال الامام :

وقبر بطوس يا لها من مصيبة ... الحت على الاحشاء بالزفرات
الى الحشر حتى يبعث الله قائما ... يفرج عنا الغم والكربات

وجاء في الرواية ان دعبل الخزاعي قال له : لا اعلم قبرا بطوس لمن هذا القبر ؟ فقال له : ذاك قبري ولا تمضي الايام والسنون حتى تصير مختلف شيعتي فمن زارني في غربتي كان معي في درجتي يوم القيامة .

ولما انتهى من انشادها دفع له الإمام بصرة فيها مائة دينار ، وقيل عشرة آلاف درهم من الدراهم التي ضربت باسمه ، فقال له : ما لهذا نظمت الشعر فيكم يا ابن رسول الله وطلب ثوبا من ثيابه يتبرك به ، فأعطاه مع الصرة جبة خز كان يلبسها وانصرف دعبل ، وفي طريقه مر مع القافلة على مياه ، فاعترضهم اللصوص وأخذوا جميع ما كان معهم وجلسوا ناحية يقتسمون ما سلبوه من القافلة ، فتمثل رجل منهم بقول دعبل :

ارى فيئهم في غيرهم متقسما ... وأيديهم من فيئهم صفرات

فسمعه دعبل الخزاعي وقال له : لمن هذا البيت الذي تتمثل فيه ، فقال : لرجل من خزاعة يقال له دعبل بن علي ، فقال : انا دعبل صاحب القصيدة التي فيها البيت ، فردوا عليهم جميع ما اخذوه منهم واعتذروا اليهم ، وأضاف الراوي الى ذلك ان دعبل الخزاعي سار مع القافلة حتى وصل الى قم . فأنشدهم قصيدته وأخبرهم بما اجازه الإمام الرضا ، فسألوه ان يبيعهم الجبة بألف دينار فأبى عليهم ، ولما خرج من قم لحقه جماعة من أحداثهم وأخذوا الجبة منه رغما عنه فرجع اليهم وسألهم ردها عليه فامتنعوا وأخيراً

دفعوا له الف دينار وقطعة منها ليضعها مع كفنه بناء لطلبه .

وجاء في الاغاني ان دعبل الخزاعي كتب قصيدته التي يقول فيها :

مدارس آيات خلت من تلاوة ومنزل وحي مقفر العرصات

على ثوب وأحرم فيه وأوصى بأن يكون في كفنه ، وكان الحكام يهابون هجاءه ويرهبون لسانه ، وقال له ابن المدبر : انت اجسر الناس حيث تقول في المأمون :

اني من القوم الذين سيوفهم قتلت اخاك وشرفتك بمقعد
رفعوا محلك بعد طول خموله واستنقذوك من الحضيض الاوحد

فقال له : يا ابا اسحاق اني احمل خشبتي منذ اربعين سنة ولا اجد من يصلبني عليها .

ومما احدثه المأمون بهذه المناسبة ان ضرب الدراهم وطبع عليها اسم الرضا وكتب على احد الجانبين في الوسط : الله محمد رسول الله المأمون خليفة الله مما امر به الامير الرضا ولي عهد المسلمين علي بن موسى بن علي بن ابي طالب ، وكتب على الجانب الآخر في الوسط : لا إله إلا الله وحده لا شريك له .

وكتب على احد جانبي الدرهم بشكل دائرة هكذا : محمد رسول الله ارسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون ، وعلى الجانب الآخر بشكل دائرتين داخلة وخارجة : فعلى الداخلة بسم الله ضرب هذا الدرهم بمدينة اصبهان سنة اربع ومائتين ، وعلى الخارجة : في بضع سنين لله الأمر من قبل ومن بعد ويومئذ يفرح المؤمنون .

وزوج المأمون اسحاق بن موسى بن جعفر بنت عمه اسحاق بن جعفر بن محمد وخطب في كل بلد للرضا بولاية العهد وأمر ولاته بالدعاء له فكان الخطباء يفتتحون خطابهم بالدعاء للمأمون والرضا (ع) .

وزوجه المأمون بعد اشهر مرت على ولاية العهد ابنته ام حبيب وذلك في اوائل سنة ٢٠٢ وقيل انه زوجه اخته المكناة ام ابيها وقيل انها تكنى بأم حبيبة .

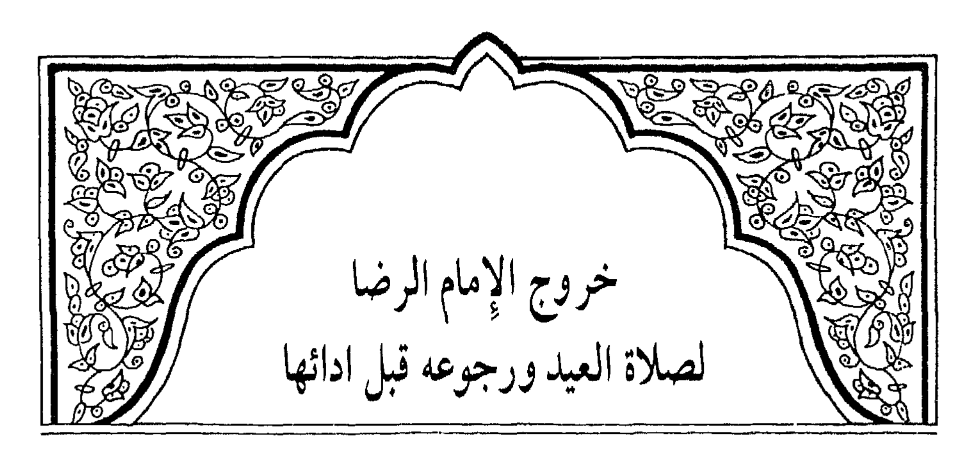
كما امر المأمون بلبس الأخضر بدلا عن الاسود وكان السواد شعار العباسيين والاخضر للعلويين وكتب بذلك الى عماله في جميع الاقطار فشق ذلك على العباسيين وعدوه بالاضافة الى ولاية العهد محاولة جادة لتجريد العباسيين من جميع امتيازاتهم وشعاراتهم ، فتكتلوا ضده وولوا امرهم للمغني الشهير ابراهيم بن المهدي وبايعوه بالخلافة والتفوا حوله مما حدا بالمأمون ان يسرع في تنفيذ ما كان قد خططه للإمام الرضا (ع) ويعود لبغداد لتلافي ما تركته الاحداث من آثار سيئة على خلافته ، ولم يجد صعوبة في دخولها ولا مقاومة جادة لمنعه عنها لا سيما وان مخاوفهم من انتقال السلطة الى البيت العلوي قد تبددت بعد وفاة الإمام الرضا (ع) وبعد ان عادوا الى الطاعة واختفى خليفتهم الخليع ، كلفوا زينب بنت سليمان بن عبد الله بن عباس وكانت ذات عقل وشرف عندهم ، لتكون الوسيط في رجوعه عن لبس الخضرة الى السواد .

وجاء في تذكرة ابن الجوزي وغيرها ان بني العباس قد اجتمعوا الى زينب بنت سليمان وسألوها ان تدخل على المأمون وتسأله الرجوع الى لبس السواد وترك الخضرة للعلويين وقد تخوفوا ان يجعل ولاية العهد بعد علي الرضا الى ولده محمد الجواد ، فلما دخلت عليه رحب بقدومها وأكرمها ، فقالت له : يا امير المؤمنين انك على بر اهلك من ولد ابي طالب والامر في يدك اقدر منك على برهم والامر في يد غيرك او في ايديهم فدع لباس الخضرة وعد الى لباس اهلك ولا تطمعن احدا فيما كان منك ، فقال لها : والله يا عمة ما كلمني احد بكلام اوقع من كلامك في قلبي ، ولا اقصد لما اردتِ وأنا احاكمهم الى عقلك ، فقالت : وما ذاك ؟ قال : ألست تعلمين ان ابا بكر تولى الخلافة بعد رسول الله فلم يول احدا من بني هاشم شيئاً ، ثم تولاها عمر بن

الخطاب وعثمان بن عفان فكانا كذلك ، ولما تولاها علي بن ابي طالب اقبل على بني هاشم فولى عبد الله بن العباس البصرة وعبيد الله اليمن ، وولى معبدا مكة ، والقثم بن العباس البحرين ولم يترك احدا ينتمي الى العباس الا ولاه ، فكانت له هذه في اعناقنا فكافأته في ولده بما فعلت ، فقالت له : لله درك يا بني ولكن المصلحة لبني عمك من ولد ابي طالب ما قلته لك ، فقال : لا يكون الا ما تحبون .

ومضى الراوي يقول : ثم انه فكر في الامر وولاية محمد بن علي بعد ابيه فرأى ان الامر قد يفلت من بني العباس وبني علي (ع) فجلس لبني العباس وجمعهم ودعا بحلة سوداء فلبسها وترك الخضرة ولبس السواد ولم تلبس الخضرة في بغداد سوى ثمانية أيام على حد زعم الراوي .

وجاء في ص ٢١٩ من كتاب الصلة بين التصوف والتشيع عن الوزراء والكتاب للجهشياري ان لباس الخضرة الذي اتخذه المأمون خلال الفترة الاولى من خلافته لم يكن للعلويين بل كان لباس ملوك الفرس والمجوس في تلك البلاد وكان لباس العلويين البياض ولباس العباسيين السواد ، ومضى يقول : ان المأمون لما استشار وزراءه وخاصته قال له نعيم بن حازم وكان من ثقاته ومستشاريه : انما تريد ان تزيل الملك عن بني العباس الى ولد علي ، ثم تحتال عليهم فتصير الملك كسرويا ولولا انك اردت ذلك لما عدلت عن لبسة علي وولده وهي البياض الى الخضرة وهي لباس كسرى والمجوس ، وأضاف الى ذلك ان العبيديين في مصر اختاروا البياض شعارا ، وكان الاولى لو كانت الخضرة علوية اصيلة ان يختارها الثوار شعارا لهم ولم يحدث ذلك ، والذي حدث انه في اثناء القتال بين الامين والمأمون خرج ابن طباطبا ولبس البياض شعارا له ، كما خرج علي بن محمد بن جعفر بن محمد بالبصرة وغلب عليها ولبس البياض ، وهكذا كان غيرهما من العلويين الثائرين يجعلون شعارهم البياض الى غير ذلك مما اورده حول هذه الناحية ولا يهمنا تحقيق ذلك .



خروج الإمام الرضا لصلاة العيد ورجوعه قبل ادائها

لقد كانت البيعة للإمام الرضا بولاية العهد في الخامس من شهر رمضان سنة ٢٠١ كما جاء في رواية الصدوق عن البيهقي، وبانتهاء شهر رمضان أي بعد خمس وعشرين يوما كلفه المأمون ان يصلي بالناس صلاة العيد ، بالرغم من ان الإمام (ع) كان قد اشترط على المأمون ان لا يشترك معه بشيء يتعلق بالحكم وشؤونه وملحقاته ، فقد روى علي بن ابراهيم عن ياسر الخادم والريان بن الصلت انهما قالا : لما حضر العيد في السنة التي عقد له فيها ولاية العهد ارسل اليه المأمون بالركوب الى العيد والصلاة بالناس والخطبة بهم فبعث اليه الإمام الرضا : لقد علمت ما كان بيني وبينك من الشروط في دخول هذا الأمر ، فاعفني من الصلاة بالناس فألح عليه المأمون وقال له : اريد بذلك ان تطمئن اليك قلوب الناس ويعرفوا فضلك . وجعل المأمون يلح عليه ويرسل له الرسول بعد الرسول حتى اجابه لذلك على شرط ان يخرج الى الصلاة كما كان يخرج اليها رسول الله وأمير المؤمنين علي بن أبي طالب من بعده ، فقال له المأمون : اخرج كيف شئت ، وأمر القواد والحجاب والناس ان يبكروا الى باب الرضا (ع) . ومضى الراوي يقول : فقعد الناس لابي الحسن في الطرقات والسطوح واجتمع النساء والصبيان ينتظرون خروجه ووقف الجند والقادة على بابه حتى طلعت الشمس ، فاغتسل

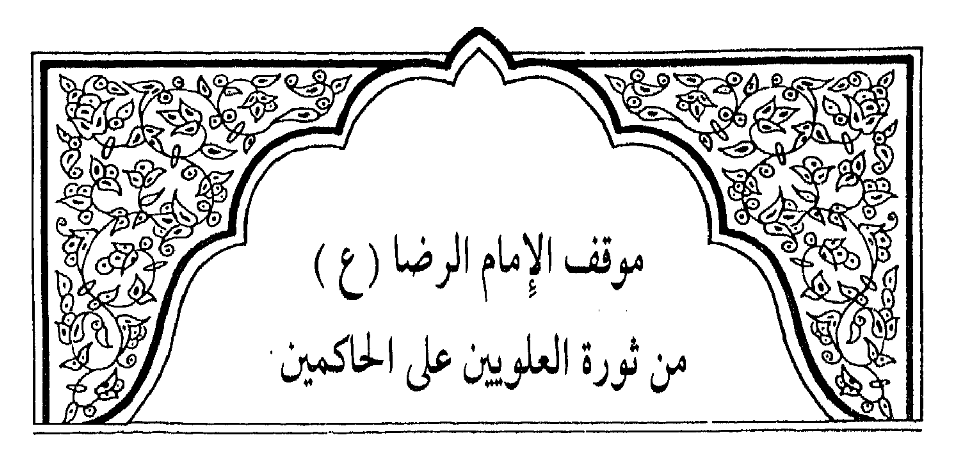
ابو الحسن الرضا (ع) ولبس ثيابه وتعمم بعمامة بيضاء من قطن فالقى طرفا منها على صدره وطرفا بين كتفيه ومس شيئاً من الطيب وأخذ بيده عكازا ، وقال لمواليه وخاصته : افعلوا مثل ما فعلت ، فخرجوا بين يديه وهو حاف قد شمر سراويله الى نصف الساق وعليه ثياب مشمرة ومشى قليلا ، ثم رفع رأسه الى السماء وكبر فكبر معه مواليه ، ومشى حتى وقف على الباب ، فلما رآه القواد والجند على تلك الصورة سقطوا كلهم عن الدواب الى الأرض ، وكان احسنهم حالا من كان معه سكين فقطع به ربطة حذائه لينزعه من رجله ويمشي حافيا ، ثم كبر الرضا على الباب الأكبر وكبر الناس معه وارتفعت اصوات الناس في مرو بالبكاء والتكبير من جميع الجهات ، وكان الإمام (ع) كلما مشى خطوات وقف وكبر وكبر الناس معه حتى ضجت المدينة بأصوات المكبرين وخرج الناس من منازلهم وازدحموا في الشوارع بشكل لم تعهد له المدينة مثيلا كما تصف ذلك الروايات التي تحدثت عن خروجه .

ولو ان البحتري وصف الإمام الرضا في هذه المناسبة بالابيات التي نظمها في المتوكل لكان من اصدق الشعراء في وصفه وأبعدهم عن الكذب والتزلف للحاكمين ولعله عناه بها واستعارها للمتوكل في بعض المناسبات كما يصنع الكثير من الشعراء وسواء قيلت فيه او في غيره فهي من أفضل ما يمكن ان يقال في وصف الامام الرضا والجماهير المحتشدة من حوله في تلك المناسبة .

ذكروا بطلعتك النبي فهللوا ... لما طلعت من الصفوف وكبروا
حتى انتهيت الى المصلى لابسا ... نور الهدى يبدو عليك فيظهر
ومشيت مشية خاشع متواضع ... لله لا يزهى ولا يتكبر
ولو ان مشتاقاً تكلف فوق ما ... في وسعه لسعى اليك المنبر

لقد اراده المأمون ان يصلي بالناس صلاة العيد ويخرج إليها كما كان يخرج هو ومن ينتدبه لها من اولئك الذين كانوا يستغلون المناسبات الدينية

لعرض قوتهم وتركيز عظمتهم وهيبتهم في النفوس ، فاستعفاه الإمام لأنه يرى ان المناسبات الدينية يجب ان تبقى لها قداستها الروحية ولا تستغل لمصلحة الحاكمين ، ولما اضطره المأمون الى الخروج وخرج بالشروط التي ارادها ووجدت اجهزة الحكم انصهار الجماهير مع موقف الامام المتمرد على التقاليد التي اعتادوها في مثل هذه المناسبات اسرعوا الى تحذير المأمون من حراجة الموقف وخطره على وجودهم ان هو استمر في طريقه الى المسجد وأدى الصلاة ، فأرسل اليه المأمون : لقد كلفناك شططا وأتعبناك يا ابن رسول الله ولسنا نحب لك الا الراحة فارجع وليصلّ بالناس من كان يصلي بهم على رسمه وذلك ما كان يتمناه الامام ويعمل من اجله .



موقف الإمام الرضا (ع) من ثورة العلويين على الحاكمين

لقد استقبل المأمون خلافته بأخطر ثورة ضده في تلك الفترة من التاريخ وهي ثورة محمد بن ابراهيم الحسين المعروف بابن طباطبا التي قادها ومهد لها السري بن منصور المعروف بأبي السرايا ، وقد انطلقت من الحجاز الى الكوفة ومنها الى اكثر المناطق في العراق ، وتفرعت عنها انتفاضات قادها العلويون في البصرة واليمن والبحرين والحجاز وغير ذلك من الاقطار ، فوثب في اليمن ابراهيم بن موسى بن جعفر واستولى عليها وفي مكة الحسين بن الحسن الافطس ، وفي البصرة زيد بن جعفر المعروف على لسان بعض المؤرخين بزيد النار لكثرة ما قتل وأتلف وأحرق في البصرة من دور العباسيين وأنصارهم وممتلكاتهم الى غير ذلك من المناطق الاخرى ، وقد ذكرنا عندما تحدثنا عن الاسباب التي دفعت المأمون الى تولية الامام الرضا ولاية العهد ، ان الذي دفعه الى هذه الخطوة هو تطويق هذه الانتفاضات وتخدير الشيعة المناصرين لهم في مختلف الجهات وبخاصة شيعة خراسان الذين ناصروا الدولة العباسية وعززوا موقفه خلال المعارك الدامية بينه وبين اخيه محمد الامين ، وقد نجح في هذا التدبير الى حد ما فلزم العلويون جانب الهدوء مراعاة لمركز الإمام الرضا ، ولم يحدث التاريخ عن اي تحرك علوي ضد المأمون خلال تلك الفترة القصيرة التي عاشها الإمام الرضا بعد ولاية العهد .

اما موقف الإمام الرضا من انتفاضات العلويين وتحركاتهم ضد الحاكمين فلم يكن على ما يبدو سلبيا من حيث مبدأ الثورة المناهضة للظلم والطغيان والاستغلال . بل كان كغيره من ائمة أهل البيت (ع) يباركون كل ثائر على الظلم والباطل حتى ولو لم ينجح عسكريا اذا كانت ثورته ضمن الحدود المشروعة ولصالح الأمة ، لأن الثورة النـزيهة في الغالب تكشف للشعوب زيف الحكام وواقعهم الكريه وتترك وراءها فئة تحس بالظلم والتجاوزات وتحاسب عليها وأحيانا تضطر الحاكم الى تصحيح سلوكه ووسائل حكمه الى حد ما .

والسؤال الذي يعترض القارىء في المقام هو ان الأئمة اذا افترضنا انهم كانوا يباركون بعض تلك الانتفاضات ، فلماذا لم يتولوا قيادتها ، وأحسب بأن القارىء سوف لا يقف طويلا الى جانب هذا التساؤل لو قارن بين المهمات التي انصرف اليها الأئمة (ع) وبين تلك الانتفاضات ، ذلك لأنهم كانوا يعلمون بأن نصيب تلك الانتفاضات سيكون الفشل السريع لانها لم تقم على أسس صحيحة ومدروسة تضمن لها النجاح ، والثورة الناجحة تحتاج الى قاعدة شعبية واضحة مزودة بالوعي والاخلاص تستجيب لتخطيط القائد في كل ما يتوقف عليه نجاحها ، ولم يتوفر ذلك لتلك الانتفاضات التي كانت تحدث هنا وهناك ، وفي الوقت الذي كانت ترتفع فيه الاصوات ضد الحاكمين كان الأئمة (ع) يقودون الثورة الثقافية التي فرضتها مصلحة الإسلام يوم ذاك وكان النجاح حليفها في مختلف الميادين كما يبدو ذلك للمتتبع في تاريخهم .

وعندما قلنا بأنهم كانوا يباركون كل ثائر على الظلم والباطل اذا كانت ثورته للحق والمظلومين لم نقل ذلك لأنهم كانوا يرجون لتلك الانتفاضات ان تحقق كل اهدافها ، بل لأن الثورة على الظلم حتى ولو كان نصيبها الفشل تكشف زيف الحاكم وواقعه وتترك وراءها من يحس بالظلم والعدوان ويحاسب عليها ، وقد حققت تلك الانتفاضات هذا المقدار واكثر منه بلا شك في ذلك ، ولكن المكاسب الكبرى التي حققتها ثورة الائمة (ع) لمصلحة الإسلام لم يكن بالامكان تحقيق شيء منها لو انهم اشتركوا بتلك الانتفاضات

او تولوا قيادتها .

ومهـما كان الحـال فالـذي انكره الامـام الرضـا والأئمة (ع) عـلى بعض الثـائرين من العلويين انهم كانـوا يغتـرون ببعض المـظاهـر وينخـدعـون لبعض الاصـوات التي كانت تهتف بـاسمهم فيـدعـون مـا ليس لهم ويخـرجـون بـدون تخطيط وبالتالي يكون نصيبهم القتل والتشريد ، كما انكـروا على بعض الثـائرين اسرافهم في القتل والسلب واحراق البيوت والممتلكـات ، وكان نصيب الابـرياء من ذلـك اكثر من نصيب الحـاكمين وأعـوانهم ، ولذا فـان الإمام الـرضا (ع) قـد وقف من اخيه زيـد ابن الإمام مـوسى بن جعفر ذلـك الموقف المتصلب وأنبـه على عدوانه وتجاوزاته التي لا تقرها الشرائع والاديان .

وقد عرف عند المؤرخين وبعض المحدثين بـزيد النـار لكثرة مـا احرق من الـدور والممتلكات التي تخص العبـاسيين ومن يلوذ بهم من الاتبـاع والاعـوان ، وكان كما جاء في تاريخ ابن الاثير اذا قبض عـلى رجل من المسـودة احرقـه بالنـار واستـولى مع ذلـك عـلى الكثـير من امـوال التجـار سـوى مـا اخـذه من امـوال العبـاسيين وأنصـارهم ، وقد خـرج في البصرة عنـدما استـولى ابو السـرايا عـلى الكوفة وجهاتها بعد ان انتقلت الخلافة الى المأمون والامام الرضا (ع) لا يزال في المدينة ، فأرسل اليـه المأمـون جيشاً كبيـراً بقيادة عـلي بن سعيد وبعـد معارك ضارية بين الطرفـين طلب زيد بن مـوسى الامان فـأعطاه القـائد العباسي ما أراد وأخـذه اسيرا فـأرسله الى الحسن بن سهل فـأمر بضـرب عنقه وكـان قـد حضر مجلســه الحجاج بن خيثمـة ، فقال لـه : ايها الامـير ان رأيت ان لا تعجل عليـه فـان عندي نصيحـة لك ، فـأمر السيـاف الذي كـان قد استعـد ليضرب عنقـه بالتوقف ، وقال للحجاج : مـا هي نصيحتك ؟ قـال : ايها الامـير هل اتـاك بما تريد ان تفعله امر من أمير المؤمنين ؟ قال : لا .

قال : فعلام تقتـل ابن عـم امـير المؤمنين من غـير امره وقبـل ان تستطلع رأيـه ، ثـم حدثـه بما كـان من أمر ابي عبـد الله الافطس ، وقـد حبسه الـرشيـد عنـد جعفر بن يحيـى فقتله جعفـر بن يحيـى وبعث بـرأسـه الى الـرشيـد في طبق

مع هدايا النيروز فحقد عليه الرشيد ، ولما غضب على البرامكة وأمر مسروراً بقتل جعفر بن يحيى ، قال له : اذا سألك جعفر عن ذنبه فقل له انه يقتلك بابن عمه ابن الافطس الذي قتلته من غير امره .

ثم قال الحجاج بن خيثمة للحسن بن سهل : افتأمن ايها الامير حادثة تحدث بينك وبين امير المؤمنين وقد قتلت هذا الرجل فيقتلك به ويحتج عليك بمثل ما احتج به الرشيد على جعفر بن يحيى ، فقال الحسن للحجاج : جزاك الله خيرا ، ثم امر بترك زيد وارجاعه الى الحبس ، فلم يزل محبوساً في بغداد حتى كانت ولاية العهد للإمام الرضا (ع) فأرسله الحسن الى المأمون في خراسان ، فلما ادخل على المأمون قال له : يا زيد خرجت بالبصرة وتركت ان تبدأ بدور اعدائنا من بني امية وثقيف وعدي وباهله وآل زياد وقصدت دور بني عمك وأحرقتها ، فقال له زيد كما يدعي الراوي : اخطأت يا أمير المؤمنين من كل جهة وان عدت إليها بدأت بأعدائنا ، فضحك المأمون وبعث به الى الإمام الرضا (ع) وقال له : لقد وهبتك جرمه فاحكم عليه بما ترى .

وجاء في رواية ياسر الخادم انه لما دخل على الإمام الرضا قال له : ويحك يا زيد ما الذي غرك حتى ارقت الدماء وقطعت السبيل ، اغرك حديث سمعته عن رسول الله ان فاطمة احصنت فرجها فحرم الله ذريتها على النار .

وفي رواية ثانية اغرك قول سفلة اهل الكوفة : ان فاطمة احصنت فرجها فحرم الله ذريتها على النار ويحك يا زيد ان ذلك ليس لي ولا لك ، لقد عنى رسول الله (ص) بذلك حسناً وحسيناً ، والله ما نالا ذلك الا بطاعة الله ، فان كنت ترى انك تعصي الله وتدخل الجنة فأنت اذن اكرم على الله منهما ومن أبيك موسى بن جعفر .

والله يا زيد لا ينال احد ما عند الله الا بطاعته ، فقال له زيد : انا اخوك وابن ابيك ، فقال له الرضا (ع) : انت اخي ما اطعت الله عز وجل ، ان نوحا قال : رب ان ابني من اهلي وان وعدك الحق وأنت ارحم

الراحمين ، فقال له الله عز وجل : يا نوح انه ليس من اهلك انه عمل غير صالح ، فأخرجه الله من ان يكون من أهله بمعصيته لله .

وجاء في رواية العيون عن محمد بن يزيد النحوي عن أبيه انه قال : ان المأمون وهب جرم زيد بن موسى الى اخيه الرضا (ع) وقال له : يا ابا الحسن لئن خرج اخوك وفعل ما فعل فلقد خرج قبله زيد بن علي وقتل ، ولولا مكانك مني لقتلته فليس ما اتاه بصغير . فقال الإمام الرضا (ع) : يا امير المؤمنين لا تقس اخي زيدا الى زيد بن علي بن الحسين فانه من علماء آل محمد (ص) غضب لله عز وجل فجاهد اعداءه حتى قتل في سبيله ، ولقد حدثني ابي موسى بن جعفر انه سمع اباه جعفر بن محمد يقول : رحم الله عمي زيدا انه دعا الى الرضا من آل محمد ولو ظفر لوفى بما دعا اليه ، ولقد استشارني في خروجه فقلت له : يا عم ان رضيت ان تكون المقتول بالكناسة فشأنك ، فلما ولى قال جعفر بن محمد : ويل لمن سمع داعيته فلم يجبه ، فقال له المأمون : يا ابا الحسن أليس قد جاء فيمن ادعى الامامة بغير حقها ما جاء ، فقال الامام الرضا : ان زيد بن علي لم يدع ما ليس له بحق ، وانه كان اتقى لله من ذلك ، انه قال : ادعوكم الى الرضا من آل محمد ، وكان زيد والله ممن خوطب بهذه الآية :

﴿ وجاهدوا في الله حق جهاده هو اجتباكم ﴾ .



من اجوبة الامام الرضا ومناظراته

لقد جاء في نثر الدرر ان المأمون قال للرضا (ع) : يا ابا الحسن اخبرني عن جدك علي بن ابي طالب بأي وجه هو قسيم الجنة والنار ، فقال : يا امير المؤمنين ألم ترو عن ابيك عن آبائه عن عبد الله بن عباس انه قال : سمعت رسول الله (ص) يقول : حب علي ايمان وبغضه كفر ، قال بلى ، قال الرضا (ع) بذلك كان قسيم الجنة والنار ، فقال له المأمون : لا ابقاني الله بعدك يا ابا الحسن اشهد انك وارث علم رسول الله .

وفي عيون اخبار الرضا عن علي بن محمد بن الجهم انه قال : حضرت مجلس المأمون وعنده الرضا علي بن موسى بن جعفر (ع) ، فقال له المأمون : يا ابن رسول الله أليس من قولك ان الأنبياء معصومون ، فقال : بلى . فقال : فما معنى قوله تعالى : ﴿ **فعصى آدم ربه فغوى** ﴾ ، فقال الرضا (ع) : ان الله تبارك وتعالى قال لآدم : ﴿ **اسكن انت وزوجك الجنة وكلا منها رغدا حيث شئتما ولا تقربا هذه الشجرة** ﴾ وأشار لهما الى شجرة الحنطة ، ﴿**فتكونا من الظالمين**﴾ ، ولم يقل لهما لا تأكلا من هذه الشجرة ولا مما كان من جنسها ، وقد امتثلا وأطاعا ولم يقربا من تلك الشجرة وانما اكلا من غيرها بعد ان وسوس لهما ابليس وموه عليهما وطلب منهما ان يأكلا من غيرها مما كان من جنسها ، وحلف لهما بأن الله لم ينههما عن كل ما وافق تلك الشجرة وما

كـان من جنسها ، فـوثقا بـه لأنهما لم يكونـا قبـل ذلـك يعـرفـان من يحلف بـالله كـاذبا ، وكـان ذلك من آدم قبـل النبـوة كـما وان الـذي ارتكبـه آدم لم يكن من الكبائر بل كان من الصغائر الـموهوبـة التي تجوز عـلى الانبياء قبـل نزول الـوحي عـلى حد تعبـير الـراوي ، فلما اجتبـاه الله وجعله نبيـاً كـان معصـومـا لا يـذنب صغيرة ولا كبيرة قال تعالى :

﴿ **وعصى آدم ربه فغوى ثم اجتباه ربه فتاب عليه فهدى** ﴾ .

فقال له المـأمون : فـاخبرني عن قـول الله في ابراهيم : ﴿ **فلما جن الليـل رأى كوكبا قال هذا ربي فلما أفـل قال لا احب الآفلين ، فلما رأى القمـر بازغـا قـال هذا ربي فلما أفـل قال لئن لم يهـدني ربي لأكونن من القـوم الضالـين ، فلما رأى الشمس بازغة قال هذا ربي هـذا اكبر فلما افلت قـال يا قـوم اني بريء مما تشـركون اني وجهت وجهي للذي فـطر السموات والأرض حنيفـاً ومـا أنـا من المشركين** ﴾ .

وأجـابه الإمـام (ع) بأن ابـراهيم لم يعتـرضـه شـك في الله طـرفـة عـين ابـدا ، ولكنه كـان يعيش في جو تـوزعت فيه عبـادة الناس بـين الزهـرة والقمـر والشمس وقـد حصل هـذا التـردد من ابـراهيم ليـظهـر لاولئـك الـذين كـانـوا يعبـدون هـذه الكـواكب فسـاد مـذاهبهم ، لان البـزوغ والافـول والتغيـير من صفـات المحدث الـذي يحتاج في وجـوده الى سبب وقد حـاورهم بهذا الاسلوب الحسي ليقنعهم عن طـريق الحس ان وراء هذه الكـواكـب من يسيرهـا ويديـرهـا وهـو خالق السمـوات والأرض وما فيهـما من الكائنـات ، وتلك حجتنا اتينـاهـا ابراهيم على قومه .

فقـال المأمـون : بارك الله فيـك يا ابـا الحسن فأخبـرني عن قـول الله عـز وجل : ﴿ **فوكزه موسى فقضى عليه قال : هـذا من عمل الشيـطان ،** ﴾ ، قال الرضا (ع) ان موسى دخل مدينة من مـدائن فرعـون على حـين غفلة من اهلها وذلك بين المغرب والعشاء فوجد فيهـا رجلين يقتتلان هـذا من شيعته وهـذا من

عدوه فاستغاثه الذي من شيعته على الذي من عدوه فقضى موسى على العدو بحكم الله تعالى فوكزه ومات ، فقال هذا من عمل الشيطان يعني بذلك ان اقتتالهما كان من عمل الشيطان ، لا ما فعله موسى (ع) فقال له المأمون فما معنى قوله : ﴿**رب اني ظلمت نفسي فاغفر لي**﴾، قال(ع)اراد بذلك اني وضعت نفسي في غير موضعها بدخولي هذه المدينة ، فاغفر لي اي استرني من اعدائك لئلا يظفروا بي ويقتلوني .

فقال المأمون: فما معنى قول موسى لفرعون: ﴿**فعلتها اذا وانا من الضالين**﴾ فقال الإمام الرضا : ان فرعون قال لموسى لما اتاه وفعلت فعلتك التي فعلت وأنت من الكافرين ، قال موسى : فعلتها اذا وانا من الضالين عن الطريق حتى انتهت بي الى مدينة من مدائنك ففررت منكم لما خفتكم فوهب لي ربي حكما وجعلني من المرسلين ، وقد قال لنبيه محمد (ص): ﴿**ألم يجدك يتيما فآوى**﴾ يقول الم يجدك وحيدا فآوى اليك الناس ﴿**ووجدك ضالا، فهدى**﴾ ، اي ضالا عند قومك فهداهم الى معرفتك ﴿**ووجدك عائلا فأغنى**﴾ ، أي اغناك بأن جعل دعاءك مستجابا .

وسأله المأمون عن معنى قوله تعالى : ﴿ **حتى اذا استيأس الرسل وظنوا انهم قد كذبوا جاءهم نصرنا**﴾ .

وشبهة المأمون في هذه الآية هي في نسبة اليأس الى الرسل من نصر الله ، بعد ان وعدهم الله بالنصر واليأس من الله من المعاصي التي الحقها الله بالكفر ، كما جاء في الآية : ﴿ **ولا تيأسوا من روح الله انه لا ييأس من روح الله الا القوم الكافرون** ﴾ .

وكيف يمكن ان يتطرق اليأس الى قلب النبي بعد ان اصطفاه الله لرسالته واليأس بنص الآية لا يصدر الا عن الكافرين .

وقد اجابه الإمام (ع) بأن متعلق اليأس في الآية ليس من النصر الذي وعد الله به رسله ، وانما هو من ايمان قومهم بهم وتصديق رسالتهم ، أي ان

الرسل يئسوا من ايمان قومهم بهم ، وظن قومهم ان الرسل كذبوا عليهم جاءهم نصرنا .

وسأله عن قوله تعالى : ﴿ ولقد همت به وهم بها لولا ان رأى برهان ربه ﴾ ، فقال الرضا (ع) : لقد همت ولولا ان رأى برهان ربه لهم كما همت به لكنه كان معصوماً والمعصوم يهم بالذنب ولا يأتيه ، ومضى الإمام يقول : لقد حدثني ابي عن أبيه الصادق (ع) انه قال : همت بأن تفعل وهم بأن لا يفعل ، فقال له المأمون : لله درك يا ابا الحسن فأخبرني عن قوله تعالى : ﴿وذا النون اذا ذهب مغاضباً فظن ان لن نقدر عليه فنادى في الظلمات ان لا إله الا انت سبحانك اني كنت من الظالمين ﴾ .

فقال الإمام الرضا (ع) : ذاك يونس بن متى ذهب مغاضبا لقومه ، فظن اي استيقن ان لن نقدر عليه ، اي لن نضيق عليه رزقه ، ومضى الإمام يقول : ومنه قوله عز وجل﴿ وأما اذا ما ابتلاه فقدر عليه رزقه ﴾ اي ضيق وقتر ، فنادى في الظلمات اي في ظلمة الليل وظلمة بطن الحوت فاستجاب الله له .

وقال عز وجل : ﴿ فلولا انه كان من المسبحين للبث في بطنه الى يوم يبعثون ﴾ .

كما جاء في بعض المرويات ان المأمون كان يسأله عن بعض الآيات التي يبدو منها ان الله سبحانه مركب من اجزاء يستعملها كما يستعمل الانسان اعضاءه وأطرافه لقضاء حوائجه كقوله لابليس : ما منعك ان تسجد لما خلقت بيدي ، وقوله يد الله فوق ايديهم ، ولتصنع على عيني ونحو ذلك من الآيات التي توهم التشبيه والتجسيم .

وقد اجابه الإمام (ع) عنها بأجوبة تتناسب مع تنزيه الله سبحانه عما تنزه عنه من مشابهة مخلوقاته ومن كونه محدودا ومحلا للعوارض يتحول ويتغير

بحسب الزمان والمكـان ، وليس ذلك بغـريب ولا بجديـد على ائمـة اهل البيت (ع) الذين عناهم الله سبحـانه بـالآية وأمـر الأمة بـالرجـوع اليهم فيما تحتـاجه لحل مشاكلها بقوله :

﴿ واسألوا اهل الذكر ان كنتم لا تعلمون ﴾ .

بقي ان بعض تلك الـروايات التي وصفت مجالس المـأمـون مـع الـرضـا (ع) لم تبلغ مـرحلة الاطمئنان من حيث اسـانيدهـا ، ولكن ذلـك لا يمنـع من الوثوق بمضامينها ما دامت متفقة مـع اصول المـذهب ومع الـروايات الصحيحـة التي نزهت الله سبحانه عن كل ما يشبه مخلوقاته .

وروى عنه الطبرسي في احتجاجه في تفسير قـوله تعـالى : **﴿ وجوه يـومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة ﴾** ، انه قال : مشرقـة تنتظر ثـواب ربها وأضـاف الى ذلك ان النبي (ص) كـان يقـول قـال الله جـل جـلالـه : « مـا آمن بي من فسر كـلامي برأيـه وما عـرفني من شبهني بخلقي وما عـلى ديني من استعمل القيـاس في ديني ومن رد متشـابـه القـرآن الى محكمـه هـدي الى صـراط مستقيم » ، ومضى الإمـام الرضـا (ع) يقول : من شبـه الله بخلقه فهـو مشـرك ومن نسب إليه ما نهى عنه فهو كافر .

وروى الـرواة ان المأمـون كـان يجلس يـومي الاثنـين والخميس في ديـوان المظالم ويقعد الإمام الرضـا عن يمينه فـرفع إليـه ان صوفيـا من أهل الكـوفة قـد سرق فأمر باحضاره فرأى عليـه سيماء الخـير فقال سـوأة لهذه الآثـار الجميلة بهذا الفعـل القبيح ، فقـال له الـرجـل : لقـد فعلت ذلـك اضـطرارا وقـد قـال الله تعـالى : **﴿ فمن اضـطر في مخمصـة غـير متجـانف لاثم فـلا اثم عليـه ﴾** وقـد منعت من الخمس والغنـائم ، فقـال : ومـا حقـك منهـا ، فقـال قـال تعـالى : **﴿ واعلمـوا ان مـا غنمتم من شيء فـان لله خمسـه وللرسـول ولـذي القـربى واليتـامى وابن السبيـل ﴾** ، فمنعتني حقي وأنـا مسكـين وابن سبيـل ومن حملة القرآن وقد منعت كل سنة عني مائتي دينار ، فقال المأمون : لا اعطل حدا من

حدود الله وحكماً من احكامه في السارق من اجل اساطيرك هذه ، فقال له : فابدأ اولا بنفسك فطهرها ثم طهر غيرك وأقم حدود الله عليها ثم على غيرك ، فالتفت المأمون الى الإمام ابي الحسن الرضا وقال : ما يقول هذا يا ابا الحسن ؟ قال : انه يقول لقد سرق فسرق ، فغضب المأمون وقال : والله لاقطعنك ، فقال له : اتقطعني وأنت عبدي ، فقال له : ويلك ماذا تقول ، قال : أليست أمك اشتريت من مال الفيء فأنت عبد لمن في المشرق والمغرب من المسلمين حتى يعتقوك وأنا منهم وما اعتقتك والاخرى ان النجس لا يطهر نجسا ، ومن في جنبه حد لا يقيم الحدود على غيره حتى يبدأ بنفسه ، اما سمعت قول الله تعالى :

﴿ اتأمرون الناس بالبر وتنسون انفسكم وأنتم تتلون الكتاب أفلا تعقلون ﴾ .

فالتفت المأمون الى الرضا وقال : ما تقول يا ابن رسول الله ؟ قال : ان الله عز وجل قال لنبيه (ص) ﴿**فلله الحجة البالغة**﴾، وهي التي تبلغ الجاهل فيعلمها على جهله كما يعلمها العالم بعلمه والدنيا والآخرة قائمتان بالحجة وقد احتج الرجل ، وأضاف الى ذلك الراوي : ان المأمون امر باطلاق الرجل الصوفي وغضب على الرضا ولكنه لم يظهر ما في نفسه .

وجاء في رواية الحسين بن خالد انه قال : قلت للرضا (ع) يا ابن رسول الله ان قوماً يقولون ان رسول الله (ص) قال : ان الله خلق آدم على صورته ، فقال : قاتلهم الله لقد حذفوا اول الحديث ان رسول الله مر برجلين يتسابان فسمع احدهما يقول لصاحبه قبح الله وجهك ووجه من يشبهك، فقال له : يا عبد الله لا تقل هذا لاخيك فإن الله خلق آدم على صورته ، اي صورة ذلك الرجل .

وروى بعض الرواة عن ابراهيم بن أبي محمود انه قال : قلت للإمام الرضا (ع) يا ابن رسول الله ما تقول في الحديث الذي يرويه الناس عن

رسول الله (ص) انه قال : ان الله تبارك وتعالى ينزل كل ليلة الى السماء الدنيا ، فقال (ع) : لعن الله المحرفين للكلم عن مواضعه والله ما قال كذلك وانما قال : ان الله تبارك وتعالى ينزل ملكا الى السماء الدنيا كل ليلة في الثلث الاخير وليلة الجمعة في اول الليل ، فينادي هل من سائل فأعطيه ، هل من تائب فأتوب عليه ، هل من مستغفر فأغفر له ، فلا يزال ينادي حتى يطلع الفجر ، فإذا طلع الفجر عاد الى محله من ملكوت السماء .

وجاء في الاحتجاج للطبرسي عن يزيد بن عمير الشامي انه قال : دخلت على علي بن موسى الرضا بمرو فقلت له : يا ابن رسول الله روي لنا عن الصادق جعفر بن محمد انه قال : لا جبر ولا تفويض بل امر بين الامرين، ما معنى ذلك، فقال: من زعم أن الله يفعل افعالنا ثم يعذبنا عليها فقد قال بالجبر ، ومن زعم ان الله فوض امر الخلق والرزق الى حججه فقد قال بالتفويض ، والقائل بالجبر كافر والقائل بالتفويض مشرك ، فقلت : يا ابن رسول الله فما امر بين الامرين ، فقال : وجود السبيل الى اتيان ما امروا به وترك ما نهوا عنه ، فقلت : وهل لله مشيئة وارادة في ذلك ، فقال : اما الطاعات فارادة الله ومشيئته فيها الامر بها والعون عليها ، وارادته ومشيئته في المعاصي النهي عنها والسخط لها والخذلان عليها ، قلت : فلله عز وجل فيها القضاء ، قال : نعم ما من فعل يفعله العباد من خير او شر الا ولله فيه قضاء ، قلت : ما معنى هذا القضاء ، قال : الحكم عليهم بما يستحقونه من الثواب والعقاب في الدنيا والآخرة .

وجاء عنه انه قال في معرض حديثه عن الجبر والتفويض : ان الله لم يطع بإكراه ولم يعص بغلبة ولم يهمل العباد في ملكه هو المالك لما ملكهم والقادر على ما اقدرهم عليه ، فان ائتمر العباد بطاعة لم يكن الله عنها صادا ولا منها مانعا ، وان ائتمروا بمعصية فشاء ان يحول بينهم وبين ذلك فعل وان لم يحل وفعلوه فليس هو الذي ادخلهم فيه ، ثم قال الإمام (ع) : من يضبط حدود هذا الكلام فقد خصم من خالفه .

وجـاء في بعض الروايـات ان الحسين بن خـالد قـال له : يـا ابن رسـول الله ان النـاس ينسبوننا الى القول بـالتشبيه والجبـر لما روي من الاخبـار في ذلك عن آبـائك الأئمـة (ع) ، فقال لـه : يـا ابن خـالـد اخبـرني عن الاخبـار التي رويت عن آبـائي في الجبـر والتشبيـه اكـثر أم الأخبـار التي رويت عن النبي (ص) في ذلـك ، فقلت : بـل مـا روي عن النبي (ص) في ذلـك اكـثر ، قـال : فليقولـوا ان رسـول الله كـان يقـول بـالتشبيـه والجبر ، قلت لـه : انهم يقولون ان رسول الله لم يقل شيئاً من ذلك ، وانما روي عليه ، قـال : فليقولـوا في آبائي الأئمة انهم لم يقولوا شيئاً من ذلك ، ومضى يقـول : من قال بـالتشبيه والجبر فهو كافر ومشـرك ونحن براء منـه في الدنيـا والآخرة ، يـا ابن خالـد لقد وضـع الاخبار عنـا في الجبـر والتشبيـه الغـلاة الـذين صغـروا عـظمـة الله فمن احبهـم فقـد ابغضنـا ومن ابغضهم فقـد احبنـا ومن والاهم فقـد عـادانـا ومن عاداهم فقد والانا ومن وصلهم فقد قـطعنا ومن جفـاهم فقد بـرنا ومن اهـانهم فقد اكرمنا ، ومضى الامام يحذر منهم ومن اساليبهم وأخيـراً قال : من كـان من شيعتنا فلا يتخذ منهم ولياً ولا نصيراً .

ويروي الرواة انـه ناظـر جماعـة من علماء اهل الكتـاب اليهود والنصـارى والصابئة كما ناظـر الفرق العقـائديـة في اصول الاسـلام وفي المواضيـع التي شاع فيها الجدل وكانت مسرحا للصراع بين المعتزلـة من جهة وغيـرهـم من المحدثـين والفقهـاء ولا يسعنا استقصـاء جميع مـا روي منه حـول هـذه المـواضيـع ، وقـد تعرضنا لبعض اجوبته ومناظراتـه لاعطاء القـارىء صورة عن الاسلوب العلمي الهـادىء الـذي كـان الأئمـة (ع) يعتمـدونـه في حـوارهم ومنـاظـرتهم مـع الآخرين .



لمحات عن دور الإمام الرضا في التشريع

لقد كان الإمام الرضا (ع) كغيره من ائمة اهل البيت (ع) تحت الرقابة من حكام عصره بالرغم من انهم لم يفكروا في الخروج على الحاكمين ولا في السلطة التي يتنافس عليها الناس وكل ما كان يهمهم ان يتهيأ الجو المناسب لنشر تعاليم الإسلام والدفاع عنها بالحجة والدليل ، وكان الإمام الرضا (ع) كغيره من الائمة الهداة يستغل المناسبات لهذه الغاية ، وقد اتيح له بعد مقتل ابيه في جبس الرشيد ان يتابع رسالته الى حد ما، بالرغم من أن اجهزة الحاكمين كانت تراقب جميع تصرفاته وحاولت اكثر من مرة اغراء الرشيد به متخذة من التفاف الناس حوله للاستفادة من تلك الثروة العلمية الهائلة ومعطياتها التي ورثها عن آبائه عن جهده بعد ان جعلهم الامناء على رسالته من بعده ، وسيلة للايقاع به في شرك اولئك الطغاة ، ولكن الله سبحانه قد كتب له ان يجتاز تلك المرحلة الصعبة من حياته ويبقى بعد ابيه نحو من عشرين عاما ليترك للاجيال من عطائه الفكري في مجالات المعرفة المتنوعة ما يقيها من شر التعثر في مسيرتها لو قدر لها ان تأخذ بما تركه هو وآباؤه من تشريع وقيم وآداب ونصائح في مختلف المجالات .

وليس بوسعي ان استعرض جميع ما تركه الإمام ابو الحسن الرضا في هذه المواضيع وبخاصة في مجال التشريع والحديث ، وقد تكفلت مجاميع الفقه

الشيعي والحديث الكثير منه ، وقلما يجد الباحث بابا من ابواب الفقه او فصلا من فصوله الا وللامام الرضا رأي او حديث فيه ، وقد يجد الباحث له في بعض الأبواب الفقهية عشرات الاحاديث . وقد نسب له فريق من العلماء كتابا في الفقه يعرف فيما بينهم بالفقه الرضوي وادعى هؤلاء انه من مؤلفات الامام بخط يده ، وأضاف هؤلاء الى ذلك ان جماعة من اهالي قم احضروا نسخة من هذا الكتاب الى مكة المكرمة فرآها القاضي والامير السيد حسن الاصفهاني واستنتج من اسم المؤلف الموافق لاسم الرضا ومن بعض القرائن الاخرى كقوله في الكتاب سمعت العالم ، والعالم في كتب الحديث من ألقاب الكاظم ، وقوله : حدثني ابي ، وسمعت ابي ونحو ذلك من التعابير ، استنتج من كل ذلك ان الكتاب من مؤلفات الرضا (ع) ، فاستنسخه وحمله معه الى اصفهان ، وأخبر به والد المجلسي كما اخبر به المجلسي فجزما بصحة نسبته الى الرضا (ع) ، وجعله المجلسي من مصادر كتابه البحار .

ويبدو ان نسبته الى الامام الرضا لم تكن قبل ذلك التاريخ ، ورجح جماعة من الاعلام ان الكتاب المذكور من تأليف والد الصدوق وجمعه الصدوق ابو جعفر بن بابويه في كتابه من لا يحضره الفقيه علي بن موسى ، ألفه من الروايات المسندة الى الإمام الرضا (ع) بدون اسناد لانه كان يفتي بمضمون الرواية ولعل الاتفاق في الاسمين ، هو الذي اغرى الاصفهاني وغيره بنسبة الكتاب الى الإمام الرضا (ع) .

وقيل ان الكتاب المذكور لابن ابي عزاقه المعروف بالشلمغاني كما نسب ذلك الى السيد حسن الصدر في اجازته للشيخ اغا بزرك الطهراني ، وقيل غير ذلك .

ومهما كان الحال فسواء كان الكتاب من تأليفه ام من مؤلفات غيره فأكثر محتوياته صادرة عنه ومن آثاره وقد جمعها مؤلفه وأسقط منها الاسانيد فتوهم من توهم بأنها مؤلف للإمام .

وقد نسب المحدثون للرضا (ع) فيما نسبوه اليه رسالة في الطب كما يدعون بناء لطلب المأمون ، وأسندها الى الإمام الرضا كما في بعض الروايات محمد بن جمهور ، وفي بعضها الآخر الحسن بن محمد النوفلي .

وجاء في النجاشي عنه انه ثقة جليل القدر روى عن الرضا (ع) نسخة ولكنه لم يعين موضوعها مما دعا البعض الى احتمال ان تكون تلك النسخة هي الرسالة الذهبية في الطب وان النوفلي ممن رواها عن الإمام الرضا (ع) ، ولعل نسبة هذه الرسالة الى الرضا اثبت وأصح من نسبة كتاب الفقه اليه .

ومما نسب اليه من المؤلفات كتاب صحيفة الرضا وكتاب محض الإسلام وشرائع الدين وقد اسندهما اليه جماعة من المحدثين ، وتردد آخرون في صحة النسبة ، كما عد بعضهم من مؤلفاته اجوبة مسائل ابن سنان ، وعلل ابن شاذان وغير ذلك .

وكما قلنا فسواء صح ما نسب اليه ام لم يصح فمما لا شك فيه ان اكثر مواد هذه المؤلفات من آرائه وأحاديثه ومناظراته .

وقد روى عن الإمام الرضا في مختلف المواضيع جماعة من تلامذته وتلامذة ابيه موسى بن جعفر (ع) منهم احمد بن محمد بن ابي نصر البزنطي وكان من ثقات اصحابه ، وروى عنه كتابا كما جاء في اتقان المقال للشيخ محمد طه .

وقال ابو عمر الكشي في كتابه اخبار الرجال : لقد اجمع الاصحاب على تصحيح ما يصح عنه وأقروا له بالفقه ، وأكد كل من كتب في الرجال انه اخذ عن الرضا وولده الجواد وكان عظيم المنزلة عندهما .

ومنهم ابراهيم بن محمد الاشعري من اصحاب ابي الحسن موسى والرضا (ع) وقد روى عنهما وألف من مروياته عنهما كتابا اشترك فيه مع اخيه الفضل بن محمد الاشعري كما جاء ذلك في الاتقان وغيره من كتب الرجال .

ومنهم الحسين بن بشار احد الرواة عن الرضا وأبيه ، ويبدو انه كان متردداً في امامة ابي الحسن الرضا بعد ابيه ، فقد روى بعض الرواة عنه انه قال : لما مات موسى بن جعفر خرجت الى علي بن موسى غير مؤمن بموت ابيه ولا مقر بإمامته ، فاستأذنت عليه ودخلت فأدناني وقربني فأردت ان اسأله عن ابيه فبادرني وقال : يا حسين ان اردت ان ينظر الله اليك من غير حجاب وتنظر الى الله من غير حجاب فوال آل محمد ووال ولي الأمر منهم ، فقلت : انظر الى الله عز وجل ، قال : اي والله فجزمت بموت ابيه وامامته .

ومنهم احمد بن محمد بن عيسى الاشعري شيخ قم ووجيهها وفقيهها على حد تعبير الشيخ محمد طه في الاتقان ، وأضاف الى ذلك انه كان الرئيس الذي يلقى السلطان ، وقد روى عن الرضا وأخذ عنه وألف كتبا رواها عنه جماعة من معاصريه وقد ادرك الجواد والهادي وروى عنهما كما روى النص على امامة علي الهادي بعد ابيه ابي جعفر الجواد (ع) .

ومنهم الحسن بن محبوب السراد ، وقد اخذ من أبي الحسن الرضا وروى عنه ، كما ادرك ستين رجلا من اصحاب ابي عبد الله الصادق وروى عنهم ، وعده المؤلفون في احوال الرواة من اصحاب الاجماع الذين اقر الاصحاب لهم بالفقه والعلم كما تعنيه هذه الكلمة .

ومنهم عبد الله بن طاوس ، وقد اخذ من الرضا وروى عنه وعن ولده الجواد وحدث عنه الحسن بن احمد المالكي انه قال : سألت ابا الحسن الرضا (ع) وقلت له : ان لي ابن اخ وقد زوجته ابنتي وهو يشرب الشراب ويكثر ذكر الطلاق فقال له : ان كان من اخوانك فلا شيء عليه ، وان كان من هؤلاء فانتزعها منه فانما عنى الفراق ، فقلت له : اروي عن آبائك (ع) اياكم والمطلقات ثلاثا في مجلس واحد فانهن ذوات ازواج ، فقال (ع) : هذا من اخوانك لا منهم ، انه من دان بدين قوم لزمته احكامهم ، ومضى الراوي يقول : فقلت له : ان يحيى بن خالد البرمكي سم اباك موسى بن جعفر ،

فقـال : نعم سمه في ثـلاثين رطبـة ، قلت له : فـما كـان يعلم انها مسمـومـة ؟ قـال : غاب عنـه المحدث ، قلت : ومن المحـدث ؟ قـال : ملك اعـظم من جبرائيل وميكائيل كـان مع رسـول الله (ص) وهو مـع الأئمة وليس كلما طلب وجد ، ثم قال : انك ستعمر يا عبد الله ، فعاش مائة سنة .

ومن ثقـاة اصحابـه ورواة احاديثـه احمد بن عمـر الحلبي ، وجاء عنـه انه قـال : دخلت على ابي الحسن الـرضا (ع) بمنى فقلت لـه : جعلت فـداك كنـا اهـل بيت عطيـة وسرور ونعمـة ، وان الله سبحـانـه قـد اذهب ذلـك كله حتى احتجنا الى من كان يحتاج الينا ، فقال لي : يا احمد ما احسن حالك ، يا احمد ايسرك انك على بعض ما عليه هؤلاء الجبارون ولـك الدنيـا مملوءة ذهبا ؟ فقلت لـه : لا والله يا ابن رسـول الله ، فضحك ثم قـال : ترجـع من ههنا الى خلف فمن احسن حـالا منك وبيدك صناعة لا تبيعها بملء الدنيـا ذهبا ، الا ابشـرك ؟ قلت : نعم فقد سرني الله بـك وبآبـائك ، فقـال لي : قال ابـو جعفر في تفسـير قـوله تعـالى : ﴿ **وكان تحتـه كنز لهـما** ﴾ ، اي لوح من ذهب مكتـوب فيـه بسم الله الـرحمن الـرحيم لا إلـه إلا الله محمـد رسـول الله عجبت لمن ايقن بـالمـوت كيف يفـرح ومن يرى الـدنيا وتغيـرهـا بـأهلهـا كيف يـركن اليهـا ، وينبغي لمن غفـل عن الله ان لا يستبـطىء الله في رزقـه ولا يتهمـه في قضـائـه ، ثم قـال (ع) : رضيت يا احمد ؟ قلت : نعم عن الله وعنكم اهل البيت .

ومن خـواصـه ورواة احـاديثـه عـلي بن عبيـد الله بن الحسـين بن عـلي بن الحسين (ع) وجاء في الاتقـان انه كـان ازهد آل ابي طـالب وأعبدهم في زمـانه ومن المختصـين بالامـامين مـوسى بن جعفر وعـلي بن موسى وقـد اراده محمـد بن ابراهيم طباطبا لأن يبايـع له ابـا السرايـا بولايـة العهد من بعـده فأبى عليـه ورد الامـر الى محمد بن محمـد بن زيد بن عـلي ، وقد ألف كتـابـا في الحـج رواه عن ابي الحسن موسى بن جعفر (ع) .

وروى عنـه احمـد بن محمـد بن عيسى بسنـده الى سليمـان بن جعفـر انـه

قال : أشتهي الدخول على ابي الحسن الرضا ويمنعني من ذلك الاجلال والهيبة واتقي عليه ، وصادف ان اعتل ابو الحسن علة خفيفة فجاءه عائدا فلقيه ابو الحسن بكل ما يجب من المنزلة والتعظيم ففرح بذلك فرحا شديدا ، ثم مرض علي بن عبيد الله فعاده ابو الحسن الرضا (ع) . ومضى الراوي يقول : وأخبرتني مولاة لنا ان ام سلمة امرأة علي كانت من وراء الستر تنظر إليه فلما خرج، خرجت وانكبت على الموضع الذي كان فيه ابو الحسن (ع) تقبله وتتمسح به ثم اخبرني هو بذلك فأخبرت ابا الحسن بما صنعت ، فقال : يا سليمان ان عليا وولده وامرأته من أهل الجنة ، ان ولد علي وفاطمة اذا عرفهم الله هذا الأمر لم يكونوا كالناس .

وروى عنه بالاضافة الى هؤلاء جمع غفير من شيعته كما يبدو ذلك ممن كتبوا في احوال الرواة ، كما روى عنه غيرهم من المحدثين كالخطيب في تاريخه والثعلبي في تفسيره والسمعاني في رسالته وابن المعتز في رسالته ، وأبي عثمان المازني وعلي بن علي الدعبلي وأيوب بن المنصور النيسابوري وأبي الصلت عبد السلام بن صالح الهروي وعلي بن مهدي بن صدقة وداود بن سليمان بن يوسف القاري القزويني وآدم بن ابي اياس ونصر بن علي الجهضمي ومحمد بن رافع القشيري وغيرهم مما لا يسعنا احصاؤهم .



من عظاته وحكمه

لقد جاء عنه كما في رواية تحف العقول انه قال : لا يتم عقل امرىء مسلم حتى تكون فيه عشر خصال : الخير منه مأمول والشر منه مأمون ، يستكثر قليل الخير من غيره ويستقل الخير الكثير من نفسه ، لا يسأم من طلب الحوائج اليه ولا يمل من طلب العلم طول دهره ، الفقر في الله احب اليه من الغنى ، والذل في الله احب اليه من العز مع اعدائه ، والخمول اشهى اليه من الشهرة ، والعاشرة ان لا يرى احدا الا قال هو خير مني واتقى تواضع له ليلحق به فاذا فعل ذلك فقد علا مجده وطاب خيره وحسن ذكره وساد اهل زمانه .

سئل (ع) عن خيار العباد فقال : خيار العباد الذين اذا احسنوا استبشروا واذا اساؤوا استغفروا واذا أعطوا شكروا واذا ابتلوا صبروا ، واذا اغضبوا غفروا .

وكان يقول : خمس من لم تكن فيه فلا ترجوه لشيء من الدنيا والآخرة : من لم تعرف الوثاقة في ارومته والكرم في طباعه والرصانة في خلقه ، والنبل في نفسه ، والمخافة لربه ، ان الله يبغض القيل والقال واضاعة المال وكثرة السؤال ، وليست الحمية من الشيء تركه ولكن الاقلال منه ،

والسخي يـأكل من طعـام الناس ليـأكلوا من طعامـه ، ويأتي عـلى الناس زمـان تكـون العافيـة فيه عشـرة اجزاء تسعـة منهـا في اعتـزال النـاس وواحـد منهـا في الصمت .

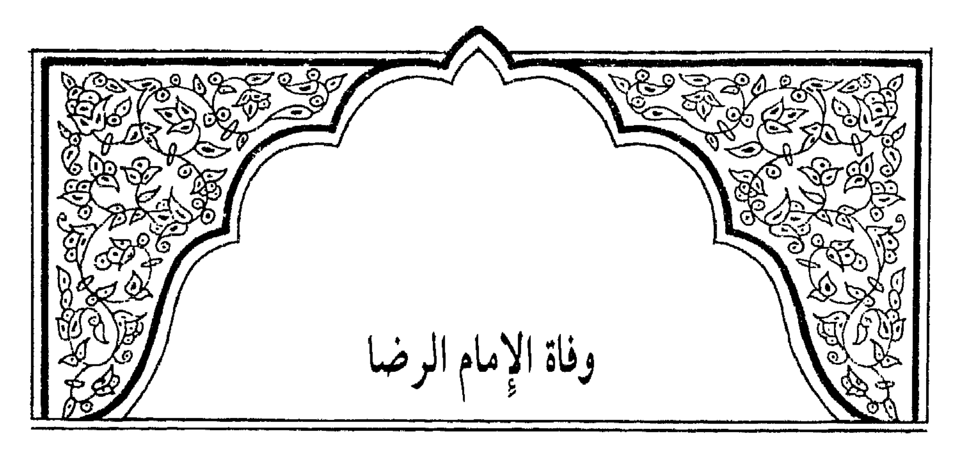
وقال علي بن شعيب : دخلت على ابي الحسن الرضـا (ع) فقال لي : يـا عـلي من أحسن الناس معـاشاً ؟ فقلت : يـا سيدي انت أعلم بـه مني ، قال : يا علي احسن النـاس معاشـا من حسن معاش غيـره في معاشـه ، يا عـلي وأسوأ الناس معاشا ، من لم يعش غيره في معـاشه ، يـا علي احسنـوا جوار النعم فـانها وحشيـة ما نـأت عن قوم فعـادت اليهم ، يا عـلي ان شر النـاس من منـع ردفـه وأكل وحده وجلد عبـده ، احسن الظن بـالله فان من حسن ظنـه بالله كـان الله عنـد ظنه ، ومن رضي بـالقليل من الـرزق قبل منـه اليسـير من العمـل ، ومن رضي بـاليسـير من الحـلال خفت مؤونتـه ونعم أهله وبصـره الله داء الـدنيـا ودواءها وأخرجه منها سالما الى دار السـلام ، ليس لبخيل راحـة و لا لحسود لـذة ولا لملول وفاء ولا لكذوب مروءة .

وقال (ع) : ان الله امر بثلاث وقرن بها ثلاثـاً : امر بـالصلاة والـزكاة ، فمن صـلى ولم يزك لم تقبـل صلاتـه ، وأمر بـالشكر لـه وللوالدين ، فقال: ﴿ان اشكـر لي ولـوالـديـك﴾ فمن لم يشكـر والـديـه لم يشكـر الله ، وأمـر بـاتقـاء الله وصلة الـرحم فمن لم يصـل رحمـه لم يتق الله عـز وجـل ، ومضى الإمـام (ع) يقول : لا يجمع المـال الا بخصال خمس : ببخـل شديـد وأمل طـويل وحـرص غـالب وقطيعـة رحم وايثـار الـدنيـا عـلى الآخـرة ، ولا ينبغي للرجـل ان يـدع الطيب في كل يوم ، فان لم يقدر فيوم ويوم ، فان لم يقدر ففي كل جمعة .

وجاء في كتاب الذخيرة انه قال : من حـاسب نفسه ربـح ومن غفل عنهـا خسر ومن خاف امن ومن اعتبر ابصر ومن ابصر فهم ، وأفضـل المال مـا وقيت بـه عـرضـك ، وأفضـل العقـل معـرفـة الإنسـان نفسـه ، والمؤمن اذا غضب لم يخرجه غضبـه عن حق واذا رضي لم يدخله رضـاه في باطـل ، واذا قدر لم يـأخذ

اكثر من حقه .

وقال لبعض اصحابه : اصحب السلطان بالحذر والصديق بالتواضع والعدو بالتحرز والعامة بالبشر ، وان الذي يطلب من فضل ليكفي به عياله اعظم من المجاهدين في سبيل الله . الى غير ذلك من كلماته ونصائحه التي تفيض بالايمان وتزخر بالعطاء الخير الذي يتسع لجميع الجوانب التي يجب ان تقوم على اساسها الحياة كالاخلاق والتربية والآداب ونحو ذلك مما يفترض بالانسان المسلم ان يطبقه ويتحلى به ليكون منسجماً مع مبادىء الاسلام بالعمل قبل القول ومن دعاته الصامتين كما اوصى بذلك الامام الصادق (ع) اصحابه في عشرات المناسبات .



وفاة الإمام الرضا

لقد كانت وفاة الإمام الرضا (ع) في قرية يقال لها سنا آباد سنة ثلاث ومائتين في اشهر الروايات وقيل غير ذلك ومات مسموما بسم دسه له المأمون في شراب الرمان ، وقيل في عنب قدمه إليه وكان قد ادخل فيه السم بطريقة لا يعرفها احد ، وقيل انه مات على اثر حمى أصابته فاعتل منها ثلاثة أيام وكانت نهايته بسببها ، ولكن القائلين بوفاته مسموما كما هو ليس ببعيد هم اكثر محدثي الشيعة وجماعة غيرهم من محدثي السنّة ومؤرخيهم .

فقد جاء في خلاصة تهذيب الكمال في اسماء الرجال عن سنن ابن ماجة القزويني انه مات مسموما بطوس ، وفي مقاتل الطالبيين ان المأمون قد عقد له على العهد من بعده ودس له فيما ذكر بعد ذلك سماً فمات منه .

كما جاء في تهذيب التهذيب للحافظ ابن حجر عن الحاكم في تاريخ نيسابور انه قال : استشهد علي بن موسى بسنا اباد ، وقال ابو حاتم بن حبان كما نقل عنه في التهذيب انه مات آخر يوم من صفر وقد وضع له السم في ماء الرمان وسقي منه الى غير ذلك ممن تعرض لاسباب وفاته ، ويبدو ان اتهام المأمون بسمه قد رافق تاريخ وفاته كما يظهر من المأمون نفسه ومن بعض مراثيه ، فقد روى الصدوق عن عيون الاخبار ان المأمون قال للرضا (ع)

وهو يعالج الموت : والله ما ادري اي المصيبتين اعظم علي فقدي لك وفراقي اياك او تهمة الناس لي أني اغتلتك .

وجاء في رواية ابي الفرج في المقاتل ان المأمون كان يبكي ويقول : أعزز علي يا اخي بأن اعيش ليومك وقد كان بقاؤك املي وأغلظ علي من ذلك وأشد ان الناس يقولون : اني سقيتك سماً وأنا الى الله من ذلك بريء .

كما جاء في قصيدة الخزاعي التي رثاه بها :

الا ايها القبر الغريب محله	بطوس عليك الساريات هتون
شككت فما ادري امسقي بشربة	فأبكيك ام ريب الردى فيهون
وأيهما ما قلت ان قلت شربة	وان قلت موت انه لقمين
فيا عجبا منهم يسمونك الرضا	ويلقاك منهم كلحة وغضون

ويبدو من أبي فراس الحمداني انه كان مقتنعا باغتيال الإمام الرضا كما يظهر من قصيدته التي تعرض فيها لأهل البيت (ع) وبني العباس وجاء فيها :

باؤوا بقتل الرضا من بعد بيعته	وأبصروا بغضه من رشدهم وعموا
عصابة شقيت من بعد ما سعدت	ومعشر هلكوا من بعد ما سلموا
لا بيعة ردعتهم عن دمائهم	ولا يمين ولا قربى ولا رحم

ولعل اشجع بن عمرو السلمي يشير الى اتهام المأمون بقتله في قوله :

يا نازلا جدثا في غير منزله	ويا فريسة يوم غير مفروس
لبست ثوب البلى أعزز علي به	لبسا جديدا وثوبا غير ملبوس

ومجمل القول ان اتهام المأمون باغتياله قد رافق تاريخ وفاته كما ذكرنا وأقلق المأمون فتظاهر بالحزن والجزع ليدفع عن نفسه تلك التهمة .

ويبدو ان اكثر القائلين بأن وفاته كانت بصورة طبيعية قد اغراهم مظهر المأمون واشتراكه في تشييع الجثمان حافيا حاسرا بين قائمتي النعش وهو يبكي ويقول : لمن اروح من بعدك يا ابا الحسن وملازمته القبر ثلاثة ايام بلياليها لا يأكل خلالها الا الخبز والملح كما يدعي بعض الرواة .

كما وان الذين اتهموه بقتله يعزون ذلك الى بعض مواقف الإمام منه وصلابته في الحق ، فلقد جاء في الارشاد للمفيد ان الرضا كان يكثر من وعظ المأمون اذا خلا به ويخوفه من الله ، وكان المأمون يظهر قبول ذلك ويبطن كراهته ، وقال له يوما وقد رآه يتوضأ ؛ والغلام يصب على يده الماء : يا امير المؤمنين لا تشرك بعبادة ربك احدا ، فصرف المأمون غلامه وتولى الوضوء بنفسه ، وزاد ذلك من غضبه على حد تعبير الراوي ، وكان الرضا مع ذلك يزري على الفضل والحسن ابني سهل عند المأمون ويصف له مساوئهما وينهاه عن الاصغاء لهما فعرفا منه ذلك فجعلا يحطبان عليه عند المأمون ويذكران له عنه ما يبعده منه ويخوفانه من حمل الناس عليه فلم يزالا كذلك حتى قلبا رأيه فيه وعمل على قتله .

والواقع ان التعليلين في منتهى السذاجة والسطحية وان دلا على شيء فانهما يدلان على جمود اولئك الذين تمسكوا بهما وقصورهم عن فهم السياسيين وتاريخهم وأحداثهم ، ذلك لأن بكاء المأمون وجزعه الخارجين عن المألوف يدلان على أنه كان متخوفاً من انتشار تلك التهمة في اوساط شيعة خراسان وهو يحاول بمظهره هذا ان يخفف من وطأتها ويصرف الناس عنها ، كما وان صلابة الإمام في الحق وارشاده الى ما يجب عليه ان يعمله اذا كان واثقا منه لا يوجبان هذا الجزاء ولا يشكلان خطرا عليه لا سيما وان المأمون يعرف عن الإمام ذلك وأكثر منه وقد كان يتصاغر بين يديه .

واذا صح ان الإمام مات مسموما وليس ذلك ببعيد فالذي دعا المأمون الى سمه وقتل الفضل بن سهل هو تأزم الموقف في بغداد وغيرها من المدن

العراقية الى أبعد الحدود بسبب ولاية العهد التي جعلها للإمام (ع) وقد ايقن بنو العباس ان الأمر سينتقل الى العلويين فأعلنوا العصيان وخلع المأمون وبايعوا لابراهيم المغني المعروف بابن شكلة ، وكان الفضل بن سهل يخفي عن المأمون جميع ذلك وأخيرا اخبره الرضا (ع) وأحضر جماعة اكدوا له استخلاف ابراهيم في العراق فنصحه الإمام باقصاء الفضل والغاء ولاية العهد التي جعلها له وان يخرج بنفسه الى بغداد ليتولى ادارة الحكم ، وخرج المأمون في طريقه الى بغداد ومعه الرضا ولما انتهى الى مرو دس جماعة لاغتيال الفضل في الحمام وبقي عليه الإمام الرضا وهو يعلم ان الأمور لا تستقيم له ما دام حيا ، وكان قد أراده على دخول الحمام مع الفضل فامتنع الإمام من دخوله ولما ألح عليه كتب له الإمام : اني رأيت رسول الله في النوم وقال لي لا تدخل الحمام غدا . وكانت نهاية الفضل ان امر جماعة فدخلوا عليه الحمام وقتلوه ونهاية الإمام أن دس اليه السم بماء الرمان او العنب واستقامت له الأمور بعد ذلك ، ولما اراد ان يقتص من قتلة الفضل قال له العباس بن هيثم بن بزرجمهر انت امرتنا بقتله كما جاء في رواية الطبري ، وقد اقتص منهم ليتحرز من تهمة قتله ، كما كان يبكي الرضا ويندبه ليدفع عنه تهمة سمه .

ومجمل القول ان من يتابع أحداث تلك الفترة من التاريخ والأوضاع التي كانت تحيط بالمأمون واضطراب الامور في بغداد وغيرها بسبب ولاية العهد التي جعلها للإمام الرضا وما آلت اليه من خلعه وتسليم السلطة الى غيره وما احيط بوفاة الإمام الرضا من ظروف وملابسات لا يستطيع ان يبرىء المأمون من اغتياله بالطريقة التي رواها المحدثون او بغيرها .

أما الكيفية التي تم فيها ذلك فقد روى الرواة عن عبد الله بن بشير انه قال : امرني المأمون ان اطول اظفاري ولا اظهر ذلك لأحد ففعلت ثم استدعاني وأخرج إلي شيئاً يشبه التمر الهندي وقال لي : اعجن هذا بيديك جميعا ففعلت ثم قام وتركني ودخل على الرضا (ع) وقال له : ما خبرك ؟ فقال : ارجو ان اكون صالحا ، فقال : هل جاءك احد من المترفقين في هذا

اليوم ؟ فقال : لا ، فغضب المأمون وصاح على احد غلمانه ثم قال : خذ ماء الرمان الساعة فانه مما لا يستغنى عنه ، ثم دعاني وقال : ائتنا برمان فأتيته به فأمرني ان اعصره بيدي ففعلت فأخذه وسقى الرضا بيده ،فلم يلبث الا يومين بعد ذلك ومات .

وحدث الرواة عن ابي الصلت الهروي انه قال : دخلت على الرضا وقد خرج المأمون من عنده فقال لي :يا ابا الصلت قد فعلوها وجعل يوحد الله ويمجده .

وجاء في الارشاد ومقاتل الطالبيين عن محمد بن الجهم انه قال : كان الرضا يعجبه اكل العنب فأخذ له منه شيء ووضع في موضع اقماعه الابر اياما ثم نزعت منه وجيء به اليه فأكل منه وهو في علته فقتله وكان من السم القاتل ، ولا منافاة بين الروايتين لجواز ان يكون المأمون قد استعمل الامرين معا .

وكانت وفاته بطوس في قرية يقال لها سنا اباد من رستاق فوقان ودفن في دار حميد بن قحطبة في المكان الذي فيه الرشيد الى جانبه مما يلي القبلة كما جاء في عيون اخبار الرضا للصدوق رحمه الله .

ويدعي الرواة ان المأمون لم يظهر موته في حينه وتركه يوما وليلة ثم وجه الى محمد بن جعفر بن محمد وجماعة من آل ابي طالب وأخبرهم بوفاته ، ثم كشف لهم عنه ليعلموا انه مات حتف انفه لا اثر فيه لضربه سيف ولا لطعنة رمح .

وممن رثاه من الشعراء دعبل الخزاعي بقصيدة يقول فيها :

شككت فما ادري امسقى بشربة ... فأبكيك ام ريب الردى فيهون
وأيهما ما قلت ان قلت شربة ... وان قلت موت انه لقمين
فيا عجبا منهم يسمونك الرضا ... ويلقاك منهم كلحة وغضون

أتعجب للأحلاف ان يتحيفوا · معالم دين الله وهو مبين

كما رثاه اشجع بن عمرو السلمي بقصيدة يقول فيها :

من يوم طوس الذي نادت بروعته · لنا النعاة وأفواه القراطيس
حقا بأن الرضا اودى الزمان به · ما يطلب الموت الا كل منفوس
يا نازلا جدثا في غير منزله · ويا فريسة يوم غير مفروس
لبست ثوب البلى أعزز علي به · لبسا جديدا وثوبا غير ملبوس
صلى عليك الذي قد كنت تعبده · تحت الهواجر في تلك الأماليس

وجاء في مرثية اخرى لدعبل الخزاعي :

قوم قتلتم على الإسلام اولهم · حتى اذا استمسكوا جازوا على الكفر
اربع بطوس على قبر الزكي به · ان كنت تربع من دين على وطر
قبران في طوس خير الناس كلهم · وقبر شرهم هذا من العبر
ما ينفع الرجس من قرب الزكي وما · على الزكي بقرب الرجس من ضرر
هيهات كل امرىء رهن بما كسبت · له يداه فخذ ما شئت أو فذر

وممن رثاه علي بن عبد الله الخوفي في ابيات قال فيها :

يا ارض طوس سقاك الله رحمته · ماذا حويت من الخيرات يا طوس
طابت بقاعك في الدنيا وطيبها · شخص ثوى بسنا آباد مرموس
شخص عزيز على الإسلام مصرعه · في رحمة الله مغمور ومغموس
يا قبره انت قبر قد تضمنه · علم وحلم وتطهير وتقديس
فخرا فانك مغبوط بجثته · وبالملائكة الابرار محروس

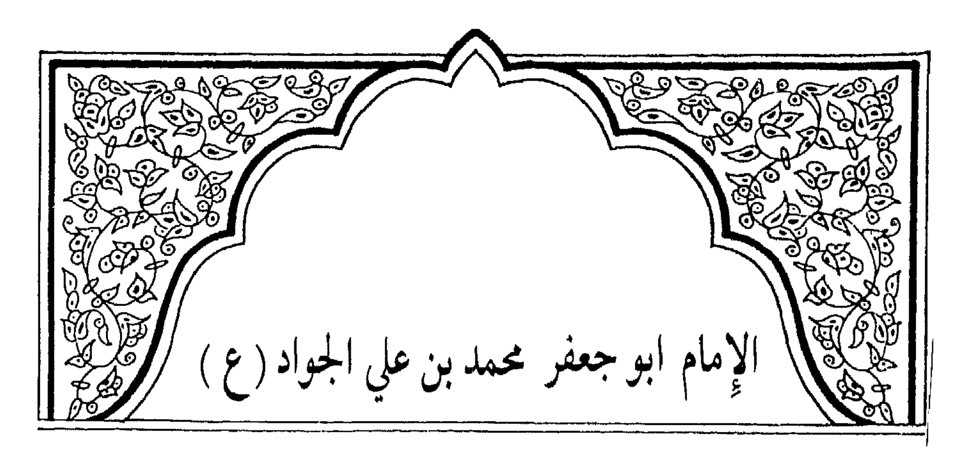
كما رثاه ابو فراس الحمداني وغيره من الشعراء وتناول ابو فراس في قصيدته قصة بيعته بولاية العهد وغدرهم به وقتله بعد ذلك واكتفى بهذه اللمحات من سيرته راجيا منه سبحانه ان يوفقني لعرض بعض الجوانب من سيرة بقية الأئمة من أهل البيت (ع) .



الإمام التاسع

محمد بن علي الجواد "عليهما السلام"





الإمام ابو جعفر محمد بن علي الجواد (ع)

ولد الإمام محمد بن علي الجواد بالمدينة في شهر رمضان من سنة خمس وتسعين بعد المائة كما جاء ذلك في رواية المفيد والنوبختي وتذكرة الخواص لابن الجوزي وغيرها . وكانت وفاته في ذي القعدة من سنة خمس وعشرين ومائتين للهجرة ، وقيل من سنة ست وعشرين ومائتين ، وأكثر المصادر تؤكد أنه كان في السادسة من عمره حينما خرج والده الرضا (ع) من المدينة الى خراسان سنة مائتين للهجرة ولا أستبعد ان يكون فوق هذا السن .

وتشير بعض المرويات الى انه أحس بالخطر على أبيه من خلال طوافه حول الكعبة ووداعه لها في السنة التي خرج فيها الى خراسان ، فلقد جاء في اعيان الشيعة من الدلائل ان امية بن علي قال : كنت مع ابي الحسن (ع) بمكة في السنة التي حج فيها مودعا عندما اراد السفر الى خراسان ومعه ولده ابو جعفر الجواد فودع ابو الحسن الرضا البيت وعدل الى المقام فصلى عنده ، وكان ابو جعفر على عنق احد غلمانه يطوف به فنزل عن عنقه وجلس في حجر ابراهيم وأطال ، فقال له موفق قم جعلت فداك ، فامتنع عليه وقال : لا ابرح من مكاني هذا الا ان يشاء الله ، واستبان في وجهه الغم ، فجاء موفق الخادم الى الامام الرضا وأخبره بما كان من أمر أبي جعفر ، فقام اليه

بنفسه وقال له : قم يا بني ، فامتنع عليه وقال : لا ابرح من مكاني هذا وكيف اقوم وقد ودعت البيت وداعا لا رجوع بعده ، وأخيراً قام مع ابيه ومضى معه حيث اراد .

ويبدو من هذه الرواية انه قد ادرك من خلال زيارة ابيه للبيت ووداعه له ما يجول في نفسه من المخاطر التي تنتظره ، وادراك هذا الامر لا يكون ممن هو في مثل هذا السن ، واذا اضفنا الى ذلك ما جاء في بعض المرويات من أن المأمون قد زوجه من ابنته ام الفضل بعد وفاة ابيه بمدة يسيرة بعد حوار جرى بين المأمون وبين العباس من جهة وبين الإمام الجواد وقاضي القضاة يحيى بن أكثم من جهة ثانية ، اذا اخذنا ذلك كله بعين الاعتبار يصبح من الممكن ان يكون عند وفاة ابيه فوق العاشرة وربما في حدود الرابعة عشرة من عمره ، في حين انه ليس لدينا من الروايات ما يؤيد هذا .

ومهما كان الحال فلقد نص اكثر الرواة انه بقي بعد ابيه سبع عشرة سنة وقبض في عهد المعتصم العباسي ، وترك من الأولاد علياً خليفته من بعده ، وموسى وفاطمة وامامة . وقيل انه ترك ذكرين وثلاث بنات ، وقد نص على امامته الرضا (ع) ، وممن روى النص عليه بالامامة علي بن جعفر بن محمد الصادق (ع) وصفوان بن يحيى ومعمر بن خلاد والحسين بن بشار والبزنطي ، والواسطي والحسن بن الجهم وغير هؤلاء ممن لا يسعنا احصاؤهم .

وجاء في رواية زكريا بن يحيى بن النعمان البصري انه قال : سمعت علي بن جعفر يحدث الحسن بن الحسين بن علي بن الحسين ويقول : في حديثه لقد نصر الله ابا الحسن الرضا لما بغى عليه اخوته وعمومته ومضى يقول في حديث طويل : فقمت وقبضت على يد ابي جعفر محمد بن علي الرضا وقلت له : اشهد انك امامي عند الله عز وجل ، فبكى الرضا (ع) ثم قال : يا عم ألم تسمع ابي وهو يقول : قال رسول الله (ص) بأبي ابن خيرة الاماء

النوبية الطيبة[1] ، يكون من ولده الطريد الشريد الموتور بأبيه وجده صاحب الغيبة فيقال مات او هلك او بأي واد سلك ، فقلت له : صدقت جعلت فداك .

وروى المفيد في ارشاده بسنده الى صفوان بن يحيى انه قال : قلت للرضا (ع) لقد كنا نسألك قبل ان يهب الله لك ابا جعفر فكنت تقول : يهب الله لي غلاماً وقد وهبه الله لك وأقر عيوننا به فلا ارانا الله يومك فان كان فإلى من ؟ فأشار بيده الى ابي جعفر الجواد وهو قائم بين يديه فقلت له : جعلت فداك هذا ابن ثلاث سنين ، فقال : وما يضره من ذلك وقد قام عيسى بالحجة وهو ابن اقل من ثلاث سنين .

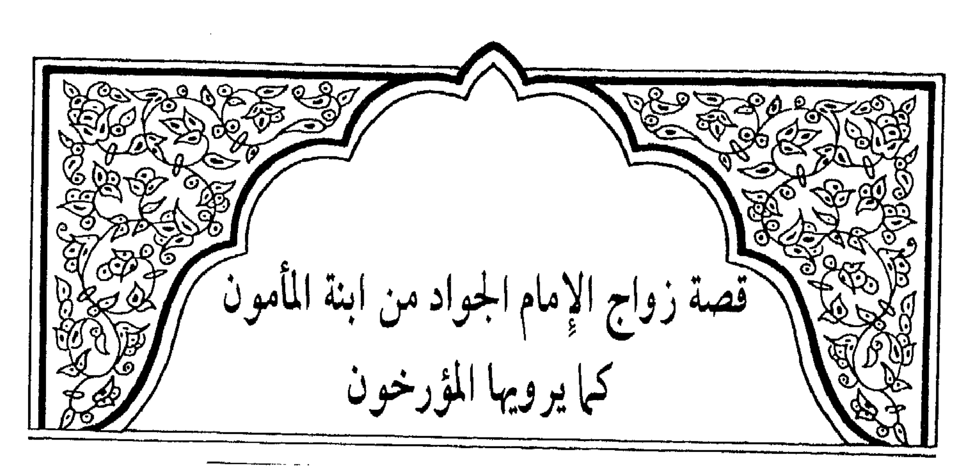
وجاء في رواية احمد بن محمد بن عيسى عن معمر بن خلاد انه قال : سمعت الرضا (ع) وهو يحدث يقول : ما حاجتكم الى ذلك هذا ابو جعفر قد اجلسته مجلسي وصيرته مكاني . ومضى يقول : انا اهل بيت يتوارث اصاغرنا عن اكابرنا القذة بالقذة الى غير ذلك من الروايات الكثيرة التي رواها ثقات المحدثين عنه حول هذا الموضوع بالاضافة الى ما جاء عن النبي (ص) والأئمة الكرام في النص على الأئمة بأسمائهم واحدا بعد واحد .

ويظهر من اكثر الروايات ان الإمام الرضا (ع) حينما ذهب لخراسان بناء لطلب المأمون ترك ولده ابا جعفر في المدينة وان المأمون بعد رجوعه لبغداد سنة ٢٠٤ استدعى الإمام الجواد ليزوجه من ابنته ام الفضل وكان في مطلع العاشرة من عمره كما جاء ذلك في رواية المفيد وغيره ، ومع اني لم اجد فيما هو لدي من المرويات ما يشير الى ان الإمام الرضا قد حمل معه عياله وولده فاني استبعد ان يترك عياله في الحجاز ويخرج وحيدا وقد كان متشائما من سفره وودع قبر جده في المدينة والكعبة في مكة وداع من لا يرجو العودة اليهما .

---

(١) وكانت ام الجواد نوبية وتدعى سبيكة .

وقد ذكرنا ان ولده الجواد مع صغر سنه قد احس بما يخالج نفس ابيه من الخوف والقلق وهو يطوف حول البيت ، فجلس في حجر اسماعيل باكيا متأثراً بما شاهده من أبيه خلال طوافه ووداعه ، كما استبعد ان يكون زواجه من ابنة المأمون وهو بهذا السن بعد ذلك الحوار الطويل الذي جرى بين المأمون وبني العباس وبين الامام الجواد وقاضي الدولة بهذه المناسبة ، وأرجح أنه كان مع ابيه في خراسان ولم يفرق بينهما سوى الموت ، وبعد وفاته رجع مع عائلة ابيه الى المدينة وبعد رجوع المأمون لبغداد واستتباب الامور بها استدعاه الى بغداد وتقرب اليه وأظهر له الولاء والاخلاص وزوجه من ابنته ليتخلص من تهمة اغتياله لأبيه ولا بد وأن يكون في سن تؤهله للزواج يوم ذاك .



قصة زواج الإمام الجواد من ابنة المأمون كما يرويها المؤرخون

لقد جاء في الارشاد وغيره ان المأمون لما اراد ان يزوج ابنته للإمام ابي جعفر محمد بن علي الرضا وبلغ ذلك العباسيين ثقل عليهم واستكبروه ، وخافوا ان ينتهي الأمر معه الى ما انتهى مع ابيه الرضا ، فاجتمع الى المأمون جماعة منهم وقالوا : ننشدك الله يا امير المؤمنين ان تقيم على هذا الأمر الذي عزمت عليه من تزويج ابن الرضا فانا نخاف ان تخرج عنا امرا قد ملكناه وتنزع عنا عزا قد ألبسناه ، فقد عرفت ما بيننا وبين هؤلاء القوم آل علي قديما وحديثا ، وما كان عليه الخلفاء الراشدون قبلك معهم ، وقد كنا في وهلة من عملك مع الرضا ما عملت حتى كفانا الله المهم من ذلك ، فالله الله ان تردنا الى غم انحسر عنا ، فاصرف رأيك عن ابن الرضا واعدل الى من تراه من أهل بيتك يصلح لها دون غيرهم ، فقال لهم المأمون : اما ما كان بينكم وبين آل ابي طالب فأنتم السبب فيه ولو انصفتم القوم لكانوا اولى بكم ، وأما ما كان يفعله من قبلي بهم فقد كان قاطعا للرحم وأعوذ بالله من ذلك ، ووالله ما ندمت على ما كان مني من استخلاف الرضا ، ولقد سألته ان يقوم بالأمر وأنزعه عن نفسي فأبى وكان امر الله قدرا مقدورا . وأما أبو جعفر محمد بن

علي فقد اخترته لتبريزه على كافة أهل الفضل في العلم مع صغر سنه ، والاعجوبة فيه ذلك وأنا أرجو ان يظهر للناس ما قد عرفته منه ليعلموا ان الرأي ما رأيت فيه .

فقالوا : يا امير المؤمنين اتزوج ابنتك وقرة عينك صبيا لم يتفقه في دين الله ولم يعرف حلاله من حرامه ولا فرضه من سننه ، ان هذا الفتى وان راقك منه هديه فانه صبي لا معرفة له ولا فقه ، فامهله ليتأدب ويقرأ القرآن ويتفقه في الدين ثم اصنع ما تراه بعد ذلك .

فقال لهم : ويحكم اني اعرف بهذا الفتى منكم ، وانه لأفقه منكم وأعلم بالله ورسوله وسنّته وأحكامه وأقرأ لكتاب الله منكم وأعلم بمحكمه ومتشابهه وناسخه ومنسوخه وظاهره وباطنه وخاصه وعامه وتنزيله وتأويله ، وان شئتم فامتحنوه فان كان كما وصفتم قبلت منكم ، فقالوا : لقد رضينا لك ولأنفسنا بامتحانه فخل بيننا وبينه لنعين من يسأله بحضرتك عن شيء من فقه الشريعة ، فإن اصاب الجواب لم يكن لنا اعتراض ، وان عجز عن ذلك فقد كفينا امره ، ثم اجتمع رأيهم على يحيى بن أكثم وهو يوم ذاك قاضي القضاة على ان يسأله مسألة لا يعرف الجواب عنها ووعدوه بأموال نفيسة ان هو استطاع ذلك ، وعادوا الى المأمون يسألونه ان يعين يوماً لهذه الغاية . وفي اليوم الذي عينه المأمون حضر الإمام وقاضي القضاة والمأمون وجلس الناس على مراتبهم ، واستأذنه يحيى بن اكثم في السؤال فأذن له ، فقال : اصلحك الله يا ابا جعفر ما تقول في محرم قتل صيدا ، فقال الإمام (ع) وهو ابن سبع سنين وأشهر كما يدعي ابن الجوزي في تذكرته عن المصادر الشيعية : قتله في حل او حرم عالما ام جاهلا ، قتله عمدا او خطأ ، حرا كان ام عبدا صغيرا كان او كبيرا ، مبتدئا بالقتل ام معيدا من ذوات الطير كان الصيد ام من غيرها ، من صغار الصيد كان ام من كباره ، مصراً على ما فعل او نادما ، في الليل كان قتله للصيد في اوكارها ام نهارا وعيانا ، محرما كان للعمرة او للحج ؟

فتحــير يحيـى بن اكثم وانقـطع انقــطاعـا لم يخف عــلى احـد من اهــل المجلس وبان في وجهه العجز والانقطاع وتلجلج حتى عرف الناس منه ذلك ، فـاستبشر المأمـون كما يـدعي الرواة وحمـد الله عـلى هـذه النعمـة وطلب منـه ان يذكر الحلول لكل تلك الفروض ، وبعد ان اجاب عنها بكاملهـا اسودت وجـوه العباسيين ، ثم خطب الإمام خطبة النكـاح وتم الزواج عـلى مثل مهـر الزهـراء (ع) ، ويمضي الـريــان بن شبيب فيصف حفلة الـزواج ومـا انفقـه فيهـا المـأمـون ، فيقـول : ولم نلبث ان سمعنـا اصـواتـا تشبه اصـوات المـلاحـين في محـاوراتهم فاذا الخـدم يجرون سفينـة مصنـوعـة من فضـة مشـدودة بـالحبـال من الابـريسم على عجلة مملوءة من الغـالية ، فـأمر المـأمون ان يخضب لحـا الخاصـة من تلك الغالية وطيب العامة منهـا ، ثم وضعت الموائـد فأكـل الناس وخـرجت الجوائز الى كل قوم على اقدارهم .

وأضـاف الرواة لـذلك ان المـأمون طلب من الإمـام ابي جعفـر ان يسـأل يحيـى بن اكثم كما سأله فأجابه الإمـام لذلـك وقال ليحيـى : اخبـرني عن رجل نـظر الى امرأة في اول النهـار فكان نـظره اليها حـراما عليـه ، فلما ارتفـع النهـار حلت لــه ، فلما زالت الشمس حـرمت عليــه ، فلما دخـل عليــه وقت العصر حلت لـه ، فلما غـربت الشمس حـرمت عليـه ، فلما دخـل عليـه وقت عشــاء الآخـرة حلت له ، فلما انتصف الليـل حرمت عليـه ، وبـطلوع الفجـر حلت ، فما حال هذه المرأة وبما حلت له وحرمت عليه ؟ فقال يحيـى بن اكثم : والله لا اهتـدي لجوابـك ولا اعرف الـوجه في ذلـك فإن رأيت ان تفيـدنـا ، فقـال ابـو جعفر : هذه امـة لرجـل من الناس نـظر اليها اجنبي في اول النهـار فكان نـظره اليهـا حرامـا عليه ، فلما ارتفـع النهار ابتـاعها من مـولاها فحلت لـه ، فلما كان عند الظهـر اعتقها فحـرمت عليه ، فلما كـان وقت العصر تزوجهـا فحلت له ، فلما كـان وقت المغـرب ظـاهـر منهــا فحـرمت عليــه ، فلما كـان وقت العصر تزوجها فحلت له ، فلما كان وقت المغرب ظاهـر منها فحـرمت عليه ، فلما كـان وقت العشاء الآخرة كفـر عن الظهـار فحلت له ، فلما كـان نصف الليل طلقهـا

واحدة فحرمت عليه ، فلما كان عند الفجر راجعها فحلت له .

فأقبل المأمون على من حضره من أهل بيته فقال لهم : هل فيكم احد يجيب عن هذه المسألة بمثل هذا الجواب او يعرف القول فيما تقدم من السؤال ، فقالوا : لا والله ان امير المؤمنين اعلم بما رأى ، ثم قال لهم كما يدعي الراوي : ويحكم ان اهل هذا البيت خصوا من بين الخلق بما ترون من الفضل وان صغر السن فيهم لا يمنعهم من الكمال ، اما علمتم ان رسول الله (ص) افتتح دعوته بدعاء امير المؤمنين علي بن ابي طالب (ع) وهو ابن عشر سنين وقبل الإسلام منه وحكم له به ولم يدع احدا في سنه غيره ، افلا تعلمون الان ما خص الله به هؤلاء القوم وانهم ذرية بعضها من بعض يجري لآخرهم ما يجري لأولهم ، فقالوا : صدقت يا امير المؤمنين ، وتم الزواج بعد هذا الحوار كما يدعي الرواة والله أعلم بواقع الحال .



الإمام الجواد يعود الى المدينة

لقد روى الرواة ان الإمام الجواد (ع) بعد ان تزوج من ابنة المأمون رجع الى المدينة ومعه زوجته ام الفضل وخرج الناس لوداعه ، ولما صار الى شارع باب الكوفة ومعه الناس يشيعونه وانتهى الى دار المسيب كما جاء في رواية المفيد ، نزل ودخل المسجد وكان في صحنه نبقة لم تحمل بعد فدعا بكوز فيه ماء فتوضأ في اصل النبقة وقام وصلى بالناس صلاة المغرب وبعد الفراغ منها جلس هنيهة يذكر الله سبحانه ، ثم قام فصلى النوافل وعقب تعقيبها وخرج فلما انتهى الى النبقة رآها الناس وقد حملت حملا حسنا فتعجبوا من ذلك وأكلوا منه فوجدوا نبقا حلوا لا عجم له وودعوه فمضى من وقته الى المدينة ، فلم يزل بها الى ان اشخصه المعتصم في أول سنة خمس وعشرين ومائتين الى بغداد فأقام بها حتى توفي في آخر ذي القعدة من تلك السنة .

ولم يحدد الرواة السنة التي خرج فيها من بغداد الى المدينة مع زوجته ام الفضل ، ولا السنة التي وقع فيها الزواج ، وان كانت رواية المفيد صريحة في انه كان له من العمر تسع سنين يوم جرى الحوار بينه وبين يحيى بن اكثم ، ويظهر منها لأول نظرة انه بعد الحوار وخذلان المعارضين لفكرة الزواج من بني العباس نفذ المأمون رغبته وعقد له على ابنته خلال تلك المدة ، ولكنها ليست ظاهرة في ذلك ظهورا تطمئن له النفس ، وعبارة المسعودي في اثبات الوصية

تشعر بأن الزواج قد تم بعد ان بلغ الإمام (ع) السن التي تؤهله لذلك ، حيث جاء فيها انه لما توفي الرضا (ع) وجه المأمون الى ولده الجواد فحمله الى بغداد وأنزله بالقرب من داره وأجمع ان يزوجه من ابنته ام الفضل ، وأضاف الى ذلك ابن الجوزي انه اكرمه وأعطاه ما كان يعطي اباه ، كما وان عبارة السيد الامين في الاعيان تشعر بأن الامام الجواد كانت اكثر اقامته في بغداد بعد زواجه ، وقد خرج منها باذن المأمون الى الحج ومعه زوجته ام الفضل في السنة التي توفي فيها المأمون في طرسوس حيث قال : ثم ان الجواد (ع) استأذن المأمون في الحج وخرج من بغداد متوجهاً الى المدينة ومعه زوجته وبعد توجه الجواد الى المدينة توفي المأمون في طرسوس وبويع اخوه المعتصم ، ثم ان المعتصم طلب الجواد وأحضره الى بغداد ومضى يقول : ان المسعودي قال في اثبات الوصية : خرج ابو جعفر (ع) في السنة التي خرج فيها المأمون الى البدندون من بلاد الروم بأم الفضل حاجاً الى مكة وأخرج ابا الحسن علياً ابنه معه وهو صغير فخلفه بالمدينة وانصرف الى العراق ومعه ام الفضل بعد ان اشار الى ابي الحسن ونص عليه وأوصى اليه وتوفي المأمون بالبدندون يوم الخميس ١٣ من رجب سنة ٢١٨ ، ولما انصرف ابو جعفر الى العراق لم يزل المعتصم وجعفر بن المأمون يدبرون ويعملون الحيلة في قتله .

وصرح المفيد في ارشاده انه ورد بغداد في آخر شهر المحرم من سنة ٢٢٠ وتوفي بها في ذي القعدة من هذه السنة وفي مورد آخر قال : انه بقي في المدينة الى ان اشخصه المعتصم الى بغداد سنة ٢٢٥ وتوفي في ذي القعدة من هذه السنة .

بهذا النوع من الغموض والتشويش تحدث المؤلفون عن المدة التي عاشها الإمام الجواد بعد ابيه والمكان الذي كان يقيم فيه ، ويمكن للباحث ان يستخلص من كلماتهم ان الإمام (ع) بعد وفاة ابيه قد استدعاه المأمون لبغداد وأنزله بالقرب من داره وتظاهر في بره واكرامه ليدفع عن نفسه تهمة قتل ابيه التي الصقت به وبعد ان بلغ السن التي تؤهله للزواج زوجه من ابنته

وبقي معه في بغداد الى السنة التي توفي فيها المأمون فاستأذنه الى الحج فخرج ومعه زوجته وبقي في المدينة حتى استدعاه المعتصم بعد ان بويع بالخلافة سنة ٢٢٠ أو سنة ٢٢٥ وهي السنة التي توفي فيها الإمام (ع) كما في رواية المفيد الثانية . هذا كل ما يمكن استخلاصه من كلماتهم حول زواجه واقامته ووفاته ، اما مدة اقامته في المدينة وفي بغداد وتاريخ زواجه ووفاته فليس في الروايات التي تعرضت لهذه النواحي ما يوحي بالاطمئنان الى شيء من ذلك على وجه التحديد .

والشيء الثابت انه عاش اطول فترة من حياته خلال حكم المأمون وانه لم يكن في ضيق من امره ولا مراقبا من احد وسواء كانت في بغداد ام في المدينة فقد استغلها لاداء رسالته واجتمع فيها الشيعة على امامته وروى عنه الرواة عشرات الاحاديث في مختلف المواضيع .

ويجد المتتبع في مصادر الفقه الشيعي هنا وهناك ما يوحي بأن بعض الرواة كان يتصل به مباشرة فيقول سألت ابا جعفر الثاني ، وبعضهم كان يكتب اليه فيقول كتبت اليه اسأله عن كذا ، وأحيانا يقول الراوي سألت ابا جعفر ، وبما ان هذه الكنية مشتركة بينه وبين جده الباقر (ع) فإذا وردت الرواية بهذه الصيغة فلا بد من الرجوع الى القرائن لتعيين احدهما .

ومن امثلة ما روي عنه ما جاء في الكافي عن علي بن مهزيار انه قال : كتب ابو الحسن بن الحصين معي الى ابي جعفر الثاني : جعلت فداك قد اختلف مواليك في صلاة الفجر فمنهم من يصلي اذا طلع الفجر الأول المستطيل في السماء ، ومنهم من يصلي اذا اعترض في أسفل الافق واستبان ولست اعرف افضل الوقتين فأصلي فيه فان رأيت ان تعلمني افضل الوقتين وتحده لي مع القمر والفجر لأتبين معه حتى يحمر ويصبح وكيف اصنع مع الغيم وما حد ذلك في السفر والحضر ، فكتب (ع) بخطه وقراءته : الفجر يرحمك الله هو الخيط الأبيض المعترض وليس هو الأبيض صعداء ، فلا تصل في سفر ولا حضر حتى تتبينه فان الله تبارك وتعالى لم يجعل خلقه في شبهة من

هذا فقال: ﴿كلوا واشربوا حتى يتبين لكم الخيط الأبيض من الخيط الأسود من الفجر﴾فالخيط الأبيض هو المعترض الذي يحرم به الأكل والشرب في الصوم ، وهو الذي تجب عنده الصلاة .

وروى الكليني ايضا بسنده الى ابن مهزيار عن يحيى بن ابي عمران الهمداني انه قال : كتبت الى ابي جعفر الجواد (ع) جعلت فداك ما تقول في رجل ابتدأ ببسم الله الرحمن الرحيم في صلاته وحده في ام الكتاب ، فلما صار الى غير ام الكتاب من السورة تركها ، فقال العباسي : ليس بذلك بأس ، فكتب بخطه يعيدها مرتين على رغم انف العباسي[1] .

كما روي في الكافي عن سهل بن زياد بسنده الى محمد بن الوليد الكرماني انه قال : قلت لأبي جعفر الثاني (ع) ما تقول في المسك ؟ فقال : ان ابي امر فعمل له مسك بسبعمائة درهم فكتب اليه الفضل بن سهل يخبره ان الناس يعيبون ذلك فكتب اليه : يا فضل اما علمت ان يوسف وهو نبي كان يلبس الديباج مزررا بالذهب ويجلس على كراسي الذهب ولم ينقص ذلك من حكمته شيئاً ، ومضى الراوي يقول : ثم امر فعملت له غالية بأربعة آلاف درهم .

وجاء في المجلد الخامس من الكافي بسنده الى السياري عن احمد بن زكريا الصيدلاني عن رجل من بني حنيفة من أهل بست وسجستان انه قال : رافقت ابا جعفر في السنة التي حج فيها في اول خلافة المعتصم فقلت له وأنا معه على المائدة وهناك جماعة من اولياء السلطان : ان والينا جعلت فداك رجل يتولاكم اهل البيت ويحبكم وعلي في ديوانه خراج فان رأيت جعلت فداك ان تكتب اليه كتابا بالاحسان إلي فقال لي : لا اعرفه ، فقلت : جعلت فداك انه على ما قلت من محبيكم أهل البيت وكتابك ينفعني عنده ، فأخذ القرطاس

(١) هو هشام بن ابراهيم العباسي وكان يعارض الرضا والجواد على حد قول المعلق على الكافي .

وكتب : بسم الله الرحمن الرحيم اما بعد فان موصل كتابي هذا ذكر عنك مذهبا جميلا وان ما لك من عملك الا ما احسنت فيه فاحسن الى اخوانك ، واعلم بأن الله عز وجل سائلك عن مثاقيل الذر والخردل .

ومضى يقول : فلما وردت سجستان سبق الخبر الى الحسين بن عبد الله النيسابوري وهو الوالي فاستقبلني على فرسخين من المدينة فدفعت اليه الكتاب فقبله ووضعه على عينيه ، ثم قال لي : ما حاجتك قلت : خراج علي في ديوانك ، فأمر بطرحه عني وقال لي : لا تؤد خراجا ما دام لي عمل ، ثم سألني عن عيالي فأخبرته بمبلغهم فأمر لي ولهم بما يقوتنا ويفضل عنا فما اديت في عمله خراجا ما دام حيا ولا قطع عني صلته حتى مات .

كما روي عنه في المجلد الخامس من كتاب المعيشة بسنده الى ابي عمرو الحذاء انه قال : ساءت حالي فكتبت الى ابي جعفر الجواد (ع) فكتب الي : أدم قراءة انا ارسلنا نوحا الى قومه قال فقرأتها حولا فلم ار شيئاً ، فكتبت اليه اخبره بسوء حالي ، واني قد قرأت السورة كما امرتني ، فكتب الي قد وفى لك الحول ، انتقل منها الى قراءة انا انزلناه ، ففعلت كما امرني فما كان الا يسيرا حتى بعث الي ابن ابي دؤاد فقضى عني ديني وأجرى علي وعلى عيالي ووجهني الى البصرة في وكالته بباب كلاء وأجرى علي خمسماية درهم ، وكتبت من البصرة بعد وفاة ابي جعفر بواسطة علي بن مهزيار الى ابي الحسن الثالث (ع) اني كنت سألت اباك عن كذا وأجابني بكذا وقد نلت الذي احببت ، فاخبرني يا مولاي كيف اصنع في قراءة انا انزلناه اقتصر عليها وحدها في فرائضي ام اقرأ معها غيرها ، فوقع وقرأت التوقيع : لا تدع من القرآن قصيرة وطويلة ويجزيك من قراءة انا انزلناه يومك وليلتك ماثة مرة .

وروى في الكافي ايضا عن سهل بن زياد بسنده الى علي بن اسباط انه كتب الى ابي جعفر الجواد (ع) في امر بناته وانه لا يجد احدا مثله فكتب اليه ابو جعفر : فهمت ما ذكرت من امر بناتك وانك لا تجد احدا مثلك فلا تنظر

في ذلك رحمك الله فان رسول الله (ص) قال : اذا جاءكم من ترضون خلقه ودينه فزوجوه الا تفعلوه تكن فتنة في الأرض وفساد كبير .

وجاء في رواية علي بن مهزيار عن محمد بن الحسن الاشعري انه قال : كتب بعض بني عمي الى ابي جعفر الثاني (ع) : ما تقول يا ابن رسول الله في صبية زوجها عمها فلما كبرت ابت التزويج فكتب بخطه : لا تكره على ذلك والامر امرها .

وجاء في المجلد السابع من الكافي عن علي بن ابراهيم بسنده الى علي بن محمد بن سليمان النوفلي انه قال : كتبت الى ابي جعفر الثاني (ع) اسأله عن ارض اوقفها جدي على المحتاجين من ولد فلان بن فلان وهم كثر متفرقون في البلاد فأجاب : ذكرت الأرض التي اوقفها جدك على ولد فلان بن فلان وهي لمن حضر البلد الذي فيه الوقف وليس لك ان تتبع من كان غائبا .

كما روى عنه بسنده الى محمد بن سليمان انه قال : قلت لأبي جعفر الثاني : كيف صار الزوج اذا قذف امرأته كانت شهادته اربع شهادات بالله وكيف لا يجوز ذلك لغيره ، واذا قذفها غير الزوج جلد الحد ولو كان ولدا او اخا ، فقال (ع) قد سئل ابو جعفر الباقر عن هذا فقال : ألا ترى انه اذا قذف الزوج امرأته قيل له وكيف علمت انها فاعلة ، فان قال : رأيت ذلك بعيني كانت شهادته اربع شهادات بالله وذلك انه قد يجوز للرجل ان يدخل المدخل في الخلوة التي لا تصلح لغيره ان يدخلها ولا يشهدها والد ولا ولد في الليل والنهار ، فلذلك صارت شهادته اربع شهادات بالله اذا قال : رأيت ذلك بعيني ، واذا قال : فاني لم اعاين صار قاذفا على حد غيره وضرب الحد الا ان يقيم عليها البينة ، وإن زعم غير الزوج إذا قذف وادعى انه رآه بعينه قيل له وكيف رأيت ذلك وما أدخلك ذلك المدخل الذي رأيت فيه هذا وحدك ، أنت متهم في دعواك وان كنت صادقا فأنت في حد التهمة فلا بد من أدبك بالحد الذي اوجبه الله عليك ، ومضى يقول : وإنما صارت شهادة الزوج اربع شهادات بالله لمكان الأربعة شهداء مكان كل شاهد يمين .

الى غير ذلك من الروايات الكثيرة التي احصاها له المحدثون والفقهاء في مجاميع الفقه والحديث في التشريع وغيره من المواضيع .

وممن روى عنه من ثقات اصحابه وغيرهم ايوب بن نوح بن دراج الكوفي وكان من الصالحين على حد تعبير الكشي في رجاله ومن وكلاء الامامين الجواد والهادي ، ومتهما بالثراء ولكنه لم يخلف سوى مائة وخمسين دينارا .

وجعفر بن محمد بن يونس الاحول ، فقد روى عنه وعن أبيه الرضا وكان من اصحابه ووصفه المؤلفون في احوال الرجال بالفضل والعلم وعدوه من المؤلفين بين اصحاب الأئمة (ع) .

وممن روى عنه من اصحابه جران الخادم القراطيسي[1] ، وجاء عنه في رواية طويلة انه قال : دخلت عليه فوجدته قائما على دكان لم يكن فيه فرش فجاءه غلام بمصلى فألقاه له فجلس عليه فدهشت من هيبته وذهبت لاصعد الدكان حيث هو من غير درجة فأشار لي الى موضع الدرجة فصعدت وسلمت فرد علي السلام ومد يده الي فأخذتها وقبلتها ووضعتها على وجهي فأقعدني بيده فأمسكت يده مما داخلني من الدهشة فتركها في يدي فلما سكنت خليتها ، وبلغته ان الريان بن شبيب يسألك الدعاء له ولولده فدعا له ولم يدع لولده كما جاء في اخبار الرجال للكشي .

ومن خواص اصحابه والرواة عنه علي بن مهزيار الاهوازي وقد وصفه المؤلفون في احوال الرجال بالوثاقة والجلالة وسعة المعرفة بالروايات وأضافوا الى ذلك انه كان من المختصين بأبي جعفر ومن وكلائه ، وقد ألف كما يدعي واصفوه ثلاثة وثلاثين كتابا في مختلف المواضيع .

ومنهم علي بن اسباط بن سالم ويكنى بأبي الحسن المقري ، وكان فطحيا كما يدعي المؤلفون في احوال الرجال ثم رجع الى الإمام الشرعي وروى عن

---

(١) نسبة الى القراطيس وكان يصنعها ويتاجر بها .

ابي الحسن الرضا وولده الجواد وكـان من اوثق الناس واصـدقهم لهجة عـلى حد تعبير الشيخ محمد طه في الاتقان .

وممن روى عنـه الحسـين بن سعيـد الاهـوازي وجـاء في فهـرست اسـماء المؤلفين للطوسي انه روى عن الرضا والجـواد وأبي الحسن الثالث ، ولـه ثلاثـون كتابا ، ويدعي بعض المؤلفين في احـوال الرجـال ان اخاه الحسن بن سعيـد قد اشترك معه في تأليفها وجمعها .

ومنهم شـاذان بن الخليل النيسـابـوري ونـوح بن شعيب البغـدادي ، ومحمد بن احمد المحمـودي وأبو يحيى الجـرجاني وهـارون بن الحسن بن محبوب ، واسحـاق بن اسماعيـل النيسابـوري ، واحمد بن ابـراهيم المراغي ، ومحمـد بن الحسن بن شمـون وغيرهم ممن لا يسعنـا احصاؤهم ولا تعنينـا هذه النـاحية من سيرتهم الا من حيث صلتها بالتشريع وببقية المـواضيع الاسـلامية التي انصـرف الأئمة اليها وأعطوها كل عنايتهم واهتمامهم وكان للثقـات البررة من اصحـابهم ورواة احاديثهم الفضل الاكبر في حفظها ونقلها للاجيال من بعدهم .



من اجوبته وعظاته وكلماته القصار

لقد جاء في الاحتجاج للطبرسي ان المأمون بعدما زوج ابنته ام الفضل للامام الجواد كان في مجلس ومعه ابو جعفر الجواد ويحيى بن اكثم وجمع من خاصته وحواشيه ، فقال له يحيى بن اكثم : ما تقول يا ابن رسول الله في الخبر الذي روي انه نزل جبرائيل على رسول الله (ص) وقال له : يا محمد ان الله عز وجل يقرئك السلام ويقول لك : سل ابا بكر هل هو عني راض فإني راض عنه ؟ فقال الإمام على حد زعم الراوي : لست بمنكر فضل ابي بكر ، ولكن يجب على صاحب هذا الخبر ان يأخذ الخبر الذي قاله رسول الله (ص) في حجة الوداع بعين الاعتبار ، لقد كثرت علي الكذابة وستكثر بعدي فمن كذب علي متعمدا فليتبوأ مقعده من النار ، فإذا اتاكم الحديث عني فاعرضوه على كتاب الله وسنّتي فما وافق كتاب الله وسنتي فخذوا به وما خالف كتاب الله وسنتي فلا تأخذوا به ، وهذا الخبر لا يوافق كتاب الله قال تعالى :

﴿ **ولقد خلقنا الإنسان ونعلم ما توسوس به نفسه ونحن اقرب اليه من حبل الوريد** ﴾ ، فالله سبحانه وتعالى خفي عليه رضا ابي بكر من سخطه حتى سأل عن مكنون سره هذا مستحيل في العقول .

ثم قال يحيى بن اكثم : لقد روي ان ابا بكر وعمر بن الخطاب في الأرض كجبرائيل وميكائيل في السماء ، فقال الإمام (ع) وهذا ايضا يجب ان

ينظر فيه لأن جبرائيل وميكائيل ملكان لله مقربان لم يعصيا الله قط ولم يفارقا طاعته لخطيئة واحدة ، وهما قد اشركا بالله عز وجل وان اسلما بعد الشرك ، ولكن اكثر ايامهما كانت على الشرك فمحال ان يشبههما بهما .

فقال له يحيى بن اكثم : وقد روي ايضا انهما سيدا كهول اهل الجنة ، فما تقول في ذلك يا ابا جعفر ؟ فقال (ع) وهذا الخبر لا صحة له ايضا : لأن اهل الجنة ليس فيهم كهل وشيخ وقد وضع هذا الخبر بنو امية في مقابل ما جاء عن النبي (ص) في الحسن والحسين وانهما سيدا شباب اهل الجنة .

فقال يحيى : وقد روي ان النبي (ص) قال : لو لم أبعث لبعث عمر ابن الخطاب ، فقال (ع) كتاب الله اصدق من هذا الحديث ، فقد قال الله في كتابه : ﴿**واذا اخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح**﴾ .فقد أخذ الله ميثاق النبيين ، فكيف يمكن ان يبدل ميثاقه وكل الانبياء لم يشركوا بالله طرفة عين ، فكيف يبعث الله من اشرك وكانت اكثر ايامه على الشرك بالله .

وجاء عن عبد العظيم الحسني انه قال : قلت لمحمد بن علي (ع) : يا مولاي اني لأرجو ان تكون القائم من آل بيت محمد الذي يملأ الأرض قسطا وعدلا كما ملئت ظلماً وجوراً ، فقال (ع) : ما منا الا قائم بأمر الله وهاد الى دين الله ، ولكن القائم الذي يطهر الله به الأرض من اهل الكفر والجحود ويملأ الأرض قسطا وعدلا هو الذي تخفى على الناس ولادته ويغيب عنهم شخصه ، وهو الذي تطوى له الأرض ويذل له كل صعب يجتمع اليه من اصحابه عدة اهل بدر ثلاثمائة وثلاثة عشر رجلا من اقاصي الأرض ، وذلك قوله الله : ﴿**اينما تكونوا يأت بكم الله جميعا ان الله على كل شيء قدير**﴾ ، فإذا اجتمعت له هذه العدة من أهل الاخلاص اظهر الله امره ، واذا كمل له العقد وهو عشرة آلاف رجل خرج باذن الله فلا يزال يقتل اعداء الله حتى يرضى الله .

وقال له رجل : اوصني يا ابن رسول الله ، قال : أوتقبل ؟ قال :

نعم ، قال : توسد الصبر واعتنق الفقر وارفض الشهوات وخالف الهوى ، واعلم بأنك لم تخل من عين الله فانظر كيف تكون ، وقال (ع) من اصغى الى ناطق فقد عبده فإن كان الناطق عن الله فقد عبد الله ، وان كان الناطق ينطق عن لسان ابليس فقد عبد ابليس .

وقال (ع) : تأخير التوبة اغترار وطول التسويف حيرة والاعتلال على الله هلكة والاصرار على الذنب امن لمكر الله ولا يأمن مكر الله الا القوم الخاسرون ، وقال : المؤمن يحتاج الى ثلاث خصال : توفيق من الله وواعظ من نفسه وقبول ممن ينصحه ، وقد عاداك من ستر عنك الرشد اتباعا لما تهواه ، والحوائج تطلب بالرجاء وهي تنزل بالقضاء والعافية احسن عطاء .

وقال (ع) : لا تعاد احدا حتى تعرف الذي بينه وبين الله تعالى فإن كان محسناً فانه لا يسلمه اليك وان كان مسيئا فان علمك به يكفيه فلا تعاده ، ولا تكن ولياً لله في العلانية وعدوا له في السر .

وقال : التحفظ على قدر الخوف ، والايام تهتك لك الأمر عن الاسرار الكامنة ، لا يضيع من الله كافله ولا ينجو من الله طالبه ، ومن عمل بغير علم كان ما يفسد اكثر مما يصلح ، اياك ومصاحبة الشرير فانه كالسيف المسلول يحسن منظره ويقبح اثره ، كفى بالمرء خيانة ان يكون امينا للخونة ، عز المؤمن غناه عن الناس ، راكب الشهوات لا تستقال له عثرة .

وقال (ع) : العامل بالظلم والمعين له والراضي به شركاء ، وان يوم العدل على الظالم اشد من يوم الجور على المظلوم ، وان العلماء غرباء لكثرة الجهال بينهم .

وقال (ع) : ما عظمت نعمة الله على عبد الا عظمت عليه مؤونة الناس ، فمن لم يحتمل تلك المؤونة فقد عرض النعمة للزوال ، وقال : أهل المعروف الى اصطناعه احوج من أهل الحاجة اليه لأن لهم اجره وفخره وذكره فمهما اصطنع الرجل من معروف فانما يبدأ فيه بنفسه فلا يطلبن شكر ما صنع

الى نفسه من غيره .

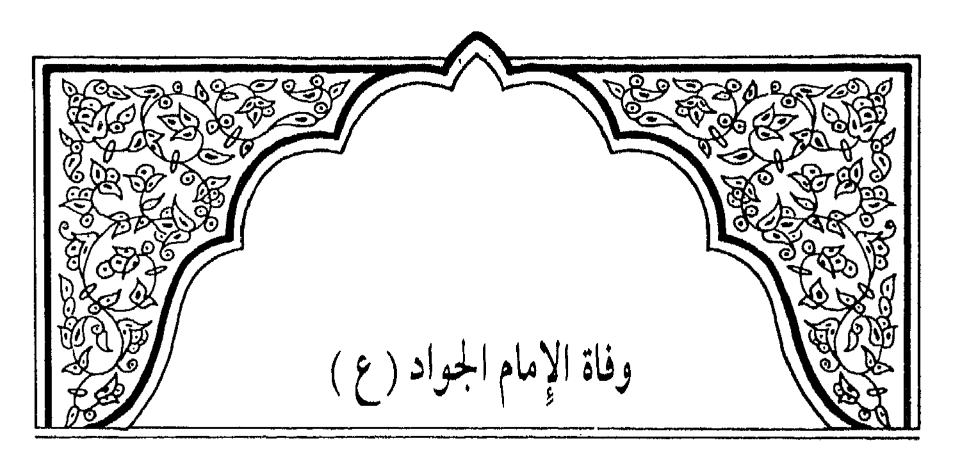
وقد سئل عن المقصود من الحديث ان الله حرم ذرية فاطمة على النار ، فقال : ذاك خاص بالحسن والحسين .

وقال (ع) : حسب المرء من كمال المروءة تركه ما لا يجمل به ، ومن حيائه ان لا يلقى احدا بما يكره ومن عقله حسن رفقه ، ومن ادبه ان لا يترك ما لا بد له منه ، ومن عرفانه علمه بزمانه ومن ورعه غض بصره وعفة بطنه ، ومن حسن خلقه كفه اذاه ، ومن سخائه بره بمن يجب حقه عليه واخراجه حق الله من ماله ، ومن اسلامه تركه ما لا يعنيه وتجنبه الجدال والمراء في دينه ، ومن كرمه ايثاره على نفسه ومن صبره قلة شكواه ومن عقله انصافه من نفسه ، ومن حلمه تركه الغضب عند مخالفته ومن انصافه قبول الحق اذا بان له ، ومن نصحه نهيه عما لا يرضاه لنفسه ، ومن حسن جوارك تركه توبيخك عند اساءتك مع علمه بعيوبك ، ومن شكره معرفة احسان من احسن اليه ، ومن صداقته كثرة موافقته لك وقلة مخالفته ، ومن سلامته قلة حفظه لعيوب غيره وعنايته باصلاح عيوبه .

وقال (ع) : لن يستكمل العبد حقيقة الايمان حتى يؤثر دينه على شهوته ، ولن يهلك حتى يؤثر هواه وشهوته على دينه ، وقال (ع) : موت الانسان بالذنوب اكثر من موته بالاجل وحياته بالبر اكثر من حياته بالعمر .

وقد احاطت كلماته هذه بجميع الجوانب التي تشد الانسان الى الخلق الكريم والادب الرفيع والسلوك القويم وكل ما يرفع من شأن الانسان ويوفر له السعادة والكرامة في دنياه وآخرته .

لهذا ونحوه من القيم والمبادىء وهب الأئمة من أهل البيت حياتهم ووجودهم وتحملوا كل انواع العسف والجور والتشريد من الحكام والطغاة ورحلوا عن دنيا الناس بأجسادهم وظلوا فيها أحياء بسيرتهم ومبادئهم وتعاليمهم التي تلهم الاجيال كل معاني الخير والنبل والفضيلة في كل زمان ومكان .



وفاة الإمام الجواد (ع)

لقد ذكر المؤلفون في احواله انه ولد في شهر رمضان من سنة مائة وخمس وتسعين ، وان وفاته كانت في اواخر ذي الحجة من سنة مائتين وعشرين ، وفي رواية ثانية للمفيد انها كانت سنة ٢٢٥ ، ومدة امامته تتراوح بين الثمانية عشر سنة والثلاثة والعشرين وأكثرها كان في عهد المأمون العباسي ، وقد ذكرنا ان اقامته كانت بين بغداد والمدينة . وقبيل وفاة المأمون خرج من بغداد ومعه زوجته ام الفضل ، وبعد وفاة المأمون رجع الى العراق مع زوجته وترك ولده ابا الحسن بالمدينة بعد ان نص على امامته من بعده وأرشد خواص اصحابه إلى ذلك كما يظهر من المسعودي في اثبات الوصية . ومضى المسعودي يقول : ان المعتصم محمد بن هارون الرشيد بويع بالخلافة بعد اخيه في شعبان من سنة ٢١٨ .

ولما رجع الإمام الى بغداد بطلب من المعتصم لم يزل هو وجعفر بن المأمون وأعوانهما يدبرون ويعملون الحيلة في قتله ، وتنص بعض المرويات انهما استطاعا اغراء زوجته ودفعها على ذلك حتى وضعت له السم في العنب وكانت وفاته بسبب ذلك ، ولكن المفيد في احدى رواياته يقول انه بقي بالمدينة الى اواخر شهر المحرم من سنة ٢٢٠ وتوفي في ذي القعدة من تلك السنة ، وفي روايته الثانية يقول : بأن وفاته كانت في ذي القعدة من سنة ٢٢٥ .

وجاء في اعيان الشيعة عن المرتضى في عيون المعجزات ان المعتصم دفع زوجته على قتله لأنها كانت منحرفة عنه وتغار من زوجته المفضلة عنده ام ابي الحسن علي الهادي (ع) وبعد ان وضعت له السم في العنب ندمت على ذلك ، كما أيد ذلك كل من صاحب روضة الواعظين وابن بابويه ، ولم يجزم بذلك المفيد في ارشاده ، وليس ببعيد على المعتصم بعد ان استدعاه لبغداد وكان حاقدا عليه ان يسخر زوجته لهذه الغاية لا سيما وانها كانت منحرفة عنه وتحقد عليه لأنه كان يفضل عليها ام ولده الهادي وقد شكته لابيها في حياته كما جاء في رواية كشف الغمة مدعية بأنه يتسرى عليها فردها المأمون بعنف وشدة وأمرها بلزوم طاعته .

ومهما كان الحال فمما لا شك فيه بأنه مات في ريعان شبابه وهو رهن الاقامة الجبرية في بغداد ودفن في مقابر قريش الى جانب جده ابي الحسن موسى بن جعفر حيث مشهدهما الآن كعبة للوافدين يستجير بهما الخائفون ويطمع في شفاعتهما المذنبون ويتوسل بهما ذوو الحاجات الى الله ولسان حالهم يقول :

انا عائذ بك في القيامة لائذ ... الفي لديك من النجاة طريقا
لا يسبقني في شفاعتكم غدا ... احد فلست بحبكم مسبوقا



الإمام العاشر

علي بن محمد الهادي "عليهما السلام"





الإمام العاشر ابو الحسن علي الهادي (ع)

لقـد قيل ان الإمـام الهادي (ع) ولـد في ذي الحجة سنـة ٢١٢ وقيـل في رجب سنة ٢١٤ وقيل غير ذلك ، وكـان مولـده في ضاحيـة من ضواحي المـدينة في ضيعة تدعى صربا على ثلاثة اميال من المـدينة اسسهـا جده الإمـام موسى بن جعفر (ع) كما جاء في مناقب ابن شهـراشوب من أم مغـربية اسمهـا سمانـة ، وتـوفي والده ولـه من العمـر ست سنـوات او ثمـان وقيـل اكـثر من ذلـك وبقي بعده اكثر من ثلاثين سنة وهي بقية ملك المعتصم وهـارون بن محمد بن هـارون الملقب بالواثق وكـانت خلافتـه خمس سنين وتسعـة اشهر ، وجعفـر بن محمد بن هارون الملقب بالمتوكل وقد حكم اربعة عشر عـاما ، والمنتصر محمـد بن جعفر ، وقـد حكم ستـة اشهـر كـما جـاء في روايـة المسعـودي ، وأحمـد بن محمـد بن المعتصم ، وقـد حكم ثلاث سنـين وثمانيـة اشهر واعتـزل الخلافـة وسلمهـا الى الزبير بن جعفر الملقب بالمعـتز وبعد ان حكم نحـوا من اربع سنـين وأشهر خلع نفسه من الخلافة ، وكانت وفاة الإمام الهـادي (ع) في عهده كـما جاء في روايـة المسعودي في مروج الـذهب خلال حـديثه عن أحـداث سنة ٢٥٤ ، وأيـد ذلك اليعقـوبي في تاريخـه أيضاً ، وأضـاف الى ذلك اليعقـوبي أن المعتز بعث اخـاه ابا احمد بن المتوكل فصلى عليه بالشارع المعروف بشـارع ابي احمد ، فلما كـثر الناس واجتمعوا كثر بكاؤهم وضجيجهم فرد النعش الى داره ودفنه بها حيث مشهده الآن .

وقد نص على امامته ابوه قبل وفاته كما كان يصنع كل امام بالنسبة الى خليفته بالاضافة الى النصوص العامة عن طريق النبي على امامة الاثني عشر بأسمائهم .

فقد جاء في الكافي بسنده الى اسماعيل بن مهران انه قال : لما خرج ابو جعفر (ع) من المدينة الى بغداد في المرة الاولى من خرجتيه قلت له عند خروجه : جعلت فداك اني اخاف عليك في هذا الوجه فإلى من الأمر بعدك ؟ فكر بوجهه الي ضاحكا وقال : ليست الغيبة حيث ظننت في هذه السنة ، فلما خرج الثانية الى المعتصم صرت اليه وقلت له: جعلت فداك انت خارج فإلى من الأمر بعدك فبكى حتى اخضلت لحيته ، ثم التفت الي وقال : عند هذه يخاف علي ، الامر من بعدي الى ابني علي .

وروي ايضا عن الحسين بن محمد عن الخيراني عن ابيه وكان ملازماً لأبي جعفر يتولى خدمته وقضاء حوائجه ، وقد تضمنت الرواية نصاً صريحاً من أبي جعفر الجواد على ولده الهادي ، رواه عنه والد الخيراني وأبو جعفر الاشعري احمد بن محمد بن عيسى ، وجاء في الرواية ان الخيراني قال : فلما مضى ابو جعفر الجواد ، لم يخرج ابي من منزله حتى قطع على يديه نحو من اربعمائة انسان ، واجتمع رؤساء العصابة عند محمد بن الفرج يتفاوضون هذا الأمر ، فكتب محمد بن الفرج الى ابي يعلمه باجتماعهم عنده وانه لولا مخافة الشهرة لصار معهم إليه ويسأله ان يأتيه ، فركب ابي وصار اليه فوجد القوم مجتمعين عنده فقالوا لأبي : ما تقول في هذا الأمر ؟ فقال ابي لمن عنده : الرقاع احضروا الرقاع وكان قد كتب نص الوصية في عشر رقاع ودفعها الى عشرة من وجوه العصابة ، فأحضروها فقال لهم : هذا ما امرت به ، فقال له بعض من حضر : قد كنا نحب ان يكون معك في هذا الأمر شاهد آخر ، فقال لهم : قد اتاكم الله عز وجل به ، هذا ابو جعفر الأشعري يشهد بسماع هذه الرسالة وسأله ان يشهد بما عنده ، فأنكر احمد بن محمد الاشعري ان يكون قد سمع فدعاه ابي الى المباهلة فلما حقق عليه قال : قد سمعت ذلك

من ابي جعفر وهذه مكرمة كنت احب ان تكون لرجل من العرب لا لرجل من العجم وكان الخيراني فارسيا ، ومضى الراوي يقول : فلم يبرح القوم حتى قالوا بالحق جميعا وسلموا لأبي الحسن (ع) .

وقال المفيد بعد ان اورد هذه الرواية وغيرها والاخبار في هذا الباب كثيرة جدا ان عملنا على اثباتها طال بها الكتاب ، وفي اجتماع العصابة على امامة ابي الحسن (ع) وعدم من يدعيها سواه في وقته ممن يلتبس الأمر يغنينا عن ايراد النصوص والاخبار على التفصيل .

لقد تولى الامامة وهو صبي في التاسعة من عمره ، او في مطلع شبابه على ابعد التقادير في وقت قد استأنف فيه حكام العباسيين عداءهم للأئمة من أهل البيت والتنكيل بالعلويين بعد فترات ذاقوا فيها طعم الامن والراحة ، وبقي في المدينة يمارس مهمات الامامة تحت الرقابة الى ان تجاوز العشرين من عمره ، ومنهلا عذبا لرواد العلم من مختلف البلاد والمناطق حتى اتسعت شهرته ورجع اليه القريب والبعيد في الدين وجميع ما كان يعترضهم من المشاكل .

وقد اثارت هذه المشاهد غضب الحكام عليه وأقضت مضاجعهم فاستدعوه الى عاصمتهم وفرضوا عليه الاقامة الجبرية فيها اكثر من عشرين عاما ليحولوا بينه وبين شيعة آبائه الذين اجتمعوا على امامته وكانوا في تلك الفترة من التاريخ اكثر من أي وقت مضى .

هذا بالاضافة الى الحقد الشخصي والعداء السافر الذي تميز به المتوكل عمن سبقه من حكام تلك الاسرة ، فقد بلغ به التعصب والحقد على علي وآله (ع) كما جاء في تاريخي ابن الأثير والطبري وهما يتحدثان عن احداث سنة ٢٣٦ وما احدثه المتوكل فيها ، جاء فيهما : انه في تلك السنة هدم قبر الحسين بن علي (ع) وسواه بالتراب ، ثم امر بحرث الأرض وزرعها لتضييع معالمه ، وقتل عددا كبيراً من زواره ، وبالتالي فرض عليهم الضرائب وشتى

انواع العقوبات ليمتنعوا عن زيارته ، والى ذلك يشير ابن السكيت او البسامي في الابيات المنسوبة اليهما :

تالله ان كانت امية قد اتت قتل ابن بنت نبيها مظلوما
فلقد اتته بنو ابيه بمثله فغدا لعمرك قبره مهدوما
اسفوا على الا يكونوا شاركوا في قتله فتتبعوه رميما

ومما يؤكد ما كان للإمام الهادي (ع) من المكانة العالية في نفوس المسلمين وتعلقهم به ما جاء في تذكرة الخواص لابن الجوزي وهو يصف ما اصاب الناس من الخوف والقلق حينما بلغهم ان المتوكل العباسي قد ارسل في طلبه يستدعيه الى عاصمة ملكه في العراق .

فقد قال لما بلغه مقام علي بالمدينة وميل الناس اليه خاف منه فدعا يحيى بن هرثمة وقال : اذهب الى المدينة وانظر في حاله وأشخصه الينا ، قال يحيى : فذهبت الى المدينة فلما دخلتها ضج اهلها ضجيجا عظيما ما سمع الناس بمثله خوفا على علي الهادي وقامت الدنيا على ساق لأنه كان محسنا اليهم ملازما للمسجد لا يميل الى الدنيا ومظاهرها ، ومضى يحيى بن هرثمة يقول : فجعلت اسكنهم وأحلف لهم بأني لم أؤمر فيه بمكروه وانه لا بأس عليه حتى هدأت حالتهم وسكن ضجيجهم ، وبإمكان الباحث ان يجد بالاضافة الى هذه الرواية اكثر من شاهد على ان الإمام الهادي كان يتمتع بمكانة عالية في جميع الأوساط الاسلامية مما دعا الحكام الى مراقبته وفرض الاقامة الجبرية عليه في عاصمة ملكهم كما ذكرنا . ومع كل ذلك فقد ظلت شهرته تتسع ولم يستطيعوا ان يحولوا بينه وبين الناس فحاولوا التشويش عليه عن طريق اخيه موسى واغرائه بحضور مجالس اللهو والمنكرات على امل أن يؤثر ذلك على مكانة الإمام (ع) .

فقد جاء في رواية المفيد في الارشاد عن الحسين بن الحسن الحسني انه قال : حدثني ابو الطيب يعقوب بن ياسر ان المتوكل كان يقول لحاشيته

وخواصه : ويحكم لقد اعياني امر ابن الرضا وجهدت ان يشرب معي وينادمني فامتنع وجهدت ان اجد فرصة في هذا المعنى فلم اجدها .

فقال له بعض من حضر : ان لم تجد من ابن الرضا ما تريده من هذه الحال فهذا اخوه موسى قصاف عزاف يأكل ويشرب ويعشق ويتخالع فاحضره واشهره فان الخبر يشيع عن ابن الرضا بذلك فلا يفرق الناس بينه وبين اخيه ومن عرفه بشخصه قد يتهم اخاه بمثل فعاله .

فقال المتوكل : اكتبوا بإشخاصه مكرما ، وعزم ان يتلقاه المتوكل وجميع بني هاشم والقواد وسائر الناس ، واذ وافاه أقطعه قطيعة وبنى له فيها وحول اليها الخمارين والقيان وتقدم بصلته وبره ، وأفرد له منزلا سريا يصلح ان يزوره فيه ، فلما وافى موسى بن الجواد (ع) تلقاه اخوه ابو الحسن الهادي في قنطرة وصيف فسلم عليه وقال له : إن هذا الرجل قد احضرك ليهتكك ويضع منك ، فلا تقر له انك شربت نبيذا قط ، واتق الله يا اخي ان ترتكب محظورا ، فقال له موسى : وانما دعاني لهذا فما حيلتي ، فكرر عليه ابو الحسن مقالته الاولى ولكن موسى لم يستجب لطلبه ، فلما رأى منه الخلاف ، قال له : ان المجلس الذي تريد الاجتماع معه عليه لا تجتمع عليه انت واياه ابدا ، ويدعي الراوي ان موسى اقام ثلاث سنين يبكر فيها كل يوم الى باب المتوكل فيقال له مرة هو في شغل هذا اليوم ، ومرة يقال له قد سكر ، وأخرى قد شرب دواء وهكذا حتى قتل المتوكل ولم يجتمع معه على شراب في يوم من الأيام التي كان قد اعدها لذلك .



دور الإمام الهادي في التشريع

لقد انصرف الإمام ابو الحسن عن السياسة والسياسيين كآبائـه الى خدمـة الإسـلام عن طـريق الـدفـاع عن اصـولـه ونشر فـروعـه ، فنـاظـر المشككـين والملحـدين وأجاب عـلى اسئلتهم بالاسلوب الهـادىء الرصـين المدعـوم بالحجـة والمنـطق ، ولم يجتمع اليـه احـد من اولئـك المشككـين الا وخـرج مقتنعـا مؤمنـا يقـول : الله أعلم حيث يجعل رسـالته ، وفيـما يعـود الى التشـريـع كـان الـرواة والعلماء يراجعونه فيما يشتبه عليهم عن طريق الكتـابة ، ولعـل مرد ذلـك الى ان محدثي الشيعة الذين كانوا يتدارسـون فقه الأئمـة ومروياتهم قد انتشـروا في طول البلاد وعرضهـا وكان لمـدينة قم النصيب الأكبـر من اولئك الـرواة ومن مؤلفات اصحـاب الصادقـين (ع) ، هذا بـالاضافـة الى ان السلطات الحـاكمـة كـانت تضيق عـلى الائمة وتـراقب جميع تصـرفاتهم وتحـركـاتهم ، وقـد فـرضت عليهم الاقـامة الجبـرية في عـواصم الحكـام للحـد من التجمعـات حـولهم ، بـل ومن الاتصال بهم ، لذا فان الرواة والعلماء كانوا يتصلون في الغـالـب بالأئمـة الثلاثـة الجـواد والهادي والعسكـري بالمـراسلة ويجـد المتتبـع لكـل واحـد منهم عشـرات المـرويات بهـذا الطريق في مختلف الابـواب والمواضيـع الفقهيـة ، وقـد عـرضنـا بعض الأمثلة من المكاتبات التي كانت ترد على أبيه خـلال حديثنـا عن سيرتـه ، وسنعـرض بعض الأمثلة من الرسـائل التي وجهت إليـه ايضا ، وممن عـاصـروه

من الـرواة وأخـذوا عنـه . فمن ذلـك مـا رواه الكليني في المجلد الـرابـع من الكـافي عن محمـد بن يحيى بسنـده الى أيـوب بن نـوح انـه قـال : كتبت الى أبي الحسن الثـالث (ع) ان قومـاً سألـوني عن الفطرة ويسـألـوني ان يحملوا قيمتهـا اليـك ، وقـد بعث اليـك هـذا الـرجـل عـام اول وسـألني ان اسـألـك فنسيت ذلك ، وقد بعثت اليـك العام عن كـل رأس من عيالي بـدرهم على قيمـة تسعة ارطال بدرهم ، فـرأيك جعلني الله فـداك في ذلك ، فكتب (ع) : الفـطرة قد كثر السؤال عنها وأنا أكره كـل ما ادى الى الشهـرة فاقـطعوا ذكـر ذلك ، واقبض ممن دفعها وامسك عمن لم يدفع[1] .

وروى في المجلد الرابع عنه ايضا بسنـده الى محمد بن رجـاء الارجاني انـه قـال : كتبت الى الطيب[2] اني كنت في المسجـد الحرام فـرأيت دينارا فـأهـويت اليه لآخذه فاذا انا بآخر ثم بحثت الحصا فإذا أنـا بثالث فـأخذتهـا وعرفتهـا فلم يعرفها احد فما ترى في ذلك ، فكتب : فهمت مـا ذكرت من امـر الدنـانير فـان كنت محتاجا فتصدق بثلثها وان كنت غنياً فتصدق بالكل .

وروى عنه في المجلد المذكـور بسنده الى محمـد بن ارومة عمن حـدثه عن الصـادق ابي الحسن الثالث عـلى حد تعبـير الراوي انـه كان يقـول في زيارة قبـر امـير المؤمنـين (ع) : السـلام عليـك يـا ولي الله انت اول مـظلوم وأول من غصب حقـه وأشهـد أنـك لقيت الله وأنت شهيـد عـذب الله قـاتلك بـأنـواع العذاب جئتك عارفا بحقـك مستبصرا بشـأنك ، فـاشفع لي الى ربـك فان لـك عند الله مقامـا محمودا معلومـا وجاهـا وشفاعـة وقد قـال تعالى : ﴿ **لا يشفعـون الا لمن ارتضى** ﴾ .

كما روى عنه زيـارة قبر الحسـين (ع) في كربـلاء بصيغة لا تختلف كثيـرا

---

(١) تشير هذه الرواية الى أن الإمام (ع) كان يحاذر من كثرة السؤال خوفا من السلطة التي كانت تراقبه في جميع الحالات .

(٢) وقد عناه الارجاني لأنه كان من أصحابه .

عن الصيغة التي وردت عنه في زيارة امير المؤمنين (ع) .

وروى عنه في المجلد الخامس بسنده الى علي بن محمد القاساني انه قال : كتبت الى ابي الحسن الثالث وأنا بالمدينة سنة احدى وثلاثين ومائتين : جعلت فداك رجل امر رجلا يشتري له متاعا او غير ذلك فاشتراه وسرق منه ، او قطع عليه الطريق من مال من ذهب المتاع من مال الآمر او من مال المأمور ، فكتب سلام الله عليه : من مال الآمر .

وفي المجلد السادس روى عنه بسنده الى حمدان بن اسحاق انه قال : كان لي ابن تصيبه الحصاة فقيل لي : ليس له علاج الا ان تبطه فبططته فمات فقالت الشيعة لقد شركت في دم ابنك ، فكتبت الى ابي الحسن العسكري (ع) في ذلك فوقع : يا احمد ليس عليك فيما فعلت شيء انما التمست له الدواء وكان اجله فيما فعلت .

وروى عنه في كتاب التجمل من المجلد المذكور بسنده الى أبي هاشم الجعفري انه قال : دخلت على ابي الحسن صاحب العسكر (ع) فجاء صبي من صبيانه فناوله وردة فقبلها ووضعها على عينيه ثم ناولنيها وقال : يا ابا هاشم من تناول وردة او ريحانة فقبلها ووضعها على عينيه ثم صلى على محمد وآل محمد الأئمة كتب الله له من الحسنات مثل رمل عالج ومحا عنه من السيئات مثل ذلك .

وروى عنه في كتاب الحدود من المجلد السابع بسنده الى جعفر بن رزق الله انه قال : قدم الى المتوكل رجل نصراني فجر بامرأة مسلمة فأراد ان يقيم عليه الحد فأسلم ، فقال يحيى بن اكثم : قد هدم ايمانه شركه وفعله ، وقال بعضهم يضرب ثلاثة حدود ، وكثرت الآراء في حكمه فأمر المتوكل بالكتابة الى ابي الحسن الهادي (ع) وسؤاله عن ذلك ، فلما قرأ الكتاب كتب في جوابه : يضرب حتى يموت من الضرب ، فأنكر يحيى بن اكثم وفقهاء العسكر ذلك وقالوا : يا امير المؤمنين ان هذا لم ينطق به كتاب ولم تجيء به سنّة عن

رسـول الله ، فكتب اليه ان فقهـاء المسلمين قـد انكروا هـذا وقالـوا لم تجيء بـه سنَّة ولم ينطق به كتاب فبـين لنا لِمَ اوجبت عليـه الضرب حتى يمـوت ، فكتب : بسم الله الرحمن الرحيم ، فلما احسوا بأسنا قالوا آمنا بـالله وحده وكفـرنا بمـا كنا به مشركـين فلم يك ينفعهم ايمـانهم لما رأوا بأسنـا سنَّة الله التي قـد خلت في عباده وخسر هنالك الكافرون ، فأمر به المتوكل فضرب حتى مات .

وروى في كتاب الايمان والنـذور من المجلد المذكـور عن علي بن ابـراهيم عن ابيه عن جماعـة ان المتوكـل كان قـد نذر عنـدما اصيب بـوعكة ان يتصـدق بمـال كثير ولم يعـين مقداره ، واختلف الفقهـاء في تحديـد المبلغ اختلافـاً كبيراً ، ولم ينتهوا الى نتيجة ، فأشار عليـه بعض ندمـائه ان يسـأل ابا الحسن الهـادي ، فقـال له وهـو يحس من هذا شيئاً ، فقال : ان اخـرجـك من هـذا الأمـر فـلي عليـك كذا وكـذا ، والا ضربتني مـائة مقـرعة ، فـأرسل اليـه جعفـر بن محمود ليسأله عن حـد المال الكثـير ، ولما سـأله عنـه اجاب ان الكثـير ثمانـون ، فقال جعفـر بن محمود : يـا سيدي انـه يسألني عن العلة فيـه ، فقـال لـه ابـو الحسن (ع) : ان الله عز وجل يقـول في كتابـه : ﴿ **لقد نصـركم الله في مواطن كثيرة** ﴾ فعددنا تلك المواطن فكانت ثمانين[1] .

الى غير ذلك مما ورد عنه في مجـاميع الحـديث من الاحاديث المـوزعة عـلى المـواضيـع الفقهيـة ، ويـدعي السيـد الأمـين في اعيـان الشيعـة ان الخيـبري او الحميري له كتـاب مكاتبـات الرجـال عن العسكريـين الهادي وولـده الحسن بن علي (ع) .

وروى عنـه بالاضـافة الى من ذكـرنا اسحق بن عبـد الله الاشعري وكـان من خـواص ولـده ابي محمـد العسكـري (ع) وروى عن الهـادي كتـاب علل الصـلاة ومسـائـل الـرجـال كـما جـاء في فهـرست اسـماء المؤلفـين للطوسي ،

---

(١) يختلف الكثير بحسب الـزمان والمكـان والمناسبـات ، لـذا فـإن في النفس شيئـاً من هـذه الرواية بواسطة اشتمالها على هذا التحديد .

وايوب بن نوح وكان وكيلا له وله كتاب وروايات عن ابي الحسن الثالث كما نص على ذلك في الفهرست ، وعلي بن بلال البغدادي وله كتاب عنه كما جاء في اتقان المقال للشيخ محمد طه نجف ، وعلي بن الريان بن الصلت الاشعري القمي له عن ابي الحسن الثالث نسخة ، روى عنه عمران بن موسى ، وله كتاب منثور الاحاديث ، روى عنه علي بن ابراهيم على حد تعبير الشيخ محمد طه في الاتقان .

وعلي بن مهزيار الاهوازي وكان من المختصين به وبأبيه ابي جعفر الجواد وتوكل لهما وروى عنهما ، وكان ثقة في روايته لا يطعن عليه على حد تعبير المؤلفين في احوال الرواة والرجال .

وأحمد بن محمد بن عيسى الاشعري ، وكان قد ادرك الرضا والجواد والهادي وروى عنهم في مختلف المواضيع الى غير ذلك ممن عاصره وروى عنه من ثقاة المحدثين وفضلائهم والمدافعين عن آثار اهل البيت (ع) .



موقف الإمام الهادي من الغلو والغلاة

لقد اتخذ جميع الأئمة الاثني عشر وشيعتهم موقفاً صريحاً وصلبا في الوقت ذاته من الغلو والغلاة فتبرأوا منهم وأعلنوا كفرهم وإلحادهم ونفوا بصراحة لا تقبل التأويل ان تكون لهم اية صلة بهم وبجميع المنحرفين عن الخط الرسالي الذي دافع عنه الأئمة بكل ما لديهم من قوة وذابوا في سبيله ، واتخذت مقاومة الأئمة وعلماء الشيعة للغلاة اشكالا استهدفت جميعها تفتيت دعوة اولئك الغلاة والقضاء عليهم بكل الوسائل .

فمن ذلك التأكيد على مناقضة الغلو للإسلام مناقضة صريحة لا يمكن تغطيتها بانخراطهم في صفوف المسلمين والموالين لأهل البيت ، فقد جاء عن امير المؤمنين علي (ع) انه قال : بني الكفر على اربع دعائم : الفسق والغلو والشك والشبهة .

كما جاء عن الإمام الصادق (ع) انه قال : ادنى ما يخرج به الرجل عن الايمان ان يجلس الى غال فيستمع الى حديثه ويصدقه في قوله ، ان ابي حدثني عن ابيه عن جده ان رسول الله (ص) قال : صنفان من امتي لا نصيب لهما في الإسلام الغلاة والقدرية .

وروى عنه الكشي في رجاله انه قال لاحد اصحابه : قل للغالية توبوا

الى الله فانكم فساق كفار مشركون . وقال لبشار الشعيري : اخرج عني لعنك الله ، وبعد خروجه قال الإمام (ع) : ويله الا قال بما قالت اليهود الا قال بما قالت النصارى ، الا قال بما قالت المجوس ، ومضى يقول : والله ما صغر الله تصغير هذا الفاجر احد ، وأضاف الى ذلك انه شيطان وابن شيطان خرج ليغوي الشيعة وقد تحدثنا عن موقفه من الغلاة خلال حديثنا عن سيرته .

ومن ذلك ان الأئمة كانوا يحرصون على نفي وجود اي صلة بينهم وبين قادة الغلاة ويعلنون بأن اولئك القادة كانوا يكذبون عليهم ، لأن الغلاة قد انتحلوا الاحاديث ودسوها في اقوال الأئمة لأن انتحال الحديث ونسبته الى الأئمة كان يساعدهم على كسب الانصار والمؤيدين من جهة ويساعدهم على تهديم الشريعة وتشويهها وكلا الهدفين كانا بارزين في دعوة الغلاة ، لذلك كان الأئمة يحرصون على ابراز هذه الناحية وانتشار رأيهم في الغلاة ،ومروياتهم في اوساط المحدثين .

ومهما كان الحال فلقد ظهر الغلاة في عهد الإمام العسكري واستعادوا نشاطهم بعد ان خفت صوتهم بسبب موقف الإمام الصادق المتصلب منهم يوم ظهروا في عصره ، ويبدو انهم وجدوا الجو مهيأ لهم في عهد حفيده الهادي ووجدت دعوتهم منفسا لها من اعداء الأئمة الذين كانوا يعملون للتشويش عليهم وتشويه المعنى الصحيح للامامة التي اختصها الله بتلك الصفوة المختارة من ذرية علي وفاطمة (ع) .

ومن هؤلاء علي بن حسكة والقاسم بن يقطين ، فقد جاء في رواية محمد بن مسعود بسنده الى احمد بن محمد بن عيسى انه قال : كتبت الى الهادي (ع) في قوم يتكلمون ويقرأون احاديث ينسبونها اليك والى آبائك فيها ما تشمئز منها القلوب وينسبون الأرض الى قوم يذكرون انهم من مواليك منهم علي بن حسكة والقاسم بن يقطين ، ويدعون ان قول الله : ان الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر ، تعني رجلا يأمر وينهى ، وكذلك الزكاة ويتأولون كثيراً

من الفرائض والسنن والمعاصي ، فإن رأيت ان تبين لنا وتمن على مواليك بما فيه سلامتهم ونجاتهم من تلك المقالات والذين ذهبوا الى هذه المقالات يدعون بأنهم اولياء لكم ، فكتب (ع) : ليس هذا من ديننا فاعتزلوهم .

وفي رواية ثانية عن محمد بن عيسى ان الإمام الهادي كتب الي ابتداء : لعن الله القاسم اليقطيني وابن حسكة القمي ، ان شيطانا يتراءى للقاسم فيوحي اليه زخرف القول غرورا .

وجاء في رواية سهل بن زياد الآدمي انه قال : كتب بعض اصحابنا الى ابي الحسن العسكري (ع) : جعلت فداك يا سيدي ان علي بن حسكة يدعي بأنه من أولئك وانك انت الأول القديم وانه بابك ونبيك امرته ان يدعو اليك ويزعم ان الصلاة والزكاة والصوم والحج كل ذلك معرفتك ومعرفة من كان في مثل حال ابن حسكة فيما يدعي من البابية والنبوة ، فهو مؤمن كامل الايمان سقط عنه الاستعباد بالصلاة وغيرها من العبادات ، وقد مال اليه كثير من الناس ، فان رأيت ان تمن على مواليك بجواب في ذلك تنجيهم من الهلكة قال : فكتب (ع) كذب ابن حسكة عليه لعنة الله واني لا اعرفه في موالي ، ما له لعنه الله ، فوالله ما بعث الله محمدا والانبياء قبله الا بالحنيفية والصلاة والزكاة والصيام والحج والولاية . وما دعا محمد الا الى الله وحده لا شريك له وكذلك نحن الأوصياء من ولده عباد الله لا نشرك به شيئاً ان اطعناه رحمنا وان عصيناه عذبنا مالنا على الله من حجة بل الحجة لله علينا وعلى جميع خلقه ، ابرأ الى الله ممن يقول ذلك وأنتفي الى الله من هذا القول فاهجروهم لعنهم الله وألجئوهم الى ضيق الطريق فان وجدتم احدا منهم فاخدشوا رأسه بالحجر .

ومن هؤلاء الحسن بن محمد المعروف بابن باب ومحمد بن نصير النميري وفارس بن حاتم القزويني ، وقد لعنهم الإمام علي بن محمد العسكري وحذر اصحابه والمسلمين من دسائسهم ومغرياتهم ، وكان محمد بن نصير كما جاء عن

كتب الفرق والتراجم يتصل بأبي الحسن العسكري (ع) في اول امره ، ثم ادعى انه رسول من قبله وقال بالتناسخ والغلو فيه ، وبصفته نبيا مرسلا من قبله اباح المحارم ونكاح الرجال بعضهم لبعض ، وان الله لم يحرم شيئاً من ذلك ونحو ذلك من المقالات ، وكتب الإمام الهادي الى اصحابه كتابا يحذر المسلمين منه ويقول فيه : لعنهم الله يستأكلون بنا الناس فتانين مؤذين آذاهم الله وأرسلهم في اللعنة وأركسهم في الفتنة ركساً سخر منهم الشيطان فأغواهم ، وهكذا كان الإمام لا يدع مناسبة تمر بدون ان يحذر المسلمين وأصحابه منهم ومن دسائسهم ثم يلعنهم ويأمر بلعنهم وقتالهم كما فعل الإمام الصادق (ع) مع الذين اظهروا البدع والغلو في عصره .

وكان من بين اولئك المشعوذين فارس بن حاتم ويبدو انه كان اخطر من رفاقه وأبرع في الدس والتضليل ، فأمر الإمام بقتله وحرض جماعة من اصحابه على ذلك كما نص على ذلك ابو عمر الكشي في رجاله .

فقد جاء فيه عن سعد بن عبد الله بن ابي خلف القمي انه قال : حدثني محمد بن عيسى بن عبيد ان ابا الحسن العسكري (ع) امر بقتل فارس ابن حاتم وضمن لمن قتله الجنة وكان فتاناً يفتن الناس ويدعوهم الى البدعة فخرج من أبي الحسن (ع) على حد تعبير الراوي هذا فارس لعنه الله يعمل من قبلي فتانا يفتن الناس ويدعوهم الى البدعة ودمه هدر لكل من قتله ، فمن يريحني منه ويقتله وأنا ضامن له على الله الجنة .

وفي رواية ثانية رواها الكشي في رجاله ان الإمام (ع) استدعى شخصا يدعى جنيدا وأعطاه مقدارا من الدراهم ليشتري بها سلاحا ، وأمره ان يعرض السلاح عليه بعد شرائه ، ومضى الراوي يقول : ان جنيدا قد اشترى سيفا فأمره برده وأخذ مكانه ساطورا وعرضه عليه فارتضاه ، فمضى جنيد واعترض فارس بن حاتم وهو خارج من المسجد بين المغرب والعشاء فضربه على رأسه ضربة وقع منها ميتاً ، وعد منهم الكشي في رجاله ، هاشم بن ابي

هاشم وأبا السمهري ، وابن ابي الزرقاء ، وجعفر بن واقد وأبا الغمر ، ورروي عن علي بن مهزيار واسحاق الانياري ان ابا جعفر الثاني عدهم من زمرة ابي الخطاب ولعنهم وأمر بلعنهم والبراءة منهم ، وقال : ان رسول الله قال : من تأثم ان يلعن من لعنه الله فقد لعنه الله .

وسواء صحت هذه المرويات ام لم تصح فمما لا شك فيه ان الأئمة (ع) كانوا يحرصون بكل ما يملكون من قوة وبيان على ان يجعلوا من اصحابهم وشيعتهم ومن يتصل بهم دعاة حق وخير يمثلون الإسلام ويجسدون تعاليمه بأفعالهم قبل اقوالهم ، كما كانوا يحرصون على تنزيه تعاليم الاسلام من التشويه والتحريف والافتراء وعلى انهم عبيد لله لا يستطيعون ان يدفعوا عن انفسهم ضرا ولا ان يجلبوا لها خيرا الا بمشيئة الله وقد تعرضوا في حياتهم لظلم الحكام واضطهادهم ، ولما يمكن ان يتعرض له كل انسان من البلاء وأنواع التقلبات ، وعاشوا مع الناس كغيرهم من الناس ، ولعنوا من قال فيهم ما لم يقولوه في انفسهم ومن نسب اليهم علم الغيب والخلق والرزق وكل ما هو من خصائص الخالق وصفاته ، ومع ذلك فقد اضاف اليهم بعض المحبين والمبغضين ما ليس بهم ، وأظهر الغلو فيهم اناس عن سوء نية كما اعتقد ولكنهم وقفوا للجميع بالمرصاد فلعنوا المغالين وتبرأوا منهم وأعلنوا للناس ضلالهم وجحودهم ، وأمروا محبيهم بالاعتدال ومبغضيهم بالرجوع الى وصايا نبيهم في أهل بيته وعترته وخرجوا من هذه الدنيا وهم من أنصح خلق الله لخلقه وأحرصهم على دينه وشريعته وأصبرهم على بلائه وأخوفهم من سخطه وعقابه .



رحيل الإمام علي الهادي الى سامراء واسبابه

لقد بقي الإمام الهادي بعد وفاة ابيه في المدينة اكثر من عشرين عاما فأحبه الناس واجتمعوا عليه والتف حوله العلماء وطلاب العلم كما كان يتصل به الشيعة وكانوا في عصره اكثر من أي زمان مضى بالمراسلة والكتابة يستفتونه في امور دينهم ويسألونه الحلول لمشاكلهم ، وكان مع ذلك تحت رقابة الحكام في جميع حالاته ، فكتب بريحة العباسي احد انصار المتوكل اليه : ان كان لك بالحرمين حاجة فأخرج منها علي بن محمد فانه قد دعا الناس الى نفسه وتبعه خلق كثير ، وتابع كتبه الى المتوكل بهذا المعنى ، ولما بلغ ابا الحسن (ع) ان بريحة يراسل المتوكل ويصور له خطره عليه ، كتب الى المتوكل يذكر له تحامله عليه وكذبه فيما كتب به وايذاءه له ، فأجابه بكتاب كله دجل وخداع وتضليل جاء فيه : ان امير المؤمنين قد علم براءتك مما نسب اليك وصدق نيتك ، وانك لم تؤهل نفسك لما يدعيه عليك ، وقد وليت ما كان يليه عبد الله بن محمد ، محمد بن الفضل وأمرته باكرامك وتبجيلك والانتهاء الى امرك ورأيك والتقرب الى الله والى امير المؤمنين بذلك ، وأمير المؤمنين مشتاق اليك يحب احداث العهد بك والنظر اليك فان نشطت لزيارته والمقام قبله ما احببت شخصت ومن اخترت من أهل بيتك ومواليك وحشمك على مهلة وطمأنينة ترحل اذا شئت وتنزل اذا شئت كيف شئت ، وان احببت ان يكون يحيى بن

هرثمة مولى امير المؤمنين ومن معه من الجند يرحلون بـرحيلك ويسيرون بسيـرك فالامر في ذلـك اليك ، وقـد تقدمنـا اليه بـطاعتك فـاستخر الله حتى تـوافي امير المؤمنين فما احـد من اخوانـه وولده وأهـل بيته وخـاصته الـطف منك منـزلة ولا احمـد له اثـرة ولا هو لهم انـظر ولا عليهم اشفق وبهم أبـر ولا هـو اليهم أسكن منه اليك والسلام عليك ورحمة الله وبركاته .

بهـذا الاسلوب الهادىء اللين كتب اليـه المتـوكـل وكـأنـه من القـديسـين الذين يتعاهدون اولياء الله سبحانه بـالعطف والبـر والكرامـة ، في حين انـه كان من اشـد الناس عـداوة لعلي وآل عـلي ولكـل من يتصـل بهم بنسب او سبب ، والإمـام يعلـم منه ذلـك ، ويعلم بأنـه لا يتركـه في المـدينـة وليس بـامكـانـه ان يتهرب من اجابـة طلبه ، فـاستجاب لـطلبه ، وكـان قد اوصى قـائده يحيـى بن هرثمة ومن كان معه بتفتيش الدار تفتيشا دقيقا ، لأن اجهزته في المدينة اخبروه بأنه يجمع السلاح والرجال للثورة عليه ، ولـما دخل المـدينة أحس النـاس بالشرّ وخافوا على ابي الحسن (ع) من شره لأنهم يعرفون ما كان يضمـره المتوكـل من سوء لأهل البيت (ع) .

وهنـا يروي المسعـودي وابن الجوزي وغيـرهمـا من الـرواة عن يحيـى بن هرثمة انه قال : فلما دخلت المدينة ضـج اهلها ضجيجـاً عظيـماً ما سمـع الناس بمثله خوفاً على ابي الحسن وقامت الدنيا على ساق لأنه كان محسناً اليهم ملازماً للمسجـد ولم يكن عنده ميـل الى الدنيـا ، فجعلت اسكنهم وأحلف لهم بـأني لم أومـر فيه بسـوء ولا مكروه وانـه لا بأس عليـه ، ثم دخلت منـزلـه وفتشتـه كـما امرني المتوكـل فلم اجد فيـه الا مصاحف وأدعيـة وكتب العلم فعظم في عيني ، ولما تجهز وخرجنا من المدينة توليت خدمته الى ان قدمت به بغداد .

وروى المسعـودي في مروجـه عن يحيى بن هـرثمـة انـه قـال : بينـما نحن نسير والسماء صاحية والشمس طالعة اذ وضع الإمام عليـه ما يقيـه المطر ، وقـد عقب ذنب دابته فعجبت من فعله ، فلم يكن بعد ذلـك الا هنيهة حتى جـاءت

سحابة فأرخت عزاليها ونالنـا من المطر امـر عظيم جـدا ، فالتفت الي وقـال : انا اعلم انـك قد انكـرت ما رأيت وتـوهمت اني قد علمت من الأمـر مـا لا تعلمـه وليس ذلك كما ظننت ، ولكني نشأت بالبادية فـأنا اعـرف الريـاح التي يكون في عقبها المطر ، فلما اصبحت هبت ريح شممت منها رائحـة المطر فتـأهبت لذلـك وكان الأمر كما رأيت .

ويروي هنا بعض محدثي الشيعة فيما يروونه من كرامـات الأئمة (ع) مـا محصله ان يحيى بن هـرثمة قـد ارسله المتوكـل مع ثـلاثمائـة من خاصتـه وجنده ليكـونوا مـع ابي الحسن وفي طريقهم الى المـدينة في الصحـراء ذكروا مـا يـرويـه الشيعـة عن علي بن ابي طـالـب او غيره من الأئمـة انه مـا من بقعـة من الأرض الا وفيهـا قبر وكـان بعضهم يسخر من هـذه المقالـة ولما وصلوا المـدينة استمهلم الإمام الهادي لكي يتجهـز وكان الـوقت في تموز من اشهـر الصيف فاستعـد على مـلابس الشتاء ولبـابيد ونحـو ذلك فسخـروا منه وفي طـريقهم تغير الجـو واسود الفضاء وهبت رياح هـوجاء وجعـل المطر يتسـاقط بشكل لم يعهـدوا له نـظيرا ، وقبـل ان يحدث ذلـك لبس الإمام وحـاشيته اللبـابيـد ووزع مـا بقي منهـا عـلى يحيـى وبعض اصحابه وظلت الرياح العـاتية تعصف بهم والامـطار تتساقط حتى قتل من اصحاب يحيـى جماعة ، ثم تقشعت الغيوم وسكنت الريـاح وعاد الجـو الى مـا كان عليـه ، فقال الإمـام (ع) ليحيـى : قم وادفن اصحابـك ، هكذا يملأ الله الأرض قبورا حتى لا تبقى بقعة الا وفيها قبر .

ويـدعي الـراوي ان يحيى وقـــع الى الامـام يقبله ويقــول : اشهـد انكم خلفـاء الله في ارضه ، وليس ذلـك بمحال ولا بغـريب عـلى من اصـطفـاهم الله من عبـاده وجعلهم حججه عـلى خلقه والادلاء عـلى طاعتـه ، وقد روى الـرواة لهم عشرات الكرامـات التي لا تجوز الا عـلى من نذر نفسـه لله واستجاب لأمـره ونهيه ، ولم يكن ذلك من غيـرهم ، واني اذ اهملت هذه النـاحية من سيـرتهم لا لأني ارى ذلـك كله من صنـع المحبـين والمغـالـين ، بـل لأني رأيت في سيـــرتهم ومواقفهم من الظلم والظالمين وتضحيـاتهم في سبيل الله وخـير الناس مـا هو أدل

على عظمتهم من الغيبيات التي لم يعد يؤمن بها الا القليل النادر من الناس .

ويتابع المؤرخون والمحدثون في وصفهم لرحلة الإمام من المدينة الى سر من رأى ويروون عن يحيى بن هرثمة انه قال : فلما قدمت به مدينة السلام بدأت باسحاق بن ابراهيم الطاهري وكان على بغداد ، فقال : يا يحيى ان هذا الرجل قد ولده رسول الله والمتوكل من تعلم فان حرضته على قتله كان رسول الله (ص) خصمك ، فقلت : والله ما وقفت له الا على كل امر جميل ، ومضى يحيى بن هرثمة يقول كما جاء في مروج الذهب وغيره ، فصرت الى سامراء فبدأت بوصيف التركي وكنت من اصحابه ، فقال لي : والله لئن سقطت من رأس هذا الرجل شعرة لا يكون المطالب بها غيري ، فعجبت من توافقهما في الرأي ، ولما دخلت على المتوكل سألني عنه فأخبرته بحسن سيرته وسلامة طريقته وورعه وزهده واني فتشت داره فلم اجد فيها غير المصاحف وكتب العلم وان اهل المدينة خافوا عليه لما وردت المدينة وضجوا بأجمعهم ، ولم يهدأوا الا بعد ان حلفت لهم بأن الأمير لا يريد به سوءاً ، فأكرمه المتوكل وأحسن جائزته وأجزل بره وأنزله في دار قد اعدها له .

ولكن رواية المفيد تنص على انه لم يأذن له بالدخول عليه في اليوم الذي وصل به الى سامراء ، وأنزله في خان يعرف بخان الصعاليك فأقام فيه يومه ، وفي اليوم الثاني اذن له بالدخول عليه ، ثم افرد له دارا ليسكن فيها .

ويبدو ان الإمام بقي في سامراء منذ ان دخلها وكان المتوكل كما تجمع الروايات يتظاهر بتعظيمه واكرامه ، ويراقب جميع تحركاته وتصرفاته والشيعة يتصلون به في الغالب بالمراسلة والكتابة كما ذكرنا وكان يستدعيه لمجلسه بين الحين والآخر ، وحدث المسعودي في المجلد الثاني من مروج الذهب ان امرأة في عهد المتوكل ادعت بأنها زينب بنت علي بن ابي طالب (ع) وقد اطال الله عمرها الى ذلك الوقت فأدخلت على المتوكل فأرسل الى الإمام الهادي فلما حضر قال لها ان السباع لا تأكل من لحوم بني فاطمة (ع) فاذا صح ذلك فادخلي بركة السباع ، فتهيبت ذلك ، فقام الإمام ودخل بين السباع فلاذت

به وجعلت تتمرغ بثيابه ، فلما رأت ذلك تراجعت عن دعواها .

وجاء في رواية المفيد في ارشاده بسنده الى علي بن ابراهيم عن ابن التعيم بن محمد الطاهري انه قال : مرض المتوكل من خراج خرج به فأشرف منه على الموت ولم يجسر احد ان يمسه بحديدة فنذرت امه ان عوفي منه ان تحمل الى ابي الحسن علي بن محمد مالا جليلا من مالها وقال له الفتح بن خاقان : لو بعثت الى ابي الحسن فربما كان عنده شيء يفرج الله به عنك ، فقال ابعثوا اليه ، فمضى اليه الرسول ورجع فقال : خذوا كسب الغنم فديفوه بماء الورد وضعوه على الخراج فانه نافع باذن الله ، فجعل من كان في مجلس المتوكل يهزأ من ذلك ، فقال لهم الفتح : وما يمنعكم من تجربة ما قال ، فوالله اني لأرجو الصلاح به فأحضر الكسب وديف بماء الورد ووضع على الخراج فانفتح وخرج ما كان فيه ، فأرسلت اليه ام المتوكل عشرة آلاف دينار تحت ختمها ، فلما كان بعد ايام سعى البطحاني بأبي الحسن الى المتوكل وقال ان عنده اموالا وسلاحا ، فأمر المتوكل سعيد الحاجب ان يهجم عليه ليلا ويأخذ ما عنده من الاموال والسلاح ، ومضى ابراهيم بن محمد يقول : قال لي سعيد الحاجب : فذهبت الى دار ابي الحسن بالليل ومعي سلم فصعدت على السطح ونزلت من الدرجة الى بعضها في الظلمة ولم ادر كيف اصل الدار ، فناداني ابو الحسن (ع) : يا سعيد مكانك حتى يأتوك بشمعة ، فلم البث ان اتوني بشمعة فنزلت ووجدت عليه جبة صوف وقلنسوة من صوف وسجادته على حصير بين يديه وهو مقبل على القبلة ، فقال لي دونك البيوت فدخلتها وفتشتها فلم اجد فيها شيئاً ، ووجدت البدرة مختومة بخاتم ام المتوكل وكيسا مختوما معها وقال لي ابو الحسن (ع) : دونك المصلى ، فرفعته ووجدت سيفا في جفنه ، فأخذت ذلك وصرت اليه ، فلما نظر الى خاتم امه على البدرة بعث اليها يسألها عن البدرة فقالت له : كنت نذرت في علتك ان عوفيت ان احمل له من مالي عشرة آلاف دينار فحملتها اليه وهذا خاتمي على الكيس ، وفتح الكيس الآخر فاذا فيه اربعمائة دينار فأمر ان يضم الى البدرة بدرة اخرى

وقال لي : احمل ذلك الى ابي الحسن واردد عليه السيف والكيس بما فيه ، فحملت ذلك اليه واستحييت منه وقلت له : يا سيدي عز علي دخولي دارك بغير اذنك ولكني مأمور ، فقال:﴿ وسيعلم الذين ظلموا اي منقلب ينقلبون ﴾ .

ويبدو ان الوشاة كانوا يحاولون بين الحين والآخر ان يشحنوا المتوكل بالحقد على الإمام الهادي (ع) ويصوروا له خطره على عرشه ، وكانت الحاشية المحيطة به تدين بالنصب والعداء لأهل البيت (ع) كعلي بن الجهم ومحمد بن داود الهاشمي وأبي السمط والبطحاني وغيرهم ممن باعوا انفسهم للشيطان .

وجاء في المجلد الثاني من مروج الذهب ان جماعة من حاشية المتوكل سعوا بأبي الحسن علي بن محمد الى المتوكل بأن في منزله سلاحا وأموالا وكتباً من شيعته يستحثونه فيها على الثورة وهو يعد العدة لذلك فوجه اليه جماعة من الاتراك وغيرهم فهاجموا داره في جوف الليل فوجدوه في بيت وحده مغلق عليه وعليه مدرعة من شعر وليس في البيت شيء من الاثاث والفرش وعلى رأسه ملحفة من الصوف وهو يترنم بآيات من القرآن في الوعد والوعيد ، فأخذوه الى المتوكل على الحالة التي وجدوه عليها فمثل بين يديه والمتوكل على مائدة الخمر وفي يده كأس ، فلما رآه اعظمه وأجلسه الى جنبه ولم يكن في منزله شيء مما قيل فيه ولا حالة يتعلل عليه بها ، فناوله المتوكل الكأس الذي في يده ، فقال الإمام : يا امير المؤمنين والله ما خامر لحمي ودمي فاعفني منه فعفاه ، ثم قال له : انشدني شعرا استحسنه فاعتذر الإمام (ع) وقال : اني لقليل الرواية للشعر فألح عليه ولم يقبل له عذرا فأنشده :

باتوا على قلل الاجبال تحرسهم ... غلب الرجال فما اغنتهم القلل
واستنزلوا بعد عز عن معاقلهم ... فأودعوا حفرا يا بئس ما نزلوا
ناداهم صارخ من بعد ما قبروا ... اين الاسرة والتيجان والحلل
اين الوجوه التي كانت منعمة ... من دونها تضرب الاستار والكلل

فـأفصـح القبـر عنهم حـين سـاءلهم تلك الـوجـوه عليهـا الـدود ينتقـل
قـد طـالمـا اكلوا دهـرا ومـا شـربـوا فأصبحوا بعـد طول الاكـل قد اكلوا
وطـالمـا عـمـروا دورا لتـحصـنهـم ففـارقـوا الـدور والاهلين وانتقـلوا
وطـالمـا كنـزوا الامـوال وادخـروا فخلفـوهـا عـلى الاعـداء وارتحلوا
اضـحت منـازلهم قـفـرا مـعـطلة وسـاكنوهـا الى الاجـداث قـد رحلوا

واستمـر الإمام (ع) ينشـده شعرا من هـذا النوع الـذي لم يكن يتـوقعـه والمتوكل يبكي بكاء عاليا حتى بلت دموعـه لحيته وبكى الحـاضرون لبكـائه ، ثم امـر برفـع الشراب من مجلسـه وقال الإمـام (ع) أعليـك يـا ابـا الحسن دين ؟ قـال : نعم اربعة آلاف دينـار ، فأمـر بدفعهـا إليه ورده الى منـزلـه من سـاعتـه مكرما .

لقد فشل الساعون بوشايتهم على الإمام (ع) ولم ير المتوكـل مجالا لتنفيـذ رغبتهم ، فأراد ان يحقره بحضور حاشيتـه وندمـائه السكـارى فناولـه كأسـا كان قد اعدهـا لنفسه وهـو يعلم ان الإمام يـرى ان شارب الخمـر كعابـد الوثن كـما روي ذلـك عن آبائـه واحدا بعـد واحـد حتى انتهى الى النبي (ص) وبعـد ان يئس منـه عدل في تحـديه الى لـون آخر فـطلب منـه ان ينشـده شعـرا في وصف الخمـر والجـواري يتلذذ بـه ، ولم يكن يحسب ان الإمـام يجـرؤ ان يصفعـه بتلك العظات التي هي اشد من الصـواعق عليه ، ويصـور له مـا سيكون من امـره وأمـر غيره من الجبـابرة الـطغاة عبيـد الشهـوات والاهـواء ، فكـان اروع مـا في موقفه ، ذلـك الوصف الـرائع للجبـابرة أحيـاء وأمواتـا ولتلك الوجـوه الناعمـة الـطرية التي سيعبث فيهـا الـدود بعـد أيـام معـدودات وهـو ينـظر الى المتـوكـل ويقول : تلك الوجوه عليها الدود ينتقل .

وهكذا كان المتوكل يستدعيه بين الحين والآخر وهو حـاقد بقصـد الاساءة اليه ولكن الله سبحانه كان يصرفه عنه ، فقد جـاء في رواية سهـل بن زياد انـه قال : حدثنا ابو العبـاس فضل بن احمـد بن اسرائيـل الكاتب ونحن بـداره بسر

من رأى فجرى ذكر ابي الحسن (ع) فقال : يا ابا سعيد احدثك بشيء حدثني به ابي قال : كنا مع المنتصر وأبي كاتبه فدخلنا والمتوكل على سريره فسلم المنتصر ووقف ووقفت خلفه ، وكان اذا دخل رحب به وأجلسه فأطال القيام وجعل يرفع رجلا ويضع اخرى وهو لا يأذن له في القعود ورأيت وجهه يتغير ساعة بعد ساعة ، ويقول للفتح بن خاقان : هذا الذي تقول فيه ما تقول والفتح يسكنه ويقول : هو مكذوب عليه يا امير المؤمنين وهو يتلظى ويستشيط غضبا ويقول : والله لاقتلن هذا المرائي الزنديق الذي يدعي الكذب ويطعن في دولتي ، ثم طلب اربعة من الخزر اجلافا ودفع اليهم اسيافا وأمرهم بقتل ابي الحسن اذا دخل وقال والله لاحرقنه بعد قتله وأنا قائم خلف المنتصر من وراء الستر ، فدخل ابو الحسن وشفتاه تتحركان وهو غير مكترث ولا جازع ، فلما رآه المتوكل رمى بنفسه عن السرير وانكب عليه يقبله بين عينيه ويديه ، ويقول : يا سيدي يا ابن العم يا ابا الحسن ، هذا وأبو الحسن يقول : اعيذك يا امير المؤمنين بالله من هذا ؟ فقال له المتوكل : ما جاء بك يا سيدي في هذا الوقت ؟ فقال : لقد جاءني رسولك ، فقال : كذب ابن الفاعلة ارجع الى مكانك ، ثم امر الفتح وعبيد الله والمنتصر ان يشيعوه ، ولما خرج قال للذين امرهم بقتله: لِمَ لم تفعلوا ما امرتكم لما رأيناه هبناه وامتلأت قلوبنا من هيبته .



من حكمه ومواعظه

من اطاع الخالق لم يبال بسخط المخلوقين، ومن أمن مكر الله اخذه تكبر حتى يحل به قضاؤه ونافذ امره ، ومن كان على بينة من ربه هانت عليه مصائب الدنيا ولو قرض ونشر . الشاكر اسعد بالشكر منه بالنعمة التي اوجبت الشكر ، لأن النعم متاع ، والشكر نعم وعقبى . ان الظالم الحالم يكاد ان يعفي على ظلمه بحلمه ، وان المحق السفيه يكاد ان يطفىء نور حقه بسفهه .

من جمع لك ودّه ورأيه فاجمع له طاعتك ، ومن هانت عليه نفسه فلا تأمن شره ومن رضي عن نفسه كثر الساخطون عليه،والناس في الدنيا بالاموال وفي الآخرة بالاعمال .

وقال لشخص وقد افرط في الثناء عليه : اقبل على شأنك فان كثرة الملق يهجم على الظنة ، واذا حللت من اخيك في محل الثقة فاعدل عن الملق الى حسن النية ، وقال : المصيبة للصابر واحدة وللجازع اثنتان ، والحسد ماحي الحسنات جالب للمقت والعجب صارف عن طلب العلم ، والجهل والبخل أذم الأخلاق ، والطمع سجية سيئة ، والهزء فكاهة السفهاء وصناعة الجهال .

وقال : الغضب على من تملك لؤم ، والحكمة لا تنجع في الطباع

الفاسدة ، ومضى يقول : خير من الخير فاعله ، وشر من الشر جالبه ، وأهول من الهول راكبه ، واياكم والحسد فانه يبين فيكم ولا يعمل في عدوكم ، واذا كنتم في زمان العدل فيه اغلب من الجور فحرام ان يظن احد بأحد سوءا حتى يعلم ذلك منه ، واذا كنتم في زمان الجور فيه اغلب من العدل فليس لأحد ان يظن بأحد خيرا ما لم يعلم ذلك منه .

وقال للمتوكل في حوار جرى بينهما : لا تطلب الصفاء ممن كدرت عليه عيشه ، ولا الوفاء ممن غدرت به ولا النصح ممن صرفت سوء ظنك اليه فانما قلب غيرك لك كقلبك له .

وقال (ع) : ابقوا النعم بحسن مجاورتها والتمسوا الزيادة فيها بالشكر عليها ، وقال لمن ذم اليه ولدا له : العقوق ثكل من لم يثكل ، والعتاب خير من الحقد .

وجاء في المجلد الثاني من المروج عن محمد بن الفرج عن ابي دعامة انه قال : اتيت علي بن محمد بن علي بن موسى (ع) عائدا في علته التي كانت وفاته منها ، فلما هممت بالانصراف قال لي : يا ابا دعامة قد وجب حقك علي افلا احدثك بحديث تسر به ، فقلت له : ما احوجني الى ذلك يا ابن رسول الله ، قال : حدثني ابي محمد بن علي عن ابيه علي عن ابيه موسى بن جعفر عن ابيه جعفر بن محمد عن ابيه محمد بن علي عن ابيه علي بن الحسين ، عن ابيه الحسين بن علي عن علي (ع) ان النبي (ص) قال له : اكتب يا علي قلت وما اكتب ، قال لي اكتب بسم الله الرحمن الرحيم الايمان ما وقرته القلوب وصدقته الاعمال ، والاسلام ما جرى به اللسان وحلت به المناكحة .

فقلت : يا ابن الرسول ما ادري والله ايهما احسن الحديث ام الاسناد ، فقال انها لصحيفة بخط علي بن ابي طالب واملاء رسول الله (ص) نتوارثها صاغرا عن كابر .



وفاة الإمام الهادي

لقد ذكرنا سابقا ان الإمام علي بن محمد اقام في المدينة مع ابيه وبعد وفاته اكثر من عشرين سنة وفي السنة الثانية من استيلاء جعفر بن محمد بن هارون المعروف بالمتوكل وهي سنة ٢٣٣ سعى به زبانية المتوكل بأنه يجمع الرجال والسلاح فأرسل اليه يستدعيه الى سامراء ولم يجد بدا من تلبية طلبه وبقي في سامراء طيلة حكم المتوكل والمنتصر الذي حكم نحوا من ستة اشهر ، وأحمد بن محمد بن المعتصم الملقب بالمستعين بالله ، والذي حكم نحوا من ثلاث سنين وتسعة اشهر ، والزبير بن جعفر المتوكل المعروف بالمعتز ، وفي سنة ٢٥٤ اي بعد مضي سنتين على ملك المعتز كانت وفاة الإمام ابي الحسن لأربع بقين من جمادى الآخرة وله من العمر اثنان وأربعون عاما منها في المدينة واحد وعشرون عاما ، وأربعة عشر عاما مع المتوكل وسبعة اعوام مع المنتصر والمستعين والمعتز في سامراء .

ويبدو من تاريخ حياته ان السنين السبعة التي قضاها في عهد المنتصر والمستعين بالله والمعتز لم يشهد فيها ما شهده في عهد المتوكل من التحديات والوشايات بين الحين والآخر ، وقد اكتفى الحكام الثلاثة بفرض الاقامة الجبرية عليه في سامراء ، ولولا ذلك لا يمكن ان يختار على مدينة جده بلدا غيرها .

ولعل مرد ذلك الى ان سلطة الحكام في تلك الفترة من تاريخ خلافة بني العباس قد تلاشت تقريباً ولم يعد يملك الخليفة منها غير الاسم ، وأصبح الحكم للقواد من الاتراك وغيرهم ، فكانوا يأمرون وينهون ويعزلون الخليفة او يقتلونه اذا غضبوا عليه ويولون غيره كما حدث للمستعين بالله بعد ثلاث سنين وتسعة اشهر من ولايته حيث اضطروه لاعتزال الخلافة وبايعوا المعتز سنة احدى وخمسين ومائتين بعد ان كان معتقلا مع اخيه المؤيد الى كثير من الاحداث التي تؤكد ضعف الخلفاء في تلك الفترة من التاريخ وقد وصف بعض شعراء عصرهم الحالة التي انتهت اليها الخلافة بقوله :

خليفة في قفص بين وصيف وبغا
يقول ما قالا له كما تقول الببغا

وقال شاعر آخر قيل انه البحتري كما جاء في مروج الذهب :

لله در عصابة تركية ردوا نوائب دهرهم بالسيف
قتلوا الخليفة احمد بن محمد وكسوا جميع الناس ثوب الخوف
وطغوا فأصبح ملكنا متقسما وإمامنا فيه شبيه الضيف

وقال المسعودي في تاريخه ان وفاة الإمام الهادي كانت في عهد المعتز بالله وذلك يوم الاثنين لأربع بقين من جمادى الآخرة سنة ٢٥٤ ، وسمع الناس جارية تقول : ماذا لقينا من يوم الاثنين قديما وحديثا .

وجاء في اعيان الشيعة عن المسعودي في اثبات الوصية انه قال : لما توفي اجتمع في داره جملة بني هاشم من الطالبيين والعباسيين واجتمع خلق كثير من الشيعة ، ثم فتح من صدر الرواق باب وخرج خادم اسود ، وخرج بعده ابو محمد الحسن العسكري حاسرا مكشوف الرأس مشقوق الثياب وكأن وجهه وجه ابيه لا يخطىء منه شيئاً ، وكان في الدار اولاد المتوكل وغيرهم فلم يبق احد الا قام على رجليه ووثب اليه ابو احمد الموفق فقصده ابو محمد الحسن العسكري (ع) وعانقه ، ثم قال له مرحبا بابن العم وجلس بين بابي الرواق

والناس كلهم بين يديه ، وكانت الدار كالسوق بالاحاديث فلما خرج وجلس امسك الناس ، ثم خرج خادم فوقف بحذاء ابي محمد ، وأخرجت الجنازة وخرج يمشي حتى خرج بها الى الشارع ، وصلى عليه قبل ان يخرج الى الناس ثم صلى عليه لما اخرج المعتمد ودفن في دار من دوره وصاحت سامراء يوم موته صيحة واحدة .

وجاء في الاعيان عن ابن بابويه انه مات مسموماً وسمه المعتمد العباسي .

واذا صح انه مات مسموماً فلا بد وأن يكون الذي سمه المعتز بالله لأنه مات في عهده سنة ٢٥٤ كما ذكرنا والمعتمد العباسي بويع بالخلافة سنة ٢٥٦ في النصف من رجب بعد قتل المهتدي محمد بن هارون الواثق كما جاء في تاريخ اليعقوبي وغيره .

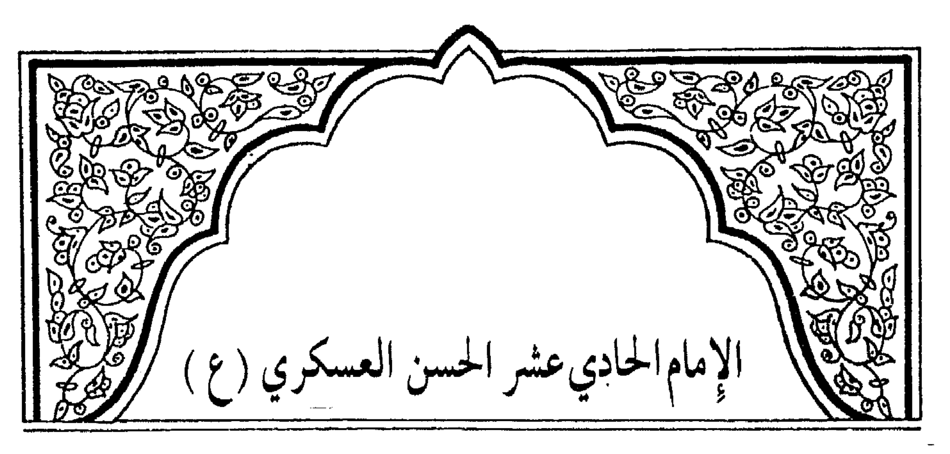
وترك من الاولاد ابا محمد الحسن العسكري والحسين ومحمدا وجعفرا وابنته عائشة كما جاء في الارشاد للمفيد وغيره .



الإمام الحادي عشر

الحسن بن علي العسكري "عليهما السلام"





الإمام الحادي عشر الحسن العسكري (ع)

ولد الإمام الحسن العسكري (ع) بالمدينة سنة ٢٣٢، وانتقل مع ابيه الى سامراء سنة ٢٣٤ بعد ان استدعاه المتوكل اليها، وللإمام ابي محمد الحسن من العمر سنتان في اشهر الروايات، وبقي مع ابيه الهادي (ع) طيلة حياته في سامراء الى ان اختاره الله سنة ٢٥٢ في عهد المعتز العباسي، فاستقل بالإمامة وله من العمر اثنان وعشرون عاما، وعاش بعد ابيه نحوا من ست سنوات منها سنة او اقل من ذلك في عهد المعتز حيث ثار عليه الاتراك فخلعوه ثم قتلوه، ومنها سنة او احد عشر شهرا في عهد المهتدي الذي ثار عليه الاتراك وقتلوه ايضا، وأربع سنوات وأشهر في عهد المعتمد العباسي الذي بويع بالخلافة بعد قتل المهتدي، واستمرت خلافته الى سنة تسع وسبعين ومائتين حيث خرج من سامراء وقتل مسموما وعادت بقتله الخلافة الى بغداد، وفي سنة ستين ومائتين كانت وفاة الإمام ابي محمد الحسن العسكري.

وأمه يقال لها سوسن وقيل حديثة، وكان يكنى بأبي محمد في اكثر المرويات عنه كما سنتعرض لبعضها، ويلقب بالعسكري كما كان ابوه يلقب بذلك لأنه حينما دخل سامراء سكن في محلة تعرف بالعسكر، ومن القابه: الهادي والزكي والتقي والخالص، وجاء في مناقب ابن شهراشوب ان الحسن العسكري وأباه وجده كان يعرف كل منهم في زمانه بابن الرضا.

وقد وصفه احمد بن عبيد الله بن خاقان مع انه كان يحقد على العلويين ويحاول الوقيعة به وصفه كما جاء في رواية الكليني والصدوق بقوله : ما رأيت ولا عرفت بسر من رأى من العلوية مثل الحسن بن علي بن محمد بن الرضا ولا سمعت بمثله في هديه وسكونه وعفافه ونبله وكرمه عند اهل بيته والسلطان وجميع بني هاشم وتقديمهم اياه على ذوي السن منهم والخطر ، وكذلك القواد والوزراء والكتّاب وعوام الناس ، وما سألت عنه احدا من بني هاشم والقواد والكتّاب والقضاة والفقهاء وسائر الناس الا وجدته عندهم في غاية الاجلال والاعظام والمحل الرفيع والقول الجميل والتقديم له على اهل بيته ومشائخه وغيرهم ولم ار له ولياً ولا عدوا الا ويحسن القول فيه والثناء عليه ، ومضى يقول : ان اباه عبيد الله بن خاقان قال : لو زالت الخلافة عن بني العباس ما استحقها احد من بني هاشم غيره ، لفضله وعفافه وهديه وصيانة نفسه وزهده وعبادته وجميل اخلاقه وصلاحه .



النص عليه بالإمامة

لقد جاء في الكافي للكليني بسنده الى يحيى بن يسار العنبري انه قال : لقد اوصى ابو الحسن الى ابنه الحسن قبل نعيه بأربعة اشهر وأشهدني على ذلك وجماعة من الموالي .

وروى بسنده الى علي بن عمر النوفلي انه قال : كنت مع ابي الحسن (ع) في صحن داره فمر بنا محمد ابنه فقلت له : جعلت فداك هذا صاحبنا بعدك فقال : لا ، صاحبكم بعدي الحسن ، وكان فريق من الشيعة يظنون انه سيكون الإمام بعد أبيه .

وجاء في فرق الشيعة للنوبختي انه لما توفي علي بن محمد بن علي الرضا قالت فرقة من اصحابه بامامة ابنه محمد ، وقد كان توفي في حياة ابيه بسر من رأى وزعموا بأنه حي لم يمت ، وأضاف الى ذلك انهم اعتلوا بأن اباه اشار اليه وأعلمهم انه الإمام من بعده والإمام لا يجوز عليه الكذب ولا البداء فيه وقد خاف عليه ابوه فغيبه عن الناس .

كما روى الكافي بسنده الى عبد الله بن محمد الاصفهاني انه قال : قال ابو الحسن (ع) : صاحبكم بعدي الذي يصلي علي ، ولم نكن نعرف ابا محمد قبل ذلك ، فلما توفي ابو الحسن خرج ابو محمد وصلى عليه .

وروى بسنده الى علي بن مهزيار انه قال : قلت لأبي الحسن (ع) : ان كان كون وأعوذ بالله من ذلك فإلى من الأمر بعدك ؟ فقال : عهدي الى الاكبر من ولدي وكان الحسن ابو محمد اكبر ولده كما تؤكد ذلك جميع المرويات التي تحدثت عن تاريخ ولادته .

وروى ايضا بسنده الى ابي بكر الفهفكي انه قال : كتب الي ابو الحسن (ع) ان ابا محمد ابني انصح آل محمد غريزة وأوثقهم حجة وهو الأكبر من ولدي والخلف وإليه تنتهي عرى الامامة وأحكامها فما كنت سائلي فسله عنه فعنده ما يحتاج اليه ، الى غير ذلك من المرويات الكثيرة التي رواها الكليني وغيره من المحدثين في النص عليه من أبيه بالإمامة من بعده بالاضافة الى النصوص التي رواها الرواة عن النبي والأئمة من بعده على امامة الاثني عشر بأسمائهم وأوصافهم .



الإمام مع حكام عصره

لقد ذكرنا انه عاش سني امامته مع ثلاثة من خلفاء بني العباس : المعتز بالله والمهتدي والمعتمد ، وكانت المدة التي قضاها مع المعتز تتراوح بين السنة والاحد عشر شهرا وبنهايتها ثار عليه الاتراك وقتلوه ، وتولاها من بعده المهتدي سنة ٢٥٥ تقريباً فأراد ان يتنسك ويسلك في الرعية طريق الخلفاء الأوائل وعمر بن عبد العزيز ويضع حدا للفوضى والبذخ وبنى قبة للمظالم جلس فيها للعام والخاص كما جاء في مروج المسعودي فشق ذلك على الناس عامة وعلى الاتراك خاصة الذين كانوا يتصرفون كما تهوى انفسهم ، وجرى بينه وبين قادته الاتراك حوار جاء فيه : تريد ان تحمل الناس على سيرة عظيمة لم يعرفوها ، فقال : اريد ان احملهم على سيرة الرسول وأهل بيته والخلفاء الراشدين ، فقالوا له : ان الرسول (ص) كان مع قوم زهدوا في الدنيا ورغبوا في الآخرة ، وأنت رجالك ما بين تركي وخزرجي وفرغاني ومغربي وغير ذلك من انواع الاعاجم لا يعلمون ما يجب عليهم من امر آخرتهم ، وانما غرضهم ما استعجلوه في هذه الدنيا ، وبقي مصرا على مناهضة الاتراك والموالي بدون جدوى واصطدم في قتال معهم ادى الى انهزام جيشه ودخوله الى سامراء وحده يصيح في شوارعها مستغيثاً بأهلها ، فلم يجبه احد الى ذلك .

وفيما كان المهتدي في صراع مرير مع الاتراك والموالي تنبأ الإمام له بالمصير الذي انتهى اليه ، فقد جاء في تاريخ الغيبة الصغرى تأليف محمد الصدر عن اعلام الورى للطبرسي انه خطر في ذهن بعض اصحاب الإمام ان انشغال المهتدي بذلك يصرفه عن ملاحقة الإمام وتهديده له ، فكتب اليه : الحمد لله الذي شغله عنك فقد بلغني انه كان يتهددك ، فوقع الإمام بخطه : ذاك اقصر لعمره عد من يومك هذا خمسة أيام ويقتل في اليوم السادس بعد هوان واستخفاف به .

ويظهر من مناقب ابن شهراشوب ان المهتدي مع دعوته الى تحقيق العدالة في الرعية والسير بهم على النهج الذي اختاره لنفسه عمر بن عبد العزيز كان يسيء الى الإمام وقد وضعه في السجن وأوصى بالتضييق عليه ، وقد صرح الإمام في سجنه لاحد اصحابه المسجونين معه قائلاً : في هذه الليلة يبتر الله عمره ، قال الراوي : فلما اصبحنا اشتد الاتراك عليه وقتلوه وتولى المعتمد مكانه .

وجاء في رواية الكليني عن علي بن محمد بسنده الى علي بن عبد الغفار انه قال : دخل العباسيون على صالح بن وضيف ، ومعهم صالح بن علي وغيره من المنحرفين عن هذه الناحية عندما حبس ابو محمد الحسن بن علي العسكري وطلبوا منه التضييق عليه ، فقال لهم صالح : ما اصنع به وقد وكلت به رجلين أشر من قدرت عليه ، فقد صارا من العبادة والصلاة الى امر عظيم ، ثم امر باحضار الموكلين به ، فقال لهما : ويحكما ما شأنكما في امر هذا الرجل ، فقالا له : ما تقول في رجل يصوم نهاره ويقوم ليله كله لا يتكلم ولا يتشاغل بغير العبادة ، واذا نظر الينا ارتعدت فرائصنا وداخلنا ما لا نملكه من انفسنا ، فلما سمع ذلك العباسيون انصرفوا خاسئين .

وليس في هذه الرواية ما يشير الى ان ذلك كان في عهد المهتدي او بعد عهده في ظل غيره ، وان كانت الرواية السابقة تكاد تكون صريحة في انه كان

محبوسا في عهده .

وجاء في القنية للاربلي عن محمد بن اسماعيل العلوي انه قال : لقد حبس ابو محمد الحسن بن علي العسكري (ع) عند علي بن اوتامش وكان شديد العداوة لآل محمد (ص) غليظا على آل ابي طالب ، فقيل له : شدد عليه وافعل به وافعل ما يسيء اليه ، فما اقام الا اياما حتى وضع خديه له وكان لا يرفع بصره اليه اجلالا واعظاما وخرج من عنده وهو احسن الناس بصيرة وأجودهم قولا فيه . ويبدو من بعض المرويات انه حبس اكثر من مرة خلال السنوات الست التي قضاها بعد ابيه من قبل الخلفاء الثلاثة الذين عاصرهم بعد ابيه (ع) .

وكان المعتز العباسي يحقد على الإمام ويحاول الفتك به كما تشير الى ذلك رواية المناقب لابن شهراشوب ، وقد جاء فيها انه امر سعيد الحاجب بقتل ابي محمد الحسن العسكري بعيدا عن اعين الناس وقال له : اخرج ابا محمد الى الكوفة ثم اضرب عنقه من حيث لا يراك احد ، ومضى الراوي يقول : فجاء توقيع الإمام الينا : ان الذي سمعتموه تكفونه ان شاء الله ، فخلع المعتز بعد ثلاثة ايام وقتل .

ويبدو ان انباء هذه المؤامرة على حياة الإمام (ع) قد تسربت الى اوساط الشيعة فأراد الإمام ان يطمئنهم بما تنبأ به للمعتز من المصير الذي ينتظره قبل تنفيذ ما كان يخططه له ، وليس بغريب على الإمام بل وحتى على غيره ممن عاصروا الحكم العباسي في تلك الفترة من تاريخهم اذا اصابوا فيما كانوا يتنبأون به من المصير السيء لاولئك الحكام الذين كانوا لا يملكون من امرهم شيئاً وقد وصفهم أحد الشعراء بأبيات جاء فيها :

وطغوا فاصبح ملكنا متقسما وامامنا فيه شبيه الضيف

وفي خلافة المهتدي خرج صاحب الزنج بمن معه من العبيد والفقراء والمستضعفين واستطاع ان يسيطر على البصرة ووجهائها مدعيا بأنه من سلالة

النبي (ص) وينتهي في نسبه الى الإمام علي بن ابي طالب (ع) وهو ما يدعي بعض المؤرخين علي بن محمد بن احمد بن عيسى بن زيد بن علي بن الحسين (ع) .

وجاء في المجلد الثاني من مروج الذهب للمسعودي انه من بعض قرى الري وان اكثر انصاره كانوا من الموالي والزنوج فضايق العباسيين وكاد ان يستولي على عاصمتهم بغداد بعد معارك ضارية بينه وبينهم وأثار انتسابه الى العلويين موجة من الاستغراب والتساؤل كما يدعي المؤرخون بعد الاعمال المنكرة والفظائع التي مارسها انصاره كما كان لانتسابه الى العلويين اثر واسع في انتشار دعوته وكثرة مؤيديه مما دعا الإمام ابا محمد العسكري بناء لطلب الحكام وحاشيتهم منه بصفته اكبر مسؤول علوي يوم ذاك الى نفي انتسابه اليهم وتكذيبه فيما ادعاه فقال : (ان صاحب الزنج ليس من أهل البيت) وكان مع ذلك ينكر انتسابه الى العلويين عندما يجري الحديث عن ثورته وما رافقها من قتل الشيوخ والاطفال وسبي النساء واحراق المدن والمنازل وغير ذلك من الفظائع التي كان يتحدث بها الناس في تلك الفترة من تاريخ الدولة الاسلامية ـ كما يدعي المؤرخون ، وكان الى جانب ذلك يرى رأي أزارقة الخوارج كما رجح ذلك المسعودي في مروجه .

ومن تتبع احداث تلك الفترة من تاريخ الدولة الاسلامية التي كان الاتراك والغلمان فيها يسيطرون على جميع مرافق الدولة ومقدرات البلاد وخيراتها ، وما رافق ذلك من ظلم وبلاء شملا جميع انحاء الدولة وفئات الأمة ، والخليفة لا يملك من الأمر شيئاً ، لا يستبعد ان تكون حركة صاحب الزنج وأتباعه كغيرها من الانتفاضات التي كانت تحدث بين الحين والآخر بقيادة العلويين وغيرهم للتخلص مما كان يحيط بكل فئات الشعوب الاسلامية وان ما نسب اليهم من الفظائع كان من صنع الحكام وأجهزتهم .

اما ما يرويه الرواة من ان الإمام قال : صاحب الزنج ليس منا فعلى

تقدير صحة ذلك منه فكلمته هذه ليست صريحة في كونه دعيا كاذبا في انتسابه اليهم لجواز ان يكون قد اراد انه ليس منا في اعماله وتصرفاته ، كما يجوز ان يكون مكرها على كلمته هذه من الحاكمين ، وتشير بعض المرويات على انه لم يكن كاذبا كما جاء في الاكمال للصدوق .

ومهما كان الحال فلقد كانت سيرة المعتمد مع الإمام العسكري لا تختلف عن سيرة من سبقه من حكام العباسين ، فقد وضعه تحت الرقابة الشديدة حتى لم يعد بامكان احد ان يتصل به الا في ظل ظروف خاصة كان الإمام قد اتفق عليها مع خاصته وكل ما كان يأتيه من الخارج ويصدر عنه كان بطريق المراسلة .

وجاء في بعض المرويات ان المعتمد في مطلع خلافته قصد الإمام العسكري الى داره وطلب منه ان يدعو له بطول العمر والبقاء في الخلافة عشرين عاما ولم يتردد الإمام (ع) في اجابة طلبه لمصلحة تفرض عليه ذلك فأجابه بقول : مد الله في عمرك .

ويبدو من هذه الرواية ان المعتمد كان متشائماً ويعيش في جو من القلق والخوف بعد ما جرى لاسلافه الذين كانت حياتهم وخلافتهم تحت رحمة الاتراك والموالي ، وقد سبقه ثلاثة من الخلفاء المنتصر والمعتز والمهتدي حكم اولهم نحوا من ستة اشهر وحكم الثاني والثالث كل واحد منهما مدة تتراوح بين الستة والاحد عشر شهرا ، والمدة التي حددها للإمام لم يكن يحكم بها في تلك الاجواء المعقدة التي لم تترك له املا في الحياة يوما او بعض يوم فضلا عن عام او اعوام الا بدعوة مستجابة ولم يكن يطمئن لغير دعوته ولا لاستجابتها اذا صدرت من غيره لأنه بالرغم من سوء صنيعه معه وحقده الموروث على بيته كان كغيره يؤمن بصحة موقف الإمام وعدالته وصلته الاكيدة بالله الذي وعد من استجاب له ان يستجيب لدعائه .

﴿وإذا سألك عبادي عنّي فإني قريب أجيب دعوة الداعي إذا دعاني

فاستجيبوا لي﴾ . كما كان اسلافه يؤمنون ايمانا راسخاً بما للأئمة من أهل البيت من مكانة عند الله وبأحقيتهم في رعاية الأمة وادارة شؤونها ، ولم يقفوا منهم ذلك الموقف الجائر الا لأنهم كانوا يحسبون ان وجودهم يشكل خطرا على عروشهم .

والمعتمد العباسي مع انه حينما تولى الخلافة كان خائفا ومتشائما ولم يجد من يلوذ به ليكشف عنه شر الاتراك والغلمان غير الله بواسطته لأنه يؤمن بأن الإمام من اقرب الوسائل الى الله فمضى اليه متوسلا بدعائه ان يمد الله في عمره وبقي في الخلافة نحوا من ثلاثة وعشرين عاما ، مع انه كان كذلك وافتتح عهده بدعوة مستجابة من الإمام وقف منه نفس الموقف الذي وقفه اسلافه مع آبائه وأجداده وتشير بعض الروايات الى انه قد سجنه اكثر من مرة وكان يضيق عليه في سجونه كما يشير بعضها الى ان الذين كانوا يعظمونه ويجلونه من أعوان المعتمد كانوا يتحاشون غضبه وغضب اجهزته وولي عهده الموفق بن جعفر المتوكل ، فقد روى الرواة عن احمد بن عبيد الله بن يحيى بن خاقان ، وكان المعتمد قد استوزره في مطلع خلافته سنة ٢٥٦ ، فقد جاء عنه انه قال : كنت جالساً على رأس ابي في يوم مجلسه للناس اذ دخل حجابه وقالوا : ان ابا محمد بن الرضا بالباب ، فقال بصوت عال : ائذنوا له ، فتعجبت منه ومن جسارتهم ان يكنوا رجلا بحضرة ابي ، ولم يكن يكنى عنده الا خليفة او ولي عهد او من أمر السلطان ان يكنى ، فدخل رجل اسمر أعين حسن القامة جميل الوجه جيد البدن حديث السن له هيبة وجلال ، فلما نظر اليه ابي قام فمشى اليه مستقبلا ولا اعلمه فعل هذا بأحد من بني هاشم والقواد وأولياء العهد ، ولما دنا منه عانقه وقبل وجهه وصدره ومنكبيه وأخذ بيده وأجلسه على مصلاه الذي كان عليه وجلس الى جنبه مقبلا عليه بوجهه وجعل يكلمه ويفديه بنفسه وأبويه ، وفيما انا متعجب مما ارى منه اذ دخل الحاجب و قال : لقد جاء الموفق وهو شقيق المعتمد ، وكان الموفق اذا دخل على ابي تقدمه حجابه وخاصة قواده فقاموا بين مجلس ابي وبين الباب سماطين

الى ان يدخل ويخرج ، فلما نظر ابي الى غلمان الموفق قال لأبي محمد : اذا شئت جعلني الله فداك ، وقال لحجابه : خذوا به خلف السماطين حتى لا يراه هذا مشيرا الى طلحة المعروف بالموفق خوفا منه على نفسه وعليه ، ثم قام اليه مودعا فعانقه ومضى . وأما احمد بن عبيد الله فقد بقي قلقا متفكرا في امر ابيه وأمر الرجل الذي لقي تلك الحفاوة منه حتى استغل دخول الليل وانفراد ابيه مع نفسه لاداء الصلاة ، فلما صلى وجلس سأله عن الرجل الذي اختصه من بين سائر الناس بالتبجيل والتعظيم وفداه بنفسه وأبويه ، فقال له : ذاك يا بني امام الرافضة الحسن بن علي المعروف بابن الرضا ، ومضى الراوي يقول : وسكت ابي ساعة وكأنه يفكر في امر قد اهمه ، ثم قال : لو زالت الامامة عن خلفاء بني العباس يا بني ما استحقها احد من بني هاشم غيره لفضله وعفافه وعبادته وزهده وجميل اخلاقه ، ولو رأيت اباه لرأيت رجلا جزلا نبيلا فاضلا ، وللحديث تتمة سنأتي عليها عند الحديث عن وفاة الإمام (ع) .

ويبدو مما اضافه الرواة الى احمد بن عبيد الله ان هذا المشهد وما سمعه من العامة والخاصة من ثناء وتقدير وتقديس للإمام قد احدث تحولاً في موقفه منه وأصبح يقدره ويجله بعد ان كان لا يضمر الخير لاحد من العلويين وأنصارهم وشيعتهم .

وسواء صحت هذه المرويات ام لم تصح وليس ما يمنع من صحتها ، فمما لا شك فيه ان كثرة الشيعة في ذلك العصر وانتشارهم في كل بلد وحتى في عاصمة اولئك الحكام واجتماعهم على الإمام ابي محمد (ع) وتدفق الأموال عليه من مختلف المناطق بواسطة وكلائه المنتشرين هنا وهناك ، كل ذلك بالاضافة الى الوفود التي كانت تزدحم على بابه بين الحين والآخر ، والى انتفاضات العلويين ضد الحكم القائم يوم ذاك في اكثر من مكان كالحسن بن زيد العلوي الذي سيطر على طبرستان وجهاتها وغيره ، قد اقض مضاجع الحكام وجسد لهم الاخطار التي تكمن في بقاء الامام العسكري حراً طليقاً هو وشيعته ، لا سيما وانهم يعرفون رأيه في الحكم والحاكمين ، ويعلمون بأنه

حيث يندد بالظلم والظالمين بلا هوادة كان يعنيهم قبل غيرهم .

وحينما كان يوصي بالعدل والاحسان والايثار ، ويحذر من الجور والطغيان يريد ان يلفت الانظار الى استهتارهم بالقيم والاخلاق وحقوق العباد واسرافهم في المعاصي والمنكرات ، كل ذلك قد اقض مضاجعهم ففرضوا عليه الاقامة الجبرية الى جوارهم كما فرضوها على ابيه من قبله وسلطوا عليه اجهزتهم وسجنوه خلال السنوات القليلة من امامته اكثر من مرة وشددوا الحصار على شيعته المنتشرين في انحاء البلاد حتى قتلوا منهم في مدينة قم معقل الشيعة والعلماء والمحدثين مقتلة عظيمة كما جاء في المجلد الخامس من الكامل لابن الاثير وظل الضغط يتوالى عليه ويشتد حتى تاريخ وفاته وهو في ريعان شبابه قبل ان يبلغ الثلاثين من عمره مسموما كما قيل وليس ذلك على الظالمين ببعيد .



التشيع في عهد الإمام العسكري

لقد رافق التشيع بما له من المعنى الصحيح ظهور الإسلام ومضى في طريقه ببطء تارة وبقوة اخرى حتى دخل في عهد الإمامين الباقر والصادق ببركة الدماء الزكية التي اريقت في سبيل الله وجهودهما وآثارهما التي كانت ولا تزال من أفضل ما انتجه الفكر الاسلامي وأوفرها عطاء كل مدينة، وكل قرية بالرغم من تلك الاحداث القاسية التي كانت تلاحقه في كل بلد بل وفي كل بيت من الامويين والعباسيين على السواء ، بل كانت محنته من العباسيين أقسى وأمر كما يدل على ذلك تاريخهم الطويل مع الشيعة وأئمتهم الاطهار .

ولم يحدث التاريخ عن دعوة لقيت ما لقيه التشيع من التحدي والمطاردة والظلم بأقبح صوره وأشكاله واستطاعت ان تصمد في وجه اعدائها كما صمد التشيع وقفز فوق الاحداث والحكام لينتشر في ارجاء الدنيا الواسعة متحديا جميع الطغاة والجبابرة . وكأن اولئك الذين كانوا يعملون بكل ما لديهم من قوى الشر والبغي لمحقه او تحجيمه وهو اقل ما كانوا يأملون كأنهم كانوا يدفعون به الى الامام بكل ما يملكون من حول وطول .

وظل يتسع خلال القرنين الثاني والثالث برعاية الأئمة الاطهار وتعاليمهم وجهادهم المتواصل بالرغم من الحصار المفروض عليهم من السلطات الحاكمة

وأجهزتها التي كانت تلاحقهم في كل مكان كما اشرنا الى ذلك في الفصول السابقة من هذا الكتاب .

وفي عهد الامامين الهادي والعسكري كان عدد الشيعة في بعض المناطق من ايران والكوفة وبغداد والمدائن ومصر واليمن والحجاز وحتى في سامراء عاصمة العباسيين يقدر بعشرات الملايين ولم يكن لهم مرجع سوى الإمام ابي محمد العسكري بعد ابيه فيما اشكل عليهم من امور دينهم ودنياهم كما كانت اخماس اموالهم تجبى اليه بواسطة وكلائه المنتشرين هنا وهناك .

وجاء في الغيبة للطوسي ان عثمان بن سعيد العمري كان من وكلاء الامام ابي محمد العسكري (ع) ويلقب بالسمان لأنه كان يتجر بالسمن تغطية لأمره فاذا اراد الشيعة ان يحملوا لأبي محمد ما يجب عليهم من الاموال انفذوا الى ابي عمرو عثمان بن سعيد ودفعوه اليه فيجعله في جراب السمن وزقاقه ويحمله الى ابي محمد تقية وخوفا من الحكام وأجهزتهم .

وروى الشيخ الطوسي في غيبته ايضا بسنده الى الحسين بن احمد الخصيبي انه قال : حدثني محمد بن اسماعيل وعلي بن عبد الله الحسنيان قالا : دخلنا على ابي محمد الحسن (ع) بسر من رأى وبين يديه جماعة من اوليائه وشيعته فدخل عليه بدر خادمه وقال : يا مولاي بالباب قوم شعث غبر ، فقال له : هؤلاء نفر من شيعتنا باليمن فامض وائتنا بعثمان بن سعيد العمري ، قالا : فما لبثنا الا يسيرا حتى دخل عثمان فقال له ابو محمد (ع) : امض يا عثمان فانك الوكيل والثقة المأمون على مال الله واقبض من هؤلاء النفر اليمنيين ما حملوه من المال ، وجاء في تتمة الحديث : ثم قلنا بأجمعنا يا سيدنا والله ان عثمان لمن خيار شيعتك ولقد زدتنا علما بموضعه من خدمتك وانه وكيلك وثقتك على مال الله تعالى ، فقال : نعم واشهدوا علي ان عثمان بن سعيد وكيلي وان ابنه محمدا وكيل ابني مهديكم .

وجاء في كشف الغمة للاربلي ان رجلا من العلويين خرج من سر من

رأى ايـام ابي محمد (ع) الى الجبـل يطلب الفضـل فتلقـاه رجـل بحلوان فقـال من أين اقبلت ، قـال : من سامـراء ، قال : هـل تعـرف درب كـذا ومـوضـع كذا ؟ قال : نعم ، قـال : فهل عنـدك من اخبار الحسن بن عـلي شيء ، قال : لا ، فقـال : فـما اقـدمـك الجبـل ؟ قـال : طلب الفضـل ، فقـال لـه : فلك عندي خمسون دينـارا فاقبضهـا وانصرف معي الى سر من رأى حتى تـوصلني الى الحسن بن عـلي ، فأعـطاه خمسين دينـارا وعـاد العلوي معـه واستـأذنـا عـلى ابي محمد فأذن لهما وهو في صحن الـدار فلما نظر الى الجبـلي قال لـه : انت فلان بن فلان اوصى اليك ابوك بوصيـة وجئت تؤديها ومعـك اربعة آلاف دينـار ، قال : نعم ، ودفعها اليه ، ثم نـظر الإمام الى العلوي وقـال : لقد خـرجت الى الجبل تطلب الفضل فـأعطاك هـذا الرجـل خمسين دينـارا ورجعت معه ونحن نعـطيك خمسين دينارا .

وورد عليه مع جماعة مـائة وستـون صرة من الـذهب والفضة ومـع جماعـة آخرين مبلغ كبير من المـال حملوه معهم من جرجـان كما جـاء في كشف الغمة ، وحمل اليه محمد بن ابراهيم بن مهـزيار امـوالا كثيرة كـانت للإمـام عند ابيـه فلما حضرته الوفاة دفعها لولده محمد وحملها اليه فلما انتهى الى بغـداد جاءه العمـري وكـان من اوثق اصحاب ابي محمـد فدفعهـا اليه كـما نص عـلى ذلـك الكشي في رجاله .

وحمل اليه شخص آخر ثمانيـة عشر قيراطـا من الذهب الى غـير ذلك من الامـوال الكثيـرة التي كـانت تجبى اليـه من مختلف المنـاطق كـما تؤكـد ذلـك المـرويات الشيعيـة وكتب الرجـال بالـرغم من السريـة التامـة التي كانت تكتنف هذه الناحيـة من حياة الإمـام ابي محمد العسكـري خوفـا من الحكام وأجهـزتهم التي كـانت تراقبـه في جميع الحـالات مما يساعد عـلى تكـوين فكـرة واضحـة عن انتشار التشيع في انحاء الدولة وعجزها عن مقاومته .

وخلال تلك الفترة التي فـرضوا فيهـا الحصار عـلى الائمة ووضعـوهم قيد الاقـامة الجبـرية في سـامراء كـان الشيعـة وعلمـاؤهم يعتمـدون في فقههم عـلى

المرويات والمدونات التي كانت بين ايدي المحدثين والعلماء الذين تخرجوا من مدرسة الامامين الباقر والصادق وما اتصل اليهم من اصحاب الامامين الكاظم وولده الرضا (ع) .

وكانت حلقات التدريس والمذاكرة تعقد في الكوفة وبغداد والحجاز واشتهرت مدينة قم في تلك الفترة من تاريخها في ذلك ، وقد ادرك الحسن بن علي الوشا وكان معاصرا للإمام الرضا (ع) تسعمائة شيخ من بقايا تلامذة الامامين كانوا في مسجد الكوفة يحدثون عن جعفر بن محمد (ع) كما كان محمد بن عمير يملك مائة كتاب من مرويات تلامذة الإمام الصادق ، وكان محمد بن مسعود العياشي الذي عاصر الإمامين الهادي والعسكري قد انفق ثروة ابيه بكاملها على نشر آثار اهل البيت ، وكانت داره كالمسجد تجمع العشرات ما بين ناسخ ومقابل وقارىء ومعلق ، وكانت تلك الكتب على ما يبدو تعرض على الائمة عندما يتاح لاصحابهم الاتصال بهم .

وقد سئل الإمام ابو محمد العسكري عن كتب الفطحية والواقفة وغيرهم من المنحرفين عن الأئمة المتأخرين فقال كما روى الرواة عنه : خذوا ما رووا وذروا ما رأوا .

وقد جمعت مدينة قم مئات الرواة والعلماء في عصره ممن تفرغوا لدراسة الحديث وتصفيته من موضوعات الخطابية والغلاة وغيرهما من المنحرفين عن الأئمة والمتهمين بالكذب عليهم ، وكانوا يرجعون إلى الامامين الهادي والعسكري فيما اشكل عليهم امره من الاحكام ولم يجدوا عليه نصا فيما لديهم من مؤلفات اصحاب الأئمة السابقين ومروياتهم ، فيكتبون اليه لتعذر الاتصال به مباشرة وهو يكتب الجواب بيده ويرده اليهم .

ومن امثلة ذلك ما رواه في الكافي عن محمد بن يحيى انه قال : كتب محمد بن الحسن الى ابي محمد (ع) : هل تقبل شهادة الوصي للميت بدين له على رجل مع شاهد آخر عدل ؟ فوقع (ع) : اذا شهد معه آخر عدل فعلى

المدعي يمين[١] ، ومضى الراوي يقول : وكتب أيجوز للوصي ان يشهد لوارث الميت صغيرا او كبيرا بحق له على الميت او على غيره وهو القابض للوارث الصغير وليس للكبير بقابض ؟ فوقع (ع) : نعم ينبغي للوصي ان يشهد بالحق ولا يكتم الشهادة ، وأضاف الى ذلك الراوي انه كتب اليه : او تقبل شهادة الوصي على الميت مع شاهد آخر عدل ؟ فوقع : نعم من بعد يمين[١] .

ومن ذلك ما رواه محمد بن يحيى عن محمد بن الحسن انه كتب الى ابي محمد (ع) في رجل باع ضيعته من رجل آخر وهي قطاع ارضين ولم يعرف الحدود في وقت ما اشهدوه وقال : اذا ما اتوك بالحدود فاشهد بها هل يجوز له ذلك او لا يجوز له ان يشهد، فوقع في الجواب: نعم يجوز له ذلك والحمد لله .

ومضى الراوي يقول : وكتب له رجل كان له قطاع ارضين فحضره الخروج الى مكة والقرية على مراحل من منزله ولم يؤت بحدود ارضه وعرف حدود القرية الاربعة ، فقال للشهود اشهدوا اني قد بعت من فلان جميع القرية التي حد منها كذا والثاني والثالث والرابع كذا ، وانما له في هذه القرية قطاع ارضين فهل يصلح للمشتري ذلك وانما له بعض هذه القرية وقد اقر له بكاملها ، فكتب في الجواب : لا يجوز بيع ما ليس يملك وقد وجب الشراء على المالك على ما يملك ، وأضاف الى ذلك الراوي انه كتب له : هل يجوز للشاهد الذي اشهده بجميع هذه القرقة ان يشهد بحدود قطاع الأرض التي له فيها اذا تعرف حدود هذه القطاع بقوم من أهل هذه القرية اذا كانوا عدولا ؟ فوقع (ع) : نعم يشهدون على شيء مفهوم معروف[١] .

---

(١) لعل اليمين في هذه الحالة للاستظهار . ويحتمل سقوط شيء من العبارة ويكون الجواب وان لم يشهد معه عدل آخر فعلى المدعي يمين ويكون القضاء بشاهد ويمين المدعي .

(٢) لعل السائل يريد أن يقول للإمام (ع) انه اذا لم يقع الا على ما يملكه البائع وقد فرضنا أنه باع جميع القرية فهل يجوز للشاهد إذا علم بحدود ما يملكه البائع في القرية أن يشهد على بيع ذلك البعض بنسبة ما يستحقه من الثمن أم لا وبذلك يصبح السؤال معقولا .

ومضى الراوي يقول : وكتب اليه رجل ، قال الرجل : اشهد ان جميع الدار التي له في موضع كذا وكذا بحدودها كلها لفلان بن فلان وجميع ما له في الدار من المتاع ، هل يصلح للمشتري ما في الدار من المتاع اي شيء هو ؟ فوقع (ع) : يصلح له ما احاط الشراء بجميع ذلك ان شاء الله .

ومن ذلك ايضا ما رواه في الكافي بسنده الى سهل بن زياد انه قال : كتبت الى ابي محمد (ع) : رجل كان له ابنان فمات احدهما وله ولد ذكور واناث فأوصى لهم جدهم بسهم ابيهم فهذا السهم الذكر والانثى فيه سواء ام للذكر مثل حظ الانثيين ؟ فوقع (ع) بخطه : ينفذون وصية جدهم كما امر الله ، ومضى الراوي يقول : وكتب له رجل له ولد ذكور واناث فأقر لهم بضيعة انها لولده ولم يذكر انها بينهم على سهام الله وفرائضه الذكر والانثى فيه سواء ، فوقع : ينفذون فيها وصية ابيهم على ما سمى فان لم يكن سمى شيئاً ردوها الى كتاب الله عز وجل وسنّة نبيه (ص) ان شاء الله .

وكتب اليه محمد بن الحسن : رجل مات وأوصى الى رجلين : أيجوز لاحدهما ان ينفرد بنصف التركة والآخر بالنصف ، فوقع (ع) : لا ينبغي لهما ان يخالفا الميت وان يعملا على حسب ما امرهما .

الى غير ذلك من الامثلة الكثيرة التي يجدها المتتبع في ابواب الفقه وكلها من نوع المكاتبات كما وان جلها ان لم يكن كلها بواسطة محمد بن الحسن .

ولعله على ما يبدو من الشراح محمد بن الحسن الصفار ، وقد ذكر المؤلفون في احوال الرجال عنه انه كان وجها من وجوه العلماء وحملة الحديث في قم ثقة عظيم القدر راجحاً قليل السقط على حد تعبيرهم ، وأضافوا الى ذلك ان له مسائل الى ابي محمد الحسن بن علي العسكري .

وروى عن ابي محمد العسكري بعض المسائل سهل بن زياد ابو سعيد الآدمي كان يسأله عنها بالمراسلة وقد ذكرنا بعضها .

ويبدو من المؤلفين في احوال الرجال انه لم يكن في المستوى المطلوب وقد اتهم بالغلو وأخرجه احمد بن عيسى الاشعري من مدينة قم ونهى عن الاستماع لروايته والرواية عنه ، وسكن الري بعدما اخرجوه من عاصمة المحدثين قم ، ودافع عنه بعضهم بما حاصله ان احمد بن محمد ومن معه من القميين كانوا يتشددون في شروط الراوي والرواية ويتهمون بعض الرواة بالغلو لأقل شبهة اوكلمة يستشم منها ذلك ، وقد اخرج احمد بن محمد بن عيسى احمد بن خالد البرقي من قم كما اخرج غيره ، لهذا السبب ايضا مع انه كان من المرضيين عند اكثر المحدثين والمؤلفين في احوال الرواة ، وأخيرا استدعاه واعتذر ولما مات مشى في جنازته والتأثر باد عليه .

ولعل حرص القميين رضوان الله عليهم على تنزيه الأئمة (ع) مما الصقه بهم الغلاة والمنحرفون وإنتشار المرويات المكذوبة بين احاديثهم وفي كتب اصحاب الامامين الصادق والباقر (ع) ، وعودة افكار الخطابية وغيرها بواسطة المتسترين بالتشيع في ذلك العصر ، كل ذلك كان يدعوهم الى الاخذ بأقصى مراتب الحيطة والحذر في الراوي والرواية ، وقد قال شيخهم الصدوق : اول مراتب الغلو نفي السهو عن النبي (ص) .

ويبدو بعد التتبع ان اجتهادات احمد بن محمد بن عيسى ورفاقه الاعلام في الرجال والرواة كانت المصدر الأول للتجريح والتعديل عند اكثر من تأخر عنهم من المؤلفين في احوال الرواة منذ ذلك العصر حتى يومنا هذا ولم يخرج احد منهم عن الخطوط العريضة التي سلكها اولئك الاعلام ، كما وان احدا لم يدرس احوال الرواة دراسة موضوعية تطمئن النفس لنتائجها كما يبدو ذلك للمتتبع في تلك المؤلفات .

وكان ممن عاصر الإمام العسكري من محدثي الشيعة وفقهائهم الحسين بن سعيد الاهوازي ، وقال ابن النديم عنه وعن اخيه الحسن : انهما كانا اوسع اهل زمانهما في العلم والفقه ، وقد ألف من آثار الائمة في مختلف

المواضيع واشترك هو وأخوه في بعض المؤلفات المنسوبة اليه .

ومنهم الحسن بن خالد البرقي صاحب التفسير الذي املاه عليه العسكري المعروف بتفسير العسكري كما جاء في بعض المرويات ، وقد نفى جماعة صدوره من الإمام (ع) ولعلهم اصابوا في ذلك كما يبدو للمتتبع في التفسير المذكور .

ومنهم احمد بن اسحاق بن عبد الله بن سعد الاشعري ، وكان على حد تعبير بعض المؤلفين في احوال الرواة جليل القدر ومن خاصة ابي محمد العسكري وهو شيخ القميين ورسولهم من مدينة قم الى الإمام (ع) وممن رأى صاحب الامر كما جاء في اتقان المقال ، الى غير هؤلاء ممن لا يعنينا احصاؤهم .



من اجوبته وكلماته القصار

لقد جاء عنه في تفسير قوله تعالى : ﴿ ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم وعلى أبصارهم غشاوة ولهم عذاب عظيم ﴾ ، انه سبحانه وسم قلوبهم وسمعهم بسمة يعرفها من يشاء من ملائكته اذا نظروا اليها وجعل على ابصارهم غشاوة ، وذلك لما اعرضوا عن النظر فيما كلفوه وقصروا فيما اريد منهم وجهلوا ما لزمهم الايمان به ، فصاروا بذلك كمن على عينيه غطاء لا يبصر ما امامه ، فان الله عز وجل يتعالى عن العبث والفساد وعن مطالبة العباد بما منعهم بالقهر منه فلا يأمرهم بمغالبته ولا بالمصير الى ما قد صدهم بالقسر عنه ثم قال : ولهم عذاب عظيم اي لهم العذاب المعد للكافرين في الآخرة .

وجاء عنه ايضا في تفسير قوله تعالى : ﴿ الذي جعل لكم الأرض فراشا ﴾ انه قال : لقد جعلها ملائمة لطبائعكم موافقة لاجسادكم لم يجعلها شديدة الحرارة فتحرقكم ولا شديدة البرودة فتجمدكم ولا شديدة في روائحها الطيبة فتصدع هاماتكم ، ولا في روائحها النتنة فتعطبكم ، ولا شديدة اللين كالماء فتغرقكم ، ولا شديدة الصلابة فتمتنع عليكم في حرثكم وبنائكم ، ولكنه جعل فيها من المتانة ما تنتفعون به وتتماسك عليها ابدانكم وبنيانكم ،

وجعل فيها من الليونة ما تنقاد به لحرثكم ومنافعكم ، فلذلك جعلها لكم فراشا ، وجعل السماء بناء يعني سقفا من فوقكم محفوظا يدير فيها الشمس والقمر والكواكب لمنافعكم ، وأنزل من السماء المطر ، انزله من جهة العلو ليبلغ قمم الجبال وتلالكم وهضابكم واوهادكم ثم فرقه رذاذا ووابلا وهطلا وطلالا لاصلاح ارضكم وأشجاركم وثماركم وأخرج بالمطر الذي ارسله بهذا النحو من كل الثمرات رزقا لكم ، فلا تجعلوا لله اندادا وأشباها تعبدونها وهي لا تقدر على شيء من تلك النعم الجليلة التي انعمها عليكم .

وجاء عنه في تفسير قوله تعالى: ﴿**ومنهم اميون لا يعلمون الكتاب الا اماني**﴾، ان الامي منسوب الى امه اي هو كما خرج من بطن امه لا يقرأ ولا يكتب لا يعلمون الكتاب المنزل من السماء ولا الكتاب الذي وضعوه ولا يميزون بينهما الا اماني ، اي الا ان يقرأ عليهم ويقال لهم هذا كتاب الله وكلامه ، وان هم الا يظنون ، أي ما يقرأ عليهم رؤساؤهم من تكذيب محمد في نبوته ويقلدونهم مع انه محرم عليهم تقليدهم ﴿**فويل للذين يكتبون الكتاب بأيديهم ثم يقولون هذا من عند الله**﴾، هؤلاء قوم من اليهود كتبوا صفة زعموا انها صفة محمد (ص) وهي خلاف صفته وقالوا للمستضعفين منهم هذه صفة النبي المبعوث في آخر الزمان انه طويل عظيم البدن والبطن اصهب اشعر ، ومحمد (ص) بخلاف ذلك ويجيء بعد هذا الزمان بخمسمائة سنة ، وانما ارادوا بذلك ان تبقى لهم على ضعفائهم رياستهم وتدوم لهم ، وقد قال الله سبحانه : ﴿ **فويل لهم مما كتبت ايديهم وويل لهم مما يكسبون** ﴾ .

وقال له رجل كما يدعي الراوي : فاذا كان هؤلاء القوم من اليهود لا يعرفون الكتاب الا بما يسمعونه من علمائهم ولا سبيل لهم الى غيره ، فكيف ذمهم بتقليدهم والقبول من علمائهم ، وهل عوام اليهود الا كعوامنا يقلدون علماءهم ، فقال (ع) : بين عوامنا وعلمائنا وعوام اليهود وعلمائهم فرق من جهة وتسوية من جهة ، اما من حيث استووا فان الله قد ذم عوامنا بتقليدهم علماءهم كما ذم عوامهم ،وأما من حيث افترقوا فان عوام اليهود كانوا قد عرفوا

علماءهم بالكذب وأكل الحرام والرشا وتغيير الاحكام عن واقعها بالشفاعات والمصانعات وعرفوا بالتعصب الشديد الذي يفارقون به اديانهم وغير ذلك مما عرفوهم به فلذلك ذمهم لما قلدوا من عرفوه وعلموا انه لا يجوز عليهم قبول خبره وتصديقه فيما جاءهم به ووجب عليهم النظر بأنفسهم في امر رسول الله (ص) اذ كانت دلائله اوضح من ان تخفى وكذلك عوام امتنا اذا علموا من فقهائهم الفسق والعصبية الشديدة والتكالب على حطام الدنيا وحرامها ، فمن قلد من عوامنا مثل هؤلاء الفقهاء فهم مثل اليهود الذين ذمهم الله بالتقليد لفسقة فقهائهم ، اما من كان من الفقهاء صائناً لنفسه حافظا لدينه مخالفا لهواه مطيعا لأمر مولاه فللعوام ان يقلدوه ، وذلك لا يكون الا بعض فقهاء الشيعة لا جميعهم ، فان من ركب من القبائح والفواحش مراكب فسقة فقهاء العامة فلا تقبلوا منه عنا شيئا ولا كرامة ، وانما كثر التخليط فيما يتحمل عنا اهل البيت لذلك لأن الفسقة يتحملون عنا فيحرفونه لجهلهم ويضعون الاشياء على غير وجهها لقلة معرفتهم .

وآخرون يتعمدون الكذب علينا ليجنوا من عرض الدنيا ما هو زادهم الى نار جهنم ، ومنهم قوم نصاب لا يقوون على القدح فينا يتعلمون بعض علومنا الصحيحة فيتوجهون به عند شيعتنا ثم يضيفون اليه أضعاف وأضعاف أضعافه من الاكاذيب علينا التي نحن براء منها فيتقبله المستسلمون من شيعتنا على أنه من علومنا فضلوا وأضلوا وهم أضر على ضعفاء شيعتنا من جيش يزيد على الحسين بن علي (ع) وأصحابه .

وأضاف الى ذلك ان رسول الله (ص) قال : اشرار علماء امتنا المضلون عنا القاطعون الطرق الينا المسمون اضدادنا بأسمائنا الملقبون اندادنا بألقابنا يصلون عليهم وهم للعن مستحقون ويلعنونا ونحن بكرامات الله مغمورون ، وبصلوات الله وصلوات ملائكته المقربين علينا عن صلواتهم مستغنون ، ومضى الإمام العسكري كما يزعم الراوي يقول : قيل لأمير المؤمنين علي بن أبي طالب (ع) من خير خلق الله بعد ائمة الهدى ومصابيح

الدجى ، فقال : العلماء اذا صلحوا ، قيل له : فمن شرار خلق الله بعد ابليس وفرعون والنمرود وبعد المتسمين بأسمائكم والملقبين بألقابكم والمتآمرين على الناس ، فقال (ع) : العلماء اذا فسدوا وهم المظهرون للاباطيل والكاتمون للحقائق وفيهم قال الله : اولئك يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون .

وروى يوسف بن محمد بن زياد وعلي بن محمد بن سيار انهما قالا للحسن ابي القائم (ع) : ان قوما عندنا يزعمون ان هاروت وماروت ملكان اختارتهما الملائكة لما كثر عصيان بني آدم وأنزلهما الله مع ثالث لهما الى الدنيا وانهما افتتنا بالزهرة وأرادا الزنا بها وشربا الخمر وقتلا النفس المحرمة وان الله يعذبهما ببابل وان السحرة يتعلمون السحر منهما ، وان الله مسخ تلك المرأة هذا الكوكب الذي هو الزهرة ، فقال (ع) : معاذ الله من ذلك ان الملائكة معصومون من الكفر والقبائح بألطاف الله ، وقد قال سبحانه فيهم : ﴿ **لا يعصون الله ما امرهم ويفعلون ما يؤمرون** ﴾ ، وقال : وله من في السموات والأرض ومن عنده لا يستكبرون عن عبادته .

وقال في الملائكة : بل عباد مكرمون لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون ، ومضى يقول : ان الله لم يبعث الملائكة الى الأرض ليكونوا ائمة وحكاما وانما ارسلوا الى انبياء الله ليبلغوهم رسالات ربهم ، فقال له السائل : فعلى هذا لم يكن ابليس ملكا ، فقال لا بل كان من الجن ، الم تسمع قول الله : ﴿ **واذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا الا ابليس كان من الجن** ﴾ .

وجاء عنه انه كان يقول : اعرف الناس بحقوق اخوانه وأشدهم قضاء لها اعظمهم عند الله شأنا ، ومن تواضع في الدنيا لاخوانه فهو عند الله من الصديقين ومن شيعة علي بن ابي طالب حقا ، ومن رضي بدون الشرف من المجالس لم يزل الله وملائكته يصلون عليه حتى يقوم .

وقال (ع) : الاشراك في الناس اخفى من دبيب النمل على المسح

الاسود في الليلة المظلمة ، وحب الابرار للابرار ثواب للابرار وحب الفجار للابرار فضيلة للابرار وبغض الفجار للابرار زين للابرار وبغض الأبرار للفجار خزي على الفجار .

من التواضع السلام على من تمر به والجلوس دون شرف المجلس ، ومن الجهل الضحك من غير عجب .

وقال لجماعة من شيعته : اوصيكم بتقوى الله والورع في دينكم وصدق الحديث واداء الامانة الى من ائتمنكم من بر او فاجر وطول السجود وحسن الجوار فبهذا جاء محمد (ص) : صلوا في عشائركم واشهدوا جنائزكم وعودوا مرضاكم وأدوا للناس حقوقهم ، فان الرجل منكم اذا ورع في دينه وصدق في حديثه وأدى للناس الامانة وحسن خلقه معهم وقيل هذا شيعي يسرني ذلك ، اتقوا الله وكونوا لنا زينا ولا تكونوا شيناً جروا الينا كل مودة وادفعوا عنا كل قبيح فما قيل فينا من خير فنحن اهله ، وما قيل فينا من سوء فنحن منه براء لنا حق في كتاب الله وقرابة من رسول الله وولادة طيبة لا يدعي ذلك غيرنا الا كذاب .

وقال لهم : ليس العبادة كثرة الصيام والصلاة وانما هي كثرة التفكر في امر الله ، بئس العبد عبد يكون ذا وجهين وذا لسانين يطري اخاه شاهدا ويأكله غائبا ان اعطي حسده وان ابتلي خذله ، والغضب مفتاح كل شر ، وأقل الناس راحة الحقود ، وأزهد الناس من ترك الحرام ، من يزرع خيرا يحصد غبطة ومن يزرع شرا يحصد الندامة ، قلب الاحمق في فمه وفم الحكيم في قلبه .

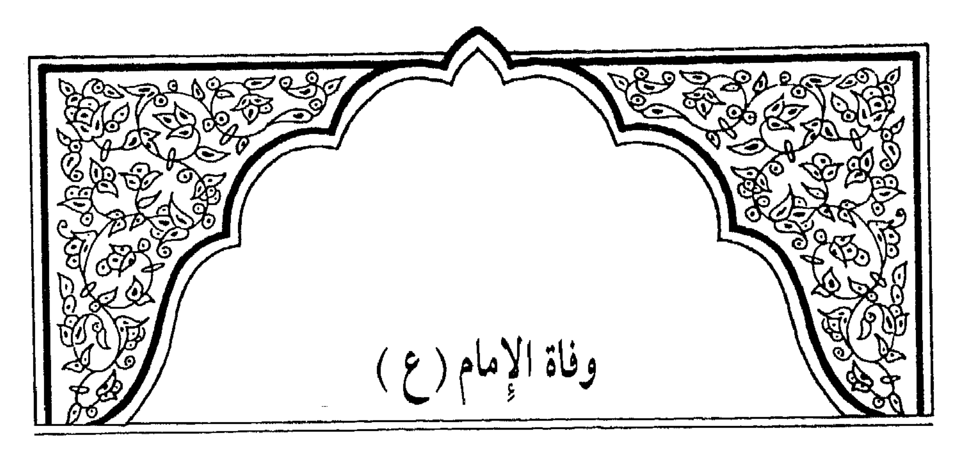
وقال لبعض اصحابه : لا يشغلك رزق مضمون عن عمل مفروض ، ومن تعدى في طهوره كان كناقضه ، وما ترك الحق عزيز الا ذل ولا اخذ به ذليل الا عز ، خصلتان ليس فوقهما شيء الايمان بالله ونفع الاخوان ، وجرأة الولد على والده في صغره تدعو الى العقوق في كبره ، وليس من الادب اظهار

الفرح عند المحزون .

وقال (ع) : من وعظ اخاه سرا فقد زانه ومن وعظه علانية فقد شانه ، وما اقبح بالمؤمن ان تكون له رغبة تذله ولا يعرف النعمة الا الشاكر ولا يشكرها الا العارف ، وادفع المسألة ما وجدت التحمل يمكنك فان لكل يوم رزقا جديدا ، والالحاح في الطلب يسلب البهاء ويورث التعب والعناء فاصبر حتى يفتح الله لك بابا يسهل الدخول فيه فلا تعجل على ثمرة لم تدرك ، واعلم ان المدبر لك اعلم بالوقت الذي يصلح حالك فيه فثق بخبرته في جميع امورك يصلح حالك ، ولا تعجل بحوائجك قبل وقتها فيضيق قلبك وصدرك ويغشاك القنوط .

وكان يقول : من ركب ظهر الباطل نزل به دار الندامة ، والمقادير الغالبة لا تدفع بالمغالبة ، والارزاق المكتوبة لا تنال بالشره ولا تدفع بالامساك عنها ، وكفاك ادبا تجنبك ما تكره من غيرك ، وخير اخوانك من نسي ذنبك وذكر احسانك وأضعف الاعداء كيدا من أظهر عداوته ، ومن انس بالله استوحش من الناس وعلامة الانس بالله الوحشة من الناس ، وجعلت الخبائث في بيت ومفتاحه الكذب .

الى غير ذلك من وصاياه ونصائحه التي كان يوجهها لعامة الناس وأصحابه في محاولة منه لبيان ما يجب ان يكون عليه المسلم من الاخلاق والصفات التي هي ابلغ في الدعوة الى الاسلام من كل ما يمكن ان يستعمل في سبيل ذلك ، وفي الوقت ذاته فان هذه الواجهة التي برزت في اخلاق اهل البيت وتعاليمهم وسيرتهم تكشف زيف وواقع اولئك الذين حكموا باسم الإسلام وكانوا واجهته عند بقية الامم التي كانت تنظر اليه من زاويتهم ولا اكون مغاليا اذا قلت بأن تعثر الإسلام في مسيرته وتأخر المسلمين عن غيرهم في الماضي والحاضر ناتج عن تلك الصور القاتمة التي تركها اولئك الطغاة وتوارثها من جاء بعدهم من الادعياء حتى عصرنا الحالي فحكموا باسم الاسلام ويتكلمون باسم الدين والاسلام وهم من ألد اعدائه وخصومه .



وفاة الإمام (ع)

لقد اتفقت الروايات على ان وفاته كانت سنة ٢٦٠ من الهجرة بعد اربع سنوات مرت من ملك احمد بن جعفر المتوكل المعروف بالمعتمد ولم يترك من الاولاد سوى ولده محمد بن الحسن المهدي المنتظر بعد ان نص على امامته وطول حياته وظهوره بعد تلك الغيبة الطويلة ليملأ الأرض قسطا وعدلا بعدما ملئت ظلماً وجوراً كما ورد عن جده الرسول الأعظم وتوالت النصوص عليه من اجداده ائمة الهدى واحدا بعد واحد الى ان كانت ايام ابيه فنص على امامته وغيبته وظهوره كما اعتاد كل امام ان ينص على خليفته .

وكانت وفاة الإمام العسكري على ما يبدو من بعض المرويات خلال النصف الأول من شهر ربيع الأول سنة ٢٦٠ كما ذكرنا بعد مرض رافقه ثمانية ايام ، وقيل ان مرضه كان نتيجة عمل عدواني قام به المعتمد العباسي فدس اليه من وضع له السم في الطعام ، والى ذلك ذهب جماعة من محدثي الشيعة وعلمائهم واعتمد هؤلاء على رواية وردت على لسان بعض المحدثين عن الإمام الصادق (ع) جاء فيها انه قال : ما منا الا مقتول او مسموم ، وعلى اساسها ذهبوا الى ان الأئمة (ع) كانوا ضحايا الغدر والعدوان ، وان من لم يمت منهم بالسيف مات مسموماً وأنا لا أستبعد ذلك على الحكام مع من يتخوفون منه على عروشهم والتاريخ مليء بالشواهد على ذلك ، وقد قال

الرشيد لـولده المأمون في حـوار جرى بينهما بخصوص الامـام موسى بن جعفـر (ع) : لو نازعتني في الملك لاخـذت الذي فيـه عيناك ، وبـلا شك فـان حكام بني العباس كانوا يحاذرون من الأئمـة ويتخوفـون منهم على عـروشهم ويتأثـرون بالوشايات التي كـانت تردهم من اعـداء اهل البيت واجهـزتهم ولهذه الاسبـاب فقد تعرضوا لكل انواع التحديات والضغوط وحتى للسجـون بين الحـين والآخر ولـلاقامـة الجبـريـة الى جـوارهم في بغـداد وسـامـراء ولغـير ذلـك مما يـدمغهم بالاتهام ، ولكن ذلـك وحده لا يشكـل دليلا عـلى ان الإمام العسكـري او غيره مات مسموما ، والروايات التي تعرضت لـوفاتـه واعتمدهـا المؤلفون في سيـرته لم تتعرض لذلـك ، وأشهر مـا رواه الرواة عن احمـد بن عبيد الله بن خـاقان وزيـر المعتمد يوم ذاك ، وقد نقلنا القسم الأول منها خلال حـديثنا عن مـوقف الحكام منه وبقي القسم الثاني المتعلق بوفاتـه وقد اعتمـده الكليني والمفيد والصـدوق في معرض حديثهم عن وفاته .

وقـد جـاء فيـه : ولقـد ورد عـلى السلطان وأصحـابـه في وقت وفـاة الحسن بن عـلي مـا تعجبت منـه ومـا ظننت انـه يكـون ، وذلـك انـه لما اعتـل الحسن بعث الى ابي ان ابن الرضا قـد اعتل فـركب من ساعتـه الى دار الخلافـة ثم رجـع ومعه خمسـة من خدم امـير المؤمنين كلهم من ثقـاته وخـاصته وأمـرهم بلزوم دار الحسن وتعرف حاله وبعث الى نفر من المتـطببين وأمـرهم بالاختـلاف اليه وتعهده صباحا ومسـاء ، فلما كان بعـد ذلك بيـومين او ثـلاثة اخبـر انه قـد ضعف ، فـركب حتى بكر اليـه وأمـر المتـطببين بلزوم داره ، وبعث الى قـاضي القضـاة وأمره ان يختـار عشرة ممن يـوثق بهم في دينهم وورعهـم ويـأمـرهم بلزوم دار الحسن بن عـلي ليـلا ونهارا ، فـأرسلهم قـاضي القضـاة ولازمـوا داره حتى توفي ، ومضى احمد بن عبيـد الله بن خاقـان يقول : فلما ذاع خبـر وفاتـه صارت سر من رأى ضجـة واحدة ، ثم اخـذوا في تجهيزه وعـطلت الاسواق وركب بنـو هـاشم والقواد والكتّـاب والقضاة وسـائر النـاس الى جنـازتـه ، فكـانت سر من رأى يـومئـذ شبيهـا بـالقيـامـة ، فلما فـرغـوا من تهيئتـه بعث السلطان الى ابي

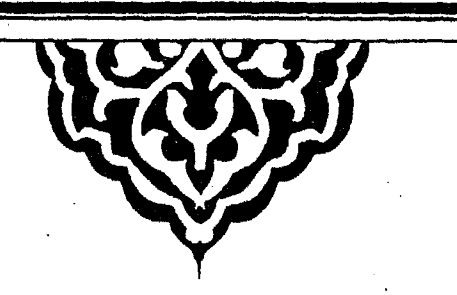
عيسى بن المتوكل فأمره بالصلاة عليه فلما وضعت الجنازة للصلاة دنا ابو عيسى منه فكشف عن وجهه وعرضه على بني هاشم من العلوية والعباسية والقواد والكتّاب والقضاة ، وقال : هذا الحسن بن علي بن محمد الرضا قد مات حتف انفه على فراشه وحضره من خدم امير المؤمنين فلان وفلان ومن المتطببين فلان وفلان ثم غطى وجهه وصلى عليه وكبر خمساً وأمر بحمله فحمل من وسط داره ودفن في البيت الذي دفن فيه ابوه .

وأضاف الى ذلك احمد بن عبيد الله كما يدعي الراوي : انه لما دفن جاء اخوه جعفر الى ابي وقال له : اجعل لي مرتبة ابي وأخي واوصل اليك في كل سنة عشرين الف دينار فزبره ابي وأسمعه ما كره ، وقال له : يا احمق ان السلطان اعزه الله جرد سيفه وسوطه في الذين زعموا ان اباك وأخاك إمامان ليردهم عن ذلك فلم يقدر عليه وجهد ان يزيل اباك وأخاك عن تلك المرتبة فلم يتهيأ له ذلك ، فان كنت عند شيعة ابيك وأخيك اماما فلا حاجة بك الى سلطان يعطيك مراتبهما ولا غير سلطان ، وان لم تكن عندهم بهذه المنزلة لم تنلها ، وقد استقله ابي عند ذلك واستضعفه وأمر ان يحجب عنه فلم يأذن له بالدخول عليه حتى مات ابي .

وكل من تحدث عن وفاة الإمام ابي محمد الحسن بن علي قد ذكر هذه الرواية التي وصفت مرض الإمام وموته وموقف الخليفة من ذلك ، وحتى القائلين بأنه مات مسموما قد ذكروها في طليعة ما ذكروه حول وفاته واعتمدوا على رواية ضعيفة يدعي راويها ان الإمام الصادق قال : ما منا الا مقتول او مسموم وغفلوا او تغافلوا عما تشير اليه رواية احمد بن عبيد الله من ان المعتمد العباسي لم يكن بريئا من دم الإمام (ع) وانه كان متهما بذلك يوم ذاك ، وقد اراد بموقفه الذي وقفه خلال الايام التي كان الإمام يعاني فيها من علته ان يدفع التهمة عن نفسه ، والا فلماذا استدعى وزيره عندما بلغه ان الإمام قد اعتل . وأمر خاصته والاطباء بلزوم داره ، كما امر قاضي قضاته باختيار عشرة

من ذوي الدين والورع ليلازموه ليلا ونهارا ، ولماذا وضع الجنازة ابو عيسى بن المتوكل واشهد العلويين والعباسيين والقواد والقضاة بأنه مات حتف انفه ، كل ذلك حسبما اظن لم يكن لولا انه كان ضالعا في الجريمة وان الاصابع كانت تشير اليه يوم ذاك والله أعلم بواقع الحال .

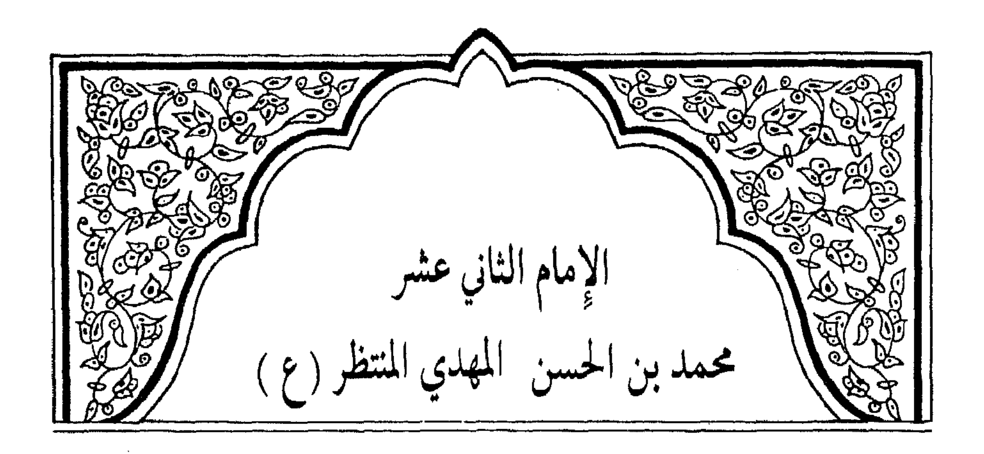
وجاء في رواية الصدوق في الاكمال بسنده الى ابي الاديان انه قال : كنت اخدم الحسن بن علي (ع) وأحمل كتبه الى الامصار فدخلت اليه في علته التي توفي فيها فكتب كتبا وقال : تمضي بها الى المدائن ، فخرجت بالكتب وأخذت جواباتها ورجعت الى سر من رأى يوم الخامس عشر فاذا انا بالواعية في داره ، وجعفر بن علي بباب الدار والشيعة حوله يعزونه ويهنئونه فقلت في نفسي : ان يكن هذا الامام فقد حالت الامامة ، ثم خرج عقيد الخادم ، فقال : يا سيدي قد كفن اخوك فقم للصلاة عليه فدخل جعفر والشيعة من حوله فلما صرنا بالدار واذا نحن بالحسن بن علي على نعشه ، فتقدم جعفر ليصلي عليه فلما هم بالتكبير خرج صبي بوجهه سمرة وبشعرة قطط وبأسنانه تفليج فجذب رداء جعفر بن علي وقال : تأخر يا عم انا احق منك بالصلاة على ابي ، فتأخر جعفر وقد اربد وجهه فتقدم الصبي فصلى عليه ودفن الى جانب قبر ابيه حيث مشهدهما كعبة للوافدين وملاذ لشيعة اهل البيت يتبركون به ويتوسلون الى الله سبحانه بحرمة من دفن في ثراه ان يدخلهم في رحمته ويجمعهم على الحق والهدى ويوفقهم للسير على خطى أهل البيت الذين اذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا .



الإمام الثاني عشر

الحجة بن الحسن المهدي "عليهما السلام"


Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)



الإمام الثاني عشر
محمد بن الحسن المهدي المنتظر (ع)

لقـد ولد الإمـام ابو القـاسم محمد بن الحسن مهـدي هـذه الأمـة وأملهـا المرتجى الذي يحيـي الله به الحق والعدل ويعيد الى الأمة حـريتها وكـرامتها ويمـلأ الأرض قسـطا وعدلا بعـد مـا ملئت ظلما وجـورا ، ولـد في النصف من شعبـان سنـة ٢٥٥ قبل ان تصـل الخلافـة الى المهتدي العبـاسي بشهـر تقـريبـا ، وتـوفي والـده (ع) وله من العمـر خمس سنوات كـما جاء في اكثر الروايـات فـآتـاه الله الحكمة وجعله آية للعالمين وامـاما للمسلمـين كما جعـل عيسى بن مريم وهـو في المهد نبيا .

وتدل بعض المرويات ان حكيمة عمة الإمام العسكـري زارته في يـوم من الايـام قبيـل ولادة الإمـام محمـد بن الحسن (ع) ولمـا ارادت ان تـذهب رغب اليهـا الإمام بـأن تبقى في بيته تلك الليلة وأخبـرها بـأن زوجته نـرجس ستلد له المولود المبارك ولم يكن قد ظهر عليها اثر من آثار الحمـل وبعد حـوار طويـل بين حكيمـة والإمام (ع) كـما يروي الـرواة باتت ليلتهـا في بيتـه الى جـوار زوجتـه وقبيل الفجر من ليلة النصف من شعبـان انتبهت نرجس من نـومها وعليهـا آثار الاعياء وتمت الولادة عـلى يد حكيمـة عمة الإمـام العسكري (ع) وأمـر الإمام ابا عمر عثمان بن سعيد بأن يعق عنه عـددا من الشياه وان يشتـري كمية كبيـرة

من اللحم والخبز ليوزعه على الفقراء ، فنفذ عثمان بن سعيد امر الإمام كما يريد .

وقد ولد الحجة محمد بن الحسن لأبيه من ام رومية تدعى سوسن ونرجس وريحانة وصقيلة ولعلها كانت تعرف بين أفراد عائلة الإمام بنرجس ، وأكثر ما كان الإمام يناديها بهذا الاسم ، وقيل ان الإمام الهادي قد ارسل بعض خاصته الى بغداد حيث كانت تعرض الغنائم في سوق من اسواقها فاشتراها له وزوجّها من ولده الحسن (ع) ، وقيل إنها كانت لحكيمة شقيقة الامام الهادي (ع) وزوجتها لابن اخيها الحسن العسكري .

وتذهب الروايات التي تحدثت عنها بأنها كانت من بنات الملوك وان امها من ولد شمعون الصفا ، وقد حاول جدها القصير ان يزوجها من ابن اخيه واجتمع الناس لهذه الغاية ، وقبل ان يتم الزواج تساقطت الصلبان وانهارت اعمدتها وخر العريش عن عرشه مغشيا عليه فتشاءم جدها قيصر ومن حوله من الاساقفة الذين اجتمعوا لاجراء مراسيم الزواج وانتهى المجلس بدون ان يتم شيء ، وتضيف بعض الروايات الى ذلك انها رأت في الطيف كأن في مجلس جدها اجتماعا ضم السيد المسيح وشمعون الصفا وجماعة من الحواريين ، ودخل عليهم النبي العربي محمد بن عبد الله في جماعة من ولده فيهم ابو محمد الحسن العسكري (ع) فخطبها النبي الى حفيده العسكري ورحب المسيح بطلبه وتم الزواج بينهما في حديث طويل ينتهي به الراوي الى ان ابا محمد العسكري اتاها في بعض الليالي وأخبرها بأن جدها سيحشد جيشا لحرب المسلمين وأمرها ان تخرج مع الجيش ، فتخرج معه كما امرها وتقع اسيرة في يد المسلمين ، وأرسل الإمام بعد ذلك من يشتريها له من سوق النخاسين فاشتراها له بشر النخاس وحملها الى سامراء حيث يقيم الإمام (ع) فبشرها بمولودها المبارك المهدي المنتظر الذي يملك الدنيا ويملأ الأرض قسطا وعدلاً بعدما ملئت ظلماً وجورا .

وقد اختصرنا الحديث لعدم الفائدة من نقله بكامله وبنصه الحرفي كما جاء في كتب الحديث وممن رواه الصدوق في اكماله والطوسي في غيبته ، والمجلسي في بحاره وأكثر المحدثين في مجاميعهم التي حشدوا فيها الغث والسمين والصدف الى جانب الجوهر .

وقد اشتمل الحديث على بعض الخصوصيات التي ترجح كونه من صنع القصاصين والكذبة ، على ان الرواة له من المجاهيل ولم يرد لهم ذكر فيما بين يدي من كتب الرجال .

والمتفق عليه بين الرواة الموثوقين انها اشتريت للإمام ابي محمد من الاسواق التي كانت تباع بها الاسرى وكانت من الصالحات الناسكات ، وقد خفي حملها بالمهدي حتى على اكثر النساء اللواتي كن على صلة بها وشاء الله لها ان تكون اماً لأكرم مولود حارت به ظنون اقوام وضلت به عقول آخرين ، ولم يؤمن به سوى المؤمنين برسالة جده المصطفى وآبائه ائمة الهدى ، وسيخرج يوم يأذن الله له بذلك فيملأ الأرض قسطا وعدلا كما ملئت ظلما وجورا .



المهدي في الاديان

لقد استعمل المحدثون والادباء والشعراء كلمة المهدي لكل من تلبس بالهدى والصلاح ودعا الى الحق والخير والصراط المستقيم كما استعملها النبي (ص) في هذا المعنى وهو يتحدث مع المسلمين في بعض المناسبات ويقول لهم : وان تؤمروا عليكم عليا ولا اراكم فاعلين تجدوه هاديا مهديا يأخذ بكم الى الصراط المستقيم ، ووصف بها الإمام الصادق (ع) الأئمة الاثني عشر كما جاء في رواية ابي بصير حيث قال : منا اثنا عشر مهديا مضى ستة وبقي ستة يصنع الله بالسادس ما احب ، كما وصفهم بها غير الإمام الصادق من الأئمة (ع) ، ولما قيل للإمام الصادق انت المهدي من اهل البيت ؟ اجاب : كلنا مهديون نهدي الى الحق والى الصراط المستقيم .

واستعارها الشعراء في مدح ملوك العباسيين والامويين تزلفاً ورياء وطمعا في برهم وجوائزهم وعد بعض التابعين عمر بن عبد العزيز مهديا ومن ائمة الهدى لأنه كان معتدلا ومستقيما في سيرته وسلوكه ، وجاء الى الحكم بعد اولئك الذين مثلوا كل انواع الظلم والجور والاستهتار بالقيم والاخلاق .

ولقد حدد امير المؤمنين المحتوى لكلمة المهدي في وصفه للأئمة من اهل البيت بقوله : انا اهل البيت من علم الله علمنا وبحكم الله حكمنا ومن قول

صادق سمعنا فان تتبعوا آثارنا تهتدوا بهدينا وترشدوا ببصائرنا معنا راية الحق والهدى من اتبعها لحق ومن تأخر عنها غرق . الى غير ذلك من المناسبات الكثيرة التي كان الأئمة (ع) وغيرهم يصفون بها من يهدي الى الحق والخير والى الصراط المستقيم ، غير انها بالمعنى الذي اصبحت فيه علما على الإمام الثاني عشر محمد بن الحسن العسكري ومن مختصاته تقريبا لها دلالة اوسع وأشمل من المعنى الذي كانت تستعمل فيه كوصف لكل نبي وامام وحتى لكل مصلح يدعو الى الهدى والحق والصراط المستقيم ، انها بالمعنى الذي أصبحت فيه علما على الإمام الثاني عشر محمد بن الحسن ولا يفهم منها غيره عند استعمالها وبخاصة عند الشيعة لا تعني من يتلبس بالهدى ويدعو الى الله والحق والصراط المستقيم فحسب ، بل تعني بالاضافة الى كل ذلك وغيره من معاني الخير انه سيقود الثورة على الظالمين والجائرين ويحارب الطغاة والجبابرة ويخلص البشرية مما تعانيه من قهر وجور وعدوان وما الى ذلك مما عانته البشرية منذ آلاف السنين وما زالت تعانيه وستعاني في المستقبل اشد وأسوأ مما عانته في الماضي والحاضر الى ان يحين الوقت الذي يأذن له الله فيه بالظهور فيملأ الأرض قسطا وعدلا كما ملئت ظلما وجوراً .

وقد قيل ان هذه الكلمة التي اصبحت علما على الإمام الثاني عشر (ع) بما تعنيه في المرويات عن النبي (ص) وعن الأئمة الكرام . وعند الشيعة الامامية ليست من مختصات الفكر الشيعي كما ذهب الى ذلك جماعة من الكتّاب العرب والمستشرقين ، ذلك لأن الاعتقاد بظهور مخلص للبشرية مما تتخبط فيه شائع في الديانات القديمة وعند بعض الأمم التي لا ترجع الى الاديان السماوية ، ويدعي هؤلاء ان انبياء بني اسرائيل بشروا بظهور محرر ومخلص يبعثه الله ليخلص البشرية مما تعانيه ، وأنكروا ظهور المسيح عيسى بن مريم وقالوا انه دعي كاذب وان المسيح المخلص سيظهر في آخر الزمان او في زمان ما ، وما زال الكثير منهم ينتظرون ظهوره ، كما لا يزال الكثير من المسيحيين يعتقدون برجعة المسيح لانقاذ العالم من الظلم ومن فتك الانسان

بأخيه الانسان .

ويدعي الدكتور احمد محمود صبحي في كتابه نظرية الإمامة عند الشيعة الاثني عشرية ان مسيحيي الاحباش ينتظرون عودة مليكهم (تيودور) كمهدي في آخر الزمان ، وأضاف الى ذلك ان في الديانات غير المسيحية عقائد لا تختلف عن المهدي عند المسلمين اختلافا كبيرا ، اذ يعتقد المغول ان تيمورلنك او جنكيزخان قد وعد قبل موته بعودته الى الدنيا لتخليص قومه من الحكم الصيني .

وفي الاساطير الفارسية ينتظر المجوس (اشيدر بابي احد اعقاب زرادشت) ، ومضى يقول : وفي الديانات المصرية القديمة وكتب الصينيين وعقائد الهنود القدامى المتعلقة بتناسخ الأرواح عقائد مماثلة لما عند الفرس القدامى الى غير ذلك مما جاء في مؤلفات بعض الكتّاب من العرب والمستشرقين حول الاديان والمعتقدات ، غير ان هؤلاء الذين مهدوا للحديث عن مهدي الشيعة بعرض هذه الافكار قد انتقلوا من عرضها الى ان فكرة المهدي عند الشيعة مستمدة من اولئك القدامى الذين كانوا يمنون انفسهم بظهور من يخلصهم من الظلم والطغيان ، وأضافوا الى ذلك ان الظروف التي مرت على الشيعة منذ مطلع تاريخهم جعلتهم يفكرون بنفس تفكير اولئك الذين كانوا ينتظرون من يخلصهم من شرور الحكام وطغيانهم الى غير ذلك من الخلط والهراء والتخريف .

ولو افترضنا ان الديانات السماوية التي سبقت الإسلام قد بشرت بظهور مخلص ينقذ البشرية مما تعانيه كما ينسب الى انبياء بني اسرائيل وإلى اليهودية أليس من الجائز ان يكون ذلك النبي الذي بشر بالمنقذ والمخلص في آخر الزمان عن الله سبحانه قد اشار الى المهدي الذي بشر به محمد بن عبد الله (ص) كما كان الأنبياء يخبرون عما يجري في مستقبل الزمان بواسطة وحي السماء وكما كان كل نبي يبشر بمن يأتي بعده من الأنبياء ، وقد بشرت توراة

موسى بظهور السيد المسيح ، ولكن اليهود قد مسخوها وحرفوها وادعوا بأن الذي ظهر كان دعياً وسيظهر عيسى في آخر الزمان ، كما انكر المسيحيون نبوة محمد بن عبد الله وحرفوا الانجيل الذي بشر به وما زالوا يحاربون الإسلام بكل ما لديهم من قوة وبالكذب والتشويه والتحريف .

ومجمل القول ان فكرة المخلص والمنقذ للبشرية مما تعانيه اذا صح بأنها فكرة كانت شائعة عند الامم السابقة ومستمدة من الشرائع فلا تتنافى مع التفكير الشيعي في المهدي المنتظر الذي بشر النبي (ص) بظهوره عندما يأذن له الله بذلك .

أما ان فكرة المهدي عند الشيعة قد تسربت اليهم من اليهودية والمسيحية بعد ان غلبوا على امرهم كما يزعم احمد امين في المجلد الثالث من ضحى الاسلام وغيره ممن يجدون في تشويه العقيدة الشيعية سواء في ذلك ما كان منها في المهدي وغيره ، فهو من الهراء الذي لا يعتمد على العلم والمنطق ولا مصدر له الا الحقد الموروث على اهل البيت وشيعتهم منذ اقدم العصور كما يبدو ذلك لكل من يدرس تاريخ التشيع والظروف التي احاطت به بتجرد واخلاص .

ومهما كان الحال فلما شاعت اخبار المهدي وانه من اهل البيت ومن ذرية فاطمة وضع الامويون حديث السفياني بواسطة خالد بن يزيد بن معاوية ، وقالوا بأنه سيخرج في آخر الزمان ويحكم البلاد والعباد ويعوض عما خرج من ايديهم الى مروان بن الحكم وبنيه كما جاء في النجوم الزاهرة في اخبار مصر والقاهرة ، وعز على العباسيين ان يكون للامويين سفياني يخرج في آخر الزمان وللعلويين مهدي وهم المنافس الوحيد لهم .

بعد ان تقلص ظل الامويين عز عليهم ان لا يكون لهم مهدي فوضع لهم انصارهم بعض الاحاديث التي تشير الى ان المهدي منهم وانه سيخلص البشرية مما تعانيه من ظلم الأمويين .

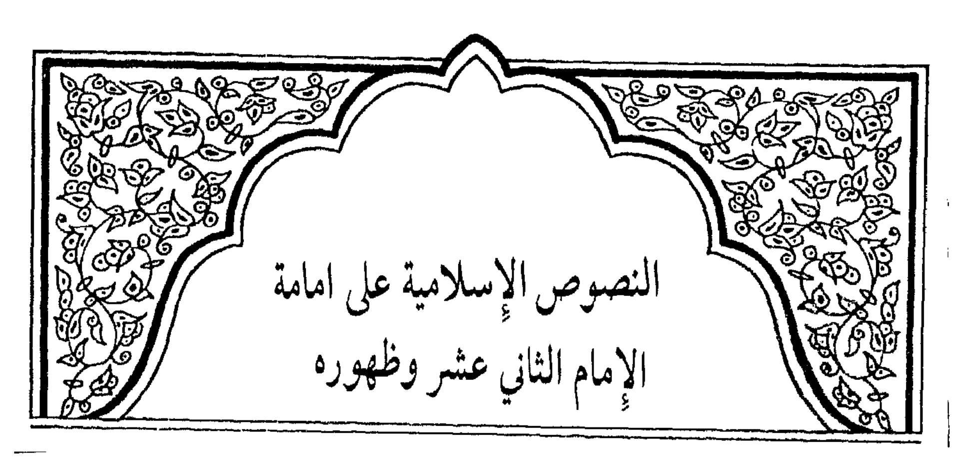
فقد جاء في الطبراني عن ابن عمر انه قال : كان رسول الله (ص) في نفر من المهاجرين والانصار وعلي بن ابي طالب عن يساره ، والعباس بن عبد المطلب عن يمينه اذ تلاحى العباس ونفر من الانصار وأغلظ الانصار للعباس فأخذ النبي بيده وبيد علي ، وقال : سيخرج من صلب هذا من يملأ الأرض جورا وظلما ، ويخرج من صلب هذا من يملأ الأرض قسطا وعدلا فإذا رأيتم ذلك فعليكم بالفتى التيمي فانه يقبل من المشرق وهو صاحب راية الهدى ، ولما انتصر العباسيون على الامويين قالوا بأن المهدي منهم لانهم اصحاب الرايات التي خرجت من المشرق بقيادة ابي مسلم .

وروى الحاكم عن ابن عباس انه قال : منا اهل البيت اربعة : السفاح والمنذر والمنصور والمهدي ، فقال مجاهد : بيِّن لي هؤلاء الأربعة ، فقال ابن عباس : اما السفاح فربما قتل انصاره وعفا عن اعدائه ، وأما المنذر فانه يعطي المال الكثير ولا يتعاظم في نفسه ويمسك القليل من حقه ، وأما المنصور فانه يعطى النصر على عدوه مسيرة شهر وهو الشطر مما كان يعطى رسول الله (ص) ، وأما المهدي فانه يملأ الأرض عدلا كما ملئت جورا وتأمن البهائم والسباع وتلقي الأرض افلاذ كبدها ، قال : قلت وما افلاذ اكبادها ؟ قال : امثال الاسطوانة من الذهب والفضة ، وقد لقب المنصور العباسي ولده محمد بالمهدي ليوهم الناس انه المهدي المنتظر الذي بشر به النبي (ص) ، ولما بايعه بالخلافة قام الخطباء فتحدثوا عن فضلة وأطنب الشعراء في وصفه ، ووقف مطيع بن اياس ، فقال حدثنا فلان عن فلان ان النبي (ص) قال : المهدي منا محمد وابن عبد الله وأمه من غيرنا يملأها عدلا كما ملئت جورا ، ثم اقبل على احد بني العباس وقال : انشدك الله هل سمعت هذا ؟ فقال : نعم ، خوفا من المنصور وسطوته .

وقال البلخي في كتابه البدء والتاريخ بعد ان روى حديث ابن مسعود عن النبي انه قال : لا تذهب الدنيا حتى يلي امتي رجل من اهل بيتي يواطيء اسمه اسمي، بعد ان رواه قال : لقد تأوله قوم وقالوا : انه المهدي بن ابي

جعفر المنصور واسمه محمد .

هذه الروايات على تقدير صحتها صريحة في ان المهدي من أهل بيت النبي ، ولم يقل احد بأن حكام بني العباس من أهل بيته الا بنوع من التجوز الذي لا يصح حمل الكلام عليه الا بدليل ظاهر ، اما رواية الطبراني فبلا شك انه لما قال : سيخرج من صلب هذا من يملأ الأرض جوراً وظلما قد اشار بذلك الى العباس كما اشار بالفقرة الثانية الى علي (ع) ولكن الراوي قد رواه لهم بهذا النحو خوفا او تزلفا وطمعا في برهم وهباتهم .



النصوص الإسلامية على امامة الإمام الثاني عشر وظهوره

لقد ذكرنا ونحن نمهد للحديث عن سيرة الأئمة الاثني عشر ما جاء عن النبي (ص) في امامتهم من طريق السنّة والشيعة وانهم خلفاؤه ولا يزال الدين قائما بوجودهم ، وفي بعض تلك النصوص انهم عدد نقباء بني اسرائيل وان آخرهم يملأ الأرض قسطا وعدلا كما ملئت ظلما وجورا ، وذكرنا موقف اهل السنة منها وتمحلاتهم في تأويلها بعد ان وجدوا ان لا مفر لهم من التسليم بصدورها عن النبي (ص) لكثرة من رواها من خيارهم وثقات محدثيهم .

وقد روى احاديث المهدي بالذات جماعة من محدثي السنة في صحاحهم كالترمذي وأبي داود والحاكم وابن ماجة وأسندوها الى جماعة من خيار الصحابة كعلي (ع) وابن عباس وابن عمر وابن مسعود وطلحة وأبي هريرة وأبي سعيد الخدري وأم سلمة وغير هؤلاء ممن سمعوا الرسول يردد حديث مهدي أهل البيت بين الحين والآخر حسب المناسبات .

ففي صحيح الترمذي ان النبي (ص) قال : لو لم يبق من الدنيا الا يوم واحد لطول الله ذلك اليوم حتى يبعث الله فيه رجلا من أهل بيتي يواطىء اسمه اسمي ، وفي حديث آخر للترمذي : لا تذهب الدنيا حتى يملك العرب رجل من اهل بيتي يواطىء اسمه اسمي .

وجاء في احاديث ابي داود : لو لم يبق من الدهر الا يوم واحد لبعث الله رجلا من اهل بيتي يملؤها عدلا كما ملئت جورا ، وفي بعض احاديثه انه نظر الى الحسين (ع) فقال : ان ابني هذا سيد وسيخرج من صلبه رجل يسمى باسم نبيكم يشبهه في الخلق ولا يشبهه في الخلق يملأ الأرض عدلا .

وفي مسند احمد بن حنبل عنه انه قال : لا تنقضي الايام ولا يذهب الدهر حتى يملك العرب رجل من اهل بيتي يواطىء اسمه اسمي .

ويدعي الدكتور احمد صبحي في كتابه نظرية الإمامة انه قد شاع الاعتقاد في انتظار المهدي عند جماعة من أهل السنّة وان لم يتقرر كأصل من اصول عقيدتهم كما هو الحال لدى الشيعة بعد ان تحدث فيه بعض علمائهم كالكنجي الشافعي في كتابه البيان في اخبار صاحب الزمان والسيوطي في كتابه العرف الوردي في اخبار المهدي وابن حجر العسقلاني في كتابه القول المختصر على علامات المهدي المنتظر ويوسف بن يحيى الدمشقي في عقد الدرر في اخبار الإمام المنتظر ، ومضى يقول : وشارك في الاعتقاد بالمهدي المنتظر فريق آخر من علماء السنّة بالرغم من عدائهم التقليدي للشيعة وانكارهم لاكثر عقائدهم . ويعتقد ابن تيمية بصحة الحديث الذي رواه ابن عمر عن النبي (ص) ، وجاء فيه : يخرج في آخر الزمان رجل من ولدي اسمه كاسمي وكنيته كنيتي يملأ الأرض عدلا كما ملئت جورا وذلك هو المهدي . وفي حديث آخر له : المهدي من عترتي ومن ولد فاطمة ، كما يرى ان ما رواه احمد والترمذي وأبو داود حول المهدي من الصحاح .

وقد اورد الحافظ ابو عبد الله محمد بن يوسف بن محمد الكنجي الشافعي في كتابه البيان في اخبار صاحب الزمان عشرات المرويات عن النبي (ص) بواسطة الصحابة عن المهدي ونسبه وغيبته وعلامات ظهوره كما يبدو من مواضيع الكتاب المطبوع مع غيبة الشيخ الطوسي .

ومما جاء فيه حول المهدي عن سهل بن سليمان عن أبي هرون العبدي

انه قال : اتيت ابا سعيد الخدري فقلت له : هل شهدت بدرا فقال : نعم ، فقلت له : الا تحدثني بشيء عما سمعته من رسول الله (ص) في علي وفضله ، فقال : بلى اخبرك ان رسول الله (ص) لما مرض مرضته الاخيرة دخلت عليه فاطمة (ع) تعوده وأنا جالس عن يمين رسول الله ، فلما رأت ما به من الضعف خنقتها العبرة حتى بدت دموعها على خدها ، فقال لها رسول الله : ما يبكيك يا فاطمة اما علمت ان الله اطلع الى الأرض اطلاعة فاختار منها اباك فبعثه نبيا ، ثم اطلع ثانية فاختار بعلك وأوصى الي فأنكحته واتخذته وصيا ، اما علمت انك بكرامة الله تعالى اياك زوجك اعلمهم علما واكثرهم حلما وأقدمهم اسلاما ، فضحكت واستبشرت ، فأراد رسول الله ان يزيدها مما قسمه الله لمحمد وآل محمد ، فقال لها : يا فاطمة انا اهل بيت اعطينا ست خصال لم يعطها احد من الأولين ولا يدركها احد من الآخرين غيرنا اهل البيت نبينا خير الأنبياء وهو ابوك ووصينا خير الأوصياء وهو بعلك ، وشهيدنا خير الشهداء وهو حمزة عم ابيك ، ومنا سبطا هذه الأمة وهما ابناك ، ومنا مهدي الأمة الذي يصلي عيسى خلفه ، ثم ضرب على منكب الحسين (ع) وقال : من هذا مهدي هذه الأمة .

وروي بسنده الى حذيفة بن اليمان عن النبي(ص)انه قال: المهدي من ولدي وجهه كالقمر الوردي الذي يملأ الأرض عدلا كما ملئت جورا يرضى بخلافته اهل السماء والأرض وكما روي بسند انهاه الى سفيان بن عيينة عن علي بن هلال عن ابيه انه قال : دخلت على رسول الله (ص) في مرضه الذي قبض فيه وكانت فاطمة عند رأسه فبكت حتى ارتفع صوتها ، ومضى الراوي يحدث عما بشرها به النبي (ص) وكان من ذلك انه قال لها : منا مهدي هذه الأمة اذا صارت الدنيا هرجا ومرجا وتظاهرت الفتن وتقطعت السبل وأغار الناس بعضهم على بعض ، فلا كبير يرحم صغيرا ولا يوقر صغير كبيرا فيبعث الله منا من يفتح حصون الضلالة وقلوبا غلفا يقوم بالدين في آخر الزمان كما قمت به في اول الزمان يملأ الأرض عدلا كما ملئت جورا .

كما روي بسند ينتهي الى ابي سعيد الخدري انه قال : ذكر رسول الله (ص) بلاء يصيب هذه الأمة حتى لا يجد الرجل ملجأ يلجأ اليه من الظلم فيبعث الله رجلا من عترتي يملأ الأرض عدلا وقسطا كما ملئت ظلما وجورا يرضى عنه ساكن السماء وساكن الأرض ، لا تدع السماء من قصرها شيئا الا حبته مدرارا ولا تدع الأرض من نباتها شيئا الا أخرجته حتى يتمنى الاحياء الاموات .

وقد تكرر هذا المضمون في كتاب البيان للحافظ الشافعي وفي بعض مروياته ان المال في عهده يكثر الى حد لا يتنافس عليه احد ولا يرغب فيه راغب من الناس .

وفي رواية له عن حذيفة بن اليمان ان رسول الله(ص)قال: لو لم يبق من الدنيا الا يوم واحد لبعث الله رجلا اسمه اسمي وخلقه خلقي يبايع له الناس بين الركن والمقام يرد الله به الدين ولا يبقى على وجه الأرض الا من يقول لا إله إلا الله ، فقام اليه سليمان الفارسي وقال له : يا رسول الله من أي ولدك هو؟ فقال : من ولد ابني هذا ، وضرب بيده على كتف الحسين .

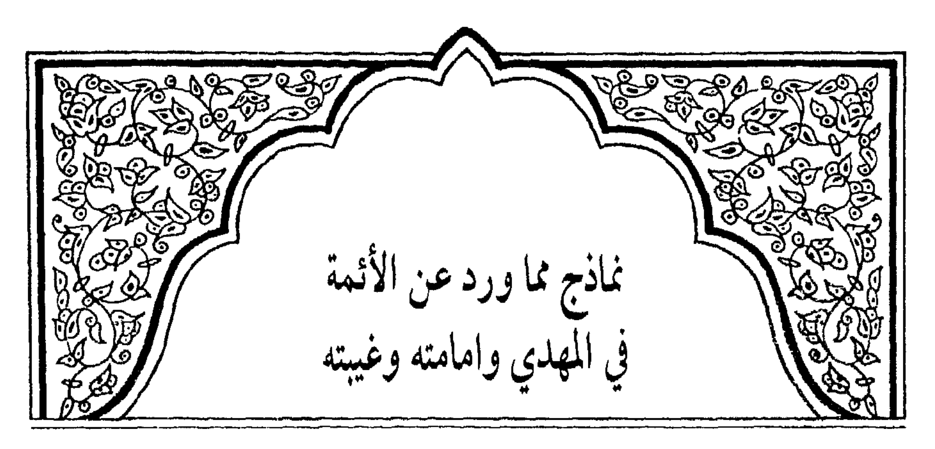
وفي رواية اخرى تنتهي بسندها الى سعيد بن جبير عن ابن عباس ان رسول الله (ص) قال : ان علي بن ابي طالب امام امتي وخليفتي عليها من بعدي ومن ولده القائم المنتظر الذي يملأ الله به الأرض عدلا وقسطا كما ملئت ظلماً وجوراً ، والذي بعثني بالحق بشيراً ونذيراً ان الثابتين على القول به في زمان غيبته لأعز من الكبريت الاحمر ، فقام اليه جابر بن عبد الله الانصاري وقال : يا رسول الله وللقائم من ولدك غيبة ، قال : اي وربي وليمحص الله الذين آمنوا ويمحق الكافرين ، يا جابر ان هذا الامر سر من سر الله مطوي عن عباد الله فاياك والشك فيه فان الشك في امر الله كفر .

الى غير ذلك من الروايات الكثيرة التي بشرت بمهدي اهل البيت الامام الثاني عشر ، والتي رواها صاحب البيان في كتابه وغيره من السنّة

والشيعة عن النبي بأسانيد ينتهي اكثرها الى ثقات الصحابة ورووها من بعده الى الاجيال فدونها محدثو السنة والشيعة في صحاحهم ومجاميع كتب الحديث ، وعلى حساب تلك المرويات المنتشرة بين محدثي السنّة القدامى الذين دونوا الحديث في عصور التدوين الاولى والمروية عن الصحابة على اختلاف ميولهم كانت فكرة المهدي من اهل البيت المنقذ للبشرية مما تعانيه من عسف وجور واسعة الانتشار الى ابعد الحدود بين محدثي السنة وعلمائهم وجميع اصنافهم وفئاتهم وعقيدة اسلامية للكثير من علمائهم ومحدثيهم غير ان العداء التقليدي والخلافات المذهبية بينهم وبين الشيعة فرضا عليهم ان يتصرفوا في تلك الاحاديث بما يتفق مع معتقداتهم او اهوائهم كما تصرفوا في غيرها .

وكما نص عليه النبي (ص) في عشرات المناسبات فقد تواترت النصوص عليه من الأئمة (ع) واحدا بعد واحد وخلال الشهور الاخيرة من حياة ابيه نص على امامته اكثر من مرة بحضور ثقات اصحابه وخواصهم وأراهم اياه بشخصه ، في حين انه كان يخفيه حتى عن اكثر شيعته خوفا عليه من الحاكمين ، وشاع بين عامة الناس ان الحسن بن علي لم يترك من الولد احدا ، ولعل جعفر ابن الإمام علي الهادي (ع) كان ممن يعلمون بولادة المهدي ووجوده ولكنه كان مغتبطا بتلك الشائعة ويساهم في انتشارها ليبرز من خلالها كوريث لأخيه في الاوساط الشيعية التي كانت تدين بإمامته وتجبي اليه اخماس اموالها ، وقد هيأ نفسه لذلك منذ وفاة اخيه فوقف على باب داره والإمام لا يزال مسجى فيها يتلقى التعزية بوفاته من عامة الناس والتهنئة بالامامة من الحاكمين وأتباعهم الذين كانوا يعدونه لذلك ويعملون لتشتيت امر الشيعة وتمزيق وحدتهم وحينما قدموه للصلاة عليه وخرج الإمام المهدي (ع) وجذبه بردائه وهو يقول : تنح يا عم فأنا أحق منك بالصلاة على ابي دهش الناس لهذه المفاجأة وتأخر جعفر وقد اربد وجهه وعلته صفرة تنم عن الخيبة والفشل ، وكان من المتعين على الإمام الشرعي ان يقف هذا الموقف الحكيم في تلك الفترة التي اتجهت فيها الانظار الى عمه الخليع المعروف

بالفسق وشرب الخمـور ليحبط جميع التـدابير التي اتخـذها هـو والسلطة الحاكمـة لترشيحه لامامة الشيعة مكان اخيه الراحل بحجة انه لم يترك وريثا غيره .



نماذج مما ورد عن الأئمة في المهدي وامامته وغيبته

لقد احصى الرواة عشرات الاحاديث عن الأئمة حول امامة المهدي وغيبته وظهوره ودونها المحدثون في مجاميعهم وخوفا من التطويل الممل نقتصر على بعض النماذج منها عن كل امام من الأئمة الاحد عشر .

فقد روى الصدوق في الاكمال وغيره عن جماعة من ثقات محدثي الشيعة بسند ينتهي الى الأصبغ بن نباتة انه قال : اتيت امير المؤمنين (ع) فوجدته متفكرا ينكث الأرض ، فقلت مالي اراك متفكرا يا امير المؤمنين تنكث في الأرض أرغبت فيها ؟ فقال : لا والله ما رغبت فيها ولا في الدنيا يوما قط ولكني فكرت في مولود من نسلي يكون الحادي عشر من ولدي هو المهدي يملؤها عدلا كما ملئت جورا وظلما تكون له حيرة وغيبة تضل فيها اقوام ويهتدي بها آخرون ، فقلت : يا امير المؤمنين وان هذا لكائن ؟ فقال : نعم كما انه مخلوق وانى لكم بالعلم بهذا يا اصبغ اولئك خيار هذه الأمة مع ابزار هذه العترة ، قلت : ثم ما يكون بعد ذلك ؟ فقال : يفعل الله ما يشاء .

وروى بسنده الى الحسين بن خالد عن الإمام علي الرضا عن ابيه موسى ابن جعفر عن ابيه جعفر بن محمد عن ابيه محمد بن علي عن ابيه علي بن الحسين عن ابيه الحسين عن ابيه علي بن ابي طالب انه قال : التاسع من

ولدك يا حسين هو القائم بالحق والمظهر للدين والباسط للعدل ، قال ابو عبد الله الحسين (ع) : يا امير المؤمنين وان ذلك لكائن ؟ فقال (ع) : اي والذي بعث محمدا بالنبوة واصطفاه على جميع البرية ولكن بعد غيبة وحيرة لا يثبت فيها على دينه الا المخلصون المباشرون لروح اليقين الذين اخذ ميثاقهم بولايتنا وكتب في قلوبهم الايمان وأيدهم بروح منه .

كما روي بسند ينتهي الى الإمام الباقر (ع) انه سمع جابر بن عبد الله الانصاري يقول : دخلت على فاطمة الزهراء (ع) وبين يديها لوح فيه اسماء الأوصياء فعددت اثني عشر اسماً آخرهم القائم ثلاثة منهم محمد وأربعة منهم علي صلوات الله عليهم اجمعين .

كما روي بسند ينتهي الى الحسن بن علي (ع) انه قال لجماعة من شيعته دخلوا عليه ولامه بعضهم على تسليم السلطة لمعاوية بن ابي سفيان : ما منا احد الا ويقع في عنقه بيعة لطاغية زمانه الا القائم محمد بن علي الذي يصلي روح الله عيسى بن مريم خلفه فان الله يخفي ولادته ويغيب شخصه لئلا يكون في عنقه بيعة وهو التاسع من ولد اخي الحسين يطيل الله عمره في غيبته ثم يظهره بقدرته في صورة شاب دون الاربعين والله على كل شيء قدير .

وروي بسند ينتهي الى الحسين بن علي (ع) انه قال : في التاسع من ولدي سنة من يوسف وسنة من موسى وهو قائمنا اهل البيت ، وفي رواية ثانية تنتهي الى رجل من همدان ان الحسين (ع) قال : ان التاسع من ولدي هو قائم هذه الأمة وصاحب الغيبة الذي يقسم ميراثه وهو حي ولو لم يبق من الدنيا الا يوم لطول الله ذلك اليوم حتى يخرج فيملأها عدلا وقسطا كما ملئت ظلماً وجوراً .

وروي بسند ينتهي الى سعيد بن جبير ان علي بن الحسين (ع) كان يقول : القائم منا تخفى على الناس ولادته حتى يقولوا : لم يولد بعد ليخرج

حين يخرج وليس لأحد في عنقه بيعة ، وفي رواية ثانية عنه قال : ان للقائم منا غيبتين الثانية منهما يطول امدها حتى يرجع عن هذا الأمر اكثر من يقول به ، ولا يثبت عليه الا من قوي يقينه وصحت معرفته ولم يجد في نفسه حرجا مما قضى الله علينا .

وروي عن ابي جعفر الباقر ان عبد الله بن عطا قال له : ان شيعتك بالعراق كثيرة فوالله ما في اهل بيتك مثلك فكيف لا تخرج ؟ فقال : يا عبد الله قد امكنت الحشو من اذنيك ، والله ما انا بصاحبكم ، قلت : فمن صاحبنا ؟ قال : انظروا من تخفى على الناس ولادته فهو صاحبكم .

وفي رواية ثانية رواها عنه محمد بن مسلم الثقفي جاء فيها انه قال : دخلت على ابي جعفر الباقر (ع) وانا اريد ان اسأله عن القائم من آل محمد ، فقال لي مبتدئاً : يا محمد بن مسلم ان في القائم من آل بيت محمد (ع) سنة من خمسة من الرسل يونس بن متى ويوسف بن يعقوب وموسى وعيسى ومحمد (ص) الى ان قال : وان من علامات خروجه خروج السفياني من الشام وخروج اليماني وصيحة من السماء في شهر رمضان ومناد ينادي من السماء باسمه واسم ابيه .

كما روى عنه محمد بن مسلم ايضا انه قال سمعت ابا جعفر (ع) يقول : القائم منا منصور بالرعب مؤيد بالنصر تطوى له الأرض وتظهر له الكنوز ويبلغ سلطانه المشرق والمغرب ، ويظهر الله عز وجل به دينه على الدين كله ولو كره المشركون ، وينزل روح الله عيسى بن مريم فيصلي خلفه ، قال : قلت يا ابن رسول الله متى يخرج قائمكم ؟ قال : اذا شبه الرجال بالنساء والنساء بالرجال ، واكتفى الرجال بالرجال والنساء بالنساء وركب ذوات الفروج بالسروج وقبلت شهادة الزور وردت شهادة العدول واستخف الناس بالدماء وارتكاب الزنا وأكل الربا ، واتقي الاشرار مخافة السنتهم .

وروي عن صفوان بن مهران ان الإمام الصادق (ع) قال : من اقر

بجميع الأئمة وجحد المهدي كان كمن اقر بجميع الأنبياء وجحد محمد بن عبد الله (ص) فقيل له : يا ابن رسول الله فمن المهدي من ولدك ؟ قال : الخامس من ولد السابع يغيب عنكم شخصه ولا يحل لكم تسميته .

وفي رواية ثانية عنه قال : اذا اجتمع ثلاثة اسام متوالية محمد وعلي والحسن فالرابع هو القائم .

وجاء عن السيد بن محمد الحميري في حديث طويل جاء فيه : قلت للصادق جعفر بن محمد (ع) : يا ابن رسول الله قد روى لنا الرواة عن آبائك (ع) في الغيبة وصحة كونها فاخبرني بمن تقع ، فقال (ع) : ان الغيبة تقع بالسادس من ولدي وهو الثاني عشر من الأئمة الهداة بعد رسول الله اولهم امير المؤمنين وآخرهم القائم بالحق بقية الله في الأرض وصاحب الزمان ، والله لو بقي في غيبته ما بقي نوح في قومه لم يخرج من الدنيا حتى يظهر فيملأ الأرض قسطا وعدلا كما ملئت جورا وظلماً .

وروى محمد بن عمير بسنده الى ابي بصير ان الإمام الصادق (ع) كان يقول : يكون بعد الحسين بن علي تسعة ائمة تاسعهم قائمهم .

وروى الصدوق وغيره عن علي بن جعفر ان اخاه موسى بن جعفر قال : اذا فقد الخامس من ولدي فالله الله في اديانكم انه لا بد لصاحب هذا الأمر من غيبة حتى يرجع عن هذا الأمر من كان يقول به انما هي محنة من الله عز وجل امتحن بها خلقه ، وروى عنه يونس بن عبد الرحمن انه قال : القائم الذي يطهر الأرض من اعداء الله يملؤها عدلا كما ملئت جورا وظلما هو الخامس من ولدي له غيبة يطول امدها خوفا على نفسه يرتد فيها اقوام ويثبت فيها آخرون ، ثم قال : طوبى لشيعتنا المتمسكين بحبلنا في غيبة قائمنا الثابتين على موالاتنا والبراءة من اعدائنا اولئك منا ونحن منهم فقد رضوا بنا ائمة ورضينا بهم شيعة فطوبى لهم ثم طوبى لهم هم والله معنا في درجاتنا يوم القيامة .

وروي عن الحسين بن خالد انه قال : قال الإمام الرضا (ع) لا دين لمن لا ورع له ولا ايمان لمن لا تقية له وان اكرمكم عند الله أعملكم بالتقية ، فقيل له : يا ابن رسول الله الى متى ؟ قال : الى يوم الوقت المعلوم وهو يوم خروج قائمنا ، فمن ترك التقية قبل خروج قائمنا فليس منا ، فقيل له : يا ابن رسول الله ومن القائم منكم اهل البيت ؟ قال : الرابع من ولدي ابن سيدة الاماء يطهر الله به الأرض من كل جور ويقدسها من كل ظلم ، وهو الذي يشك الناس في ولادته وصاحب الغيبة قبل خروجه ، فاذا خرج اشرقت الارض بنوره ووضع ميزان العدل بين الناس فلا يظلم احد احدا .

وروي عن عبد العظيم بن عبد الله بن علي بن الحسن بن زيد بن الحسن بن علي بن ابي طالب (ع) انه قال : دخلت على سيدي محمد بن علي بن موسى بن جعفر اريد ان اسأله عن القائم ما هو المهدي أو غيره ؟ فابتدأني وقال : يا ابا القاسم ان القائم منا هو المهدي الذي يجب ان ينتظر في غيبته ويطاع في ظهوره وهو الثالث من ولدي ، والذي بعث محمدا (ص) بالنبوة وخصنا بالامامة لو لم يبق من الدنيا الا يوم واحد لطول الله ذلك اليوم حتى يخرج فيه فيملأ الأرض قسطا وعدلا كما ملئت جورا وظلما ، وان الله ليصلح له امره في ليلة كما اصلح امر كليمه موسى اذ ذهب يقتبس نارا فرجع وهو رسول نبي وان افضل اعمال شيعتنا انتظار الفرج .

وروي عن داود بن القاسم الجعفري انه قال : سمعت ابا الحسن صاحب العسكري (ع) يقول : الخلف من بعدي ابني الحسن فكيف لكم بالخلف من بعد الخلف لانكم لا ترون شخصه ، فقلت : فكيف نذكره ، قال : قولوا الحجة من آل محمد (ص) .

وروى علي بن مهزيار عن علي بن محمد بن زياد انه قال : كتبت الى ابي الحسن صاحب العسكر (ع) اسأله عن الفرج فكتب الي : اذا غاب صاحبكم عن دار الظالمين فتوقعوا الفرج ، وفي رواية عنه ايضا انه قال :

الإمام بعدي الحسن ابني وبعد الحسن ابنه القائم الذي يملأ الأرض قسطا وعدلا كما ملئت جورا وظلما .

وروى احمد بن اسحاق بن سعد الاشعري انه دخل على ابي محمد الحسن بن علي وسأله عن الخلف من بعده ، فقال له الإمام : يا احمد ان الله تبارك وتعالى لم يخل الأرض منذ خلق الله آدم ولا يخليها الى ان تقوم الساعة من حجة لله على خلقه به يدفع البلاء عن اهل الأرض وبه ينزل الغيث وبه يخرج بركات الأرض ، فقلت : يا ابن رسول الله فمن الامام والخليفة من بعدك ؟ فنهض مسرعا فدخل البيت ثم خرج وعلى عاتقه غلام كأن وجهه القمر من ابناء ثلاث سنين ، وقال : يا احمد بن اسحاق : لولا كرامتك على الله عز وجل وعلى حججه ما عرضت عليك ابني هذا انه سمي رسول الله وكنيه الذي يملأ الأرض قسطا وعدلا كما ملئت ظلماً وجوراً ، يا احمد بن اسحاق ان مثله في هذه الأمة مثل الخضر ومثله مثل ذي القرنين ، والله ليغيبن غيبة لا ينجو من الهلكة فيها الا من ثبته الله عز وجل على القول بإمامته ووفقه فيها للدعاء بتعجيل فرجه وسيرجع عن هذا الأمر اكثر القائلين به ولا يبقى الا من اخذ الله عهده لولايتنا وكتب في قلبه الايمان وأيده بروح منه ، ومضى يقول : يا احمد هذا امر من امر الله وسر من سر الله وغيب من غيب الله فخذ ما آتيتك وكن من الشاكرين[1] .

ونكتفي بهذه النماذج من مئات الروايات المنسوبة الى الأئمة (ع) التي تصف الإمام الثاني عشر مهدي هذه الأمة محمد بن الحسن وزمانه وغيبته وما سيقوم به بعد ظهوره ، واذا لم يكن جلها من النوع الصحيح فمما لا شك فيه بأن عددا كبيرا منها تطمئن له النفس لأن رواته من المعروفين بالوثاقة والاستقامة ، لا سيما وانها تتفق في مضامينها مع ما اخبر به من لا ينطق عن الهوى الرسول الأعظم (ع) والأئمة الهداة من بنيه .

---

(١) انظر المجلد الأول من اصول الكافي والاكمال للصدوق والغيبة للطوسي وغيرها من مجاميع الحديث .



موقف جعفر بن علي من ابن أخيه المهدي

لم يكن الإمام علي الهادي منشرحا لولادة ولده جعفر ولا متفائلا بحسن مصيره ، ولما سئل عن اسباب ذلك قال لامرأة كانت تراقب نظراته وحركاته ، كما جاء في رواية كشف الغمة للاربلي : هوني عليك وسيضل به خلق كثير .

وتؤكد الروايات الكثيرة انه لما شب وترعرع انحرف عن اخلاق الإسلام وتعاليمه وعن الخط الرسالي الذي كان آباؤه (ع) قد وضعوه بين ايدي المسلمين لاتمام الحجة عليهم وانقاذهم مما كانوا يعانون من شدة وبلاء ، واختار لنفسه منادمة الحكام وأجهزتهم والتلهي بالخمور والمنكرات حتى اضطر والده (ع) ان يقول لبعض اصحابه : تجنبوا ولدي جعفر فانه مني بمنزلة ابن نوح الذي قال الله فيه : ﴿ **يا نوح انه ليس من اهلك انه عمل غير صالح** ﴾ كما جاء في المجلد الثاني من تاريخ سامراء .

ولما سئل عنه احمد بن عبيد الله بن خاقان وزير المعتمد العباسي وكان يتحدث عن اخيه أبي محمد الحسن العسكري ، قال : ومن هو جعفر فيسأل عن خبره او يقرن به ، ومضى يقول احمد ابن الوزير: ولما دفن اخوه الحسن العسكري جاء الى ابي وقال له : اجعل لي مرتبة ابي وأخي وأوصل لك في كل سنة عشرين الف دينار فزبره ابي وأسمعه ما كره ، وقال له : يا احمق ان السلطان اعزه الله جرد سيفه وسوطه في الذين زعموا ان اباك وأخاك ائمة

ليردهم عن ذلك فلم يقدر عليه وجهد ان يزيل اباك وأخاك عن تلك المرتبة فلم يتهيأ له ذلك ، فان كنت عند شيعة ابيك وأخيك اماماً فلا حاجة بك الى سلطان يرتبك مراتبهما ولا غير سلطان وان لم تكن عندهم بهذه المنزلة لم تنلها .

وقال ابو الاديان خادم الإمام الحسن العسكري الذي كان يتولى نقل كتبه ورسائله الى الشيعة في مختلف المناطق ، وكان قد ارسله الى المدائن وحمله رسائل الى وجوه شيعته فيها ، ولما رجع وجد الإمام قد توفي وأخاه جعفر واقفا بباب الدار يستقبل المعزين والمهنئين له بالإمامة بعد اخيه ، فقال كما جاء في الرواية عنه : ان يكن هذا هو الإمام بعد الحسن بن علي فقد بطلت الإمامة وكان يعرفه بتعاطي المنكرات والاستهتار بأحكام الله .

وقد ذكرنا ان السلطة كانت جادة في مساندته واحلاله محل اخيه وقد قدمته للصلاة عليه لهذه الغاية ولما وقف على الجنازة فوجىء الناس بصبي لم يتجاوز السادسة من عمره يخرج من الدار ويأخذ برداء عمه الى الوراء وهو يقول : تأخر فأنا احق منك بالصلاة على ابي فيتأخر جعفر بدون ان تبدر منه اية معارضة ويربد وجهه وتعلوه صفرة تنم عن الخيبة والفشل ، ومع تلك الصدمة العنيفة التي اصيب بها بظهور الوريث الشرعي لاخيه الذي كان يجهله عامة الناس وتنحيته عن الصلاة عليه بحضور تلك الحشود المجتمعة لتشييع الجثمان الطاهر الى مقره الاخير ، فقد بقي في نفسه شيء من الامل ان يتم له الاستيلاء على مركز اخيه ولو بواسطة السلطة الحاكمة وأجهزتها التي كانت تعمل لصالحه وتوجه الوافدين وجباة الاخماس اليه ، ولكن جهوده وجهود الحاكمين وأجهزتهم تعثرت وباءت بالفشل ذلك لأن وكلاء الأئمة وخاصتهم وحتى عامة الشيعة يعرفون ان الذين اختارهم الله للامامة وقيادة الأمة قد حباهم الله بما يتعسر على غيرهم من الناس ، وقد ادعاها قبله اناس بدافع الانانية وحب الشهرة وبتحريض الحاكمين ومساندتهم ولكنهم سرعان ما انكشفوا على واقعهم وارتدوا على اعقابهم خاسرين ، ولم يكن جعفر بن علي

بـأوفر حـظا من اولئك الادعيـاء لا سيـما وهـو بـالاضـافـة الى جهله معـروف بالاستهتار بـالدين وممـارسة المنكـرات ، ورجع شيعـة آبائـه الى الإمام الشـرعي بعد ان اظهر لهم من دلائل الإمامة ما كان يظهره أبوه وأجداده من قبله .

وجاء في رواية ابي الاديان الـذي كان يحمـل كتبه ورسـائله الى الشيعة في الامصار ويرجـع بأجـوبتها الى الإمـام ابي محمد العسكـري ، انه لما دفن الإمام قـال لي ولده القـائم : يا بصـري هات اجـوبة الكتب التي معـك فدفعتهـا اليـه وقلت في نفسي هذه بينتان الصـلاة على ابيـه وعلمه بمـا احمله من اجوبـة الكتب ولم يكن قـد علم بـذلـك احـد من النـاس ، ثم خـرجت الى جعفـر بن عـلي وجلست عنـده وبينما نحن جلوس واذا بنفـر من قم يقصدون الإمـام ابـا محمـد ولم يكونوا قد عرفـوا بوفـاته الا بعـد دخولهم سـامراء ، فقـالوا : فمن نعـزي ؟ فأشار الناس الى اخيه جعفر ، فدخلوا عليه وعزوه بـأخيه وهنـوه بالامـامة ، ثم قالوا له : ان معنا كتبا وأموالاً فـاذا اخبرتنـا ممن الكتب وعن مبلغ المال دفعنـاها اليـك ، فقـام ينفض ثيـابـه وهـو يقـول : تـريـدون منـا ان نعلم الغيب ، فلم يدفعوا اليه شيئا .

وفيـما هم في حيـرة من امـرهم واذا بـالخـادم يخـرج من دار الإمـام فقـال لهم : معكم كتب فلان وفلان وهميـان فيه الف دينـار عشرة دنـانير منهـا مطليـة فدفعوا اليه الكتب والاموال وقـالوا ان الـذي اخبرك بـذلك هـو الإمام بعـد ابي محمد ، فاغتاظ جعفر بن علي من ذلك ودخـل على المعتمـد العباسي وقص عليـه ما جرى للقميـين ، فوجـه معه المعتمـد اجهزتـه فقبضوا عـلى صيقل ام المهـدي وطالبوها به فأنكرته فسلموهـا الى ابن ابي الشوارب القاضي ، ثم تشاغلوا عنهـا كـما يدعي الـراوي بموت عبيـد الله بن خاقـان فجأة وخـروج صاحب الـزنج في البصرة وخرجت من بين ايديهم .

وجـاء في رواية ثـانية رواهـا الصـدوق في الاكمـال بسنـده الى ابي الحسن ابن علي بن سنان عن ابيه انه قـال : لما قبض ابـو محمد الحسن العسكـري وقدم بـالاموال وفـود من قم والجبال ، ولم يكن عنـدهم علم بـوفـاة الحسن (ع) فلما

قدموا سامراء وعلموا بوفاته سألوا عن وارثـه قيل لهم اخـوه جعفر بن عـلي وكان قد خرج متنزهاً في دجلة مع المغنين والغلمـان فلما رجع دخلوا عليـه وقالـوا : يا سيـدنا نحن من قم وجهـاتها وكنـا نحمل الى سيـدنا ابي محمـد الأموال فخبـرنـا عن مقدارها ومن اين جمعت ، فقال لهم جعفر: كذبتم تقولـون على اخي مـا لا يفعله وهـذا من علم الغيب الذي لا يعلمـه غير الله ، فلما سمـع القوم كـلامـه جعـل بعضهم ينظر الى بعض ، ثم قـال لهم : ادفعوا المـال ، فقالوا : انـا قـوم مستأجرون وانا لا نسلم المال الا بـالعلامـات التي كنا نعـرفها من اخيـك ، فان كنت امـاما فبـرهن لنا والا رددنـا الاموال لاصحـابها ، فقـام جعفر ودخـل على الخليفة واستعداه عليهم فـأمرهم بـدفع الأمـوال الى جعفر ، فقـالوا : انـا قـوم مستأجرون وقد امرنا ان لا ندفـع المال الا بعـلامة ودلالـة كما جـرت العادة مـع اخيـه وكان يصفـ لنـا الدنـانير وأصحـابها ومقـدارها ، فـان يكن هذا صـاحب الأمر من بعده فليقم لنا ما كان يقيمه اخوه وإلا رددنا المال لاصحابه .

ثم انهم خـرجوا من سـامراء وفيـما هم خارج البلدة واذا بشـاب قـد لحق بهم وقـال : يا فـلان ويا فـلان اجيبوا مـولاكم ، فـرجعـوا ودخلوا عـلى الامـام (ع) فأخبرهـم بـالمال ومقـداره ومن ارسله فـدفعـوا اليـه المـال ، ثم اوصـاهم بـأن لا يحملوا الى سامـراء بعـد ذلـك شيئـاً وأن يـرسلوا الامـوال والكتب الى نوابه في بغداد ، وأضاف الـراوي الى ذلك ان جعفـر بن علي حمـل الى الخليفة مبلغا كبيرا من المال وطلب منه ان يجعل له منـزلة اخيـه ، فقال لـه : ان منزلـة اخيـك لم تكن بنا وكنـا نجهد في حط منـزلته ويـأبى الله الا ان يـزيـده رفعـة لمـا كـان فيه من حسن السمت والعلم والعبـادة فان كنت عنـد شيعتـه بمنـزلتـه فـلا حاجة بك الينا وان لم تكن كذلك فلا نغني عنك شيئاً .

وسواء صحت هذه المرويات ام لم تصـح فمما لا شـك فيه أن الحاكمـين واجهزتهم قد بـذلوااقصى مـا لديهم من جهـد لارجاع الشيعـة الى جعفر بن عـلي لأنه كان من اعوانهم ويجلس على مـوائدهـم مـع المغنين والمغنيـات ، وساعـدتهم الـظروف الغامضـة التي كانت تحيط بـالامام المهـدي (ع) واختفائـه عن الناس

على الدعوة لعمه جعفر بحجة انه الوريث الوحيد لأبيه وأخيه ، في حين ان جعفر بن علي لم يكن يجهل وجود الإمام وحتى ان الحاكمين كانوا يعرفون ذلك ، ولكن الله سبحانه كان لهم بالمرصاد فأحبط جميع مخططاتهم ورد الذين كفروا بغيظهم لم ينالوا شيئاً ، ورجع اليه شيعة آبائه وظلوا على اتصال به خلال الغيبة الصغرى بواسطة سفرائه ووكلائه كما تؤكد ذلك عشرات المرويات .

ولجعفر بن علي الهادي ولدان احدهما يدعى محسن بن جعفر ، قتله جماعة من الاعراب في بعض المقاطعات التابعة لدمشق ، وادعى قاتله بأنه خرج على السلطان ، فحمل رأسه الى بغداد وصلب على الجسر فيها كما جاء في الكنى والالقاب للقمي .

والثاني يدعى عيسى وكان عالما فاضلا كما يصفه القمي وقد سمع الحديث منه هارون من موسى التلعكبري واستجازه فأجازه وله الأبيات التالية :

يا بني احمد اناديكم اليوم وأنتم غدا لرد جوابي
الف باب اعطيتم ثم افضى كل باب منها الى الف باب
لكم الأمر كله وإليكم ولديكم يؤول فصل الخطاب



السفراء الأربعة في الغيبة الصغرى

لقد تحدث الرواة عن غيبة الإمام محمد بن الحسن العسكري (ع) وأسبابها ورووا عن الإمام الصادق وأبي الحسن موسى بن جعفر (ع) ان الله سبحانه قد اخفى ولادته وغيبه عن الناس لئلا يكون في عنقه بيعة الى احد ، كما رووا عن ابي جعفر الباقر (ع) انه غاب خوفا من بني العباس ، وجاء في رواية عبد الله بن الفضل الهاشمي : ان الإمام الصادق (ع) قال في جواب من سأله عن الحكمة في غيبته : ان هذا الأمر لا ينكشف الا بعد ظهوره كما لم ينكشف وجه الحكمة فيما اتاه الخضر الا بعد ان افترق عن موسى ، ومضى الإمام يقول كما جاء في الرواية : ان هذا امر من امر الله وسر من اسراره وغيب من غيبه ومتى علمنا انه حكيم صدقنا بأن افعاله كلها لحكمة تقتضيها وان كان وجهها غير منكشف لنا ، وفي رأيي ان الحديث عن اسباب غيبته من الغيبيات التي يعود امرها الى الله وحده كما جاء في رواية عبد الله بن الفضل عن الإمام الصادق (ع) وما علينا الا التسليم والالتزام بما اقتضته مشيئته ، والتشكيك في حياته وظهوره عندما يأذن الله له بذلك على حد التشكيك بنبوة الأنبياء وإمامة آبائه الكرام .

ومنذ ان انتقلت الإمامة اليه بعد وفاة ابيه لم يكن من الميسور لأي كان من الناس ان يتصل به ويجتمع اليه خلال سبعين عاما تقريبا الا من خلال

سفـرائه الاربعـة : عثمان بن سعيـد العمـري ، ومحمـد بن عثمـان العمـري ، والحسين بن روح النـوبختي ،وعـلي بن محمـد السمـري الـذين كـانـوا حلقـة الاتصال بينه وبين شيعته في مختلف الاقطار بواسـطة الرسـائل التي يحملونها اليـه ويأخذون منـه اجوبتهـا لاهلها ، كـما فوضهم بقبض الاخمـاس التي كانت تجبى اليه والتصرف بها حسبما تقتضيه المصلحة ، وقـد تولى لـه السفارة خـلال السنين الأولى من امـامته عثمـان بن سعيد المعـروف بالسمـان ، لأنه كـما يقول الـرواة كـان يتجر بـالسمن ويتجول في تجـارته في الأوسـاط الشيعية حتى لا يـظهر امـره للحاكمين ، فاذا دفع إليـه احد الشيعـة مبلغا من المـال وضعه في زقـاق السمن وأخفـاه عن الناس ، وتـولى السفـارة لثـلاثـة من الأئمـة (ع) الهـادي والحسن العسكري ومحمد بن الحسن القائم المنتظر .

وجـاء في رواية احمـد بن اسحاق بن سعـد القمي انه قـال : دخلت عـلى ابي الحسن عـلي بن محمـد (ع) في يـوم من الأيـام وقلت لـه : يـا سيـدي انـا اغيب وأشهـد ولا يتهيأ لي الـوصول اليـك اذا شهـدت في كـل وقت فقـول من نقبل وأمر من نتمثل ؟ فقال لي : هذا ابو عمرو الثقة الامين ما قاله لكم فعني يقـوله ومـا اداه لكم فعني يؤديه ، ومضى الـراوي في حـديثـه يقـول : فلما مضى ابـو الحسن صرت الى ابنـه ابي محمد الحسن العسكـري ذات يوم فقلت لـه مثل قولي لأبيه من قبل ، فقال لي : هـذا ابو عمـرو الثقة الامـين ثقة المـاضي وثقتي في المحيا والممات فما قال لكم فعني يقوله وما ادى اليكم فعني يؤديه .

وفي روايـة ثانيـة رواها الشيـخ الطوسي في الغيبـة عن جماعـة من الشيعـة منهم عـلي بن بـلال وأحمـد بن هـلال ومحمـد بن معـاويـة بن حكيم والحسن بن ايوب بن نوح انهم قـالوا : اجتمعنـا الى ابي محمد الحسن بن عـلي (ع) نسألـه عن الحجة من بعده وفي مجلسـه اربعون رجـلا فقام اليـه عثمان بن سعيـد وقال له : يا ابن رسول الله اريد ان اسـألك عن امـر أنت اعلم به مني ، فقـال له : اجلس يا عثمان ، فقام مغضباً ليخرج فامـرنا الإمـام بالجلوس الى ان كـان بعد ساعة صـاح الإمام بعثمـان بن سعيد فقـام على قـدميه ، فقـال الإمام (ع) :

اخبركم بما جئتم لـه ، قالـوا : نعم يا ابن رسـول الله ، قال : جئتم تسألـوني عن الحجـة بعدي ، قـالوا : نعم ، ثم خـرج لنا غـلام كأنـه قمر اشبـه النـاس بـأبي محمد فقـال : هذا امـامكم من بعدي وخليفتي عليكم اطيعـوه ولا تتفرقـوا فتهلكـوا في اديـانكم ، الا وانكم لا تـرونـه من بعـد يـومكم هـذا فـاقبلوا من عثمان بن سعيد ما يقولوه وانتهوا لأمـره واقبلوا قولـه فهو خليفـة امامكم والأمـر اليه .

وجـاء في رواية اخـرى انـه قـال : وان ابنـه محمـدا وكيـل ابني مهـديكم وبقي ابو عمرو عثمان بن سعيد قـائما بـأعباء سفـارته للمهـدي (ع) بعد وفـاة ابيـه مدة من الـزمن لم يحدد الـرواة مقدارهـا الى ان وافاه اجله فعهـد من بعـده الى ولـده ابي جعفر محمـد بن عثمان العمـري بأمـر من الحجة محمـد بن الحسن عليه السلام .

وجاء في رواية محمد بن ابراهيم بن مهزيار الاهـوازي بعد وفـاة ابي عمرو العمـري انه خـرج توقيـع جاء فيـه ان ابنه لم يـزل ثقتنا رضي الله عنـه وأرضاه ونضر وجهه يجري عندنا مجراه ويسد مسده وعن امرنا يأمـر وبه يعمـل تولاه الله فانته الى قوله وعرف شيعتنا ذلك .

وقـد عزاه الحجـة بأبيـه حـين وفـاتـه وجـاء في تعـزيتـه لـه كـما في روايـة محمـد بن عبد الله بن جعفـر الحميري : انـا لله وانا اليـه راجعون تسليـما لامـره ورضا بقضائه عاش ابوك سعيدا ومات حميدا فرحمه الله وألحقـه بأوليـائه ومـواليه (ع) فلم يزل مجتهدا في امرهم ساعيـا فيما يقـربه الى الله عـز وجل واليهم نضر الله وجهه وأقاله عثرته وأجزل لـك الثواب وأحسن لـك العزاء رزيت بـه ورزينا وأوحشك فراقه وأوحشنا فسـره الله في منقلبه ، لقـد كان من كمـال سعادتـه ان رزقـه الله ولدا مثلك يخلفـه من بعده ويقـوم مقامـه بـأمـره ويتـرحم عليـه ، ان الانفس طيبـة بمكانـك وما جعله الله عـز وجل فيـك وعندك اعـانك الله وقـواك وعضدك ووفقك وكان لك وليا وحافظا وراعيا وكافيا .

وكانت كتب المهدي (ع) تخرج على يده الى الشيعة في امور دينهم وكل ما يهمهم بنفس الخط الذي كانت تخرج في حياة ابيه عثمان بن سعيد لا يعرف الشيعة واسطة بينهم وبين الامام غيره ، ويجد المتتبع في أبواب الفقه هنا وهناك بعض الآراء للمهدي (ع) كان يجيب فيها على اسئلة الشيعة بواسطة سفيره ابي جعفر العمري وغيره من السفراء ولعل اكثر ما يوجد منها كان بواسطته لأنه كان اطولهم مدة في هذه المهمة ، حيث بقي فيها الى سنة خمس وثلاثمائة كما تؤكد ذلك اكثر المرويات ، ولعل سفارته للإمام المهدي قد استمرت اربعين عاما اي من سنة خمس وستين بعد سفارة ابيه التي استمرت خمس سنوات لا غير .

وكان قبل وفاته قد حفر قبرا لنفسه ونقش عليه بعض الآيات من القرآن وأسماء الأئمة (ع) وينزل اليه في كل يوم يقرأ فيه جزءاً من القرآن ، وقبره يعرف في بغداد بقبر الخلاني .

وأوصى قبل وفاته الى ابي القاسم الحسين بن روح بأمر المهدي (ع) وكان يرشد الشيعة خلال الايام الاخيرة من حياته اليه ، فقد حدث جعفر بن محمد المدائني عنه وكان على ما يبدو ممن يحملون الاخماس الى الإمام (ع) ويدفعها الى ابي جعفر العمري كما كان الحال بالنسبة الى غيره من الجباة ، وخلال الايام الاخيرة جاءه كما تنص الرواية بأربعمائة دينار فأمره بدفعها الى الحسين بن روح ، وبعد حوار طويل بين الطرفين وأخذ ورد بقي مصرا على عدم قبضها منه وقال له وهو مغضب : قم عافاك الله فقد اقمت الحسين بن روح مقامي ووليته منصبي ولما ايقن الراوي ان ذلك منه كان بأمر الإمام دفعها اليه .

وجاء في رواية الشيخ الطوسي انه لما اشتدت حال ابي جعفر رحمه الله اجتمع جماعة من وجوه الشيعة فدخلوا عليه وقالوا : ان حدث امر فمن يكون مكانك ؟ فقال لهم : هذا ابو القاسم الحسين بن روح بن ابي بحر النوبختي

القائم مقامي والسفير بينكم وبين الامام والوكيل الثقة الامين فارجعوا اليه في امور دينكم وعولوا عليه في مهماتكم فبذلك امرت وقد بلغت .

ويصفه الرواة بأنه كان حكيما في تصرفاته معظما عند العامة والخاصة وبلغ من حسن تصرفه وحكمته ان العامة لم يصدقوا من كان ينسبه الى الرفض ، وحدث ان تنازع اثنان فقال احدهما ان ابا بكر افضل الناس بعد رسول الله وبعده عمر بن الخطاب ثم عثمان بن عفان ويأتي علي بن ابي طالب من بعده ، وقال الثاني : ان عليا افضل الخلق بعد رسول الله ، واشتد النزاع بينهما في مجلسه وفيه حشود من السنّة والشيعة فحسم النزاع بالاسلوب الحكيم الذي اعتاد عليه خوفا على نفسه وعلى الإمام (ع) من الحاكمين وقال : الذي اجمعت عليه الصحابة هو تقديم الصديق وبعده الفاروق وبعده عثمان ، ثم علي الوصي وأصحاب الحديث على ذلك وهو الصحيح عندنا ، فتعجب الحاضرون من قوله ورفعه العامة على رؤوسهم وطعنوا على من يرميه بالرفض . وبلغه ان بوابا على بابه قد لعن معاوية وشتمه فأمر بطرده وصرفه من خدمته ولم يقبل شفاعة احد فيه .

وعاش الحسين بن روح قرابة عشرين عاما او تزيد بعد ان تولى السفارة بين الامام المهدي (ع) وعشرات الملايين من الشيعة الذين كانوا يراجعونه في امورهم ومشاكلهم وهو يتصل بالامام ويرجع عليهم بأجوبة مسائلهم بخط الإمام وتوقيعه ، وكانت وفاته سنة ٣٢٦ في بغداد وقبره لا يزال معروفاً ومقصوداً للزائرين ، وقبيل وفاته عهد الى علي بن محمد السمري بأمر من الإمام (ع) فقام بالمهمة التي كان اسلافه يقومون بها ، ولم تطل مدته في السفارة اكثر من ثلاث سنوات ختمت بها الغيبة الصغرى التي كان الاتصال فيها بالإمام المهدي ميسورا بواسطة سفرائه الاربعة .

ويدعي الرواة ان السيمري قبل وفاته بأيام اخرج الى الناس توقيعا من الحجة جاء فيه : يا علي بن محمد اعظم اجر اخوانك فيك انك ميت ما بينك

وبين ستة ايام فاجمع امرك ولا توص الى احد يقوم مقامك بعد وفاتك فقد وقعت الغيبة التامة فلا ظهور الا بعد ان يأذن الله تعالى ، وذلك بعد طول المدة وقسوة القلوب وامتلاء الأرض جوراً وسـ ـأتي شيعتي من يدعي المشاهدة فمن ادعاها فهو كذاب مغتر ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم .

وأضاف الى ذلك الراوي انه بعد ستة ايام دخلنا عليه فوجدناه يجود بنفسه فقلنا له : من وصيك بعدك ، فقال : لله امر هو بالغه ، وكانت وفاته سنة ٣٢٩ وللإمام يوم ذاك من العمر اربع وسبعون عاما قضى منها مع ابيه اربع سنوات ونصف ، وتسعة وستين عاما ونصف العام في غيبته الاولى المسماة بالصغرى ، ويدعي المسعودي في اثبات الوصية ان عمره الشريف كان بنهاية الغيبة الصغرى ستا وسبعين عاما وأحد عشر شهرا ، كانت في عهد المعتمد والمعتضد والمقتدر والراضي ، ومع ان خلافة هؤلاء الأربعة من بني العباس يصفها المؤرخون بالانحلال والتفكك ولا يملك الخليفة منها الا توقيع المراسيم والشكليات ، فلقد كانوا يراقبون تحركات سفرائه ووكلائه المنتشرين في مختلف المناطق وحاولوا القبض عليه اكثر من مرة كما يبدو ذلك من بعض المرويات التي تعرضت لموقف الحاكمين منه .



المدعون للسفارة عن الإمام المهدي (ع)

لقد ادعى الرواة ان جماعة من المشعوذين قد ادعوا السفارة للإمام (ع) وراحوا يحاولون تغرير الشيعة بما اظهروه من الدجل والشعوذة طمعا في الأموال التي كانت تجبى الى الإمام بواسطة وكلائه وسفرائه الاربعة، وبدوافع اخرى لعل اصابع الحكام غير بريئة منها، وقد خرجت رسائل من الامام (ع) بتحذير الشيعة منهم ولعنهم فلعنهم الشيعة وتبرأوا منهم وما زالت اللعنات تنهال عليهم وعلى غيرهم ممن نصبوا العداء لاهل البيت وجحدوا فضلهم ودسوا في احاديثهم وقالوا فيهم ما لم يقولوه في انفسهم ولم يراعوا وصية رسول الله فيهم الى يوم الدين.

ويبدو من المرويات التي تعرضت لهذا النوع من الادعياء ان المدعين للسفارة زوراً وافتراء قد بدأت طلائعهم تظهر في عهد السفير الثاني محمد بن عثمان العمري الذي استمرت سفارته اكثر من عشرين عاما، وادعاها في عهده الحسين ابو محمد الشريعي، ومحمد بن نصير النميري وأحمد بن هلال الكرخي، وأبو طاهر محمد بن بلال البلالي وابن اخي العمري محمد بن احمد بن عثمان المعروف بالبغدادي واسحاق الاحمر، وكان بعض هؤلاء على ما يبدو من بعض الروايات من المعروفين بالاستقامة في بداية امرهم ورافقوا الامامين الهادي والعسكري ولكنهم انحرفوا بعد ذلك بما ذهبوا اليه من

المقالات التي لا تتفق مع الإسلام فضلاً عن التشيع ، كما ادعاها في عهد السفير الثالث الحسين بن روح محمد بن علي الشلمغاني العزاقري ، وقد جرفته الاهواء الى غمرة الالحاد والضلال ، ويدعي بعض الرواة والمؤرخين ان الحسين بن منصور الحلاج احد اقطاب الصوفيين قد ادعاها ايضا ، وكاد ان يستولي على عقول العامة بما اظهره من البدع والشعوذات ، ولكن ابا سهل بن اسماعيل بن علي النوبختي قد افحمه وكشف امره الى الناس في مناظرة جرت بينهما كما سنشير الى ذلك عندما نمر بالحديث عنه .

اما الشريعي احد الدعاة فقد كان من اصحاب الامامين ابي الحسن الهادي وأبي محمد العسكري ثم انحرف بعد ذلك ، وغالى بالامامين فنسب اليهما ما لا يجوز على البشر ، وادعى النيابة عنهما والرسالة لنفسه ، فخرج توقيع الإمام المهدي بلعنه والبراءة منه فلعنه الشيعة وتبرأوا منه .

وأما النميري محمد بن نصير ، فقد تعرضنا له خلال حديثنا عن الغلاة والمنحرفين في عهد الإمام العسكري (ع) وقد ظهرت دلائل الكفر والالحاد على جميع تصرفاته ومقالاته ، فكتب الإمام العسكري كتابا شديد اللهجة يندد به وبالحسن بن محمد بن بابا القمي ، وكان كما ذكرنا سابقا يقول بالتناسخ واباحة المحارم .

وجاء في رجال الكشي ان شخصا رأى غلاما على ظهره فعاتبه على ذلك ، فقال : ان ذلك من التواضع لله وترك التجبر وقد راجت مقالاته بين اناس عرفوا بعد ذلك بالنميرية ، وبعد وفاة العسكري ادعى انه سفير الإمام المهدي والواسطة بينه وبين شيعته ، وكان قبل ذلك يدعي النبوة وان علي الهادي (ع) ارسله الى الناس ، وحينما اعتل وأشرف على الموت ، قيل له : لمن الأمر من بعدك ؟ فقال بلسان ضعيف : بعدي احمد ، فلم يعرفوا من هو ، فافترق اصحابه من بعده كما جاء في غيبة الطوسي وفرق النوبختي ورجال الكشي .

ومنهم احمد بن هلال الكرخي وقد أدرك الإمام الرضا (ع) ، وسبع سنوات من غيبة الإمام الصغرى وقد لعنه الامامان العسكري والمهدي (ع) وكتب المهدي الى العراق يحذر الشيعة منه ويقول : احذروا الصوفي المتصنع لا غفر الله له ذنبه ولا اقال عثرته واني ابرأ الى الله منه وممن لا يبرأ منه .

وتنص بعض المرويات على انه كان مستقيما في بداية امره ، وبدا عليه الانحراف بعد وفاة عثمان بن سعيد فأنكر سفارة ولده ابا جعفر وامتنع عن دفع ما عنده من الأموال الى المهدي بالرغم من الأوامر التي صدرت اليه من الامام (ع) كما نص على ذلك الطوسي في غيبته .

ومنهم محمد بن بلال ، وكان من اصحاب العسكري (ع) وبعد وفاته ادعى بأنه بابه ووكيله وأنكر ما كان عنده من اموال الإمام (ع) وألح ابو جعفر العمري سفير الإمام عليه بدفع الأموال التي عنده للإمام فلم يفلح ، وأخيرا قصده الى داره وعنده جماعة من اصحابه فقال له : انشدك بالله ألم يأمرك صاحب الزمان بحمل ما عندك من المال لي ، فقال له : اللهم نعم ، فنهض ابو جعفر العمري وأصيب القوم بما يشبه الذهول ، فلما انجلى عنهم قال له اخوه ابو الطيب : من اين رأيت الإمام المهدي ، فقال : ادخلني ابو جعفر العمري الى بعض دوره فأشرف علي المهدي من علو داره وأمرني بحمل ما عندي من المال اليه .

ومنهم محمد بن احمد بن عثمان وهو ابن اخ العمري وكان معروفا بالانحراف عند ابي جعفر العمري وقد لعنه وتبرأ منه وحذر منه اصحابه ، وصادف ان جماعة من رواة الشيعة وخواصهم كانوا في مجلس العمري يتذاكرون في احاديث الأئمة (ع) واذا بمحمد بن احمد بن عثمان قد اقبل عليهم ، فلما رآه عمه ابو جعفر مقبلا قال للجماعة : اسكتوا فان هذا الجائي ليس من اصحابكم ، وكان مع ذلك من الخمسة يقول بمقالة ابي دلف محمد ابن المظفر الكاتب ، القائل بأن الخمسة : سلمان الفارسي وأبا ذر الغفاري ،

والمقداد بن الاسود ، وعمار بن ياسر ، وعمرو بن امية العمري ، موكلون بمصالح العالم من قبل الرب .

ويبدو من بعض المؤلفين في الفرق ان الكرخيين واتباعهم من انصار هذه المقالة ، وقد تتلمذ عليهم ابو دلف محمد بن المظفر ، وعدهم المؤلفون في المذاهب من فرق الغلاة الذين انحرفوا عن الإسلام والتشيع في تلك الفترة من التاريخ[١] .

ومنهم محمد بن الشلمغاني المعروف بأبي العزاقري ، وكان صالحا مستقيم العقيدة جليلا عند الشيعة في المراحل الاولى من حياته وقد وكله الحسين بن روح بالقيام ببعض شؤونه عندما طارده المعتمد العباسي واستتر عنه وعن اجهزته فرجع اليه الشيعة في حوائجهم ومهماتهم كما جاء في غيبة الطوسي ، وكانت تواقيع الإمام المهدي تخرج اليه بواسطة الحسين بن روح ، وألف في حال استقامته كتبا منها كتاب التكليف ، ولما انتهى منه تتبعه الحسين بن روح فوجد اكثره موافقا لمرويات الأئمة (ع) ، وله ايضا كتاب التأديب ، وقد ارسله ابن روح الى علماء الشيعة ورواة احاديثهم في قم لينظروا فيه ، فكتبوا اليه كما يدعي الراوي انه صحيح لا شيء فيه يخالف المذهب الا قوله الصاع في الفطرة نصف صاع من طعام ، وكان الحسين بن روح يراقب كتبه على ما يبدو مخافة ان يضع فيها ما يخالف مذهب الامامية ، مما يشير الى انه مر في مرحلة لم يكن يثق به ، وأخيرا ظهر انحرافه وأعلن فكرة الغلو وتناسخ الأرواح وحلول الالوهية فيه كما جاء في المجلد السادس من الكامل لابن الاثير .

وقال ابو علي بن همام احد اصحابه : سمعت محمد بن علي العزاقري الشلمغاني يقول : الحق واحد وانما تختلف قمصه فيوم يكون في ابيض ويوم في احمر وآخر في ازرق .

---

(١) انظر ص ٢٥٦ من غيبة الطوسي وفرق النوبختي .

وأضاف الى ذلك ابن الاثير في تاريخه انه كان يقول : ان روح رسول الله انتقلت الى ابي جعفر محمد بن عثمان العمري ، وروح امير المؤمنين انتقلت الى الشيخ ابي القاسم الحسين بن روح ، وروح فاطمة الزهراء انتقلت الى ام كلثوم بنت ابي جعفر العمري الى غير ذلك مما نسب اليه من المقالات التي تدل على الحاده وزندقته .

ويدعي الرواة انه قد خرج توقيع من الإمام المهدي (ع) سنة ٣١٢ يقول فيه : ان محمد بن علي المعروف بالشلمغاني قد ارتد عن الإسلام وألحد في دين الله وادعى ما كفر معه بالخالق ، وافترى كذبا وزورا وقال بهتانا واثما عظيما ، واننا قد برئنا الى الله والى رسوله منه ولعناه عليه لعائن الله من الظاهر والباطن في السر والعلن وفي كل وقت وعلى كل حال وعلى من شايعه وتابعه ومن بلغه هذا القول منا وأقام على موالاته .

ولما اشتهر بغلوه وإلحاده وشاعت آراؤه ومقالاته طلبه وزير المعتمد العباسي عبد الله بن محمد بن عبيد الله الخاقاني سنة ٣١٢ فاستتر عنه وفر الى الموصل ، فالتجأ الى ناصر الدولة الحسين بن عبد الله بن حمدان ، وبقي فيها نحوا من اربع سنوات عاد بعدها الى بغداد واستمر يبث فيها أفكاره مستترا عن اجهزة الحكام ، الى ان كانت خلافة الراضي سنة ٣٢٢ فقبض عليه وزيره محمد بن علي بن مقلة وهاجم داره فوجد فيها كتباً ورقاعا يخاطبونه فيها بما لا يخاطب به البشر بعضهم بعضا .

وقد انكر في مجلس الخليفة كل ما نسب اليه من الحلول والالحاد وغير ذلك ، وشهد عليه جماعة من اصحابه بأنه يدعي السفارة للإمام المهدي مكان الحسين بن روح ، وأخيرا جمعه الوزير ابن مقلة مع العلماء والفقهاء وعرض عليهم مقالاته فأفتوه باباحة دمه . فصلبه مع ابن ابي عون احد أتباعه ثم احرقا بالنار كما جاء في كامل ابن الاثير وغيره .

ومنهم الحسين بن منصور الحلاج احد اركان الصوفية والذي لعب دوراً

بارزاً في الشعوذة والاحتيال وظهرت عليه بوادر الزندقة والالحاد ، وأصبح من ابرز شيوخ المتصوفة في عصره القائلين بالحلول والكشف . وقد عده المستشرقون وجماعة من كتاب العرب المحدثين من متصوفة الشيعة كما عدوا التصوف من ثمرات التشيع لعلي والأئمة من بنيه .

وكتب الدكتور كامل مصطفى الشبيبي استاذ الفلسفة الاسلامية بجامعة القاهرة كتابا في ستمائة وسبع وثلاثين صفحة حول التصوف ومصادره وفروعه اسماه (الصلة بين التصوف والتشيع) وعد فيه ائمة الشيعة من الصوفية ، وواضعي اصول التصوف كما نسب اليهم من المقالات والحالات التي تؤيد فكرة التصوف والتي وضع على اساسها كتابه ، اموراً لا تتصل بتاريخهم من قريب او بعيد ولم يروها عنهم احد من رواة احاديثهم الموثوقين ، بل بعضها افتراء منه ومن غيره اعداء الشيعة ، وبعضها الآخر من صنع الدساسين والغلاة المنحرفين عن الإسلام فضلا عن التشيع كما وان للقصاصين والمذكرين دورا في بعض تلك المرويات التي تصف الائمة وجماعة من اصحابهم بما يشبه التصوف .

والكتاب بمجموعه غريب وبعيد عن المنطق والحق والتحقيق . ويطول بنا الحديث لو اردنا ان نذكر امثلة من آراء الكاتب الشبيبي في الدس وتشويه الحقائق وتحريف التشيع لمجرد التقاء المتصوفة مع الشيعة في بعض الافكار او الصفات ، وقد لفت نظري فصل من فصول الكتاب ، وان كانت كل فصوله وبحوثه تستوقف الباحث المجرد .

هذا الفصل بعنوان الفتوة والملامتية ، فالفتوة كما يستفاد من مجموع حديثه عنها مصدرها القرآن الكريم حيث ورد هذا الوصف في اكثر من آية فيه ، وجاء على لسان النبي (ص) لا فتى الا علي ولا سيف الا ذو الفقار ، واستعملها الصوفية لابطالهم ومن يتغلبون على اهوائهم وشهواتهم ، والملامتية الصوفية تؤدي معنى التقية الشيعية ، وهي تتطلب من مريديها الا يظهروا

عبادتهم او ورعهم وزهدهم ، فالملامتية والتقية تتحدان في الغرض وهو صون السر والعقيدة حتى لا يطلع عليهم اعداؤهم ويعرضوهم للضرر ، ومن حيث ان الفتوة والملامتية مأخوذان من التشيع على حد زعمه كانت الصلة اكيدة بين التصوف والتشيع كما هو المتحصل من بحثه الطويل الذي عرض فيه مراحل هذين الوصفين الى غير ذلك مما جاء في كتابه من الهراء والافتراء على الشيعة .

ومن الاخطاء التي لا مبرر لها ان فريقا كبيرا من الكتّاب يرون ان التصوف مصدره الشيعة وأئمتهم في حين ان التشيع بعيد عن التصوف والمتصوفة ولا يمت اليهما بصلة من الصلات، اما الدعوة الى الزهد في الدنيا التي وردت في المرويات عن أهل البيت والتي كانت من صفاتهم ، فلا تعني اكثر من ان لا يجعل الانسان الشهوات والاهواء كل همه وينصرف عن العمل لآخرته ، وكانوا يريدون من المسلمين ان يطبقوا تعاليم القرآن الداعية الى الدنيا والآخرة ، حيث يقول :

﴿ وابتغ فيما اتاك الله الدار الآخرة ولا تنسى نصيبك من الدنيا ﴾، ويقول : **﴿ قل من حرم زينة الله التي اخرج لعباده والطيبات من الرزق قل هي خالصة للذين آمنوا ﴾** ، وقال النبي (ص) : ملعون من ترك دنياه لآخرته ، ومن ترك آخرته لدنياه .

وقال الإمام الصادق (ع) : اورع الناس من وقف عند الشبهة وأعبد الناس من اقام الفرائض ، وأزهد الناس من ترك الحرام .

وأحاديث أهل البيت (ع) مليئة في الحث على السعي في طلب الرزق والعمل في هذا السبيل ، والتنديد بالكسالى والذين لا يساهمون حسب طاقاتهم وامكانياتهم في بناء المجتمعات حسبما تفرضه مقتضيات الزمان والمكان ، هذا بالاضافة الى ان التصوف بمعناه الذي عرف فيه خلال القرنين الثالث والرابع الهجريين كان ستارا للالحاد والشعوذة وتشويه معالم الإسلام كما يبدو ذلك من

تاريخ المتصوفة خلال تلك الفترة من التاريخ .

على ان الحلاج والنميري والشلمغاني وأمثالهم من الشيعة من اسوأ انواع الافتراءات التي تراكمت على الشيعة خلال تاريخهم الطويل ، ولا اريد ان اتحدث عن الحلاج في المقام وشعوذاته وإلحاده الا بمقدار ما له صلة بإدعائه السفارة للإمام المهدي (ع) .

فلقد جاء في الكنى والالقاب للقمي عن الخطيب البغدادي انه قال : لما قدم الحسين بن منصور الحلاج الى بغداد ادعى السفارة عن الإمام المهدي (ع) واستغوى كثيرا من الناس والرؤساء وكان طمعه في الرافضة لدخوله في طريقتهم ، وأراد ان يغري ابا سهل بن اسماعيل بن علي النوبختي وكان من العلماء الاجلاء ويمت الى الشيخ ابن روح النوبختي برابطة النسب ، فراسله يستغويه ، في حين ان ابا سهل كان مثقفا فطنا ، فقال لرسوله : هذه المعجزات التي يظهرها قد تأتي فيها الحيل والشعوذات ، وأنا رجل غزل ولا لذة لي اكبر من النساء وخلوتي بهن ومبتلى مع ذلك بالصلع حتى اني اطول قحفي وآخذ به الى جيبي وأشده بالعمامة ومبتلى بالخضاب لستر الشيب ، فان كان باستطاعته ان يصل لي شعرا ويرد لحيتي سوداء بلا خضاب آمنت بما يدعوني اليه كائنا ما كان ، ان شاء قلت انه باب الإمام ، وان شاء قلت انه النبي ، وان شاء قلت انه الله ، فلما سمع الحلاج جوابه يئس منه وكف عنه .

ويدعي الرواة ان الحلاج ذهب الى قم وهي من اعظم معاقل العلماء والمحدثين يوم ذاك وكتب الى علي بن موسى بن بابويه والد الصدوق مدعيا انه رسول الإمام المهدي اليهم ووكيله فلما وصله الكتاب مزقه وقال لرسول الحلاج : ما افرغك للجهالات وسخر منه من كان حاضرا في المجلس بعد ان عرفوا محتوى كتابه .

وجاءفي الرواية التي وصفت محاورة ابن بابويه لرسول الحلاج ان ابن

بابويه نهض الى دكانه ومعه جماعة من اصحابه وغلمانه وعندما وصلها نهض لاحترامه كل من كان هناك سوىٰ رجل منهم بقي جالساً لم ينهض ، ولما جلس سأل عنه ، فقال له : تسأل عني وأنا حاضر اشاهدك عندما خرقت رقعتي ، فقال له ابن بابويه : فأنت الحلاج اذن ، ثم امر غلمانه فأخرجوه وقال له : اتدعي المعجزات عليك لعنة الله ، ثم اخرج من مدينة قم ولم يدخلها بعد ذلك ابدا .

ونكتفي بهذه اللمحات عن اولئك المشعوذين والملحدين كالحلاج وأمثاله من الذين ادعوا السفارة للإمام محمد بن الحسن (ع) ليعبروا منها الى تنفيذ اهدافهم وترويج مقالاتهم المنافية للإسلام ، وقد اعلن الأئمة كفر هذه الفئات وإلحادهم وأمروا اصحابهم بلعنهم والبراءة منهم كما اشرنا الى ذلك خلال حديثنا عنهم في الفصول السابقة من هذا الكتاب .



وكلاء الإمام في الغيبة الصغرى

يدعي المؤلفون في احوال المهدي المنتظر (ع) انه خلال الغيبة الصغرى التي تولى له السفارة فيها اربعة اختارهم لهذه المهمة وعهد اليهم بأن يكونوا واسطة بينه وبين الجماهير الشيعية في مختلف المناطق ، خلال هذه الفترة قد اختار جماعة من ثقات الشيعة وأوكل اليهم مساندة سفرائه في بعض المهمات لتذليل الصعوبات التي كانت تعترض تحركاتهم بواسطة مراقبة الحكام وأجهزتهم ، وكانت مهمة الوكيل محدودة بالقياس الى مهمة السفير ، ذلك لأن السفير كان يتصل بالإمام مباشرة ويأخذ منه التعليمات والتواقيع ، ويقوم بأكثر مسؤولياته حسب التوجيه الذي يتلقاه منه ، في حين ان مسؤولية الوكيل في الغالب في حدود منطقته كاستلام الاخماس وتسهيل اتصال الشيعة بالسفراء ليرفعوا اليهم حوائجهم وتبليغ الاحكام والتوجيه ونحو ذلك ، وقد عد منهم الصدوق في النسخة المخطوطة من اكمال الدين كما جاء في موسوعة الإمام المهدي للسيد محمد صادق الصدر جماعة منهم حاجز بن يزيد .

وجاء فيه من رواية المفيد عن الحسن بن عبد الحميد أنه قال : شككت في امر حاجز فجمعت شيئاً ثم صرت الى سامراء فخرج الينا جواب الإمام (ع) ليس فينا شك ولا فيمن يقوم مقامنا بأمرنا رد وما معك الى حاجز بن يزيد .

ومنهم البلالي ابو طاهر محمد بن علي بن بلال قبل انحرافه مع المنحرفين والمشعوذين ، وقد عبر عنه المهدي في بعض التوقيعات المنسوبة اليه بالثقة المأمون العارف بما يجب عليه كما جاء في رواية الكشي ، ولكن الطوسي عده مع الادعياء المشعوذين ، وليس ببعيد ان يكون في بداية امره من الموثوقين ولكنه انحرف بعد ذلك كما حدث لغيره ممن كانوا من الثقات بين اصحاب الأئمة (ع) .

ومنهم محمد بن ابراهيم بن مهزيار ، وعده ابن طاوس من السفراء والابواب الذين لا يختلف الامامية فيهم كما جاء في جامع الرواة ، ولا بد وان يكون المراد من سفارته ما يشمل الوكالة لان انحصار السفراء بالاربعة من المتفق عليه بين الامامية .

وجاء في غيبة الطوسي ان محمد بن مهزيار كان يقول : شككت عند مضي ابي محمد العسكري ، وكان قد اجتمع عند ابي مال كثير فحمله وركب السفينة وخرجت معه مشيعا فوعك وعكا شديدا فقال : ردني فهو الموت واتق الله في هذا المال وأوصى إلي ومات .

ومضى يقول : فحملت المال بعد الفراغ من امره وقدمت العراق واكتريت دارا على الشط وبقيت اياما فإذا انا برسول معه رقعة فيها : يا محمد معك كذا وكذا من المال ، وقص علي جميع ما تركه ابي من المال ولم اكن اعرفه على حقيقته ، فسلمت المال الى الرسول وبقيت اياما فخرج الي توقيع يقول فيه قد اقمناك مقام ابيك فاحمد الله .

ومنهم احمد بن اسحاق بن سعد بن مالك الاشعري ، وكان واسطة بين القميين والائمة الجواد والهادي والعسكري ، وأدرك شطرا من غيبة الإمام المهدي ، وهو الذي عرض عليه الإمام العسكري ولده المهدي حينما سأله عن خليفته وأراه اياه وحدثه ببعض ما يكون من امره خلال غيبتيه الصغرى والكبرى .

ومنهم محمد بن صالح بن محمد الهمداني الدهقان ، وجاء في رجال الكشي انه ورد في توقيع المهدي الى اسحاق بن اسماعيل : اذا وردت بغداد فاقرأه على الدهقان وكيلنا وثقتنا الذي يقبض من موالينا ، ويدعي في جامع الرواة ان الهمداني الدهقان غلا في آخر امره ولعنه المهدي (ع) ، وقال فيه : لقد ابدله الله بالايمان كفرا حين فعل ما فعل وعاجله الله بالنقمة ، واحتمل بعض المؤلفين في الرجال ان الدهقان الذي لعنه الإمام هو عروة بن يحيى الدهقان لا محمد بن صالح الهمداني الدهقان ، وليس ذلك ببعيد .

ومنهم محمد بن جعفر الاسدي ، وقد وصفه المهدي المنتظر بالامانة وأمر بدفع الاموال اليه كما جاء في رواية النجاشي .

ومنهم القاسم بن العلا من منطقة اذربيجان ، ومحمد بن شاذان بن نعيم النيسابوري ، وابراهيم بن مهزيار ، والحسين بن علي بن سفيان البزفوري الى غير هؤلاء ممن اوكل اليهم الإمام (ع) بعض ما يهمه من امور المسلمين وقبض الاخماس وقضاء الحاجات ، وكانوا كما ذكرنا يتصلون بالامام احيانا عن طريق سفرائه الذين اعتمدهم لقضاء الحوائج وحل المشاكل وأخرى عن طريق المراسلة ، وكان بعض وكلائه وسفرائه يتعاطى مهنة التجارة التي تساعده على التجول في المناطق لتضليل اجهزة الحكام الذين كانوا يراقبون الامام وتحركات سفرائه ووكلائه كما يبدو ذلك من المرويات التي تتحدث عنهم .

وتشير المرويات التي وصفت حياة المهدي انه خلال الفترة الاولى من حياته التي عرفت بالغيبة الصغرى كما كان يلتقي بسفرائه الاربعة ووكلائه المنتشرين هنا وهناك احيانا كان يلتقي ببعض الخواص من شيعته ويحل مشاكلهم ، بالرغم من ان السلطات الحاكمة كانت تتحراه بأقصى مراتب الدقة ، وتراقب سفراءه ووكلاءه وتلاحقهم احيانا بواسطة اجهزتها ، وقد هاجمت داره اكثر من مرة للقبض عليه ، وبعد فشل محاولات المعتمد العباسي التي بذلها للقبض عليه بتحريض من عمه جعفر ابن الإمام الهادي ،

بعد فشل هذه المحاولة ، جرب المعتضد الذي جاء الى الحكم بعد تسعة عشر عاما مرت من حياة الإمام (ع) حاول اكثر من مرة كما يبدو من بعض المرويات ان يقبض عليه في داره ، فكان يرسل الجيش تلو الجيش فيحاصرها ويفتشها تفتيشا دقيقا ، وكان الله سبحانه يحول بينه وبين مراده تكريما منه لمن اصطفاهم من عباده واجتباهم اليه من خلقه .

بالرغم من كل ذلك ، فقد كان الإمام المهدي (ع) يجتمع بخاصته وشيعته ويحل مشاكلهم حسب ما يراه صالحا لهم ، وأغلب الذين كانوا يجتمعون اليه كما تحدث الروايات كانوا يصابون بما يشبه الذهول والغفلة حين اجتماعم به ، فيغيب عن اذهانهم ، ولا يلتفتون الى انه هو صاحبهم الا بعد ان يفارقهم ، وأحيانا كان هو يعرفهم بنفسه لمصلحة تقتضي ذلك .

وجاء في بعض المرويات انه قال لبعض من اجتمع اليه وكان عنه غافلا : ما كان لك ان تراني لولا المكذبون القائلون اين هو ومتى كان وأين ولد ومن رآه ، وما الذي خرج اليكم منه ، وبأي شيء نبأكم وأين معجزاته ؟ يا عيسى بن مهدي خبر اولياءنا بما رأيت واياك ان تخبر عدونا ، قال الراوي : فقلت له يا مولاي ادع لي بالثبات ، فقال : لو لم يثبتك الله ما رأيتني .

وروى في البحار رواية ثانية عن عيسى بن مهدي جاء فيها انه رآه واجتمع اليه وأكل على مائدته كما روي أن الحسن بن الوجناء النصيبي قد اجتمع به في مكة وكان ساجدا في الحرم يتضرع الى الله ويدعوه فجاءته جارية واستدعته فمشى معها حتى انتهى الى دار خديجة ام المؤمنين فجاءه النداء : اصعد يا حسن ، فصعد ووقف على باب البيت ، فقال له المهدي (ع) : يا حسن اتراك خفيت علي ، والله ما من وقت في حجك الا وانا معك فيه ، وجعل يعد عليه اوقات حجه فغاب عن الدنيا ولم ينتبه الا ويد الامام على صدره .

كما روى الطوسي في غيبته عن رجل يدعى الازدي انه رآى وهو يطوف

حول الكعبة شابا حسن الوجه طيب الرائحة مهيباً وهو مع هيبته قريب من الناس ، ولم يسمع احسن من كلامه ولا اعذب من منطقه ، وانه سأل عنه بعض الناس فقيل له : انه ابن رسول الله يظهر للناس في كل سنة يوما لخواص اصحابه فيحدثهم ويتحدثون اليه ، وجاء في الرواية انه دنا منه وطلب منه ان يحدثه فدعا له وأخبره بأنه القائم .

الى غير ذلك من الروايات الكثيرة التي تنص على انه كان يجتمع الى الناس في ايام الموسم في مكة والمدينة ويحدث خواص الشيعة ويتحدثون اليه بما يهمهم من امر آخرتهم ودنياهم ويقبض الأموال من الشيعة مرة بواسطة سفرائه ، وأخرى بواسطة وكلائه المنتشرين في مختلف المناطق للتخفيف على سفرائه وتسهيل مهماتهم .

وثالثة بنفسه كما تشير الى ذلك بعض المرويات ، ومما لا شك فيه ان ظهوره احيانا لسفرائه والخاصة من اصحابه كانت تعترضه كثير من الصعوبات ، ولا يتم الا في ظروف بعيدة عن اعين الحكام وأجهزتهم ، وحتى عن اكثر الشيعة .

ولو افترضنا ان بعض تلك المرويات او اكثرها من صنع المحبين كما هو ليس ببعيد ، فمما لا شك فيه انه خلال الفترة الاولى من حياته التي انتهت بوفاة السفير الرابع الشيخ السمري سنة ٣٢٩ ، وله من العمر اربع وسبعون عاما قضى منها مع ابيه اربع سنوات ونصف وتسعة وستين عاما ونصف بعد أبيه ، فخلالها لم يكن منقطعا عن الناس انقطاعا كاملا بل كان يتصل بالخواص والسفراء احيانا عند الضرورات الملحة بعيدا عن عيون الناس خوفا من الحاكمين الذين اعجزهم امره بمشيئة الله سبحانه .



اسطورة السرداب

من المتفق عليه ان الغيبة الصغرى قد انتهت بوفاة سفيره الرابع الشيخ السمري وبدأت بوفاة سفيره المذكور الغيبة الكبرى التي عبر عنها الإمام الصادق (ع) بأنها من سر الله وغيب الله ، وستبقى حتى يأذن الله له بالفرج ، اما اين كان خلال الفترة الاولى من حياته ومن اين انطلقت غيبته الكبرى وأين هو منذ بدايتها وحتى نهايتها ، فالذي نؤمن به وتؤكده النصوص الصحيحة ان مقره خلال الفترة الاولى من حياته كان بيت ابيه العسكري (ع) في الغالب ، وكان يتستر عن الحاكمين وعيونهم وجلاوزتهم احيانا في مخبأ في البيت يسمونه السرداب الذي كان ولا يزال يستعمل في بيوت العراق للوقاية من حر الصيف اللاهب .

وعندما كان يشتد الطلب عليه ويحاصر بيته كان يخرج منه محاطا بعناية الله ورعايته كما حدث له اكثر من مرة ، كان يغيب عن بيته ويحضر المواسم الدينية في كل عام وحتى مجالس اصحابه وتجمعاتهم لحل مشاكلهم وقضاء حوائجهم من حيث لا يعرفه الا صفوة الصفوة في بعض الاحيان كما جاء ذلك في بعض النصوص .

ومن بيته انطلقت الغيبة الكبرى وخرج منه بلا شك في ذلك الى بلاد الله العريضة يعيش مع الناس ويقاسي مما تعانيه البشرية من ظلم واضطهاد

وتشريد وتجويع ، ويحضر مواسم الحج وغيرها من المناسبات ولا يعرفه احد حسب التخطيط الالهي والمصلحة التي لا يعدو الحديث عن أبعادها وأسرارها ان يكون من نوع التكهن والاستحسان .

ومهما كان الحال فالحديث عن هذه الناحية وأسرارها شائك ومعقد ، ومنكر وجوده وغيبته خارج عن التشيع ، وربما عن الإسلام اذا رجع انكاره الى تكذيب النبي فيما اخبر به اما كيف ولماذا فأمر ذلك الى الله وحده وليس هذا عليه بعزيز ، وسلام الله على من قال : انه سر من الله وغيب من غيبه .

وقد استغل الحاقدون على الشيعة ذكر السرداب في بعض المرويات التي تعرضت للمهدي والمراحل التي مر بها ، وما يصنعه عوام الشيعة خلال زيارتهم لمرقد الامامين الهادي والعسكري (ع) من الصلاة والدعاء في المكان المعروف ببيت الإمام الحسن العسكري (ع) لقد استغلوا ذلك للدس والافتراء على الشيعة كما هي عادتهم عندما يجدون منفذا لذلك فقالوا في جملة ما قالوه : ان الشيعة يعتقدون بأنه دخل السرداب ، وأمه تنظر اليه وما زال يسكنه ولم يخرج منه خلال هذه المدة الطويلة ، وقال بعض شعرائهم في ذلك :

ما آن للسرداب ان يلد الذي　　غيبتموه بجهلكم ما آنا
فعلى عقولكم العفاء فانكم　　ثلثتم العنقاء والغيلانا

وقال الكنجي في كتابه البيان : ان بقاءه حيا في السرداب طيلة هذه المدة بدون طعام وشراب تم له بقدرة الله سبحانه الى غير ذلك من الهراء الذي لا يعتمد على اساس معقول او حديث صحيح مقبول .

وقد ذكرنا ان حياته في المرحلة الاولى كانت في بيت ابيه وخارجه احيانا وكان يتستر عن الناس خوفا من الحاكمين الذين كانوا يتحرون وجوده ويلاحقونه وسفراءه احيانا ، وربما كان يلجأ الى السرداب الذي لا يخلو منه بيت من بيوت العراق ، وفي المرحلة الثانية قد خرج منه حتما الى بلاد الله

الواسعة ليعيش كغيره من الناس .

امـا كيف والى اين ومتى سيـظهـر لاداء مهمتـه التي ادخـره الله لهـا فـأمـر ذلك الى الله واذا تعسر علينا ان نـدرك الحكمة في غيبتـه وأسرارهـا فما علينـا الا الاذعـان والتسليم لقول من لا ينـطق عن الهوى . لا سيـما وان العقـل لا يـرى ذلك محالا ، في حـين ان نوحـا النبي قد عمـر قبله اكثر من الف سنـة كما اخبـر بذلك القرآن الذي لا يأتيه الباطل من بين يديـه ولا من خلفه ، كـما اخبر ببقـاء عيسى وكـذب اليهود فيـما ادعـوه من قتله فقـال : ﴿ **ومـا قتلوه ومـا صلبـوه** ﴾ ﴿ . . . **يقينا بل رفعه الله اليه وكان الله عزيزاً حكيماً وان من أهل الكتاب الا ليؤمنن به قبل موته ويوم القيامة يكون عليهم شهيداً** ﴾ .

فظاهر هذه الآية انـه لا يزال حيـا ، كما وان الآيـة السابقـة تنص على ان اليهود لم يقتلوه ولم يصلبوه بل رفعه الله اليه .

اما الآية : ﴿**اني متوفيك ورافعك الي**﴾ ، فلا ظهور فيها في وفـاته كـما ادعاه بعض المفسـرين ذلك لجواز ان يكون المـراد منها ، اني مـوفيك اجـرك ورافعك الي ، وعلى تقدير ان المراد من الوفاة في الآيـة هو المـوت ، فلا ظهـور فيها عـلى انه قد وقع فيما مضى والعـطف بالـواو لا يفيد التـرتيب كما هـو المعلوم من موارد استعماله ، ولـو اغمضنا عن حيـاة عيسى بن مريم ففيـما حكاه الله في كتـابه عن نوح مع قومه خير شاهد على ان الانسـان قد يعيش زمنـا طويـلا ، وفي الحديث والتاريخ عن اخبار المعمرين ما يؤكد هذه الحقيقة .

فقـد جاء عن لقمـان بن عاد انـه عـاش اكـثر من خمسمـائـة عـام وأدرك سبعة انسر في حياته ، وقال فيه الأعشى :

لـنفســك اذ تختــار سبـعــة انسر	اذا مــا مضى نسر خــلوت الى نسر
وقـــال لادنـاهـــن اذ حـــل ريشـــه	هلكت وأهلكت ابن عـاد وما تـدري

وذكر الرواة ان قس بن ساعدة الايـادي عاش سبعمـائة سنـة وقيل اكـثر

من ذلك ، كما ذكروا ان عمر بن ربيعة بن كعب المعروف بالمستوغر عاش اربعمائة عام وتوفي قبيل ظهور الإسلام وهو القائل كما يدعي الاخباريون :

ولقد سئمت من الحياة وطولها وبلغت من عدد السنين مئينا
مائة اتت من قبلها مائتان لي وازددت من عدد الشهور سنينا
هل قد بقي الا كما قد فاتنا يوم يكر وليلة تحدونا

ومن المعمرين زهير بن خباب ، فقد عاش مائتين وعشرين عاما كما يدعي السيد المرتضى في اماليه ، ومنهم ذو الاصبع العدواني فقد جاء في اخباره انه عاش ثلاثمائة سنة وقيل اقل من ذلك ، كما ادعى الاخباريون ان الربيع بن ضبع الفزاري اخبر عن نفسه بأنه عاش مائتي سنة في فترة عيسى وأكثر من مائة في الجاهلية ، وبقي حيا حتى ادرك عبد الملك بن مروان وأنشده :

اذا عاش الفتى مائتين عاما فقد ذهب اللذاذة والغناء

وله حوار طويل وحديث طريف مع عبد الملك يوم دخل عليه وجعل يحدثه عما شاهده في حياته الطويلة وأخبار الماضين كما نص على ذلك اكثر المؤرخين .

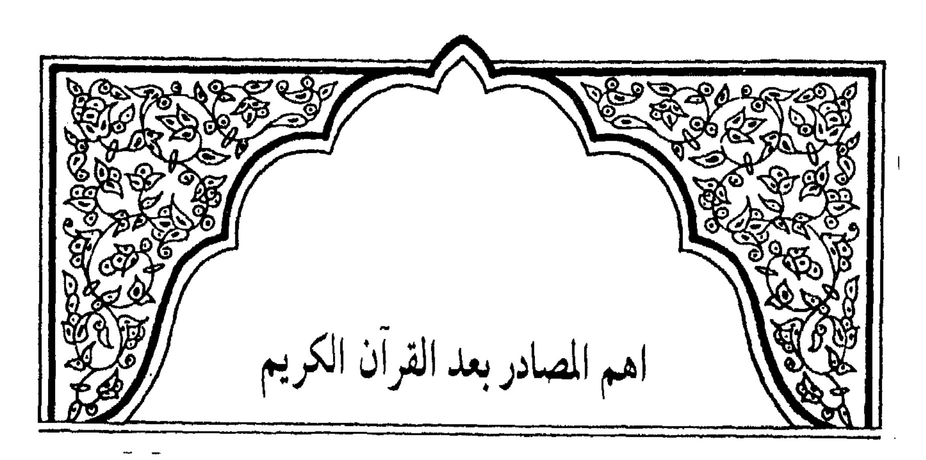
ومن المعمرين عبد المسيح بن بقلة الغساني ، فلقد عاش كما يدعون اكثر من ثلاثمائة وخمسين عاما الى غير ذلك مما يرويه المحدثون والمؤرخون عن عشرات المعمرين الذين تجاوزت اعمارهم عن المألوف بين البشر منذ اقدم العصور حتى يومنا هذا ، وفي مجاميع الحديث السنية والشيعية اخبار كثيرة تنص على ان الخضر عاش زمنا طويلا وفي اكثرها انه لا يزال حيا .

واذا صحت اخبار الرواة عن المعمرين وليس ذلك ببعيد فهو على خلاف المألوف من حياة البشر ، والشيعة لا يدعون بأن حياته الطويلة على وفق المألوف بل يقولون بأن ذلك لأمر اقتضته مشيئة الله سبحانه كما اقتضت

مشيئتـه ان يعيش نـوح الف عـام او اكـثر من ذلـك ، كـما وان احتجـابـه عن الناس لا يتنافى مع امامتـه بعد ان كـان لمصلحة تقتضيـه كما كـان يحتجب بعض الانبيـاء عن قومهم خـوفا عـلى حياتهم او لمصـالح اخـرى . والمسؤولية في ذلـك تقع على عاتق الأمة التي اضـطرته لأن يختفي عن النـاس كما اضـطرت آباءه من قبله للتقيـة من الظالمـين والتستر في دعـوتهم اكثر الاحيـان . والحديث عن هـذه النـواحي من سيرتـه شائـك وطـويـل وقـد كتب الشيعـة فيهـا عشـرات الكتب ودافعوا عن عقيدتهم بالمنطق والدليل منذ اقدم عصورهم حتى عصرنا الحالي .

وبمـا اني قد اخـذت على نفسي ان اختصر حسب الامكـان ، فـاني اكتفي بهذا المقدار من الحديث عن سيرة الأئمـة (ع) واعترف بعجـزي عن الاحاطـة بواقعهم وجميع جـوانب سيرتهم الحـافلة بكل معـاني الخير والفضيلة وهـو عذري اليهم والصلاة والسلام عليهم وعلى جدهم المصطفى الذي بعث رحمـة للعالمـين ورحمة الله وبركاته .





اهم المصادر بعد القرآن الكريم

مجمع البيان في تفسير القرآن	للطبرسي
تفسير الميزان	للسيد محمد حسين الطباطبائي
تفسير الكاشف	للشيخ محمد جواد مغنية
التفسير الكبير	لفخر الدين الرازي
احكام القرآن	للجصاص
الكافي	لمحمد بن يعقوب الكليني
الوافي	لملا محسن الفيض
وسائل الشيعة	للحر العاملي
اكمال الدين واتمام النعمة	للصدوق
الغيبة	لمحمد بن الحسن الطوسي
البحار	لملا باقر المجلسي
كشف الغمة	للأربلي
الارشاد	للشيخ المفيد
فضائل الخمسة من الصحاح الستة	للسيد مرتضى القزويني
الإمام الصادق والمذاهب الأربعة	للشيخ اسد حيدر
الاحتجاج	للطبرسي
الحسين بن علي	لعلي جلال الحسيني

المناقب — لابن شهراشوب
سيد شباب اهل الجنة — للاستاذ احمد عاشور
تاريخ الغيبة الصغرى — للسيد محمد الصدر
المبادىء العامة للفقه الجعفري — للمؤلف
دراسات في الكافي والصحيح
للبخاري — للمؤلف
عقيدة الشيعة الإمامية — للمؤلف
تاريخ الامم والملوك — لابن جرير الطبري
البداية والنهاية — للحافظ ابن كثير
الغدير — للأميني
شرح نهج البلاغة — لابن ابي الحديد
الطبقات الكبرى — لابن سعد
مروج الذهب — للمسعودي
التاريخ — لابن واضح اليعقوبي
العبر في ايام العرب — لابن خلدون
التاريخ الكبير — لابن عساكر
انساب الاشراف — للبلاذري
سيرة اعلام النبلاء — لشهاب الدين النويري
نهاية الارب
تاريخ اليعقوبي
المختصر في اخبار البشر — لأبي الفداء
الصحيح — لمحمد بن اسماعيل البخاري
الصحيح — لمحمد بن مسلم
اتقان المقال في علم الرجال — للشيخ محمد طه نجف
منهج المقال — للمرزا محمد
الملل والنحل — للشهرستاني

الفرق — للنوبختي
معرفة اخبار الرجال — لمحمد بن عمر بن عبد العزيز الكشي
كتاب الرجال — لاحمد بن علي بن احمد النجاشي
تهذيب التهذيب — لابن حجر
لسان الميزان — لابن حجر
ميزان الاعتدال — للذهبي
حياة الحيوان — للدميري
نظرية الإمامة عند الاثني عشرية — للدكتور احمد محمود صبحي
الصلة بين التصوف والتشيع — لكامل مصطفى الشيبي
فجر الاسلام وضحاه — لأحمد امين
علي وبنوه — لطه حسين
حياة الإمام الحسن — للشيخ باقر القرشي
صلح الحسن — للشيخ راضي ياسين
شذرات الذهب — لابن العماد الحنبلي
الإمام علي — لعبد الفتاح عبد المقصود
صوت العدالة — لجورج جرداق
الامام علي — لعبد الكريم الخطيب
أهل البيت — لتوفيق ابو علم


Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الفهرس

الموضوع ــــــــــ الصفحة

الموضوع ـــــــــــــــــ الصفحة

الموضوع ـــــــــــــــــــ الصفحة













